

١٧١

الحجرات

في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عجائب بفتح الهمزة والكسرة وغرائب الألفاظ

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين ببيان آمين

الجزء الثامن

طبع بمطبعة

مصطفى البنا في الحلي وأولاده بمصر

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

شوال سنة ١٣٤٦ هـ

إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة بنى اسرائيل مكية لا قوله - وان كادوا ليفتنونك - الى آخرثمان آيات)

(وهى مائة وعشر آيات)

هذه السورة ﴿ قسمان * القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله تعالى - وقالوا أ إذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا -

﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدا - الى آخر السورة
القسم الأول فيه (١) الاسماء (٢) وتاريخ بنى اسرائيل ارتقاء وانحطاطا (٣) وحكم تتبع ذلك وعظاات للامة الاسلامية لئلا تذهب دولها كما ذهبت دولة اليهود (٤) ثم ببيان أن كل مافى السموات والأرض مسبح لله رجوعا الى مبدأ السورة مع نصائح أخرى

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا
حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى
لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةً مِن سَعْمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا * فَاِذَا جَاء وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا

خِلَالَ الدَّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَابْنٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدَ الْآخِرَةِ لِيُسْوَإَوْا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عُلِّقَ لِنَبِيِّرَا
* عَذَى رَبِّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا
الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا
* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَنْذِعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاهُ
بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَصُوبًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَعَسَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّقُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَاهُ
تَفْصِيلًا * وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنْ أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِيَ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
تَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَوْ نَتَّخِذَ مِنْهُمْ قَوْمًا أُخْرَىٰ فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَقَدَرْنَا هَآئِلَ تَبْدِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
مَحْظُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْصِيلًا * لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُورًا * وَقَصَىٰ رَبُّكَ الْأَتْعَابَ إِلَّا
إِبَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَتَلَفَعْنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَّبَّيْنِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
لِالْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتَٰهُ الْقُرْآنُ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدَرُ تَبْدِيرًا * إِنَّ
الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ

رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَرْفُوعَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ
كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن
قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ
إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا السَّكِيلَ إِذَا كِلْتُمُ وَرَثَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ
خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ إِن تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ
طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ
الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقِلُ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا * أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ
بِالْبَيْنِ وَأَتَّخِذُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا * قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَبْعُوا إِلَى ذِي
الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تَسْمِعُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْمِعُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَّا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا * وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا يَنِّكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا * وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي
الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاعًا أَذْبَاهِهِمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ
وَإِذْ تُمْسَحُونَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * أَفْظَنُ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ
الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَبَعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أَسْبَحَ (سبحان) الله أي تنزهه فسبحان اسم بمعنى التنزيه أي أنزه الله أن يجزى عما سجدت بعده

(الذى أسرى بعده) محمد ﷺ وأسرى لفتان (ليلا) في مدة قليلة منه دلة عليها تكبير ليل (من المسجد الحرام) هو المسجد بعينه لا الحرم كله * لقوله عليه الصلاة والسلام بينا أنا نائم في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن غيرهم وعدد جبالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء من العجايب وأنه لقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل المعجزة بسنة . والخلاف مشهور أكان باليقظة أم في المنام فعائشة رضى الله عنها تقول بروحه والجمهور يقولون بحسده وسأيت تحقيقه وقوله (إلى المسجد الأقصى) أى بيت المقدس إذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لأنه مهيط الوحى ومتعبد الأنبياء من أيام موسى عليه السلام وحوله الأشجار المثمرة والأنهار الجارية (الزينة) أى محمدا ﷺ (من آياتنا) من عجائب قدرتنا كذهابها في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته عجائب السموات وغرائب الخفايا فيها (إنه هو السميع) لأقوال محمد ﷺ (البصير) بأفعاله فيكرمهم وبقربه على حسب ما استعذله بذلك . ولما كان بيت المقدس مقر الأنبياء من أول موسى عليه السلام ولهم دول تتابعت وأمم تناسقت في تلك الأقطار أطلع الله نبيه محمدا ﷺ على أحوالهم ليطعننا عليها وأرعى إليه ماحل يقوم موسى من عزّة وذلّة وشرف وحطّة وقد أنزل عليهم كتاب التوراة المنزل على موسى ليدلنا على ماسيكون لنا في مستقبل الزمان وانا سنلاقي مالاقت الأُم فلنحتسرس بما وقعوا فيه ولذلك أعقها بالآداب ونصائح وفصائل لم تكن في سورة قبلها متتابعة على هذا النوال وشدت في ذلك حتى أعطى (٢٥) نصيحة في نسق واحد . فأما التوراة فان مدار نصائحها على الكلمات العشر المعروفة فقال سبحانه موضحا ذلك (وأيننا موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه) أى الكتاب (هدى لبني اسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا) يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دوني ربا تسلكون اليه أموركم يا (ذرية من حملنا مع نوح) في السفينة (إنه كان عبدا شكورا) يحمده الله على جميع حالاته ويقوم بحق النعمة ويصرف كل ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله فلذلك أنجيتهم من الغرق فاذا سرتم على طريقه أنجيتكم من الهلاك فاشكروني بمعرفته حق النعمة أتم لكم النعم كما أدمنها عليه . ثم أخذ يفصل ما حصل لبني اسرائيل وهل هم قاموا بالشكر كنوح أبيهم أم هم ضلوا السبيل فغضب عليهم وكل ذلك ليس يقصد منه إلا نحن أصحاب هذا القرآن ثم قال (وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب) أى وقضينا على بني اسرائيل في كتابنا الذى كتبناه على الخلق وقدرناه عليهم قبل خلقهم وأن لكل دولة أيام رفعة وآيام ذل وأقسما (لتفسدن في الأرض) أى أرض الشام وبيت المقدس (مرتين) كما هو شأن كل أمة نالت حظا من الحضارة والترف وسكرت بالنعيم (ولتعلن علوا كبيرا) أى ولتستكبرن ولتظلمن ظلما كبيرا (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى المرتين بأن خالفتكم أحكام التوراة وركبتكم المحارم ففقتهم شيئا في الشجرة مثلا (بعنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديدا) أشداء في القتال لأنكم لم تسبوا على سنن أبيكم نوح في شكر نعمائهم وهؤلاء العباد يختصر وجنوده فقتلوا علماءكم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا سبعين ألفا (جاسوا خلال البير) تردّوا للغارة فيها * واجلوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكثرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبت وتهدمت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم والنفر جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) أى إن الاحسان والاساءة مختصان بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم * وعن على رضى الله عنه (ما أحسنتم إلى أحد ولا أسأت إليه) (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرة الآخرة بعثناهم (لبسوا وجوهكم) أى

ليجتاحوا آثار المساء بادية فيها (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) وليتبروا
 ماعلا بتبيرا) أى وليلسكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه وهؤلاء هم الروم حاصروهم واقتسحوا بيت المقدس
 وأخشوا في القتل والأسر والتحرى بنى وسربوا البيت وأجلوهم إلى رومة ومارواها وهو الخراب الثانى للمسجد
 ويسمى الجبلوة الكبرى (عسى وبكم) بعد المرة الأخرى (أن يرجحكم وإن عدمتم) نوبة أخرى (عبدنا)
 مرة ثالثة إلى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ بعد الثالثة كما عادوا بعد الأولى بتكذيب عيسى فسلط
 الله عليهم الروم إذ ذاك فهكذا هنا سلط عليهم مجدداً ﷺ فقتل قريظة وأبلى بنى النضير وقرى الخزمية على
 الباقيين . هذا ما كان من أمر التوراة ونتائجها في الأمة التى اتبعته وهذا القرآن أنزله لأهم ستائق وأنزلنا
 فيه حكما أرقى مما في التوراة لأن العالم سائر إلى الأمام (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) للطريقة التى
 هى أقوم الطرق (ويهدى للمؤمنين الذين يهابون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة
 أعدنا لهم عذابا أليما) هذه هى القاعدة العامة في القرآن وفى كل دين . ثم أخذ يفصل ذلك والتفصيل
 ﴿قسمان﴾ قسم علمى وقسم عملى . فأما القسم العلمى فهو

- (١) أن ينتبذ الانسان ويتبصر في أموره
- (٢) ويعينه على ذلك الاطلاع على حساب الليل والنهار ومجائهما فان الدقة في حركات الأفلاك وحسابها
 تعلم الانسان الثبات والصبر والسبر على النهج الأكمل في الحياة
- (٣) ومتى علم ذلك فليقرأ علوم النفس البشرية ونظامها فانها ذات حساب بل حساب أعمالها قائم فيها
 ثابت وهو بخوضه في الدنيا لا اطلاع عليه إلا بعد الموت كما لا اطلاع الناس على حساب الأفلاك إلا بدراستها والمخالوص
 من الجهالة بالعلوم الرياضية ويوم القيامة يقرأ كل انسان كتابه بنفسه لأنه حاضر فيها
- (٤) وهكذا الدول والأمم فان لكل دولة نظاما في كيانها ولواطلعت عليه لأدركت سبب سقوطها فهى
 متى غسبت في الترف والتعجم هلكت وساء مصيرها وذلك أت من نفسها وطباع أهلها فسكانه مكتوب في
 جبينها يقرأ في صحائف نفوسها كما يقرأ الناس صحائف أعمالهم يوم القيامة
- (٥) وهذا قانون الأمم كماها متى طغت هلكت فلا فرق بين الأمم التى بعد نوح وهم كثيرون وبين
 الأمم الآتين من دول الاسلام والشرق والغرب
- (٦) هذا قانون عام فمن قصر نظره على الامور الوقتية نالها وحرم غيرها ومن اتسعت بصيرته فأدرك
 الحقائق وعمل للمستقبل فاز به . هذا هو القسم العلمى وما تفرع منه
 وأما القسم العلمى فهو ٢٥ نصيحة سيأتى ذكرها . فهذه هى الطرق التى سنه الله في القرآن ليجتسرس
 علماء الاسلام مما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وخراب ممالكهم وهذا من معنى قوله تعالى - إن هذا
 القرآن يهدي للتي هي أقوم -

﴿القسم العلمى﴾

الفصل الأول منه قوله تعالى (ويهدى الانسان بالشر دعاه بالخير) فيدعو الله عند غضبه بالشر على
 نفسه وأهله وماله ولده كما يدعو لم بالخير (وكان الانسان عجولا) يتسرع إلى طلب مايقع في قلبه ولايتأني
 ومن هذا ماحصل من الضرر من الحارث قال ﴿اللهم ان كان هذا هو الحق الخ﴾ فاذا كانت هذه حال
 الانسان فليس ينبغي أن نتركه وشأنه بل نرسل له الأنبياء ونعلمه ولاندعه يسرع إلى أهوائه فاذا كره النبات
 مثلا جبرناه على تربته ونرسل له الأنبياء وأمرناه بطريق الدين وبالشفقة المحركة للأفئدة أن يحافظ عليهم
 فهذا من التسرع بالفكر والاروية . وإذا تنعم وشره وظلم سلطانا عليه من يملكه لثلا يفسد في الأرض كما

فانطلقكم على نظامنا وحسابنا فعمل الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وما فوق ذلك من علم الفلك نلهمكم بقراءتها أبواب الخيرات والحكمة كما يقوله الحكماء (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تذلان على قدرتنا وعلمنا وعلى نسقنا المحجب (فجعلنا آية الليل) أى الآية التى هى الليل أى جعلناه محموق الضوء مطموسا مظلمالا يستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضئة تبصر فيها الأشياء رؤية بينة (لتنبهوا فضلا من ربكم) تطلبوا فى بياض النهار أسباب معاشكم (ولتعلموا) باختلافهما وبحركاتهما (عدد السنين والحساب) أى وجنس الحساب . فكم كان الليل لنومكم والنهار لمعاشكم كان تعاقبهما لتعليمكم السنين والحساب . فالأول بالضوء والظلمة والثانى بالحساب المبني على الحركات فالضوء نعمة والظلمة نعمة والحركات الفلكية نعمة فنعمة الضوء للأمور المحسوسات ونعمة الحركة تم العقليات والحسيات فنحن مافطرنا فيما ينفعكم (وكل شئ) تنفقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تقصيرا) فيما أبدعناه من النظام وما خلقناه من الأجرام العظام وحركاتها وإبداعها ومن ذلك التفصيل التام ما فصلنا فى النفس الانسانية فانما هى صورة لما فصلناه فى السموات والأرض بل هى على طبقها

﴿ الفصل الثالث ﴾

قال تعالى (وكل انسان أئتمناه طائره) عمله (فى عنقه) أى ان عمله لازم له لزوم القلادة أو القل للعنق كما تقول جعلت هذا فى عنقتك أى قلدتك هذا العمل والأزمتك الاحتفاظ به وانما عبر بالطائر على عادة العرب انهم كانوا يتشاهمون ويتيمينون بروح الطائر وسنوجه فاستعير لما هو سبب الخير والشر من قبر الله تعالى فشكل امرئ قد ثبت فى نفسه كأنه مكتوب فيها ما عمل من خير أو شر فأصبح كأنه مطبوع فيها لا يفرقها ثم يكشف الغطاء عن الانسان فيقرأ ما عمله ويحده حاضرا فى نفسه فيسره أو يسوؤه . ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا . لأنهم هكذا شأنهم وطباعهم واستعدادهم فأصبحوا على مقتضاه خزنوا أو فرحوا ثم قال (وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى حال كونه غير مطوى عنه كما كان فى الدنيا وتقول له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك فيقرؤه (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الباء زائدة أى كفى نفسك وحسيبا تمييز وعليك متعلق به أى حاسباً عليك من قولك حسب عليه كذا . وإذا كان المرء يرى أعماله مسطورة مكشوفة يطالعها وهى أعماله فالأمر إذن واضح (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرها وزر نفس أخرى بل انما تحمل وزرها لأنه هو المسطور فيها والذى تطالعها والتذنب على مقدار العلم والمعرفة والقدرة فن قصرها علم ندم كما هى الحال فى الدنيا . ان المرء ملزم بعمل ما يطيق وما يلزمه فلا يجب على الباعة والتجار تعليم العلم والأنظام الدولة بل كل ملزم بما علم واستعد له والأمم فى الجاهلية لاشئ عليهم إذ لاعلم لهم (وما كنا معذبين حتى نبث رسولا) يبين الطحج ويمهد الشرائع . ولا جرم أن النفس الانسانية التى سطر فيها أعمالها كما كتب فى سجل الأفلاك حسابها ونهجت منهجها فيه على قاعدة - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - حكم الواحد منها حكم جميعها . فما الأمم إلا أفراد مجتمعة ولها طباع وأحوال وقد كتب فى سجلها ما كتب فى سجل الأفراد من ذنوب وطاعات . وكما يعذب الأشخاص يوم القيامة وفى الدنيا . هكذا تعذب الأمم متى طغت فى الدنيا بالهلاك وفى الآخرة يجهنهم وطفغان الأمم باتباع الشهوات والظلم والجور الذى ينجم عن الفتنة والتمتع وهذا قوله فى

﴿ الفصل الرابع والخامس ﴾

(وإذا أردنا أن نهلك قرية) أى وإذا تعلققت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق عليهم (أمرنا مترفها) أى أكثرنا المتعدين فيها * يقال أمرت الشئ وأمرته فأمر كفرح إذا أكثرته وذلك بأن نصب

عليهم النعم فنظروهم ونفضى بهم الى الفسق كما حصل لبني اسرائيل فيما تقدم فلهذا حذر أمة الاسلام ذلك وهذا قوله تعالى (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن طاعة وأمرنا (حقاً عليها القول) أى فوجب عليها الوعيد كما جرى لبني اسرائيل إذ سلطت عليهم بختصر أولاً ودولة الروم ثانياً فأخذوا الى أصبهان وماوالها من البلدان أولاً وشتموا في بلاد الروم وأخرجوا من ديارهم ثانياً (فدمرناها تدميراً) فأهلكناها اهلاكا وليس ذلك خاصا ببني اسرائيل المذكورين بل هذا قانون عام يعم الأمم السابقة واللاحقة وهذا قوله تعالى (ولم أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) كماد ونمود وغيرهما وهذا الاهلاك بالاسباب المتقدمة وهو التمتع والترف فيكون الجن من جهة والظلم من جهة أخرى ليستأوا جشعهم (وكفى برك بذنوب عباده خيرا بصيرا) وإن أخفوها في صدورهم فاذا نسوها فلم ننسها نحن - أحصاه الله ونسوه - فلذلك تعاقب في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بجحيم وذلك كله بحسب الانسان العاجلة وقصر نظره . فهذا هو الدرس الذى ألقاه الله لنا ليعين العجلة التى تحمل الانسان على مطامع وقتية فيما تقتسم إذ يدعوا الانسان بالشر كما يدعو بالخير ومثل ذلك طلبه العاجلة بالتمتع فهو كما يطالب الشر بالدعاء فكلاهما تسرع وتطلب للشيء قبل وقته وليس التمتع بحط الآمال في الدنيا بل الدنيا محط التعليم والتهديب . فاذا تجمل الناس وانثروا بما لديهم أهلكهم وأضاع دولهم وهذا هو (الفصل السادس) الآتى وقبل أن نبدأ فيه نختم هذا الفصل بما شاع من العثور على حضارة قديمة جدا يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٦ وهو ما يأتى

اكتشاف حضارة غابرة في أمريكا الوسطى

عاد الى إنجلترا حديثا من غابات أمريكا الوسطى ومفاوزها كل من المستر (متشل هديس) و (اللابدى رتشمند براون) للمستكشفان بعد أن قضيا عاما هناك في البحث عن بقايا حضارة غابرة وقد لاقيا كثيرا من الصعاب وكشفا النقاب عن كثير من الأسرار . ولقد بدأت البعثة عملها بأن ثلاثت في الفضاء الواسع المجهول بغية العثور على خرائب مدينة (مايا) القديمة في لوبانتان من هندراس البريطانية ولقد مررت على البعثة المستكشفة أوقات أيقنوا فيها بفقدان الأمل ولكن عزم المستر (هديس) وزميلته (لابدى براون) كان باعثا على الاستمرار وعدم اليأس . ولقد كانت تخوض بهم خيوط المستنقعات حتى راقها خلال الغابات والادغال

واجتاز المستر (هديس) وجعته النهر يصعبهم المرشدون من الهنود وأخذوا طريقهم خلال الادغال طويلا حتى ظهر لهم فجأة هرم عظيم يبلغ ارتفاعه ثمانية قدم . وهنا تأكدوا انهم عثروا على شيء في غاية القدم كما انه في منتهى الجدة للعالم وكان ذلك هو اهرام (مايا) الكبير . ولقد كانت (مايا) هذه تمثل أسعى نوع من أنواع الحضارات في القارة الأمريكية . وفي اليوم التالى ظهر من الاكتشاف والبحث انه كان هناك مالا يقل عن ستة اهرامات على ساحة كبرى حجرية مساحتها ربع ميل مربع . وفي اليوم الثالث اكتشف اهراما يبلغ ارتفاعه مائة وثمانيا وثمانين قدما وعرضه ست وثلاثون قدما . ولما جرت الادغال وجدت سلام حجرية هائلة متدرجة يبلغ وزن الدرج الأسفل منها ما يقرب من طنين . ويقول المستر هديس انه على ثقة من أنه في وسط وشمال وجنوب أمريكا يوجد مفتاح لأسرار غامضة لو أنها فتحت للعالم جليا لسببت حيرة عميقة في الأفكار العالمية لنظريات النشوء والارتقاء . انتهى

ولنتسرع في (الفصل السادس) وهو اتمام لتيان ما تقدم من أن الانسان عجول فقال تعالى (من كان يريد العاجلة) مقصورا همه عليها (جعلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) بدل من له باعادة الجار بدل البعض من الكل فالذين قصرت همهم على العاجلة نعطى بعضهم بعض ما يطلبون وآخرون نحرمهم مما يطلبون جميعه (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى

عمل لها عملها وحققها من السعي وكفأها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله . فالقسم الأول اتمام لأيضاح - وكان الانسان عجولا - والقسم الثاني من هذه الآيات في مقابلته وهم المؤمنون (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) أى كل واحد من الفريقين وهؤلاء بدل من كل والعطاء الرزق ومن متعلق بتمد فلان يخل على مطيع ولاعاص بل يزيدهم جميعا من عطائنا ويجعل الالاحق منه مددا للسابق (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده ان عصوا . ولاضير في ذلك فالانسان العاصي أو الكافر لم يخرج عن حظيرة النعمة الحيوانية فليكن حيوانا كذلك التى ترتع في البوادي وإذا تمتعنا الحيوان وأكثرتاه في الأرض وانضم فريق من الانسان إليه وصار في عداده فهل نبيخل عليه . كلا . وهل عطاؤنا محظور (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق والعمل كيف منصوب بفضلنا على الحال فنشاهد انهم درجات شتى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ان التفاوت في الآخرة أكبر مما تراه في الأخلاق والأرزاق والأعمال . انتهى القسم العلمى

﴿ القسم الثاني العلمى ﴾

لما فرغ من الكلام على القسم العلمى من نظري السموات والحساب والسنين وأن كل شئ مفصل تفصيلا وأن كل انسان قد سطرت في صحيفته عمله فهو يقرؤها متى قامت قيامته بموته وبالقيامة الكبرى والخل بدنه . وهذا الأهم كالأفراد يطبع على أفرادها طبائع الكسل والشره والظلم والترف فتهلكها وذلك لقصر نظرهم واتباعهم أمر العاجلة والحياة الفانية فألقى نظرك لمن حولك من الناس تجددهم درجات كثيرة والآخرة أوسع نطاقا وأكثر مراتب . فلما فرغ من هذا شرع يبين القسم العلمى وهو ٢٥ نوعا وقليل فيه علمى كالنوع الأول وهذه الأنواع هى

(١) عدم الشرك اعتقادا (٢) عبادة الله (٣) النهى عن عبادة غيره (٤) الاحسان للوالدين وجوبا (٥) وهذا الاحسان يوجب أن لا يقول لهما أف (٦) ولا ينهرهما (٧) وأن يقول لهما قولاً كريما (٨) وأن يخفض لهما جناح الذل يرفعهما (٩) وأن يدعو لهما بالرحمة (١٠) وأن يؤتى ذا القربى حقه (١١) والمساكين (١٢) وابن السبيل (١٣) وأن لا يبدّر (١٤) وأن يقول لمن لم يجد مالا يعطيه قولاً ميسورا (١٥) وأن لا يتجمل اليد مغفولة الى العنق فيقبضها وأن لا يبدسها كل البدس . وقد جعل هذا داخلا في الخامس عشر والأولى أن يجعل قسما مستقلا ويكون هو الخامس عشر ويكون الثانى والثالث واحدا وهو أن لا تبعدوا إلا إياه فقد جعل ذلك اثنين (١٦) ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق (١٧) ولا تقتلوا النفس (١٨) ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا (١٩) فلا يسرف في القتل (٢٠) وأوفوا بالعهد (٢١) وأوفوا الكيل (٢٢) وزنوا بالقسطاس المستقيم (٢٣) ولا تقبل مالا يس لك به علم (٢٤) ولا تمشى فى الأرض مرمحا (٢٥) لا تتجمل مع الله إله آخر . ولترجع الى بقية التفسير اللفظى فتقول

قال تعالى (لا تتجمل مع الله إله آخر) أيها الانسان (فتتق) فتصير مذموما مخذولا يذمك الملائكة والمؤمنون ويذمك الله تعالى (وقضى ربك) أمر أمرا مقطوعا به بأن لا تبعدوا (إلا إياه) وبأن تحسنوا (بالوالدين إحسانا) أى براهما وعطفا عليهما ولفظ الاحسان قد يوصل بحرف الباء تارة وبحرف الى تارة أخرى وكذا الاسائة تقول أحسنت به واليه وأسأت به واليه قال تعالى - وقد أحسن بي - * وقال الشاعر

اسئلى بنا أو أحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان قلت

وقال تعالى (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) أى أن يبلغن وما زائدة للتأكيد (فلانقل لهما أف) أى فلا تتعجز مما يستعذر منهما ولا تستنقل من مؤنتهما وأف اسم فصل الضجر وهو مثلك الآخر نموا وغير نمون على اختلاف القراءات فيه ست قراءات (ولا تنهرهما) تزيجرهما عما يتعاطيانها مما

لا يجهك ونهره وانتهره بمعنى (وقل لهما قولاً كريماً) حسناً جيلاً كما يقتضيه حسن الأدب معهما (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع وقد جعل للذل جناحاً وأراد جناحه هو أى اخفض جناحك كقوله تعالى - واخفض جناحك للأؤمنين - وأضيف إلى الذل للمبالغة كما أضيف حاتم إلى الجود أى واخفض لهما جناحك الدليل (من الرحمة) من فرط رحمتك وشفتقتك (وقل رب ارحمهما) وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية فإن رحمتك القانية لانكسبهما (كما ربياني صغيراً) أى رحمة مثل رحمتي لى وترى بهما وارشادهما حين كنت صغيراً * روى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أبوى بلعاً من الكبر وإنى أرى مني ما وليا منى في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من برّ الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوبتهما (إن تكونوا صالحين) مطيعين قاصدين البرّ بعد تصغير كان منكم أو بعد ما فرط منكم في حال غضب فاستغفرت من ذلك فإن الله يغفر لكم (فانه كان لأبويني) التوايين (شغوراً) * قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فانه لا يؤخذ بها (وأت ذات القرى حقاً) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر بهم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبريراً) ولا تسرف اسرافاً وذلك بصرف المال في لا يئني * وأصل التبذير التفرق (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في البرّ وذلك غاية المذمة أو يقال انهم من حيث انهم يطعمونهم فيما يأمرهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفوراً) شديد الكفر فكيف يطعمونه (واما تعرض عنهم) أى وان أعرضت عن ذوى القرى والمسكين وابن السبيل وأنت تستحي أن تردّ عليهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لا تنتظر نرج من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولاً ميسوراً) أى قل لهم قولاً جيلاً أى عدهم وعداً طيباً تطيب به قلوبهم (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) هذا أمر بالتوسط الذى هو الكرم فلا يكون الانسان شحيحاً ولا سرفاً وخيراً الأمور الوسط (فقدت ماؤماً) على الشح يجعل يدك مغلولة إلى عنقك (محسوراً) منقطعاً بك لاشئ عندك من حسره السرف اذا بلغ منه فالأول للبخل والثاني للتبذير * ذكر المفسرون عن جابر رضى الله عنه قال بينا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال أى تستكسيك درعاً فقال ﷺ من ساعة إلى ساعة يظهر فعدنا فذهب إلى أمه فقالت قل له إن أى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه للصبي وقعد بلا لباس وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم تلاه بقوله (إن ربك بسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يقتر ويضيق بأصلحة العباد فليس الارهاق بالاضافة لشيئ سوى مصالح العباد (إنه كان عياده خيراً) بمصالحهم (بصيراً) بحوائجهم فيقضيهما (ولا تقتلوا أولادكم) أى لا تلذوا بناتكم (خشية اطلاق) خيفة فقر (نحن نرزقهم وأياكم) نهى عن القتل وضمن الرزق (إن قتلهم كان خطأً كبيراً) أى إنما عظيماً * الخطأ والخطأ بالخدر والخدر (ولا تقتلوا الزنا) بالعزم والانيان بالمقتاتات فضلاً عن فعله (إنه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح (وساء سبيلاً) وبأس طريقاً طريقة فيه قطع الأنساب وتهيبق الفتنة (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وذلك في ثلاث * كفر بعد إيمان * وزنا بعد احسان * وقتل مؤمن معصوم عمداً (ومن قتل مظلوماً) أى لم يستوجب القتل (فقد جعلنا لولييه) للذى يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث (سلطاناً) سلطاناً فان شاء أخذ الدية وان شاء استنقذ منه واذا اختار القود (فلا يسرف في القتل) بأن يقتل غير القتال من أشراف قومه أو يقتل جماعة منهم أو يعثل بالقاتل كما كان ذلك في الجاهلية (إنه كان منسوراً) والضيمر لولوى فان الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولا بموتته (ولا تقتلوا ما مال إليهم) واذا كان قربه منيأ عنه فكيف يكون التصرف فيه (إلا بالتي هي أحسن) أى إلا بالطريقة التى هي أحسن وهى حفظه والقيام عليه وتحميته (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) مطلوباً فعلى المعاهد ألا

يُضِيهِ وَيَقِي بِهِ (وَأَوْفُوا السَّكِيلَ إِذَا كُتِمَ) وَلَا تَبْخُسُوهُ (وَزَانُوا بِالْقُسْطِ الْمُسْتَقِيمِ) أَي بِالزَّيْنِ السَّوِيِّ
وَالْقُسْطِ الْقَبِيحِ وَهُوَ عَرَبِيٌّ مِنَ الْقُسْطِ (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أَي أَحْسَنُ عَاقِبَةً . مِنْ آلِ إِذَا رَجَعَ
وَهُوَ مَا يُرْوَى إِلَيْهِ أَمْرُهُ (وَلَا تَقْبَلُوا مَالِيكَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) أَي لَا تَقْبَلُوا ذَلِكَ فَلَا تَقْبَلُوا رَأْيَ مَنْ لَمْ تَرَوْهُ وَلَمْ تَسْمَعْ
وَلَمْ تَعْلَمْ وَلَمْ تَقْلَمْ وَلَا تَقْبَلُوا مِنْ أَحَدٍ مَالِيكَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَنْتَبِعُوا وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ بِالْجَدِّ وَالظَّنِّ (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلَّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) أَي كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَسْئُولًا عَنْ نَفْسِهِ فَيُقَالُ لَهُ مَا فَعَلَ بِكَ صَاحِبُكَ كَمَا
فِي آيَةِ - وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ - فَتَشْهَدُ عَلَى الْقَاتِلِ وَهَذِهِ الْأَعْضَاءُ تَشْهَدُ عَلَى صَاحِبِهَا
- يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أُنْسُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ - (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أَي ذَا مَرَحٍ
أَي ذَا بَطَرٍ وَكِبَرٍ وَخِيَلَاءٍ (لَنْ تَقْبَلَ الْأَرْضُ) أَي لَنْ تَقْطَعَ بِكَبْرِكَ حَتَّى تَبَاغِ أَرْضَهَا (وَلَنْ تَبَاغِ الْجِبَالُ
طُولًا) أَي لَا تَقْشَرُ أَنْ تَنْظُرَ الْجِبَالُ وَتَسَاوِيَهَا بِكَبْرِكَ فَمَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ الْخَطَالُ الْبَطَرُ
أَطْرُقَ كَرَاهًا . إِنَّ النِّعَامَ فِي الْقَرَى عَنْ عِلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَشَى
تَكْفَأُ تَكْفَأُوا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ . وَهِيَ التَّكْفَأُ التَّجَاوِيلُ فِي الْمَشْيِ إِلَى قِلْعَةٍ وَمَعْنَى يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ
أَي يَنْحَدِرُ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ وَهُوَ قَرْبٌ مِنَ التَّكْفَأِ * وَعَنْ أَنَّى هَرِيرَةٍ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ﴿ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا
أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تَطْوِي لَهُ إِنَّا لَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا وَانْهَ لِفَيْمُ كَثَرَتْ * وَالْأَكْثَرُ الْأَمْرَ الَّذِي يَشُقُّ عَلَى الْإِنْسَانِ
(كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) أَي الْإِشَارَةُ إِلَى الْخِصَالِ الْخَمْسِ وَالْعَشْرِينَ الْمُتَقَدِّمَةِ وَسَبَبًا مَانِهِ
عَنْهُ فِيهَا . أَمَّا الْمَأْمُورَاتُ فَلَيْسَتْ بِسَبَبٍ (ذَلِكَ) الْإِشَارَةُ لِلْأَحْكَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ (عَمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ
الْحِكْمَةِ) وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْأَوَّلِ لِذَاتِهِ وَالثَّانِي لِلْعَمَلِ بِأَيِّ الْحِكْمَةِ الْعَلَمِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَأَكْثَرُهَا
مِنْ النَّوْعِ الثَّانِي ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (وَلَا تَجْهَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْلِقَ فِي جَهَنَّمَ مَوْلَاكَ مَدْحُورًا) لَأَنَّمَا نَفْسُكَ مَبْعُودَا
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَقَدْ بَدَأَ بِالْوَحِيدِ وَخَتَمَ بِهِ بِالْبَاقَةِ فِي الْحَضِّ عَلَيْهِ لِذَلِكَ لَأَنَّهُ تَمَّ تِلْكَ الصِّفَاتُ إِلَّا بِهِ * ثُمَّ خَاطَبَ مِنْ قَوْلِهِ
الْمَلَائِكَةُ بَنَاتِ اللَّهِ فَقَالَ (أَفَاصْفَاكُمْ بِكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَانًا) بَنَاتُ نَفْسِهِ (لَكُمْ لَقَوْلُهُمْ قَوْلًا
عَظِيمًا) إِذْ تَصِفُونَ الْأَوْلَادَ إِلَيْهِ . إِنَّ الْقَاصِدَ السَّابِقَةَ عَظِيمَةَ الْوَقْعِ بِدِيْعَةِ النِّظَمِ تَرْبُوعِي مَاتِي التَّوْرَةِ مِنْ
الْوَصَايَا الْعَشْرِ * وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ وَهِيَ الْوَصَايَا الْخَمْسَةُ وَالْعَشْرُونَ مَكْتُوبَةٌ فِي أَلْوَاحٍ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذَا حَقٌّ . وَلَكِنْ هَذِهِ تَعَلُّو عَلَيْهَا لِأَنَّ أَهَمَّ مَا فِي الْأَلْوَاحِ الْوَصَايَا الْعَشْرُ وَهِيَ ﴿ لَا تَسْرِقْ
لَا تَزْنِ الْخُ * وَهَذِهِ أَفْضَلُ مِنْهَا وَقَدْ جَاءَ قَبْلَهَا بِآيَاتٍ - إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ -
فَمَا أَتَمَّ الْقِسْمَ الْعَالَمِيَّ وَالْقِسْمَ الْعَسَلِيَّ قَالَ هُنَا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيُبْذَرَ) عَسَى أَلَا يَكُونُوا
كَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالتَّوْرَةِ فَخَفُّوا فَأَيَّدَتْ دَوْلَتُهُمْ فَالتَّكْرَارُ هُنَا لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ لِشِدَّةِ عَلَى النَّاسِ
أَنْ لَا يَتَوَانَوْا قَالَ تَعَالَى وَمَعَ ذَلِكَ يَزْدَادُونَ نَفُورًا (وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَفُورًا) عَنْ الْحَقِّ (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ
كَأَيُّهَا يَقُولُونَ) أَوْ يَقُولُونَ أَهْمُ الْمُشْرِكِينَ (إِذِنْ لَا تَبْتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) أَي لَطَبُوا إِلَى مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالرُّبُوبِيَّةُ
سَبِيلًا بِالْغَالِبَةِ كَمَا تَفْعَلُ الْمُلُوكُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ وَإِذِنْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا جَوَابٌ لَو قَبْلَهَا (سَبِّحَانَهُ) يَزِيدُهُ
تَنْزِيهِهَا (وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا) تَعَالَى (كَبِيرًا) تَبَاعُدًا غَايَةَ الْبَعْدِ وَهَذَا رَجُوعٌ لِأَوَّلِ السُّورَةِ فَهَذَا تَنْزِيهِ
لَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَالْخَوَاطِرِ كَمَا سَأَوْضَحَهُ وَهَذَا يَقُولُ - سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ - فَانْهَ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
وَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ شَرَكَاءُ وَقَدْ زُهِدَ عَنْ ذَلِكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ . فَكُلُّ هَذِهِ نَاطِقَاتٌ بِلِسَانِ الْحَالِ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) أُنْزِلَ الْعَوَالِمُ مَنَازِلَ الْعُقُلَاءِ أَوْ قَلْبِيًّا وَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ ذَلِكَ لِأَنَّ دَلَالَتَهَا مَفْهُمَةٌ كَمَا فِيهِمْ
عَنِ الْعُقُلَاءِ . يَقُولُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْكَفَّارُ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ أَي لِقَصْرِ عَقُولِكُمْ وَاجْتِلَالِ أَرَائِكُمْ

ولكنه لا يجعل عليكم بالقوبة (إنه كان حليماً) إذ لم يعاجلكم بالقوبة على الفعلية التي أوجبت اشراككم (غفورا) لمن تاب منكم . فهولاء حجت عقولهم عن فهم مافي السموات والأرض وتسبيحهما كما حجت عقولهم عن فهم القرآن حين تلاوه عليهم (وإذا قرأت القرآن جعنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً) عن فهم ماقرؤهم (مستورا) بحجاب آخر فهم لا يفهمون ولا يفهمون أنفسهم لا يفهمون (وجعنا على قلوبهم أكنة) كراهة (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) نقلا يمنع من الاستماع واذنهم لا يعقلون اللفظ كما لم يفهموا المعنى . ثم بين ماهو كالسبب في ذلك فقال (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أى حال كونه واحداً غير مشفوع به آلهتهم (ولوا على أدبارهم نفورا) حال كونهم نافرين جمع نافر كقعود جمع قاعد أو هربا من الاستماع (نحن أعلم بما يستمعون به) أى بسببه ولأجله من الجزء بك وبالقرآن (إذ يستمعون اليك) ظرف لأعلم (وإذا هم يحوى) ظرف آخر له أى ذوو يحوى فبعضهم يقول محضون وبعضهم يقول كصبر وبعضهم يقول ساحر . إذكر (إذ يقول الظالمون إن نتبعون إلا رجلاً مسحورا) ساحر يفتن (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) مثالك بالشاعر والساحر والمجنون (فضاؤا فلا يستطيعون سبيلا) فضاؤا في جميع ذلك ضلال من يطلب طريقا يسلكه في التيه فلا يقدر عليه فهو متحير (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا) أجزاء مقتتة (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) وكيف تقرب حال الحى النض من حال الرمم اليابس . انتهى التفسير اللفظي للقسمة الأول من السورة . وفي هذا المقام لطائف

(اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - سبحانه الذى أسرى الخ - ومناسبة هذه السورة لما قبلها
(اللطيفة الثانية) وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل - وفيها بيان دعوة موسى لقومه في التوراة وتأنجها ودعوة سيدنا محمد ﷺ المذكورة في آخر النحل وكيف يجب أن تكون
(اللطيفة الثالثة) - وقضينا الى بنى إسرائيل في الكتاب - الخ
(اللطيفة الرابعة) - إن هذا القرآن يهدي للتى هي أفوم - الخ
(اللطيفة الخامسة) - ويدعو الانسان بالشمر - الخ
(اللطيفة السادسة) - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا -
(اللطيفة السابعة) - وكل انسان أزمانه طاره في عنقه - الى قوله - حسيبا -
(اللطيفة الثامنة) - ولا تزر وزر أخرى - وكيف جاء بعدها - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا - الى قوله - بصيرا - وما القصد بهذا التعقيب
(اللطيفة التاسعة) - من كان يريد العاجلة - الى قوله - تفصيلا -
(اللطيفة العاشرة) - إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما - الخ
(اللطيفة الحادية عشرة) - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا -
(اللطيفة الثانية عشرة) - تسبيح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - الخ
(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - سبحانه الذى أسرى - الخ) ﴿

اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها جارية على نسقها منتظمة معها في سلك فانه أفاض في سورة الحجر وفي سورة النحل في شرح النظم العام في هذا العالم فانتظمه أولا من مبدأ الخليفة سائرا الى نهايتها ومن أبسط المخلوقات الى أرق الموجودات وذلك في سورة الحجر ثم كر راجعا الى نفس السلسلة فابتدأها من أعلاها الى أدناها وأخذ ثالثا يذكرها بطريق وسط بحيث كان الانسان الذى جاء في أولها نارة وفي آخرها أخرى قد جاء وسطا في نظامها كما قدمنا ليكون حاكما على هذه الجبابرة علما متوسطا مطالعا على طرفها ووسطها . ولما فرغ من ذلك شرع يلقى الحكم والنصائح والعدل الذى شرعناه ونظام الأمم الذى بيناه وسن القانون وأعلم

الجباهير أن العدل والاحسان وابتاء ذى القربى وغيرها هي الموجبات للحياة والسعادة . ثم أتت السورة السابقة بذكر إبراهيم وماله من الحلال الشريفة والاتصال الجيدة . وقد قلنا إنه انصف بأربعين صفة قدمناها في سورة البقرة نقلا عن المفسرين فهو للفقهاء ناظر وللطبيعة دارس وللفضل غارس وللعلم حارس ولله عابد وللناس هاد ومرشد وهو على صراط مستقيم وهو أمة واحدة . ثم أتبعه بذكر نبينا محمدا ﷺ وأنه على قدمه فيكون أيضا جامعاً للصفات الجيدة . وختم السورة بهيئة الدعوة التي يقوم بها حتى يكون على قدم إبراهيم عليه السلام ويكون ذنرا للأخريين فأمره أن يدللك سبيل الحكمة مع الخواص والموعظة مع العوام والمجادلة مع المماندين وكل ذلك تجل في سورة النحل وانتهت السورة بقوله - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - وإذا لم يكن الأنبياء محسنين فمن هم المحسنون . فاذن هو ﷺ أول المحسنين فهو مع الله والله معه فوجب أن تكون السورة بعدها مبتدئة بما يفيد معنى المعية وهى جسمية أم هى معنوية فلذلك قال - سبحانه الذى أسرى بعبد -

يقول الله تعالى إن إبراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام قد عرجا الى سماء الجبال وقام الكمال وبلغا مبلغا لم يبلغه أعظم الرجال فليس ذلك مقيدا أنهما هما وسائر الأنبياء مع الله معية حقيقية فان الله منزّه عن الخلق متعال عن المحدثين فان الله تعالى وإن أسرى بعبد ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فليس معناه المعية المعهودة بينكم . فقرب الأنبياء وقرب الأولياء قرب الهداية والارشاد والارتقاء العلمى - لغربه من آياتنا - ويطلع على عجائبنا ويقف على ما حواه العالم العلوى والسفلى مما يرفع الشاوة عن أعين أمته ويخرجها من ظلماتها وينير بصيرتها . فانظر رواية البخارى في ذلك . وهى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر كلاما في ذلك ثم أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولاننام قلبه . وكذلك الأنبياء عليهم السلام تمام أعينهم ولاننام قلوبهم فلم يكملوه حتى احتماوه فوضوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل . وهذا ذكر كيف شق ما بين نجره الى ليله حتى فرغ من صدره وجوفه ففضله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه . وذكر أن الطست من ذهب فيه إناء من ذهب محشور إيمانا وحكمة خشا به صدره ولغاد يده يمنى عروق حلقه ثم أثبته ثم عرج به الى السماء الدنيا وهنا ذكر سؤال أهل السماء عنه وقول جبريل صلى الله عليه وسلم محمد فيقولون وقد بعث اليه فيقول نعم فيقولون مرحبا وأهلا به وذكر مقابله في السماء الدنيا لآدم وأن هناك نهرين وأن جبريل قال هما النيل والفرات عنصرهما ثم رأى نهرا آخر عليه قصر من أواؤ وزرجمه فضرب يده فاذا هو مسك فلما سأل جبريل قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك وهكذا وأن هناك في السماء الدنيا عن يمين آدم أسودة وعن شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى وقال له جبريل ان الاسودة عن اليمين وعن الشمال نسيم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار . ووجد في السماء الثانية يحيى وعيسى وهما ابنا الحلة فسلم عليهما وردا عليه ورحبا به . ووجد في السماء الثالثة يوسف . وفي السماء الرابعة إدريس . وفي الخامسة هارون . وفي السماء السادسة موسى وقد بكى فسأله ﷺ فقال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى . وفي السماء السابعة وجد إبراهيم ثم رفع الى سدرة المنتهى فاذا بنوها مثل قلال هجر واذا أوراقها مثل آذان الفيلة . قال جبريل هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وأن الباطنين - إن في الجنة ثم رفع الى البيت المعمور وأتى له باب من بحر وانباء من لبن وانباء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة أتت عليها وأنتك . وهنا ذكر مسألة الصلاة وفرضها وانها كانت خمسين صلاة ثم راجع ربه بإشارة موسى عليه السلام حتى صارت خمسا في اليوم واليلة . وقد جاء في رواية مسلم في وصف البيت المعمور أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك

لا يهودون اليه . وفي وصف سدرة المنتهى أنها لما غشها من أس الله ما غشها تغيرت لها أحد من خلق الله يستطيع أن ينفتحها من حسنها . وسميت سدرة المنتهى بهذا الاسم لأن علم الملائكة ينتهى إليها وقد جاء في روايات أخرى أنه عليه السلام قال مثل لى الذين عليهم الصلاة والسلام فضلت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام وأخبر به قرشا فتعجبوا منه وارتد ناس عن آمن به وسعى رجال الى أبى بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أنصده على ذلك قال إني لأصدق على أهد من ذلك قسمي الصديق وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد فننته لهم وكان ينظر اليه كأنه وضع دون دار عقيل قال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم سألوه عن غيرهم فقال مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم في طلبه وفى رحاهم قدح ماء فعطشت فأخذته فشر به ثم وضعته كما كان فسوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا . ثم قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكبان قعودا لهما يذى مرفرف بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسألوها فسألوه عن غيرهم فوصفها وصفا تاما ووصف أجنالها وقال يقدمها جل أورق عليه غراران محططان تطلع عليكم عند طلوع الشمس ثم خرجوا عند الثانية حتى أتوا كداء فرأوا العير عند طلوع الشمس يقدمها بعير أورق فقالوا هذا سحر . ولما ذكر الأنبياء فى الصلاة ذكر أن موسى كأنه من رجال شنوءه وأن عيسى كهرو بن مسعود الثقفى وإبراهيم يشبهه النبي ﷺ ثم قال إنه رأى مالكا خازن النار وكانت صلاة النبي ﷺ مع الأنبياء فى بيت المقدس . وقد جاء أيضا أن البراق دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض وهو يضع خطوه عند أقصى طرفه وهو الذى انطلق به الى السماء . وهل كان ذلك كله قبل الهجرة بسنة . وهل كان فى المنام أو كان فى اليقظة . بوجه أو بمجسده . والأكثر على أنه أسرى به بمجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى . ولم يرد فى هذه السورة عرجه الى السماء وإنما ذكر الاسراء فقط الى المسجد الأقصى . أما العروج فلم يذكر إلا فى الحديث . وأقرب الأمرين الى الناس الاسراء الى المسجد الأقصى ولذلك امتنعوه بعلامات تدل على الصدق فذلك صرح بها فى القرآن وجعلت قبل عرجه الى السماء ليكون المحسوس دليلا على ما لا يحس وإذا صدق فى الأولى فليصدق فى الآخرة . هاأنذا أبها الذكى لقد حصلت لك مجاء فى الروايات المختلفة وآراء العلماء المتناقضة حتى تكون أمامك واضحة جلية بأخصر عبارة

﴿ ايضاح المقام ﴾

إن هذه الامور الغائبة عنا لنحلّ بالتفكر الانسانى وحده فان عقولنا قاصرة على ما حولنا فأنى لنا أن ندرك تلك الجبابب النبوية ولكن ورد قوله تعالى فى التزليل - سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وهانحن أولاء الآن ترى علماء الأرواح يقولون ما بأتى
إن هذه الأجسام البشرية فى الدنيا تنظمها أرواحها وكل جسم يرى فيه جسم آخر على مثاله نورانى أثيرى أى من مادة أثيرية وهذا الجسم الأثيرى البرزخى منطبق تمام الانطباق على هذا الجسم المادى وأن الانسان اذا تجرد من هذا الجسم سواء كان التجرد بالموت أم بالراحة أم بأعمال أخرى صناعية عندهم يرى انه فى جسمه كأنه هو وكأنه لم يكن هناك فرق بين الجسمين . وقد ألفوا كتب كثيرة فى هذا حتى قالوا ان بعض الناس بعد الموت يظن أنه هو الذى كان حيا ولا يعرف انه مات لأحوال خاصة ثم يبه بعد ذلك الى خطئه . وهذه حكاية (أوليفرلوج) وابنه الذى مات فى الحرب الألمانية وهو المسمى (ريموند) إذ قال لأبيه يا بأت إن أجسامنا هنا كالأجسام عندكم والأعضاء كلها نائمة ولكنها أجسام من عالم لطيف ونراها بحسب مشاهدتنا كالأجسام عندكم . اذا عرفت هذا فسواء أكان الاسراء بالجسم المادى أو بذلك الجسم الأثيرى اللطيف فليس أمرا بعيدا وكلامها فى القدرة . فأما الجسم المادى فان حركات الأفلاك أظهرت عجبا فى سرعته سيراها

تعرفها في سابق التفسير والمطلع على سبر الضوء يرى عجايبا . هكذا اذا قلنا أن المعراج والاسراء بالجسد البرزخي فلا بدع في ذلك فيسير في أقل من لمح البصر كتح برق الى أقصى العالم ويرجع وقد وعى ما لا ينهى من الحوادث وهذا عالم البرزخ المسمى عند عامائنا (عالم المثال) وهكذا عند أفلاطون فهذا العالم هو الذي تمثلت فيه الأنبياء فعلا وصلا ثم رآهم على مراتبهم في السماء . وإذا كان الانسان قد يرى في المنام الذي لا قيمة له أعمالا تستغرق سنين في ثانية واحدة فما بالك بعالم البرزخ الذي تتجلى فيه صور الحقائق بارزة لمن هم في حال برزخية . وهناك تجلٍ له آدم وعيسى وادريس وهارون وموسى وإبراهيم وكان أقرب الناس شهابه . أولست ترى أن في ذكر إبراهيم وشبهه به مناسبة فانه قد ذكر في آخر سورة النحل أن محمدا ﷺ أمر أن يبيع ملة إبراهيم فلذلك رآه في السماء السابعة وقال إنه يشبهه . ومتى قلنا ان الاسراء والمعراج بهذه الحالة البرزخية كانت جميع الأقوال المتناقضة متحدة . فاذا قالت السيدة عائشة إنه كان بروحه قلنا صدقت لأن هذه الحالة ليست جسمية بحتة . واذا قال غيرها انه بجسمه قلنا نعم إذ لا فرق عند علماء الأرواح بين الجسم البرزخي والجسم المادى . فالجسم البرزخي ويسمى الأثيرى وسط بين عالم الأرواح الصفر وبين عالم المادة فمن قال بالروح فقد اقترب من الحقيقة ومن قال بالجسم فقد اقترب منها لأنها حال متوسطة وسرعته أشبه بسرعة المنام وصورها أشبه بصورة الجسد فهو جسد كالماذة يطير أسرع من البرق بل سرعته كسرعة الخاطر وترى أحدا يجلس في حجرة ويكون في الشرق يفكره ثم يكون في الغرب في أسرع من لمح البصر فهذه في فكرنا كالحال المعتادة هناك عملا . ويقول علماء الأرواح ان الروح وراء ذلك الجسم البرزخي بل قد جعلوا درجات الأجسام سبعة والروح وراء ذلك في عالم يجلى عن الوصف . وان الى ربك المنتهى . وانما ذكرت هذا لأفتح باب البحث لذوى النفوس الشريفة من بعدنا ليفكروا وليعملوا بأنفسهم

﴿ ما المقصد من ذكر الاسراء لنا ﴾

وليعلموا أن الله لم ينزل الاسراء في القرآن وهو يتلى علينا لأن لمجرد التلاوة وألعرفة حال الرسول ﷺ حسب . كلا . انه يريد منا أن نتبع الدين والشريعة ونخلص وندعو الناس كما دعا نبينا محمد ﷺ الذي قال الله له . عسى أن يعينك ربك مقاما محمودا . وقد قال هذا في وسط السورة وأمره أن يتهجد بالليل تاجدة لأجل ذلك . ففي أول السورة ذكر أنه أسرى به وفي آخرها أفاد انه يبعث مقاما محمودا بالتهجد وذكر أن الروح من أمر ربنا وأنها ما أوتينا من العلم لإقليلا . وعليه يكون ذكر ذلك في هذه السورة ليدلنا على أن الاسراء أمر وراء معارفنا واذا عثرنا على شئ مثل ما بينته لك عن الفريضة فان هذا ليس كل شئ لأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . ولكن جاء في سورة طه . وقيل رب زدنى علما . فازداد العلم المطلوب . ولكن لا نقف عند حد واحد لئلا نكون مقادير بل نفضل مجتدين في البحث والطلب لأنه قال . وما أوتيت من العلم إلا قليلا . وعليه فلنجد في تهذيب النفوس وهداية الناس والنوافل في ظلمات الليالي حتى تصفو النفوس . واذا أسرى به ﷺ فليس المقصد أن يسرى بنا بل المقصد أن تصفو نفوسنا ليرينا الله من آياته . وكلم الله من آياته . فالقصد من أمثال هذا الموضوع في القرآن أن يفتح لنا باب التفكير في عالم الأرواح فنفهم كيف تخلص أرواحنا بالتهذيب وكيف نلحق بالآفاق الأعلى وما حقيقة الأرواح واذا لم نقف على حقائقها فلنلتصم من العلوم ما يمش منه راحتها وهذا لعمرك هو علم الأرواح الذي انتشر في الأفطار الأوروبية . وهذا العلم لا يفتقر عن العلوم التي ورثناها عن قدمائنا في مثل هذا الموضوع . ان الناس كلهم أرواحهم من عالم أعلى وبالتصفيه وبتطرق ضناعية يرون هذا العالم وهناك تعرف بعض حقائقه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . . وبما يلحق بهذا الموضوع مارواه البخارى في باب تعبير الرؤيا وهو وان لم يكن ليلة الاسراء فانه فيه معارف وعلوم لا يعرف قيمتها إلا المطلعون على علوم الحكماء فانه عليه الصلاة والسلام أطلع في عالم

البرخ المذكور على صور للحقائق تعب في مثلها الفلاسفة قدعوا وأضاعوا فيها أعمالهم كاحوة (قابس)
 الفيلسوف اليوناني الذي ذكرنا مقالته في سورة البقرة . فأما النبي ﷺ فإنه لم يكتب ولم يقرأ وأطلع على
 صور عجيبة تمثل الرذيلة والفضيلة وهذه من دلائل النبوة ومن بحر قوله تعالى - لثمة من آياتنا إنه هو السميع
 البصير - . فإذا رأى إليه المراج آدم يضحك تارة ويبكي أخرى فإنه من ذلك العالم فيكفد في الحديث الآتي
 إذ زوى البخاري بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول
 لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا قال فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة إنه أتاني الليلة
 آتيان وانهما ابتغاني وانهما قالوا لي انطلق وأني انطلقت معهما وأنا آتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم
 عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه فيتهدد الحجر ههنا فينبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه
 حتى يصبح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذان قال
 قالوا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لثفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو
 بأني أحد شقي وجهه فيشرشر شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه . وفي رواية فيشقي ثم يتحول إلى الجانب الآخر
 فيفعل به مثل ما فعل الجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه
 فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى . قال قلت سبحان الله ما هذان قالوا انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور
 قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لعل وأصوات قال فأطاعنا فيه فإذا فيه رجل ونساء عراة وإذا هم يأتهم
 لذب من أسفل منهم فإذا أناهم ذلك اللهب وضوا قال قلت لهما ما هؤلاء قال قالوا لي انطلق انطلق فانطلقنا
 فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحر مثل الدم وإذا في النهر رجل ساج يسبح وإذا على شط النهر رجل قد
 جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك الساج يسبح ما يسبح ثم بأني ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه
 فينقحه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع إليه كما رجع إليه ففر فاه فألقه حجرا قال قلت لهما ما هذان قال قالوا لي
 انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كره به المرأة كأكره ما أنت راء رجلا امرأة وإذا عنده نار يحشوا يسبح
 حولها قال قلت لهما ما هذا قال قالوا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة (ممتعة) فيها من كل نور الريح
 وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكره ولدان
 رأيتهم قط قال قلت لهما ما هذا ما هؤلاء قال قالوا انطلق انطلق فانطلقنا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم
 منها ولا أحسن قال قالوا لي أرق فيها قال فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بأبن ذهاب وأبن فضة فأتينا باب
 المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فقلقنا فيها رجال شطرنج خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرنج كأفجع ما أنت
 راء قال قالوا لهم أذهبوا ففعلوا في ذلك النهر وإذا نهر معترض يجري كأن مائه المحض في البياض فذهبوا فوقعوا
 فيه ثم رجعوا البنا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال قالوا لي هذه جنة عدن وهذا
 منزل قال فما يصري سعدا فإذا قصر مثل الرابطة البيضاء قال قالوا لي هذا ذلك منزل قال قلت لهما بارك الله
 فيكما ذراعي فأدخله قال أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فاني قد رأيت منذ الليلة عجبا . فما هذا الذي
 رأيت قال قالوا لي أما أنا سنخبرك . أما الرجل الأول الذي أنبت عليه يبلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن
 فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذي أنبت عليه يشرشر شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه
 وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يفسد من بيته فيكذب بالكذبة تبلغ الآفاق . وأما الرجل والنساء العراة الذين في
 مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني . وأما الرجل الذي أنبت عليه الذي يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل
 الربا . وأما الرجل المكروه المرأة الذي عند النار يحشها ويدهي حولها فإنه مالك خازن جهنم . وأما الرجل
 الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وأما الولدان الذين حولهم فسكل مولود مات على
 الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين . وأما

القوم الذين كانوا شطر منهم حسنا وشطر منهم قبيحا فاتهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا نتجاوز الله عنهم اه
 ﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل - وفيها بيان
 أن الاسراء يشير الى الارتقاء في عالم الانسانية الى أن الأمة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم في
 علوها وأنها تؤمها كلها بعد أن تستوعب فضاءها ﴾

اعلم أن ذكر موسى في هذا المقام وذكر ابراهيم قبله في آخر سورة النحل له صلة بمحدث الاسراء
 فالتقرب بينه وبين ابراهيم في السنة وفي القدوة وفي دين الفطرة هي التي جعلت درجته في السماء السابعة والتي
 ﷺ قد ارتقى فوق ذلك للإشارة الى أن اللاحق يتقدم على السابق وأيضا هذه الأحاديث تشير الى ارتقاء
 العالم الانساني وأن الأمة الاسلامية المستقبلية ستمر على هذه الأمم أمة ثم تطير الى المعالي ولا تقف عند حد
 ولا تقلد بل تفكر واذن تطير الى سماء المجد كما أن نبينا ﷺ مرّ على آدم فعيسى ويحيى فيوسف فادريس
 فهارون فموسى فأبراهيم فارقى الى سدة المنتهى فالبقيت المعمور * وفي رواية أنه سمع صريف الأقلام .
 فالذي يشار به اليها من هذا ﴿ امرأان ﴾ ارتقاء المسلمين في عقولهم حتى يصلوا الى الحقائق وارتقاؤهم في
 مدنيتهم وظواهرهم حتى يسبقوا أمة عيسى وموسى وإبراهيم وادريس . هذا هو القصد وهذا يشبه النشوء
 والارتقاء . وإذا كان نبينا محمد ﷺ صلى إماما لأئمة انبياء فمعناه أننا خير أمة أخرجت للناس وأنها أمة الأمم
 كلها . فياحببا للمسلمين يكون هذا دينهم وهذا نبينهم ثم ينامون وتوسمهم الأمم . يمرّ نبينا على أنبياء الأمم
 أمة أمة ثم يغادر عيسى في السماء الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهكذا ثم ينام المسلمون عن
 هذا كله . يمرّ على الأنبياء حتى يتركهم ويصل الى مستوى فوق السبع الطباق والمسلمون يسمعون هذا
 الكلام كأنهم لا يعلمون . ولكن بعد ظهور هذا الكتاب سيظهر في هذه الأمة رجال يعقلون ويعلمون
 فيعرفون ما الحكمه في هذا الارتقاء ولم يخبرنا الله به . نحن لسنا نفرح كالعادة أن نبين ارتقى بل نحن يجب
 أن نعمل . يقول لنا نبينا ﷺ أيها المسلمون هاأنذا ذاهب الى المعالي وقد سموت وعلوت وتركت موسى
 في السماء السادسة وإبراهيم في السماء السابعة وهاهوذا ابراهيم مذكور في آخر سورة النحل وقد أمرت أن
 أكون نابعه له ولكنى سأرق عليه وهذا الرقى معناه أن الأمم في ارتقاء كما هي القاعده التي تفتخر بها أوروبا
 عليكم . فأما موسى فهاهوذا يقول لى راجع ربك يخفف عن أمتك ظانا أن أمتي كبنى اسرائيل يصيبها ما
 أصابهم . ولكن لما وصلت الى خمس صلوات لم أراجع ربى . ولكن موسى طلب منى أن تنقص الصلوات
 عن خمس . لماذا . لأن أمة ضعفت في العمل ولكنى أنا لا أقول ذلك . وعليه هذه الأمة ستكون أرقى
 من أمة موسى

إن الحديث يشير الى الآية لأن فيها أن موسى آتياه الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ثم قص قصصهم
 فكانوا مثلا سوا وأنبه بقوله - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - فهو اذن أحسن من التوراة وأمة
 محمد ﷺ أحسن من أمة موسى عليه السلام فلتدرس أمة الاسلام علوم الأمم فإذا مرّ على عيسى فليدرس
 المسلمون علوم النصارى . وإذا مرّ على يوسف وادريس فليدرس المسلمون علوم قدماء المصريين لأنهما
 نبيان مصريان . وإذا مرّ على هرون وموسى فليدرس المسلمون علوم اليهود . وإذا مرّ على ابراهيم
 فليدرس المسلمون علوم سائر الملل لأن ابراهيم لهم وإذا جاوز النبي ﷺ السموات السبع فليدرس المسلمون
 الحقائق التي لا تليقها الأمم . فاذن هذه النبوة سيظهر أثرها في أمة آتية لاهذه الأمة الحالية

﴿ بهجة الاسراء في حديث (فرض الله على أمتي خمسين صلاة فراجعت ربى وسألته التخفيف

حتى جعلها خسا في العدد وخمسين في الأجر) اه ﴾

اعلم أن هذا المقام غزير الفائدة جم الفائدة كثير المزايا جامع الحكم سار لمجموع الأمة الاسلامية يظهر

سرّه في هذا الزمان . ذلك أن كلام النبوة لم يكن رمية من غير رام ولم يكن ذكر الخسنيين ثم ارجاعها الى الخس بمجرد خبر لا نتيجة له بل ذلك اشارة الى أن الله عز وجل هو الأول وهو أصل الوجود وجميع الناس على الأرض لافائدة من وجودهم ولا معنى لحياتهم إلا اذا اتصلوا بأصل وجودهم ومنشأ حياتهم . وليس معنى هذا الاتصال تلاصق الأجسام إذ لا جسم له تعالى وانما هو توجه أرواحهم الى روح الأرواح وهو الله عز وجل إن الناس في الدنيا أرواح حالة في أجسام فالأجسام متصلة دائماً بالطين والهواء والماء والحرارة والضوء فكان يجب أن تتلصق الأرواح دائماً الى مبدئها ومبدعها وتفكر فيه وتذكره . ولكن الحياة الدنيا لشدة اتصالها بعالم المادة لاتسمح لسلك امرئ أن يكون على الدوام ذا كرامه . فهنا ﴿ أمران ﴾ الأول أن الروح يجب ذكرها لله على الدوام ﴿ الثاني ﴾ أن تعلقها بالمادة يمنعها من ذلك الدوام لشدة ارتباطها بها وللاول اشارة بفرض الخسنيين صلاة لأن الانسان ينام ثمان ساعات أوسع ساعات ومدة اليقظة ما بين ١٦ و ١٧ ساعة والصلاة المشروعة ربما تستغرق (٢٠) دقيقة مع مقدمتها ونوافلها وهذه بضررها في (٥٠) تستغرق مدة اليقظة . إذن معنى الخسنيين صلاة دوام استحضار الله والاتصال به ذكر ا ليقاوم اتصال الجسم بالمادة فعلا فكان الازم الواجب بحسب الأصل دوام الذكر لتقاوم الروح اللطيفة الجسم الكثيف الثقيل فترتفع الى عالم الملائكة

ولما تعذر ما ذكر على نوع الانسان استبدل الخس بالخسنيين وجعل الخس أجرها كأجر الخسنيين . واعلم أن أجرها لا يكون كأجر الخسنيين إلا اذا كان المصلي عاملاً بصلاته فامسا لحكمها جارياً على مقتضاها حتى يصدق عليه قوله تعالى - الذين هم على صلاتهم دائمون - وقوله تعالى - وأقم الصلاة لذكري - فالصلاة تكون دائمة وتستوجب ذكر الله . إذن رجعت الصلوات الخس الى الخسنيين لأن المقصود من الخسنيين أن يكون مصلياً دائماً فاستعاض عنه بخمس صلوات بحيث يكون المصلي دائماً على صلاته ذا كرامه . وههنا يجب إيضاح المقام فنقول

اعلم أن الصلاة أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختمة بالتسليم . الله أكبر . جلّ العلم وجلّ تعريف الفقهاء للصلاة . ذلك أن الصلاة كلها ترجع ﴿ لأمرين اثنين ﴾ لاثاث لها ﴿ أولها ﴾ ذكر الله وتعظيمه كالشق الأول من الفاتحة من الثناء عليه ووصفه بالرحمة الخ وكألفاظ التشهد الأولى من أن التحيات خاصة بالله تعالى الخ . ومثل وصف الله بأنه فطر السموات والأرض خفيفاً الخ . ومثل وصفه بأن الجدل مل السموات ومل الأرض الخ . ومثل وصفه بأنه خلق الوجه وصوره وهكذا ﴿ وثانيها ﴾ الالتجاء اليه أن يجعلنا في سلام وأمان وهداية الى الصراط المستقيم مثل الدعاء بالهداية في الفاتحة ومثل السلام على النبي وعلى عباد الله الصالحين في التشهد . أفلا ترى أن الشق الأول أشير له كما بتكبيره الاحرام والثاني أشير له بالتسليم في ختام الصلاة . إذن التكبير في أول الصلاة يشرحه توجه المصلي إذ يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خفيفاً وذلك كالحليل الذي قال الله فيه - ألمة أياكم ابراهيم هوساً كم المساهين - الخ

فيا ليت شعري لماذا جعلنا على ملة أبينا ابراهيم ولم خصه بالذكر . أقول انما خصه بالذكر وجعل ملتاً منسوباً له لأنه لم يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خفيفاً توجهها جسمياً حسب بل وجهه توجهها عقلياً . ألا ترى انه لم يتوجه ذلك التوجه إلا بعد أن أراه الله ملكوت السموات والأرض وكان من الموقنين وقد فضله بعد ذلك بأنه نظر الكوكب والقمر والشمس ثم توجه الى الله . هذه هي ملة ابراهيم التي جعله الله أباً للمسلمين الابوة العلمية العاقمة التي هي أشرف من الابوة النفسية الخاصة ببعض العرب كقريش ونحوهم فهذا توجه الحليل وهو عالم ويجب أن يكون كذلك توجه خواص هذه الآلة أي انهم يدرسون هذه العوالم العلووية والسفلية التي درسها الحليل حتى يكونوا أكملين في العلم بهذه العوالم المذكرات برها ويكونوا على

صلاتهم دائماً وتكون الصلاة مذكرة بالله على الدوام . وهناك تكون الصلوات الخمس في حكم الخمسين من حيث الثواب والأثواب إلا على عمل والعمل هنا ذكر الله وذكره بالتحقق من جلال هذا العالم حتى يذكر الله عند كل حجر وشجر ولا يرى شيئاً إلا رأى الله قبله أو معه أو بعده كما نقل عن بعض أصحاب النبي ﷺ كل خصلة من هذه نسبت لأحدهم . فهذه هي الصلاة الدائمة . يرى المؤمن جلال الله في الشمس والقمر والنجم كالخليل وفي النبات وفي الحيوان كما أنه أيقن بالبعث لما أخذ أروعة من الطير فقطع رؤسها ثم دعاها خيتم . فاذن يكون المسلم في ذكر الله بين العالم العاوي والسفلى . هذا كله مأخوذ من قول المصلي ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الخ ﴾ فيكون كالخليل إذ أيقن بملكوت السموات إذ نظر فيها وملكوت الأرض إذ نظر فيها فأيقن فلما تم له ذلك قال إني وجهت وجهي الخ . هذا هو الترجع لله وهذه هي الصلاة الدائمة بدوام ذكر الله كما قال - وأقم الصلاة لذكرى - فهذا هو الذكر الدائم المذكور في قوله - الذين هم على صلاتهم دائمون - وهذا كله شرح لتكبير الاحرام . فقول المصلي الله أكبر في أول الصلاة يشرح معناها ما ذكر وكذلك البسملة والجلدة وبقية نصف الفاتحة الأول . إن الحمد لا يكون إلا على نعمة والنعمة لا يحمدها عليها إلا إذا عرفت . إذن المسلم يتوجه لله بالعلم أي يعلم ما في السموات والأرض ويحمد الله بعد العلم بالمحمود عليه . فأما التكبير فهو يشمل الحمد ويشمل غيره . إن المصلي يقول بعد الصلاة سبحان الله والحمد لله والله أكبر فالسبح تنزيه والحمد شكر وتكبير الله هو تعاليه وعظمته كأنه قبل أن يحمده الله على نعم معاوله لنا ولكن هناك نعم أخرى فهو إذن أكبر مما يحمد عليه . فقول المصلي في أول الصلاة الله أكبر بيان لأن الحمد المذكور في الفاتحة والبسملة وكذلك التحيات وما عطف عليها وتصوره السمع والبصر وخلقه لها وخلقه لجميع العالمين . كل ذلك قليل بالنسبة لعظمة الله فهذا معنى كونه أكبر فالصلى في أول صلاته يكبر وفي آخر أذكر الصلاة يكبر . إذن المسلم يقول ان الله أكبر من كل ما علمناه من العلوم ومن النعم المحمود عليها

﴿ إيضاح التكبير والتسليم أيضاً ﴾

يأيت شغرى . هل يعلم الناس أن التكبير والتسليم هما ملخص صلاة المسلم هما كل علوم أهل الأرض . وما علوم أهل الأرض . هي العلوم الرياضية والطبيعية والاهليات فهذه علوم عامية وعلم تدبير المنزل وتهذيب الشخص وتدبير المدينة وهذه الثلاث هي العلوم العملية . فشكل ما سمعه من علم النبات أو الزراعة أو الطب أو الهندسة أو الحساب أو الفلك أو الليقات أو الهيبة أو علم النفس الخ . فشكل ذلك وغيره راجع للقسم الأول ويتبعه الصناعات كالنجارة التابعة لعلم النبات والحداثة التابعة لعلم المعادن وهكذا ما بعد الثلاث بل الألوف من الصناعات والقسم الأول المذكور هو التكبير لله فتكبير الله معناه أنه أكبر مما نعلم والذي نعلمه هو هذه العلوم . وكل ما سمعه من علم التهذيب والأخلاق أو تدبير المنزل والمعايشة وسياسات الأمم وأمثالها فذلك كله راجع للسلام العام والأشخاص . ولا معنى لتهذيب النفس إلا لتستقيم مع الناس ولا لتدبير المنزل إلا لحفظ الأسرة في المنزل من التفرق والشقاق والعلوم السياسية لإلصاق الأمم وحفظها من الاصطدام والشجار والقتال . فبأيت شغرى هل يعلم الناس ذلك . وأن أول الفاتحة راجع للتكبير وآخر الفاتحة راجع للسلام فالأول والأول الآخر للاخر . وأن أول الفاتحة أيضاً مجمل العلوم العامية وآخرها مجمل العلوم العملية فهداية الصراط المستقيم إنما هي السلوك المستقيم والسير على سنن العدل وذلك في المنزل وفي النفس وفي الدولة وهل يعلم الناس أن قول المصلي ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾ وقوله ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ راجع لآخر الفاتحة وللسلام في آخر الصلاة ولتهذيب النفس في السلام عليها وللأدب مع الناس في المنزل وفي السياسة العامة في السلام على عباد الله الصالحين . ثم إن السلام على النبي والصلاة عليه وعلى إبراهيم وعلى

آل إبراهيم . كل ذلك راجع لحفظ الجبل وذكري المحسنين والدعاء لهم والبر بهم وتذكير احسانهم وربط القديم بالحديث وتذكير فضائل السلف الصالح والسير على منوالهم والجرى على منهجهم

﴿ الصلاة رمز لتعظيم التعليم ولتعظيم السلام في الأرض ﴾

هل يعلم الناس أن الصلاة في الاسلام توحى بالسلام بين الأمم وتأمر بالعلوم كافة بدليل أن الذي يصلي هو كل مسلم فكلنا كل مسلم تأمره صلاته أن يكبر الله بمعرفة سائر العلوم على قدر طاقته فان كان من العامة فليعرف الظواهر التي في متناوله وان كان من الخواص فليزد في العلم ما يشاء . يظهر لي أن هذا الدين لو علمه أهل الأرض لالتحدوا . يظهر لي أن أكثر المسلمين الذين اعتنقوا هذا الدين لم يدرسوا علوم الصلاة . يظهر لي أن ما أكتبه الآن سيقوم به قوم ويفشرونه بين أمة الاسلام . يظهر لي أن هذا الدين لم يأخذ حظه من البحث . يظهر لي أن القتال في هذا الدين إنما جاء على سبيل الاضطراب كما يضطر الفلاح لتقنية الشوك والأعشاب من الأرض لاصلاح الأرض . يظهر لي أن نشر الاسلام في المستقبل سيكون أكثره للجهاد العلمي لأن العلم الآن هو السلاح لكل مطلوب

﴿ المعراج والعلوم ﴾

جاء في بعض الروايات أنه شقّ عن صدره ﷺ وغسل بماء زمزم حتى نفي وإنه أتى له بطست من ذهب فيه نور محشواً إيماناً وحكمة . ولما عرج به الى السماء الأولى وما بعدها رأى آدم ويحيى وعيسى الخ أفليس هذا يذكرنا بتزيين النفوس والسلام العام ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن غسل قلبه وحشوه إيماناً وحكمة يفيض على الأمة علماً جماً بأن تقلده في طهارة نفسه فهو قد طهره الله لأنه اجتنبه ونحن لا بد لنا من العلاج وذلك بالعلوم العملية المتقدمة . ثم إن آدم ومن بعده لكل منهم منزلة علمية . أفلا ترى إدريس في السماء الرابعة كيف كان هو نبيّ المصريين المسمى (أخنوخ) و (سوزتر يس) ألم تقرأ مأمراً في سورة يونس من أنهم وضعوا على صندوق أحد كبارهم (صورة البروج) وقد تقدّم إضاحها ورسدها هناك . أليس ذلك دليلاً على أن القوم كانوا مغرمين بهذه العلوم الجلية فهكذا فليكن المسلمون بعدنا مغرمين بها لأن الله يقول - فهداهم اقتده - وأيضاً الفلك علم أئبنا إبراهيم الذي رآه في السماء السابعة وتراه في السماء الأولى رأى آدم وفي الثانية عيسى ويحيى وهما ظاهران إشارة الى أن متبعيه يجب أن يقتبسوا من أنوارهما ويوسف صاحب النظام الاجتماعي في الثالثة لتقتدى به كما تقدّم في سورة يوسف ثم هارون وموسى وهكذا إبراهيم فلكل من هؤلاء منزلة تستحقها هذه الأمة . إذن المعراج مفتاح العلوم وعروج الى الله بها فهي إما طهارة النفس في يحيى وعيسى وإما نظام المدينة في يوسف وإما العلوم الفلكية في إدريس وإما الجهاد والخروج من الظلم في هارون وموسى . إذن المعراج أيضاً رجع الى العلم والعمل أو التكبير والسلام فهو كالصلاة . إذن هذا الدين أوله وآخره علوم جهلها المسلمون اليوم . اللهم إنا أنت المنتقم ممن يهتدون المسلمين عن العلم

ثم هنالك تكون العلوم والمعارف التي تكون فوق متناول الناس فيفتح على الانسان بما لم يتعلمه ولتلك الإشارة بسيرة المنتهى التي أوراها كاذبان القيلة وثمرها كقلال هجر وقد غشينا من أمر الله ما غشي فتغيرت فما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينفعنا من حسناتها . ولا جرم أن ذلك راجع للعلوم . ثم إن المخالقات على ﴿ قسمين ﴾ مخلوقات لم تحس بالحواس الخمس ومخلوقات تعرف بالعقل . ثم إن التعبير بكاذبان القيلة وبأن المترك كقلال هجر الخ يرجع الى مافي العالم من عظام وجلال وقدامات الكرة الأرضية بعلوم الكواكب الكبيرة العظيمة وأن شمسنا بالنسبة لها ليست شيئاً مذكوراً . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . ها هوذا نبينا ﷺ يقول لنا أيها الناس . إن هناك عوالم أرق من عوالمكم وقد رأيتها . قال هذا وقد رفع الى ربه . أفليس يحجل المسلمون من هذه الجهالة . يقول ﷺ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينفعنا من

حسنها . فإذا يريد المسلمون بعد ذلك . ماذا كان يقول لنا نبينا ﷺ . هاهوذا يقول لكم ان هناك عوالم لا يمكن نعتها من حسنها . أيها المسلمون . هاهوذا علم الفلك الحديث الذي ذكرت لكم منه نبذا كثيرة في هذا التفسير . ألم تروا الى الكواكب العظيمة كالمسالك الراح إذ يكون ضوءه أعظم من ضوء الشمس ثمانية آلاف مرة وهناك كواكب أعظم وأعظم . ولست أقول ان هذا مقصود الحديث . كلا . وانما أقول فيه الجبال الذي لا يمكن أحدا أن ينعه . وهناك جبال أرق وأرق وهوجبال النظام كما تنقسم في سورة الرعد من نبات يقتصر حيوانا ومن مستنسات منتظمات تلجج مهندسات هندسة إلهية فارجم اليها هناك ترها مرسومة جبيلة . وفي سورة الحجر ترى هناك عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - وكيف كان للورقات نظام بديع له قوانين فراجعها هناك مرسومة مشروحة . كل ذلك من أنواع الجبال الذي يشير له قوله ﷺ ﴿ فإم أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ﴾ . نعم هذا قد استطعنا نعته وفيه حسن ولكن الحسن الذي لا ينعه الناس في النظام يفوق الوصف وذلك الذي يفوق الوصف وآه نبينا ﷺ فلنجد في معرفة ما أمامنا حتى نستعد لما فوقه ونلحق بالنبين والصديقين الخ والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ الاسراء والمعراج والحسن والجبال في الخلق ﴾

ههنا ذكرت الاسراء والمعراج والحسن والجبال . نبى أرسله الله لأتمه فقال لهم آتيت بالبراق ووصفه بأنه دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبه وأتى الى بيت المقدس ثم اخترق السموات العلى ووصل الى سدرة المنتهى فوصف أوراقها وانها غشها من أمر الله ما غشها وانها تغيرت ولايستطيع أحد من خلق الله أن ينعتها من حسنها وهناك أوحى الله له فرض الصلوات الخمس الأنبياء أرسلوا لأرشاد الناس . هذه القصة قيلت لنا نحن . إن هذه القصة لب العالم وخلاصة الحكمة فياليت شعري كيف أعرض الناس عنها . فرض الله الصلوات ولكن ذلك الفرض كان بعدالاسراء والمعراج ونظر الجبال . إن هذه القصة تدعو حثيثا المسلمين أن يخترقوا حجب هذه العوالم بالتعلم ويرتقوا . هل كان نبينا محمد ﷺ يقول ذلك مجرد حكاية أوأثبت نبوة . كلا . بل كان أيضايقولها للاقتداء به في علو الهمة واختراق الآفاق سياحة وعلماء . من ذا كان يظن أن أمة يخترق الجؤ نبيها ويصل الى السماء لانكون أسبق أمة الى اختراق طبقات الجؤ القريبة بكل طيارة وبكل منطاد . من ذا الذي كان يظن أن أمة هذه أحوال نبيهم ﷺ لا يكونون أسبق الأمم الى دراسة علوم الكواكب والنجوم وسيرها وعددها وأبعادها وكل سديم ومجرة في السماء . اخترق الأفلاك النبى ﷺ ليعلمنا . فلماذا لاقرأ تلك الأفلاك ثم هوفوق ذلك وصل الى سدرة المنتهى ورأى هناك الحسن الفتان والجبال الذي لايقدرأحد من الناس أن ينعه . هذا هو نبينا ﷺ فهل هكذا يكون أتباعه . ان أتباع نبى هذه صفته يكونون أسبق الناس الى دروس الجبال ولالجبال يظهر لنا إلا بالعلم والحكمة . ولقد ملا الله الأرض اليوم بالجبال . ذلك الجبال لايراه إلا الحكماء . وأضرب لذلك مثلا

لو أن نجارا وقف أمام شباك مصنوع بصناعة بدیعة وهیئة غريبة وهومن العلماء بهذا الفن المتقنين فانه يقف مبهورا أمام ذلك المنظر وهوذاهل عمن حوله والناس لايدركون من ذلك شأ حوله . ومثل النجار علماء العزبة الذين لهم ذوق في الانشاء . فهؤلاء اذا وقع لهم موضوع جبيل مكتوب كتابه محكمة فرحوا به وأحجموا وأخذوا يدركون دقائق الحاسن والناس حولهم لايعقلون مايقولون وهكذا في كل صناعة فانظر الى الصنعة العائمة وهى هذا الوجود . فهذا الوجود كله خلق الله له أناسا في الأرض وامطنافهم لذلك يدرسون علوم الأمم وهم ليسوا بأنبياء ومن هؤلاء من هم أتباع الأنبياء فهؤلاء يزدادون سعادة بزيادة الدراسة ويرون

من الحسن والجمال ما لا يعقله سواهم . فهو أولاء هم الذين يفهمون قول نبينا ﷺ ﴿ فإحد من خلق الله يستطيع أن ينظر إليها ﴾

ترك المسلمون العلوم . تركوها غفلة وجهالة . الله أكبر الله أكبر . اشتغل المسلم بالصلاة ولم يدرك كثير المسلمين أن الصلاة يراد بها الحسن والجمال . ألا ترى إلى أنه ﷺ في الحديث لم تفرض عليه الصلاة إلا بعد مشاهدة الجبال التي يدهش العقول كأنه قيل لنا هذه الصلاة لذكرى وذكرى بقوة كل علوم هذه الدنيا وعلوم هذه الدنيا فتفتح لكم طرق البحث . وإدراك الجبال إما بهيبة رابطة لا زبناء وإما بالبحث العلمي لأفراد الأمم والصلاة فيها الجهد والتكثير وفيها التشويق إلى جميع العلوم كما تقدم . فاستبان من هذا أن فرض الصلاة بعد إدراك الجبال والحسن في سيرة المنتهى يقصد به أن نتيجة الصلاة العلم والعلم يعرف هذا الحسن كما كان الله يقول يا محمد ها أنت ذا قد شاهدت الجبال في سيرة المنتهى فافتح باب هذا الجبال والحسن لا تمكث وقل لهم يصالون الصلوات الخمس التي يقصد بها ﴿ أمران ﴾ معرفة العوالم التي يعيشون فيها وإفشاء السلام بينهم فيها يدركون من الجبال ما يناسبهم كما أنك أدركت ما يلائمك . هذا هو الذي فهمته في مسألة الاسراء أن الصلاة لهذا أنزلت . هذا وإني أذكرك أيها الذي بما نقلته فيما تقدم في سورة هود من كتابين من مؤلفات الفرنجة عند قوله تعالى على لسان هود - مامن دابة إلا هو آخذ بماصيتها إن ربي على صراط مستقيم - . الكتاب الأول هو المسمى ﴿ ملكة الظلام ﴾ مؤلفه (مترلنك) . والثاني ﴿ موسوعات العلوم ﴾ مؤلفه (روبرت براون) فقد جاء في الأول أننا نحتاج إلى دراسة علم الحشرات حتى نعرف سليقة أعضاء أجسامنا التي تختفي فيها أسرار الحياة والموت وأن أعضاءنا كلها متحدة مندرجة وتلك الحشرات متفرقة ظاهرا متحدات حقيقة برباط خفي . وجاء في الثاني أن في أجسامنا من الوظائف والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مدهشات ولكن لما كنا معتادين عليها أصبحت لا يلتفت إليها النظر ولا تدهش العقل فإن المؤلف يظن أنه معروف لاعتياده والدأب عليه وإنما الذي يلفتنا لغرابية هذه الأعمال في أجسامنا والاحساس في إدراكنا إنما هي المواهب العلية الخاصة فهي التي تدفع ما أسدلته يد العادة على عجائب أعمالنا واحساسنا من الأسرار وتوحى إلينا جبال أنفسنا وغرائب أجسامنا وبدائع تركيبها بطرق الملاحظات والتفكير فيما حولنا وما يحيط بنا من العوالم . ثم قال إن دراسة العوالم التي تحيط بنا أسهل تناولنا من دراسة أنفسنا . إن دراسة أنفسنا جسما وعقلا قد محزرت عن إيقافنا على بعض من عوالم المسائل المادية والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهي نبراس لدراسة أنفسنا الخ

هذا ما نقلته هناك في سورة هود . نقلته هناك وما كنت لأعلم أولي جيش في خاطري أن ذلك نفسه معجزة أنبياءنا ﷺ . كيف لا وهامهم أولاء حكماء أوروبا وفلاسفتها ينطقون بتحديث المعراج . للمعراج جاء فيه ذكر الحسن والجمال وإن من الجبال ما لا يقدر على نعمته أحد من خلق الله وجاء بعد ذلك فرض الصلوات ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يبحث على العلوم إذ الصلاة في الاسلام هذا مقصدها والعلوم هي الدالة على الجبال إذ لا جبال إلا يعلم بما هو جليل

أيها المسلمون هل تعلمون . هل تعلمون أن حديث الاسراء جاء ما يطابقه عند فلاسفة أوروبا . هل تعلمون أيها المسلمون . ها أنتم أولاء تصالون وأكرمكم لا يعلمون لم تصالون . يصلي المسلم خوفا من النار أو طمعا في الجنة . هذا حسن . هذا المسلم وهو يحافظ على أركان الصلاة وشروطها وأدائها . هذا حسن وحسن ولكن أحسن منه وأحسن أن يعرف المسلم لماذا فرضت الصلاة ولماذا لم تفرض إلا عند ظهور الجبال ومنتهى الجبال لنبينا ﷺ . وأن ذلك الفرض إنما كان لتوجيه النفوس إلى ما تضمنته الصلاة من معرفة العوالم العلية والسفلية . إذن الصلاة درس علم . الصلاة متن تشرحه العلوم . ومن عجب أن نسمع هذا

القول (الصلاة معراج) فهذا تبين انها معراج وانى أبشر الأمم الاسلامية أن هذه الأمة سيظهر فيها مصلون حقيقة بعد نشر هذا التفسير سيصلون صلاة تشرح صدورهم لحوز العالوم . اللهم إن الدنيا مقلقة على عقولنا مسدلة سيجها على أفهامنا وأنت الذى أرشدت نبينا ﷺ الى الصلاة ولم يعرف أكثرنا ما يراد من ذلك إلا أنهم يخافون من نارك أو يطمعون فى جنك . فأرنا اللهم سبل الهداية وافتح قلوبنا للعلوم واجعل الصلاة مفتاحا للدروس بحيث يصلى المسلم مستحضرا المعنى واستحضاره المعنى يحفزه الى الدرس والتفكير وبهذا يصلون اليك مقتدين بنبينا ﷺ الذى رأى الحسن والجمال

اللهم إنك تعلم أن المسلمين وقفوا عند ألفاظ الصلاة ولم يدرك أكثرهم أن علوم الكائنات مطاوعة منهم بل وقفوا على علم الفقه وعلى قصور من علم التوحيد فافتح لهم باب العالوم والمعارف حتى يسعدوا فى الدارين اللهم إنك قلت - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وذلك حق فانها ترجع الى ﴿أمرين﴾ كما أوضحناه درس العالوم وانشاء السلام والعلم يدفع الجهل والمعاصى . وتعميم السلام بين الناس لا يكون معه فحشاء ولا منكر . هذا بعض سرّ حديث المعراج وبعض سرّ الصلاة والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ الاسراء والمعراج والسباحات والقوى العاقلة ﴾

نات الأم الانسانية قبيل النبوة فالرومان كانوا فى أيام انحطاطهم عما نالوا من عزّ وسعة وبسطة فى الرزق والملك فاحتطت عزائمهم وهكذا الفرس . وهاتان للملكتان كانت لهما السيادة فى الأرض . ودين البراهمة والبوذية فى الهند تراكت عليهما الخرافات فهوت بأتباعهما وهكذا أهل الصين ودياناتهم . إن الله خلق الناس وأودع فيهم قوى عاقلة وأهمها الخيلة والمفكرة والذاكرة . فبالذاكرة يكون علم التاريخ بجميع أقسامه وبالخيلة تكون الأسفار والاختراع والفنون الجميلة . وبالمفكرة تكون العالوم المختلفة من الرياضيات والطبيعات ومعرفة الله تعالى ونظام الجسم الانسانى والنفس ونظام الطبيعة ويتفرع عن علم النفس المنطق والأخلاق وعلوم الجبال ونظام الأمم وسياساتها . هذه هى القوى الانسانية التى كنت وسكنت قبيل البعثة المحمدية فأرسل الله نبينا محمدا ﷺ فأمره بى ليل من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وما قاله مانصه ﴿ مثل لى التبيين كلهم فصليت بهم ﴾ ثم خرج الى المسجد الحرام . ولما رفع الى السماء قابل التبيين ومنهم موسى ولما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي وأيضا لما رفع الى البيت المعمور أتى ببناء من خر وانه فيه لبن وانه من عسل فأخذ اللبن وقال هى القطرة أنت عليها وأمتك ثم فرض الصلوات . وأيضا لما رأى آدم وجد أسودة عن يمينه وأسودة عن شماله فالأولون أهل الجنة من بنيه والآخرون أهل النار منهم فكان يضحك اذا رأى الأولين ويبكى اذا رأى الآخرين . ولما وصل الى سدرة المنتهى رأى مالا يفصه الوصفون

هذا بعض ما جاء فى الاسراء . فى باب التشرى كيف تمرّ هذه على المسلمين وهم نائمون . ليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن الاسراء نموذج لنا وستة سنت لنا . وبيانه أن العقول الحامدة والنفوس النائمة عليها الأناذر علما من العالوم إلا درسته

(١) ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام ساج فى الأرض واخترق السماء وهى العلوم جميعها تخرج عن الأرض والسماء

(٢) ليقرا الناس عالوم الأرض وعلوم السماء

(٣) صلى النبي ﷺ بالبينين ثم عرج الى السماء هكذا الصلاة معراج وبفهم الصلاة والعمل بمقتضاها يعرج الناس الى ربهم . يعرجون بعلم وعمل . أما العلم فقد شرحناه قريبا . وأما العمل فكذلك فالسلام العام فى الأمم تهذيب النفوس وحفظ الأسرار وحفظ الأمم هو العمل وقراءة علوم الرياضيات والطبيعات

والفلسكيات هي عروج النفوس الى ربها وفهمها نظام عمله في هذا الوجود . هذا هو مقتضى الصلاة فالصلاة
كتاب علم أوحى به الله الى نبيه وقال صلوا ثم اعرجوا الى ربكم بالعلم الذي تضمنته الصلاة . فاذا كان ﷺ
عرج بعد الصلاة فهكذا أتم بعملكم بما تضمنته الصلاة من العلوم العامة والعلوم العملية ترجعون الى
(٤) ان نبينا قد أتم الأنبياء في الصلاة وهذا اشارة الى أن جميع الأمم التي تتبع الأنبياء قد أخذت لها
قسما من الآراء الاسلامية فقد حوت العقول في أوروبا وفي أمريكا وبلاد الشرق . كل هذا بسبب الاسلام
فالرجع الى هذا المقام في سورة التوبة فقد نقلت لك هناك عن (سديو) الفرنسي وغيره أن نحر برالعقول
في أوروبا إنما جاء من دين الاسلام . هكذا بكى موسى من أن غلاما بعث بعده دخل الجنة من أمته أكثر مما
دخل من أمته موسى وهذا حق لأن أتباع دين عيسى هم اليهود وهم شرذمة قليلة لا تبلغ (١٥) مليوناً
والمسلمون نحو (٣٦٠) مليوناً ومسألة آدم وبكائه وضحه ظاهرة واضحة ومسألة اللبن واختياره لأنه الفطرة
ترجع الى هذه العلوم التي حظيت بها الأمم فان علوم الطبيعة وعلوم الفلك الخ هي الفطرة التي فطر الله هذا
العالم عليها فاذا درسناها فقد رجعنا الى الفطرة . ومعالم أن اللبن يفسر بالعلم كما في حديث آخر
(٥) هذه الوقائع التي حصلت له ﷺ في معارجه قد تمت وظهر مصداقها ولكن أتباعه ﷺ فهموا
دينه أيام الصحابة والتابعين وغفلت عنه أهم كثيرة بعدهم ولم يعملوا أنه قد سن لنا السياحات العقلية

﴿ السياحات على قسمين ﴾

اعلم أن السياحات على ﴿ قسمين ﴾ سياحات جسمية وسياحات عقلية . والسياحات الجسمية مقدمة على
السياحات العقلية وذلك واضح في قوله تعالى - قل سبروا في الأرض فانظروا - والسبر بالانظر لا يفيد . فيها هوذا
رسول الله ﷺ ساح في الأرض بالاسراء وعرج في السماء ولم تكن سياحته ولا عروجه خاليين من الروح
العالية بل تراه بين السياحين صلى ليعلمنا أن الصلاة قد تضمنت العلوم التي بها المعراج فلما عرج الى السماء
لم يترك واقفة بلا فائدة . فيها هوذا يرى آدم وهويكي ويضحك وموسى وهويكي على قلة من يدخلون
الجنة من أمته وهكذا ابراهيم وقد قال له ﴿ يا محمد بشر أمئك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبعان
الله والجلد لله ولا اله الا الله والله أكبر ﴾ ولا جرم أن هذه هي ملخص الصلاة إذ الصلاة جد يرجع الى كل
العلوم وتنزيه الله بالتسبيح في الركوع والسجود الخ
ولأن امرأ سآح في الأرض ورفع الى السماء وسآح في أقطارها بلا عقل ولا فكر لكان ذلك أشبه
بأصناف الأحلام ولا فائدة له . إذن الاسراء والمعراج قد جاء لا يقاط نفوس المسلمين لحياء عقولهم وخيالهم
وتفاهلهم وذاكرتهم لأن المقصود من السياحات تفعلها وفهمها والتبصر فيها . ذلك هو مقصود السياحات في
هذه الدنيا . الصلاة يراد بها الحث على العلوم والعلوم بها تعرف السموات والأرض . عرج ﷺ بعد
أن صلى . ولما تم معارجه ورأى عجائب لا توصف فرضت الصلاة على أمته . لماذا هذا . لأنه عرج الى
السماء بعد الصلاة فهو يريد أن تخرج أمته كما عرج ولكن عروج أمته بالعلم والتعليم فهو عرج بالوحي والنبوة
وعروج أمته بالعلم والتعليم ومبدأ التعليم ماتحت عليه الصلاة والصلاة كما قدمناه وأوضحناه حث على العلوم
العامة والعلوم العملية

(٦) ومما مثل المعراج بعد الصلاة إلا كمثل ابتداء سورة النجم بعد أوآخر سورة الطور في آخر سورة
الطور - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - وفي أول سورة النجم ذكر قربه ﷺ من ربه إذ قيل
- ثم دنى فتدلى - فكان قاب قوسين أو أدنى - فآخر الطور التسبيح والصلاة في آخر الليل وفي أول النجم
القرب من الله . هكذا هنا صلى ﷺ بالأنبياء فهو كآخر الطور وعرج الى السماء فهو كأول النجم وهذا هو
قوله تعالى - واسجد واقترب - فهنا سجد وههنا اقترب وقد عرفت سره فالأنبياء بهموم ويهوبون

والآتباع يجتدون ويتعلمون فالصلاة كتاب يقرؤه المسلم صباحا ومساء وهذا الكتاب مختصر العالم كلها عاوية وسفلية . نافعك ما تراه في هذا التفسير عند تفسير سورة الفاتحة وقد زدت عليه في أول هذا المقال مسألة السلام والهداية في التشهد والفاتحة فانهما يشملان علوم الأخلاق ونظام الأمم

فاذا سمعت قوله تعالى - واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد - الخ فاعلم أن ذلك من علم الاخلاق الداخلى في قول المسلم ﷺ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿ ومثل هذا - يابى - أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك - وقوله - ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا - وقوله - واقتصد في مشيك واغضض من صوتك - الخ وهكذا مما تراه في (٧٥٠) آية في القرآن واذا سمعت قول المصلى - الحمد لله رب العالمين - أو قوله ﷺ (التحيات لله الخ) فاعلم أن ذلك ظاهر في قوله تعالى - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا - وقوله - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - الخ

(٧) إن الاسراء والمعراج درسان ألقيا للمسلمين ليخرجوا الى ربهم بالمعروف وليقتضوا عقولهم وخيالهم وقواهم الفكرية وذاكرتهم النفسية ذلك ليسمحوا في الأرض يعقوبهم لاجمرد أجسامهم . فأما اذا صابوا ولم يرجعوا أى لم يدرسوا ولم يفكروا فيما تتضمنه الصلاة فانهم يكونون محكوما عليهم بالهلاك . ذلك لأن المسلم اذا صلى ووقف عند أفاظ الصلاة أو فهم معناها واستحضره ولكنه لم يعمل بمقتضاه كما فعل رسول الله ﷺ من الاسراء والتقتل في أثناء الاسراء فانه يكون مغرورا اغتر بمعجزة الصلاة وأنام قواه العقلية ولم تفتح بصيرته لما حوله من عجائب هذه الدنيا وهذا هو قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤن ويتعنون الماعون -

المسلمون يصلون ولكن أكرهم لايعلون بما تحت عليه الصلاة فاحتط مداركهم فتحفظتهم الأم . هم ساهون عن الصلاة لاهون عنها . إن الصلاة ﴿ لأمرين ﴾ ذكر الله على سبيل العبادة وارتقاء النفس بذلك الذكر . فهنا ﴿ أمران ﴾ أمر على وأمر على فأكثر المسلمين اقتصروا على الأمر العملى ونسوا العلمى ونسوا أنه ﷺ عرج الى السماء بعد أن صلى كأنه يقول عروجكم العقى إنما يكون بعد الصلاة أى بالعمل بما تضمنته من العلوم . إذن الاسراء والمعراج درسان علميان والصلاة هى كتاب ذينك الدرسين

(٨) غفل الناس عن الاسراء وعن عقولهم . من عادة الناس أن لا يعقلوا ماشاء عندهم وما يحيط بهم . هذا الانسان في هذه الأرض لا يعقل ما هو حاضر عنده مبصر أو مسموع أو مذكور . لسلك امرئ محمية وعاقلة وذاكرة كما تقدم فقد يعيش المرء ويموت ولا يتخطر بباله ممالك القوى وما عجائبها وهكذا يرى أن له سمعا وبصرا وذاقا وذوقا وأعضاء داخلية وأخرى خارجة وكلها طائفة بالحجاب مملوءة بالغرائب ولكنه لا يتخطر بباله أن يفكر فيها أو يرى فيها عجائب وهكذا أكثر هذا النوع الانسانى يعيش كالحیوان ويموتون ولا هم يذكرن لذلك أرسل الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ فأمرى به وعرج والاسراء والمعراج لفتح هذه القوى العقلية فينا وفلا تم ذلك في عصر الصحابة والتابعين فان أحوالهم كلها اغترها انقلاب وتغيرت وتحولت الى الأحسن أما الأمم المتأخرة فانها تسمع الاسراء والمعراج كما تعرف يديها وعقلها وجسمها . فالاسراء والمعراج أصبحا متداولين بين المسلمين فز يبقى تعجب منهما ولا تذكرهما كما نسى الناس نفوسهم وعقولهم ومخيلاتهم وأعضائهم فسيان عندهم عقولهم وأعضائهم وأسراءهم نبينهم ﷺ

واعلم أن هذا التفسير سيكون من المبشرات بنهضة مقبلة قريبة رسيخ جيل جديد سائح سياحات علمية وعارج الى رب البرية

﴿ كيف يسرى المؤمنون ويخرجون ليصلوا الى اليقين بالمعلم ﴾

اعلم أن الأمم جميعها قد جاء في تاريخها أن أناسا حكموا أنفسهم بالرياضات فوصلوا الى ما قصدوا وهؤلاء كثير في أمم الهند والأمم الاسلامية ولكن الذى ظهر أن هؤلاء غالبا لم يعدثوا في الأمم انقلابا كثيرا إلا قليلا منهم وأكثر انقلاب الأمم إنما يكون برجال مفكرين نالوا حظا من العلم باجتهدهم لآرياضاتهم . فلا ذكر لك هنا مسألة واحدة وهي تفسير قوله تعالى في -سورة تبارك- ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - أى شقوق وقيل الشروع في هذا المعنى أذكر مقدمة فأقول

اعلم أنه قد سبق في هذا التفسير أن العوالم التي نعيش فيها مركبة من ذرات وتلك الذرات مركبات من جواهر فردية وتلك الجواهر الدقيقة جارات حول نواتها جريا حثيثا فترى كل ذرة بعضها أشبه بالشمس وبعضها أشبه بالسيارات وهذه التي تشبه السيارات تدور حولها وكل ما في هذا الوجود مركب من تلك الذرات وتلك الذرات ما هي إلا مجموعة الشمسية . فاذا رأيت الحديد والنحاس والأجروظنت أنها ساكنة فانت لم تقرا علما بل العلم اثبت أنها متحركات كما شرحت لك بل قال المحققون مشل (جوستان لوبون) كلما كانت حركات الذرات أسرع كان الجسم المركب منها أصعب وكلما كانت أبطأ كان الجسم المركب منها أبعد عن الصلابة وأقرب الى الفرق والسيلان الخ

وهناك مسألة أخرى ستأتى في سورة تبارك وهي أن طيف الضوء المركب من الألوان السبعة المعروفة يتخلله خطوط سود وذلك بواسطة آلة للنظر مذكورة هناك مصورة من ثلاثة مناظر معظمة وتلك الخطوط السوداء عمودية على ذلك الطيف وهذه الخطوط السوداء واضحة في شكل ستره هناك وكل خط له هيئة خاصة وقد شاهدوا مثل هذه الخطوط في لهب المعادن فحكموا من ضوء الشمس على المعادن التي تركبت منها هي فكلما رأوا خطأ في الطيف الشمسي بهيئة توافق نظيرها في لهب معدن من المعادن قطعوا بأن ذلك المعدن من عناصر الشمس وهكذا السكاك الأخرى . هاتان النظريتان هما أسس ما سأذكره من الاسراء العقلية والمراجع الفكرى الذى يسير عليه المساهون . فهنا نقول في تفسير الآية

(١) فاذا أبقينا على ما هو معلوم من التفسير المعروف قلنا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - لأن البصر لا يرى في السماء المشاهدة فطورا . ولا جرم أن السماء من فعل الله فلتكن أفعاله كلها على هذا النظام (٢) وإذا لاحظنا أن في المادة فراغا معالوما بين جميع الذرات كما هو مقرّر في الطبيعة حتى أنهم أثبتوا أن الخلاء بين كل ذرة وأخرى بالنسبة لحجمها لا يقل عن الفراغ الحاصل بين الأرض والسماء بنسبتهما وهذا وإن كان بعيد التصديق مسلم في علم الطبيعة . وهكذا نلاحظ أن في طيف الضوء تلك الخطوط المتقدمة اذا اعتبرنا ذلك كله قلنا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - مع ما فيه من الخلاء بين الذرات والخطوط السوداء وسط الألوان وذلك لشدة احكامه وتعام اتقانه فذلك الاتقان جعله لاختطوط فيه ولا فراغ والبصر لا يدرك شيئا من ذلك - فارجع البصر هل ترى من فطور - فيه بين الألوان وبين الذرات مع أن ذلك كله موجود فعلا فافطور مع وجودها أصبحت لازمة لشدة احكام المادة وانتظام النور كما أن العالم كله يتحرك ولكنه لشدة الاحكام يرى ساكنا كما قال تعالى - وله ما سكن في الليل والنهار الخ -

(٣) والوجه الثالث أننا نلاحظ ما في الوجه الثاني أيضا ولكننا نقول - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وهذه الرؤية عقلية لا بصرية فالحقل أدرك أن الذرات تشبه السيارات وصغير العالم كبيره فأشبهه بجزءه كله وكبيره صغيره من ﴿ وجهين * الأول ﴾ ان الذرات تشبه السيارات من حيث الفراغ الحاصل بينهما ومن حيث دوران جزيئاتها حول نواتها دورانا منتظما ﴿ والثاني ﴾ أن تركيب الشمس مشلا لتركيب الأرض ولم يعلم ذلك إلا بتلك الخطوط السوداء في الطيف التي أبانت باختلافها اختلاف العناصر في الشمس وحينئذ يقال

هل ترى ببصرك من فطور حتى تحكم بها على تشابه المادة بحيث تشابه الذرات السيارات و يشابه المعدن بالخطوط المعتزضة في لبه نظيره في الكون فيحكم بوجوده فيه وبهذا يحكم بتشابه العوالم . كلا . أنت لا ترى ذلك ببصرك مطلقا بل البصر يرى المادة لاختلاف فيها ويرى آثار الضوء في قوس قزح لا أثر لخطوط السود فيه مع ان الحقيقة أن المادة واللوان الطيف فيهما فراغ . ففي الأول بين الذرات . وفي الثاني خطوط سود بين تلك الألوان وانما لم تبصر ذلك لأن البصر لا يقوى على ذلك وانما يقوى الانسان عليه بالآلات التي اخترعها العقل البشرى والاستنتاج بالعقل والفكر . انتهى

فهذه الآية يدرسها من علم الطبيعة في الأرض فتحت لنا باب العروج الى السموات فأدركنا تركيب أجسامها وعرفنا عناصرها . فهذا مثال واحد من الأمثلة التي لا تحصى بها أدركنا نظام العالم العلوي بمضاهاة نوره بأنوار معدان العالم السفلي . فهذه سياحة عقلية بها يرتقي العقل الانساني ويشاهد حكما وعالوما متبعا في ذلك نبينا محمد ﷺ إذ رأى جلالا لا يصفه الواصفون . هكذا فلنجد في العلم واتراقي في الأسباب إن الاسراء والمعراج جهلا لنا درسا لنجد ونسرى في العاوم الأرضية ونخرج الى العاوم العقلية والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة - وقضينا الى بني اسرائيل - الخ ﴾

اعلم أن بني اسرائيل من بعد موسى لم يكونوا ملزمين بالجهاد كالأمة الاسلامية بل كانوا يحافظون على شرائعهم ويدافعون عن بلادهم فبقى القوم بعد موسى ويوشع عليهما السلام نحووا بأهانة ستة على هذه الحالة لا يعينهم شئ سواها وكان القائم بأمرهم يسمى (الكوهن) كأنه خليفة موسى عليه الصلاة والسلام يقيم لهم أمر دينهم ولا بد أن يكون من ذرية هرون لأن موسى لم يعقب ويكون مع الكوهن سبعون شيخا يقومون بأحكامهم العامة تحت اشراف الكوهن وفي أثناء ذلك غلبوا الكنعانيين على بيت المقدس وماجوره وحاروا أهل فلسطين والأردن وسمان ومأرب ولكن لم تكن لهم صولة الملك فطلبوا من شمويل نبياهم أن يجعل الله لهم ملكا يجمع شملهم فتملك طالوت وقتل داود من عسكره جالوت عدوه فتولى داود الملك بعد طالوت فسلطان ابنه عليهما السلام واستفحل الملك وامتد الى الحجاز ثم اطراف اليمن ثم اطراف بلاد الروم ثم افترق الأسباط من بعد سليمان الى دولتين . احدهما كانت بالجزيرة والموصل للأسباط العشرة والأخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بختنصر ملك بابل فاستولى على الأسباط العشرة أولا ثم ثانيا على بني يهوذا وبيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم وقتلهم الى أصهبان وبلاد العراق الى أن ردهم بعض ملوك السكائية من الفرس الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأول

﴿ تغلب اليونان على الفرس فاليهود ﴾

ولما غلب الاسكندر واليونانيون قومه على الفرس أصبح اليهود في قبضتهم فلما فشل أمر اليونان اغتر اليهود بعصبيتهم وأخرجوهم من ديارهم وأقاموا دينهم على الطريقة الأولى وكهنتهم من بني حشمتاي فلما غلب الروم اليونان على أمرهم رجعوا الى بيت المقدس وفيه بنوهيردوس أصهار بني حشمتاي وبقية دولتهم فاستحوذوا عليهم وبقوا في قبضتهم ففتحوها عنوة حتى أرسل عيسى في أيامهم ودالت دولتهم بعد رفعه الى السماء بنحو (٧٠) سنة فأجلاهم عن بلادهم الى رومية وماوراءها وهدوا الخراب الثاني للمسجد ويسميه اليهود الجلالة الكبرى فلم يبق لهم بعدها ملك بفقدان العصية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن . ثم ان عيسى عليه السلام أرسل في مدة (هيردوس) ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمتاي أصهاره في أيام الملك (أوغسطس) غسده اليهود فسكاتب (هيردوس) ملكهم

ملك القيصرية (أوغسطس) فأذن لهم في قتله وكان ما كان مما قصه الله في القرآن ثم افترق الحواريون فدخلوا بلاد الروم داعين الى النصرانية وبعد ذلك أجلاهم الروم كما تقدم . هذا هو التاريخ الذي يشير له القرآن . فالمرّة الأولى هي غزوة الفرس لهم والمرّة الثانية غزوة الروم لهم لما عصوا بعد عيسى عليه السلام . انتهت اللطيفة الثالثة

(اللطيفة الرابعة - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم -)

لما ذكر أمر اليهود وتفرق دولهم وتسلط الأمم عليهم وانهم أجأوهم عن بلادهم . فالفرس الى أصهبان وما والاها من البلدان والروم الى رومية وما والاها من أوروبا وكانت مدتهم الى زمن عيسى عليه السلام نحو (١٤٠٠) سنة أر بعثته الى حكم سلمان وسجانه الى جلاوتهم في بلاد الفرس وأر بعثته الى جلاوتهم الكبرى . ولقد كانوا في مصر قبل ذلك نحو أر بعثته سنة فذتهم من أيام يوسف الى زمن المسيح (١٨٠٠) سنة وقد اعتراهم الذل بعد رسالة موسى بألف سنة فأخرجوا من ديارهم ثم بعد أر بعثته أخرى أذلهم الروم . ولقد اتفق لأمة الاسلام أن غلب بعض-ها على أمره ولكن لم يحصل اجلاء عن البلاد إلا في الأندلس بعد النبوة بما يقرب من ألف سنة فأخرج الأسبان من العرب من أمتنا من ديارهم بأوروبا . ولم يمض الاخراج المسلمين جميعا لأنهم أمة عظيمة وليس فيهم جشع اليهود الذي يفض الأهم فيهم فأذلهم يقول الله - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم- ولقد بينا في اللطائف السابقة الاشارات الدالة على أن للإسلام أمة ستفوق غيرها . إن اليهود اليوم هم أصحاب العلم في العالم الانساني . إن اليهود هم الذين أشاعوا الدول البلشفية وهم هم الذين بفلسفتهم قد حركوا ألمانيا الى الحرب الكبرى وفيلسوفهم (نيتشه) أشاع فيهم هذه الفكرة (الرجة ضعف وخور فليمت الضعيف وليعيش القوي) اليهود اليوم هم الذين يدبرون العالم كما يشاؤون . يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم تحريكاً بعقله . جاني (العمود) وهو مخلص دين اليهود وقد تقدم في التفسير . إن الله فرقنا في الأمم لأنه يعلم أننا شعبه وأبناءه وأن العالم الانساني كله خادم لنا وهذا الانسان كله وسط بيننا وبين البهائم نستعملهم للتفاهم بيننا وبين الحيوانات فوجب علينا أن نجعلهم متساكين متقاربين متعادين وندخل في سياساتهم ونجعلهم في حرب لتستفيد منهم ونزج بناتنا العظماهم وندخل في كل دين لنفسه على أهله وتكون لنا السيادة على هذا الانسان الذي سخره الله لنا انتهى

ولقد فعلوا ذلك أقر بيا منه . وهاهم أولاء قد أسسوا دولة البلشفية في بلاد الروس ومنهم (لينين) وأعوانه الذي توفي قريباً وهاهي دولتهم تناظر دول أوروبا وقد اتسعت اليوم ولا ندري ما يفعل الله بالانسان غداً . هذا ما كان من أمر اليهود الذين مضى على دينهم نحو (٣٤٠٠) سنة فهل يقوم الاسلام يأمر العالم ويعاوي في فلسفته وحكمته على الأمم ومنهم اليهود ويجعل أهل الأرض في حال اخوة وسلام لاتناذب ولاشقاق وإذا كان هذا هو الذي وصل اليه اليهود الذين على يديهم أرسل عيسى منهم وهم هم الذين نشروا دينه في الشرق والغرب ثم اخترعوا البلشفية فهم إذن سادة العالم الأدنى فهل المسلمون الذين جاء دينهم بعد الدينين اليهوديين يقومون بدور يناسب ديننا وهل قوله تعالى - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - يشير الى أن أمة ستكون بعد الآن في الاسلام تحمل أهل الأرض قاطبة على الرقي . إن (ماركس) الألماني الذي هو أصل البلشفية يهودي ألماني وهو الذي أخرج العالم من حال الى حال بعد موت موسى بثلاثة آلاف وأر بعثته سنة فهل يقوم في المسلمين بعد اليوم وقد مضى للإسلام ١٤ قرناً قائم برقي المسلمين وبرقي العالم كله ويكون ذلك سعادة للناس لاشقاء كما فعل اليهود في أوروبا والشرق وهل زمن عيسى الذي جاء في شريعنا وفي شريعة النصارى أنه سينزل حياً . هل هذا الزمن بعيد حصوله . إنه ليس بعيد أي إن المسابرين اذا قاموا بدورهم

الانسانى وارقوا الأمم وساد السلام على يديهم فهناك يعم السلام فى الأرض وتسكون جيوش المسلمين مؤدبة للأمر لظلمة كما تفعل أوروبا الآن . هذا هو الذى يرتقب من أمة الاسلام وهذا هو الذى فهمته من قوله تعالى - إن هذا القرآن يهدى للذى هو أقوم - وأن أمة الاسلام ستلعب دورها يوما ما وتبنى مجد العالم كله ويكون الناس جميعا أبناءنا . إن هذه المدة التى مضت فى الاسلام كللته التى مضت على بنى اسرائيل حين أجلهم الروم الجاوة الكبرى فقد كانت نحو (١٤٠٠) سنة فذل اليهود إذ ذاك وذل المسلمون الآن ولكن فرق بين الذين فالمسلمون لهم دول مستقلة وإن كانت قليلة . فإذا قسنا هذه الحال بتلك قلنا ان ماقلتنا ربعا يتم لأنه اذا مضى بعد ذلك مئات السنين يكون هناك دول تتعارف من الاسلام ويكونون رجة للعالمين وهم يمنعون الظالمين عن المظلومين . فهذا هو الذى نفهمه من ذكر قصة موسى بعد الاسراء ومن العلاقة بين نبينا محمد ﷺ وموسى عليه السلام ومن ارتقاء نبينا عليه فهو فى السماء السادسة ونبينا فوق السابعة ولامعنى لهذا بالنسبة للأمر إلا ما ذكرناه . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة - ويدع الانسان بالشمر دعاه بالخير وكان الانسان عجولا - ﴾

لما ذكر الله أمة بنى اسرائيل ومآلهم بهم وأتبع ذلك بأن هذا القرآن يهدى للذى هو أقوم وسيدرك بعد ذلك سنن الكون ونواميسه وحسابه أبان فى هذه الآية المذكورة ما بين القرآن الذى هو أقوم وما بين النواميس والحساب السماوى فقال إن هذا الانسان خلق عجولا بطبعه ميالا الى ما لا تحمد عقباه . فطرة فطرناه عليها فهو يتأدى فى الشهوات ويتغالى فيما يظنه خيرات فهو يحصر على المال والولد والصيت والشهرة واقتناح البلدان وازالة الممالك وهو يظن ذلك خيرات بشهوته وعجلته الطبيعية ثم يتأدى فى ذلك الذى يظنه خيرا الى أن يصل الى ما ظنه شرا فيدعو على نفسه وعلى والده وعلى أهله وتبقى الموت . كل ذلك لهجته . وإذا كان هكذا أمره فانه لا يثبت أن يترك شأنه . ولتهذب طباعه بالكتب الدينية والهجاب الكونية والحساب السماوى والعلم الطبيعى والنظام الالهى

هذا شأن الانسان ببناء . وهذا أمره كشفناه . فليقم بالدين وليقرأ العلوم حتى يقف على الحقائق ويعلم أن أكثر ما يظنه خيرا إنما هو شر من وجه فاذا فتح البلدان لقهر الأمم عاد ذلك عليه بالوالب كما حصل لبنى اسرائيل . فليحترس المسلمون أن يغلبوا الأمم لقهرها لا لتعليمها والاحل بهم ما حل باليهود وقد كان ذلك ومضى . وحل بالأمم الاسلامية ما يقابل أفعالها الظالمة فى بعض القرون واضمحلت الشوكه . لماذا . لأن الانسان جهول . فليقرأ العلوم . وانما قال الله - إن هذا القرآن يهدى للذى هو أقوم - لأنه أرشد الى علم الكائنات . فالقرآن لا يفت عند تلاوة الألفاظ حسب . ولذلك ترى هذه الآية جاءت بعدها فقال ان الانسان عجول فلهذب العلوم ثم أتبعها بذلك النظام

إن القرآن يهدى للذى هو أقوم . انه يدعو الى قراءة كتاب الله المفتوح . كتاب السموات والأرض كتاب الطبيعة . كتاب النبات . كتاب الحيوان . كتاب الانسان . كتاب علم النفس . كتاب علم التسميح . كتاب علم السياسة . كتاب علم الأجنة . كتاب علم آثار الأمم . كتاب كتاب الخ فهذه هى الهداية للطريق الأقوم . وهذا هو دين الاسلام . وهذه هى طريقه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهت اللطيفة الخامسة

﴿ اللطيفة السادسة - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلا - ﴾

لقد قدمت فى هذا التفسير حساب الأفلاك مرارا وتبين لك فيه كيف فصل الله العالم تفصيلا . ولكن لأذكر لك درة قيمة وجوهرة مضيئة وآية شريفة وزجاجة خضراء وياقوتة جراء والماسة بيضاء وحكمة بديعة وشمس مضيئة فأقول

انظر ﴿مسألتين اثنتين * الأولى﴾ مسألة السنين القمرية وأن كل سنة منها ٣٥٤ يوما وسدس يوم وخمسة وهذا السدس وهذا الخمس اجتماعهما سنة بعد سنة يكونان أياما وتلك الأيام التامة تكون السنة التي تمت فيها كيسة والتي لم يمت لها يوم يقال لها بسيطة . ولقد وجد ذلك في كل ثلاثين سنة ١١ كيسة و ١٩ بسيطة وتسكون النسبة منتظمة بحجية لاختطأ فيها ولا خطل وكل (٧) أدوار يقال لها دور كبير وهو (٢١٠) سنة فكل دور من الأدوار الصغيرة يكون مماثلا لظاهرة في الأدوار الكبيرة التالية أياما وشهورا ويمكن أن يجعل نسبة منتظمة فيقال هكذا نسبة ١١ الى ١٩ كنسبة ٢٢ الى ٣٨ كنسبة ٤٤ الى ٧٦ كنسبة ٨٨ الى ١٥٢ وهكذا الى تمام الدور فالأدوار تتابع والحساب لا يتغير والنسبة منتظمة ولها جداول لاختطأ فيها والسنة (٣٥٤) يوما ٣٥٥ يوما على مقتضى البسيطة والكيسة وهكذا

فقل لي بربك . أأنت ترى أن الله هكذا فصل وهكذا بين . أأنت ترى إنك بهذا الحساب المنقح تحسب السنين العربية من أول التاريخ العربي وتسقط أدوارها ثلاثين و ٢١٠ و ٣١٠ وهكذا وقد أوضحناه في هذا التفسير سابقا فالرجع اليه في مظانه لتعرف أوائل السنين العربية في آخر (آل عمران) واست اليوم أقول هذا لمعرفة أوائل السنين وإنما أقوله لما هو أعلى . أقوله للتفسير . الله يقول - وكل شيء فصلناه تفصيلا - فهكذا يكون التفصيل وهكذا يكون البيان ولهذا أنزل القرآن . أنزل القرآن ليلفتنا الى كتاب الله الذي خلق قبل أنزل القرآن بالوحي . كتاب الله الذي في الطبيعة وهو الكتاب المفصل وهو الكتاب المبين . هو الكتاب الذي كتبه الله بيده وأودعه في الطبيعة وقال بالمجد أمر الى تفصيلي ودل أمتك على بياني وقل لهم هذا خلق الله وهذا جلال الله وهذا بيان الله فيه فاقدوا ويعاوموه فانتفعوا . القرآن يقرؤه الجاهل والعالم والطبيعة لا يدركها إلا العلماء فلذلك كفر بها كثير من جهالة الاسلام - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام . انتهت المسألة الأولى

﴿المسألة الثانية النظر في جسم الانسان وحسابه﴾

إذا خرج الانسان من الرحم تام البنية سالما من سوء الأخلاط يكون فيه أشياء متماثلة وأشياء تزيد بالثلث والرابع وأشياء بالثلث والثلث وما أشبه ذلك . فالتى هي متساوية إذا قيست بشبهه نفسه هي (١) من رأس ركبته الى أسفل قدميه يساوى الذى من ركبته الى حقويه يساوى الذى من حقويه الى رأس فؤاده يساوى الذى من رأس فؤاده الى مفرق رأسه فكل مقدار من هذه شبران بشبهه (٢) إذا فتح يديه كالطائر كان هكذا ما بين رأس أصابع يده الى مرفقه يساوى مقدار ما بين مرفقه الى رقبته يساوى مقدار ما بين رقبته الى مرفقه اليسرى يساوى ما بين مرفق اليسرى وأطراف أصابعها كل منها شبران (٣) ان الانسان اذا صنع دائرة مركزها سرته ومركز محيطها بأصابع رجليه ومد يديه الى أعلى فان المحيط يمر بأطراف أصابعها فتزيد عن قاعته ربعها ويكون النصف حصة أشبار من أعلى النصف ومن أسفل النصف (٤) طول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبر وعين وطول جبينه ثلث شبر (٥) طول عينيه كل واحد منهما ثلث شبره وطول أذنه ربع شبره يساوى شق قفوه شفتيه (٦) طول كفيه من رأس الكرسوع الى رأس الأصبع الوسطى شبر (٧) الإبهام والخنصر متساويان وما بين ثدييه شبر يساوى ما بين عاتقه وسرته يساوى ما بين رأس فؤاده ورقبته . وقد تقدم في هذا التفسير أكثر من هذا وأعدناه هنا للنسبة

هذا بعض ما ذكره في جسم الانسان وقالوا إن كل حيوان بل كل نبات منظم تمام الانتظام على هذا المنوال وقد ظهر في هذه الأمثلة المماثلة والثلث والرابع والثلث . ومن هاتين القاعدتين في النسب الهندسية بنوا علم

الموسيقى وعلم الجبال ولقد أوضحناه في كتاب (الفلسفة العربية) . فانظر كيف فصل الله هذا العالم تفصيلا وانظر كيف جعل الحساب مفصلا واضحا لا يخطئ بعد آلاف الآلاف من السنين . وكيف فصل أعضاءنا وقطر الجبال اذا تم سحبها والتجح إذا حصل اختلاف يسير . إن هذا هو التفصيل وهذا هو البيان . ولقد ظهر ذلك الجبال في علم الشعر والنسبة الهندسية فيه وفي ظلال الأشجار وفي السفيتين على وجه الماء ونسبتهما ونسبة الماء الذي أزاحه من ماء البحر وهكذا الخن والتمن وأن بينهما ثمان نسباً أربعة طردية وأربعة عكسية . كل ذلك في (كتاب الفلسفة) كتب تذكرة للمؤمنين وعظة للمؤمنين

إن الحساب يعلم الصبر والصدق وذلك ضد عجلة الانسان الذي يسعى في فتوح البلدان يظنها خيراً مطلقاً وما درى أن السم في السم وهكذا المال والولد والصيت فكل ذلك سعادة وتحت آلام . فليكن الصبر هو الملجأ . وليكن العلوم هي السادة . وليكن الجبال هو المنظر . جبال هذا العالم البديع الممتلئ بهجة وحسناً وكلاهما ونظاماً وبهاء . لقد بينت يا الله بعض معاني القرآن وإنى قادم اليك من هذا العالم وبرئت من الكتمان وأنت المستعان

(اللطيفة السابعة - وكل انسان أزمناه طائر في عنقه - الخ)

اعلم أن هذا الجسم الانساني قعر النفس ومسكنها ولوحها المقروء وكتابتها التي تدرس تشريحه وتفصيله وهذا الكتاب يوماً ما ستدره الروح وتتركه ولكنها تحدد كل ما حملت مسطراً فيها مكتوباً مفصلاً تفصيلاً كما فصلت أعضاؤه التي رأيتها وكما فصل حساب السموات التي عرفتها . لهذا ذكر علم النفس بعد علم العوالم المادية تعرف أن هذه الظواهر السماوية والأرضية المفصلة الموضحة البديعة الجيلة وراءها أرواح مفصلة موضحة أكثر من هذه ولأقرب لك الأمر بما هو مشاهد معروف . انظر الى الدول الأوروبية وإلى دولتنا المصرية وتوجه إلى محافظة مصر وانظر هناك كيف جعلوا علامات الاهام لكل انسان دالة عليه ووجدوا أنه لا إهمام يشابه الأخرى أى ان إهمام زيد اذا طبعه على الورق يكون أصدق من ختمه الصناعى لأن هذا الختم لا يقلد فان الخطوط التي في إهمام زيد تتخالف الخطوط التي في إهمام عمرو فلا يشابهان كل المشابهة . فهذا أيضاً من معنى قوله - وكل شئ فصلناه تفصيلاً -

وانظر أيضاً الى لون كل امرئ وإلى صورته وإذا كان الجنس الأبيض من الناس والجنس الأحمر والجنس الأصفر كل طائفة منهم قد اشتركوا في اللون فانك لا تجد واحداً يشبه لونه لون الآخر سواداً وبياضاً وحجراً وصفرة هكذا هيئة الوجه والأعضاء . هذا هو معنى - فصلناه تفصيلاً - ووضعناه ايضاً . هذا توضيح الله لنا . هكذا نقول في أرواحنا كقدمناه في هذا التفسير فان الأرواح الانسانية يسيطر فيها كل شئ عملناه وبالتكرار يصير هذا العمل ملكة راسخة وهذه الملكة الراسخة فينا تبقى ثابتة . فالجبل والعداوة والحرص والطمع والبخل وما أشبه ذلك يصبح فينا جزءاً منا فهو يؤدينا كما نحس بالآذى من الأخبار الحزينة . وهذا الآذى لا يفارق النفس ويؤلمها أشد الألم بل هو يؤلمها في الحياة الدنيا كما يحس الانسان بالوخز في ضميره فاذا وقعت الواقعة وانشقت سماء رؤسنا فهي يومئذ واهية وزلزلت المادة الأرضية في أجسامنا وأخرجت أثقافها فرمتها بالأرض - وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها - بان الموت قد أتى لها واذن تبقى النفس خالصة لاشئ يحجبها فتحزن حزناً شديداً فان فارقت المألوفات حزنت عليها وإن اقرت الخطيئات احترق قلبها عليها وإن جهلت عالم الكائنات أصبحت في ألم عظيم إذ تحس بأن العالما ارتقوا الى أعلى السرجات وهي باقية في الظلمات . وهذه قيامة كل امرئ فكل امرئ يقوم قيامة بموته كما روى من مات فقد قامت قيامة * وهذا مبدأ الحساب والحساب واضح لا يحتاج لشرح فاذا نظر الانسان لصورته الحقيقية ورأها ملوثة قنرة أنف أن ينظر إليها وكره منظرها وهو غير قادر على التخلص منها وهذا له نظير في الدنيا فان أصحاب

العلاقات العشقية الذين حكم عليهم أن يعيشوا مع أنس النساء والذين يتعاطرون المسكرات ويعامون أن هذين الوصفين يضعان شرفهم ومجدهم وسمعتهم ووظائفهم فهؤلاء يقولون ﴿ نودّ لو نقدر على الترك ولكن الملكة فيما تمكنته فلا نقدر على المفارقة ﴾ فكل من هؤلاء يودّ لو يتوب ولكن استحكام العادة يقعه عن الخروج منها فهذا سجن وحسرة واحراق قلبي زيادة عن الجسمي . هذا هو قوله تعالى - إقرأ كتابك - فليست قراءة كتابية بل قراءة نظرية عامية يقرأها الجاهل والعالم والذكي والنبي والكافر والمؤمن لا تحتاج الى ذكاء ولا الى عين وضياء ويقال للانسان إذ ذاك - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - وأى بصراً حدث من هذا . إن هذا العذاب يحسّ ببعضه الناس في الدنيا ولكنه مخبوء عنهم أكثره فتجد العقلاء في أوقات فراغهم إذا رأوا علماً أحسوا بحزنهم على تقصيرهم في العلم وإذا رأوا ذا خلق جيد ودّوا لو يكونون مثله ويذكرون نقائصهم فتحزنهم وهكذا . فعذاب الانسان بعد الموت أكثر مدمماته معلومة من الآن فان الجاهل يبقى في مزرعته أو تجارته مثلاً لا يفارقها وإذا كان عنده علم رأته يخلو به في بعض أوقاته ليرقى نفسه

على نفسه فليكن من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم
هذا هو ما بينه الله وهو أن حساب النفس في أخلاقها وأعمالها مسطر فيها مفصل كحساب الأفلاك وحساب ظواهر الأجسام . واعلم أن هذا القول هو الحقيقة أى أن الناس اليوم في الحياة الدنيا مسطرة في نفوسهم تقاضهم وكلالهم وأن ذلك ينكشف بالموت ويتبدى بالنعم والجحيم . ويزيد الانكشاف يوم القيامة الكبرى فالأطفال والنساء والصبيان يكتفون بعذاب جهنم والعقلاء يستبعدون ذلك بخفاء هذه الآية لتريهم سرية العذاب وهذا أيضاً ربما لا يكفي بعض النفوس فجعل الله العذاب في الدنيا وكنتمه عنهم وأظهر علاماته ليرتدع الناس عن الذنوب وليعلموا أن لكل ذنب جزاء مبتدئاً من العمل منتهياً الى آجال غير معلومة . هذه هي الحقائق الناصحة والآيات الواضحة

﴿ جوهره في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ﴾
اعلم أيديك الله أن العالم الذى نعيش فيه يكاد ينطق بهذه الآية . يخجل للانسان أن أعماله لا أثر لها ولكن المفكرون الدارسون من علمائنا السابقين وعلماء القرن العشرين يعلمون بجزالة الدراسة هذا المقام علماً اقناعياً نارة و يقينياً أخرى ولا أقدم لك مقدمة فأقول
ان تفاوت الحركات في المادة بطأ وسرعة كتفاوت الأجسام خفة وثقل وتفاوت الآثار دهايا وبقاء . أما التفاوت عظيم في الحركات فان الناس يشاهدون السلحفاة القليلة الخطوات والأرنب السريع العدو والرياح العواصف وقطرات السكة الحديدية والبرق والنور فأى نسبة بين السلحفاة والأرنب وزد على ذلك ما بينهما وبين الريح يرينا الله البرق ويرينا السلحفاة ويقول أنا أخلق هذا البطء لحكمة وهذه السرعة لحكمة أخرى ولا أضنّ على خلقى بكل ما هو في الامكان والبخل بالمكن ظلم والظلم لا يتصف به الحكيم السليم . وترى العلماء يقولون ان سرعة الصوت في الهواء ١٠٩٠ . قدما في الثانية بميزان (فارنهایت) ١٤٦٣ قدما في الميتر وحين في الثانية وفي الكسوجين ١٠٤٠ . قدما . كل هذا في الثانية وفي الماء ٤٧٨٠ قدما في الثانية وفي الحديد ١٦٨٠٠ . قدما في الثانية وفي النحاس ١١٦٠٠ . قدما في الثانية وذلك نحو عشرة أمثال سرعته في الهواء وفي للسندان ١٠٩٠٠ . قدما في الثانية . اذا فهمت هذا فانظر النور فانه يقطع في الثانية الواحدة ١٩٣٠٠٠ ميل في الثانية . ومعلوم أن محيط الأرض ٢٣٨٠٠ ميل . إذن النور يقطع محيط الكرة الأرضية ثمان مرات في الثانية ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ٤٠ ألف كيلومتر في الثانية (٨) وهو ٣٣٠٠٠٠ كيلو مع أن قطر سكة الحديد يقطع في الثانية الواحدة نحو واحد من ستين من الكيلو وذلك نحو (١٨) متراً فتكون سرعة النور

أكثر من سرعة القطر في سكة الحديد ٣٢٠٠٠ في ٦٠ أو ١٩٢٠٠٠٠٠ أى ١٩ ألف ومائتى ألف مرة تقريبا . ومعلوم أن قطر سكة الحديد أسرع من جرى الخيل والخيول أسرع من الجير وهكذا الى السلحفاة . فانحجب لقطار أعجبا جريه أصبح كسلحفاة بالنسبة للنور

﴿ الكثافة والاطافة ﴾

وكما عرفت اختلاف الصوت تعرف اختلاف الأصنام خفة وكثافة فترى الماء أظف من الأرض نحو خمس مرات والهواء أظف من الماء ٨٠٠ مرة والبحار أظف من الماء ١٧٢٨ مرة كما تقدم في التفسير فيكون أظف من الهواء مرتين فأكثر قليلا ثم وراء البخار الذى يعالو على الهواء النور فهو أظف وأظف . وما هو النور . هو إمادة لطيفة . واما عرض قائم بالمادة فاذا كان مادة لطيفة فكيف ينتقل من الشمس والكواكب البنا لا على جسم يحمله الينا كما تنقل الدواب أجسامنا وأمتعتنا وان كان عرضا في المادة بأن يكون متوجبا في الأثير حصل المقصود وهونك المادة اللطيفة . إذن النور لابد أن يكون دالا على شئ موجود إما أن يكون هو نفس ذلك الشئ وإما أن يكون هو قائما به . الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة اقترنا من المقصود وهو ماجاء في كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ وما جاء في كتاب اللورد (أوليفر لودج) . ان الذى جاء في كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ هو ان هذا الفراغ الذى نراه ليس فراغا والفراغ مستحيل لأننا لانتصور هذا الفراغ إلا ظلمة أو نورا والظلمة والنور إما عرضان واما جوهرا ن واما أحدهما عرض والآخر جوهر فان كانا جوهريين فقد تم المقصود وهوانه لاختلاف السكون وان كانا عرضين كالبياض والسواد فلا بد أنهما قائمان بجوهر وقد تم المقصود وان كان أحدهما جوهر والآخر عرضا لحكمهما قد ظهر مما قبلهما وهذا برهان يقينى . هذا ماجاء في ﴿ اخوان الصفاء ﴾ فاسمع إذن لما جاء في كلام اللورد (أوليفر لودج) المعاصر لنا الذى ألف كتابا سماه ﴿ الأثير والحقيقة ﴾ طبع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات أى قبل كتابة هذه المقالة بسنتين اثنتين وبضعة أشهر . فانظر ماذا يقول في هذا الكتاب . يقول النور اما أن يكون مادة أو ظاهرة طبيعية (يريد عرضا قائما بالمادة) فان كان مادة منبعتة من الأجرام السماوية في شكل ذرات دقيقة فلا بد من شئ يحمله كما يحمل الماء البواخر . واذا كان النور ظاهرة طبيعية أى متوجبا وجب أن يكون هناك شئ يتموج وعلى كونا الحالتين لابد من وجود شئ يعمل النور أو يتموج فيكون النور وذلك الشئ هو الأثير . ألت تجب من أى يكون مايقوله (أوليفر لودج) الانجليزى هو عين مايقوله ﴿ اخوان الصفاء ﴾ وبينهما نحو ١١٠٠ سنة

اللهم ان العقول الانسانية الفاضلة في علمك الذى خلقته متلاقية متصاحبة والعقول الجاهلة متباعدة متنافرة . هأنذا وصلت معك من الكثيف الى اللطيف وذكرت لك الحركات ودرجاتها . فهنا مادة كثيفة وأخرى لطيفة وحركة بطيئة وأخرى سريعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ سحر وسلحفاة أولا ونور وحركات النور ثانيا فالنور مقابل للحجر وحركات النور مقابل لحركات السلحفاة وانجب كيف يتلاقى الأمران في النور جوهره وحركته . ثم انظر في الأمر الثالث مى وهو ذهاب الآثار وبقاؤها بقاء الآثار أشبه بالجبرو بحركات السلحفاة وذهابها أشبه بحركات النور . فانظر أمواج البحار وأمواج الهواء بالعواصف والرياح فهذه آثار سرية الزوال ثم تذكر بعد ذلك صور العناصر المركبة في أرضنا مثل النبات والحيوان فلها مدد أطول ثم أطول جدا من مدى أمواج البحار وحركات الرياح من يوم الى شهر الى سنة الى مائة سنة الى أطول في بعض الأشجار وبعض الحيوان . ثم انظر الى ماهو أطول من ذلك كآثار المؤلفين الذين أودعوا نفائس علومهم في بطون الكتب والموامير وبقى ذلك مئات ومئات من السنين ثم انظر لما فوق ذلك مما أودته القدماء من الكتابة

على الأشجار والحدردان المتينة الصلدة بحيث بقيت تلك الآثار آلافا وآلافا من السنين فانظر لهذا الوجود واعجب . مواد جامدة وأخرى لطيفة وسرعات وأخرى سريعة وآثار باقية وأخرى زائلة . وجود على بالامور المتقابلة وكلها نافعة في هذا الوجود

ثمرة هذا المقام معرفة حقيقة النفس الانسانية وموافقة أبحاث الورد (أوليفرلودج) في كتابه ﴿الأثير والحقيقة﴾ المتقدم ذكره للأراء التي أودعها الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات وأنا موقن أنك أيها الذي في أعظم الشوق الى أن أقص عليك قصصهما لتعجب من العلم الذي ملأ الكرة الأرضية والمسلمون اليوم هم النائمون . ثم تعجب بعد ذلك كيف يكون هذا القول فيه مناسبة لمساق الآية التي نحن بصددنا وإذن وجب أن أظهر لك هنا ثلاث زبرجدات ﴿الزبرجدة الأولى﴾ في آراء الرئيس ابن سينا ﴿الزبرجدة الثانية﴾ في آراء العلامة (أوليفرلودج) في الكتاب المتقدم ﴿الزبرجدة الثالثة﴾ فيما يناسب ما تقدم من مساق هذه الآية

﴿الزبرجدة الأولى في آراء ابن سينا﴾

جاء في كتاب (الاشارات) مع كلام شارحه هذه الجملة ﴿القوة المحركة للسما غير متناهية وغير جسمانية فهي مفارقة عقلية﴾ يريد بذلك أن الحركة لهذه العوالم كلها قوة عقلية ليست في المادة بل هي مفارقة لها ثم ذكر بعد ذلك أن هذا العقل العام ينبعث منه نفوس وهو معها دائماً بما عنده من العلم وتلك النفوس هي التي تقوم بعوالم السماء . فكل جرم سماوي أشبه بالجسم الانساني له قوة كاملة فيه كقوة الانسان نسميه نفساً وفوق هذه القوة شيء نسميه عقلاً وله السلطة عليها كما تجد فينا نحن عقلاً السلطان على نفوسنا الشهوية ويقول إن الله أول ما خلقنا تخلف العقل الأثر الذي ليس بجسم ولا هو جزء من جسم ولا يتعلق بجسم بل هو عقل محض وهذا العقل المحض تولدت منه النفس المذكورة والنفس المذكورة أهل للملابسة الأجسام وكل جرم سماوي له عقل وله نفس وآخر العقول العقل الانساني وله اتصال بالعقول العالية المستعدة من العقل الأول الذي يستمد من الله وهذه العقول كلها مع اختلافها في الدرجة ليست في مادة كما انها ليست مادة ولا جزء من مادة فهي مفارقة وما يستلزم به هو وغيره على أن الآثار في الأرض للعقول لا للأجسام . لما نرى الشمس تسخن الأرض وتجعلها قابلة لبعض الأعراض والسخونة تراها باقية بعد زهاب ضوء الشمس . وهكذا نرى الثمار والحبوب قد صارت صالحة لما يراد منها بواسطة الشمس وحرارتها وتبقى تلك الصفات فيها وان فارقت حرارة الشمس فذاك من الدلائل على أن هذه الآثار ليست للعالم الجسمي بل للعالم عقلي وما الشمس ولا الهواء ولا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة إلا معدّات ومؤهلات لأمور ثابتة وكيف يكن مؤثرات وقد بقي الأثر مع عدمها هي . فهذا من ثمرات كون المؤثر في العالم المادي عالماً عقلياً مفارقاً للمادة . ثم يقول بعد ذلك

أول موجود هو العقل الذي له السلطان على هذه العوالم كلها وهكذا العقول الأخرى ثم يليها صور الأفلاك والعناصر ثم يليها مواد العوالم العلوية والسفلية والمادة (الهوية) هي أخس مراتب الوجود ثم يرتقي الوجود فيكون معدناً فنباتاً فحيواناً فإنساناً والعقل الانساني أعلاه يكون منه عقول الحكماء ونحوهم وهي العقول التي رسمت فيها صور الوجود على ما هو عليه بقدر الطاقة البشرية فصار هؤلاء أقرب الى العقول العالية الفلكية والعقل الأول وان كانت صور الوجودات في الانسان انفعالية وهي في العقول العالية فعلية . ومعنى هذا أن صور الموجودات في العقول الانسانية جاءت بواسطة الخواص التي وجدت بتأثير العقول العالية المحيطة بهذا الكون وبتأثيرها هي في عقولنا فلا عقل في الأرض يدرك علوماً إلا اذا استمدت هذه القوة من العقول العالية كما ان أرضنا قد استمدت جرمها من جرم الشمس ونحن استمدنا أجسامنا وأغذيتنا من الأرض فالأصغر يستمد من الأكبر عقلاً كما استمدت منه جسماً . وهنا وصلنا الى بيت القصيد من هذا الموضوع . لقد قدّمنا

أن الحجر والسليحفة يتأثران بالضوء وحركة الضوء . وأن بقاء الأمواج المائية والهوائية أقل من بقاء النبات والحيوان وهذان يتأثرهما أقل من بقاء بعض الكتب المؤلفة والكتابة على الأحجار أبقي وأدوم . فهنا نقول هانجن أولاء نرى أن علماء الفلسفة قديما كالرئيس ابن سينا يقولون ان هناك دواما لصور العالم في العقل الأول والعقول التي بعده وأن هذه العوالم العلوية كلها ذات نفوس كنفسنا وعقول كعقولنا وأن عقولنا مستمدة من العقل الفعال الذي في فك القمر . هذا كلامهم وهذا رأيهم على مقتضى ما وصل اليه العلم في زمانهم ويقولون إن هذه العقول الانسانية لهذا العقل الفعال أشبه بالآلات له وهذه العقول السالوية تدبر هذه العقول الانسانية . هذا قولهم ويقولون ان تلك العقول العالية بالنسبة للعقول الانسانية أشبه بالشمس بالنسبة للعيون البصرية . فكما أن العين لا تبصر إلا بضوء كضوء الشمس كذلك هذه العقول الانسانية لا تبصر لها ولا تفهم إلا بإشراق تلك العقول العالية عليها وهذه العقول رسم فيها هذا العالم كله . إذن نرجع لمثالنا ونقول هذه العقول تبقى العالم فيها سرمدًا أبدا فهي تفوق في البقاء الأمواج في أطواء والماء وصور النبات والحيوان وكتب المؤلفين والكتابيين على الأحجار وعقولنا نحن تصبح بعد الموت حافظة لكل ما وقع لها لاتنسا كما قال تعالى - وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا -

هذا كلام المتقدمين من الفلاسفة الاسلاميين وبه تمت الزجرجة الأولى

﴿ الزجرجة الثانية في ذكر مقاله العلامة (أوليفرلودج) الموافق لآراء الرئيس ابن سينا ﴾

ها أنت ذا اطلعت على آراء الفلاسفة المتقدمين وطريق تفكيرهم بطريق الرئيس (ابن سينا) الذي نقل هو والعلامة الفارابي قبله (١) علوم علماء الاسكندرية الذين لخصوا فلسفة اليونان والرومان (٢) وعلوم علماء اليونان الذين هم أساتذة علماء الرومان كسينيكا وشيشرون ومن بعدهم وقد جاء في تاريخ الفارابي أنه قرأ الفلاسفة على أساتذة تعلموها من علماء بالاسكندرية . وقد كانت النصرانية حرمت عليهم التوغل فيها بعد الصدر الأول من التاريخ المسيحي . فيها هوذا طريق تفكيرهم . يقولون بالعقول والنفس السالوية ثم بالعقل الانساني الذي تفيض عليه العقول العالية للمفارقة للمادة وهو مثلها مفارق لها . فإذا مات الانسان لم يمت روحه لأنها في طبيعتها مفارقة للمادة فكيف تفتي . هذا كلامهم فاسمع إذن لما يقوله السر وأوليفرلودج (١) المادة (٢) الحى (٣) العاقل (٤) الأثير (٥) كل من علاقة الحياة والعقل والنور والكهرباء والمغناطيس بالأثير (٦) تأثير العقل في المادة وسيادة الانزاه من العواطف على مآثره من المادة (٧) انتقال الآراء من الدماغ الى الأعصاب الى الأيدي مثلا الى الورق وألوهوا الى عقول الآخرين بتوسط حواسهم وأعصابهم . ثم أبان فهم العقل الانساني لآثار العقل الكلى الذي أحاط بهذه العوالم كفهمة لآثار العقل الانساني هذه صفة تفكير السر (أوليفرلودج) . هذه صفة تفكير علماء العصر الحاضر . هؤلاء الذين درسوا عالم السموات والأرض فرأوا أن الشمس والكواكب ليست شيئا سوى انها مركبة من عناصر مثل التي ظهرت لنا في أرضنا كالنحاس والحديد والبتاسيوم والصوديوم . عرفوا ذلك بطريق النور . ذلك النور الواصل من تلك الأجرام المضيئة الذي هو مركب من ألوان سبعة تتخللها خطوط سوداء تلك الخطوط تنتزع في الأجسام المضيئة بحيث تتخالف خطوط الحديد السوداء مثلا نظائرها في النحاس عند انبعاثها . فهذا عرفوا مواد الشمس وغيرها من الكواكب الثابتة والسيارة . فاذن صرفوا طرق التفكير عن منهج القدماء الذين ظنوا أن هذه عوالم من عنصر غير عناصر الأرض . الفلاسفة القدماء كانوا يفكرون ذلك التفكير ليوصلهم الى ما شعروا به في نفوسهم من بقاء الأرواح فتجسوا على ذلك بما سمعته فانههم رأوا هذه النفوس الانسانية قد تجبر بما غاب في الرؤى فيتم ذلك فاحتالوا بالطرق العلمية على اثبات بقائها واتصالها بعوالم أخرى . هكذا علماء العصر الحاضر كاللورد (أوليفرلودج) هؤلاء الذين لما صدق بعضهم بعالم الأرواح ومنهجاتها أخذوا

يقررون ذلك بالطرق العلمية المعروفة في زماننا فتراهم يقولون ان العالم الذى نحن فيه ليس من المادة وحدها بل فيه عالم غير مادي . يقول السر (أوليفر لودج) الذى هو سائر على نهج التشكيك المعصرى . اننا نظننا المادة فوجدناها خالية من الحياة في العناصر والمعادن والسوائل والغازات والكهرباء ثم رأيناها ارتقت في (البروتو بلازم)

(١) المادة والحياة وهى (المادة التى ظهرت فيها الحياة) بصفة (مركب هلامي) ثم نرى تلك الحياة تزداد ارتفاعا طبقا عن طبق حتى وصلت الى العقل

(٢) ولا ريب أن الحياة العامة والعقل الانسانى لم ندر كهما وانما عرفناهما بآثارهما . ففى الحيوان يتحرك ويحس ونرى الانسان يبنى ويزرع وينظم حكمتها بالحياة في الأول والحياة والعقل في الثانى

(٣) ثم رأى العلماء ﴿أمريين عجيبين﴾ منذ القرن التاسع عشر في عهد (نيوتن) وهما الجوهر الفرد الذى أمثوته بالامتحان العلمى والأثير الذى لم يحكموا عليه لعدم خضوعه للامتحان العلمى لأنه لا شكل له كالمادة ولا هو مركب وانما عرفوه كما قدمناه في هذا المقال بطريق النور الى آخر ما تقدم

(٤) النور والمغناطيسية الخ مع الحياة والعقل . ثم ان هذا النور فيه حرارة والحرارة تنقلب الى حركة والحركة الى كهرباء والكهرباء تنقلب ضوؤا . فهذه الظواهر ينقلب بعضها الى بعض . فالنور كهرباء والكهرباء نور وكل هذه الظواهر في العالم الذى سميناه (أثيرا)

﴿تأثير ما لا نراه من العقل والحياة فيما نراه من المادة﴾

يقول السر (أوليفر لودج) مملخصه ان هذا العالم كما تقدم فيه المادة وغير المادة وأكثر العلماء على ذلك فالحياة والعقل والحب والرحمة والغرائز المتنوعة في سائر الحيوان هى التى لها السلطان على المادة . ألا ترى اننا نعلم أن في خلايا الدماغ قوة تنبع من هناك وتسير في الأعصاب فالأعضاء فيحكم اللسان وتكتب اليد والكلام يحمله الهواء والكتابة يحملها الورق أو الأجرأ والمباني . والهواء يسلم السمكات لأذن السامع وأذن السامع توصلها للأعصاب والأعصاب توصلها الى خلايا السماع عند السامع وهكذا الكتابة يراها القارى صوراً في الورق أو على الأجرأ فيقبل صور معانيها فننتقل الى المخ فيعقلها الانسان بطرق مجهولة للناس كل الجهل وهكذا ارسال البريد البرق بسلك وبلاسلك على هذا الخط بل من الناس من يخاطب بعضهم بعضا بطريق أخرى لادخل للمادة فيه المسمى (التلوية)

فهنا هوذا الانسان استخدم المادة لتحمل ما في ذهنه الى ذهن الآخرين . إذن المادة متى وراكبها العقل والعواطف لانراها . رأينا الدابة ومارأينا راكبها . راكبها من عالم لطيف لا يرى كالأثير الأثير الذى يحمل رسائل عقولنا في البريد البرق (التلغراف والتلفون) ويحمل صور الموجودات في النور فيوصلها الى العين ومنها الى العقل . إن الحامل لذلك هو الأثير الذى يحمل النور أو النور ظاهرة من ظواهره . ويقال في علم الأرواح الحديث ان للجسم الانسانى جسما آخر على صورته من عالم الأثير أشبه بما يراه الانسان من صورته في المرآة . فصورة الانسان في المرآة من عالم الأثير ولذلك أمكن بقاؤها بالتصوير الشمسى . فهذا الأثيرى يتربى مع هذا الجسم الطبيعى . فهل اذا فى الجسم الطبيعى تفتى الروح أى هل اذا فى الفرس يحتم فناء الفارس . كلا . إن الجسم الانسانى أيضا لا يفتى بعد الموت ولكن مادته تتحول الى أجسام أخرى . إذن الجسم لا يفتى وقد تحول فكيف يحكم بقاء الروح . فهذه الروح الباقية التى لا تفتى والتى استقرت فيها علوم الانسان ومعارفه باقية وقد استخدمت المادة والأثير في فهم عقل الانسان الآخر . وهكذا فهمت هذه النفس النظام العام لعقل الكلى المحيط بعولتنا الأرضية والسماوية وعلى قدر فهمها من تدير ذلك العقل ونظامه يكون ارتفاعها واختراعها وباتصال بعض النفوس في الأرض بذلك العقل تقدر على الاختراع والابتداع ونظام

الجمال وجمال النظام. وعلى ذلك أصبحت النفس اليوم في العلم الحديث أشبه بالرجل الذى يضرب على آلة الطرب
فإذا كسرت الآلة فهو حى باق. ذلك هو رأى اللورد (أوليفر لودج) فى النفوس الانسانية والحمد لله رب العالمين
(الزبرجدة الثالثة فى مساق هذه الآية ومناسبتها للعلم الحديث وأن هذه من عجائب القرآن)
يقول الله تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من
ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا * وكل انسان أزمانه طائرته فى عتقه وتخرج له
يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * إقرأ كتابك - الخ

يا عجبا كل العجب . ماهوذا ذكر النور والظلمة وجعل النور مبصرا . لماذا . لنطلب الرزق ولنعرف
علم الفلك ولنعرف علم الحساب ثم يقول بعد ذلك كلاما آخر . يقول إن كل شئ مما يرى وبما لا يرى فصله
تفصيلا . فأما ما يرى فقد تقدم . وأما ما لا يرى فهو مسألة كتاب حساب الانسان الذى جعله الله ملازما
للانسان وهذا الكتاب سيقروه الانسان يوم القيامة . إذن ما السبب فى ذكر هذه الجمله بعد النور والحساب
المنتج منه ذكر النور وذكر سير الكواكب والحساب الذى لا يتم ذلك إلا به ثم أتبعه بجمله تصل ما يرى
بما لا يرى ثم شرع فى ذكر ما لا يرى وقال انكم ستقرؤن كتابكم بأنفسكم وتعرفون حسابكم منه
أفلا ترى أيها الذكى أن للنور علاقة بهذا الموضوع والنور هو توجع فى عالم الأثير وعالم الأثير هو الباقى كبقائه
أرواحنا وأرواحنا تكمن فيها آثارنا . إن لذكر النور هنا وذكر طلب المعاش الذى هو أمر ماضى ثم اتبعه
بذكر ماهو أطف من علم سير النجوم والحساب ثم ماهو أطف وهو كتاب أعمال الانسان يدل على أن
المساق واحد وأن النور الذى نراه كما كان مكتملا لأمر المعاش المحسوس وأمر الحساب للمقول قد سرى الى
أطف من ذلك وهو كتاب الحساب للانسان به دلالت الذى هو أقرب الى عالم الأثير الذى هو باق لا يفنى
والذى كان النور المذكور ظاهرة من ظواهره

فاذا سمعت الله يقول - الله نور السموات والأرض - فهمت أن الأمر عظيم فإن هذا النور الذى نراه
ولا نعلمه يصل بأمر باق عظيم لطيف وهو الأثير والأثير لا يضيع فيه شئ بل هو حافظ لما فيه فلا يذهب منه شئ
فهو أشبه بمرآة ألوح المحفوظ . إذن نحن نعيش فى عالم الجبال ونصل بالبهجة والكمال ونحيط بنا العلوم
والعقول ونحن محبسون . اللهم أنر بصرنا حتى ندرك الجبال ونعشق ذلك العالم الجميل حتى نفرح بالهوت
فرح العاشق الذى غاب عن معشوقه فتعنى لقاءه . إن هذه الحياة إن لم تكن سببا فى حبنا للخلوص من
المدة ولتوت فانها تكون جلا قتيلا لم يفد الفائدة المطلوبة * وفى الحديث ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه ﴾ انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ اشراق و بهجة لفهم ما تقدم ﴾

لعل أكثر الأذكياء الذين يقرؤن هذا التفسير قد طالت عبارات الرئيس (ابن سينا) وعبارات السر
(أوليفر لودج) عليهم ففسر عليهم تلخيص المعانى . فهذا إذا أخلصها ليفهمها العموم فأقول

﴿ آراء القدماء من الفلاسفة ﴾

كان قداماء الحكماء من يونانيين ورومانيين واسكندر بين وفلاسفة اسلاميين أكثرهم يؤمنون بالله وبالعدل
وبالنفس . وماخص ذلك انهم رأوا نفوسا حيوانية يصدر عنها الحس والحركة وعقولا يصدر عنها الحكمة
والفهم . ذلك مشاهد فى الحيوان والانسان فرأوا الشمس والقمر والكواكب ولها حركات تكررات الحيوان
فقالوا هذه حركات منظمات والحركات نتيجة نفوس قائمة بتلك العوالم العالية والنظام نتيجة عقول مديرة لها
فكما رأينا للانسان حركات تتجت من نفس تدبره تدبيرا منظما غالبا من عقل يفكر به . هكذا ترى هذه
العوالم العالية لها نفوس ولها عقول وكل عقل فى السموات يستمد من عقل أعلى منه وهكذا حتى تنتهى

السلسلة الى العقل الأول والعقل الأول مستمد من الله مباشرة . وهذه العقول كلها لاعلاقة لها بالمادة إلا كعلاقة الملك بالمدينة فقد يديرها وهو خارج عنها . إذن العقل الانساني له صلة بالعقول السماوية المتصلة بالعقل الأول المستمد من الله . فهذه العقول الانسانية نسبتها لما يسمى بالعقل الفعال كنسبة العين والأذن وحاسة اللمس والذوق والشم للنفس الانسانية . فهذه العقول الانسانية مستمدة من العقل الفعال ومتصلة به وهذا العقل الفعال متصل بما قبله وهكذا - وان الى ربك المنتهى -

وماعذه النفوس الانسانية والفلكية إلا كالغضروف الذى يكون بين العظام واللحم فيكون صلة بينهما فالعظم لا يمكن اصاله باللحم . لذلك جاء الغضروف مناسبا للحم من جهة والعظم من جهة . هكذا نفس الانسان الشهوية والغضبية وقوة الحس والحركة فهى تناسب العقل من جهة أعلاها وتناسب البدن من جهة أدناها فتكون صلة بين عقولنا واجسامنا . ونحن في كل آن نحس في أنفسنا بشئ يردعنا ويؤنبنا ويعطينا علما وحكمة فذلك هو العقل المتصل بالعقول العالية . هذا كلامهم وهذا صورته

(١) عقل (٢) نفس لها حس وحركة يظهران في جسم

(٣) جسم مركب من لحم وعظم وأوردة وشرايين الخ
أما السر (أوليفرلودج) فانه يقول . هنا شيان لانزاهما الأثير والروح والأثير يقوم به النور والكهرباء والحرارة والمغناطيس . الروح تكون معه الحياة والعقل والحب والبغض والرحمة والحسد الخ والنور وماعطف عليه يكون منها وضوح البصرات والتلغراف والتلفون وأن تدور الآلات النافعة للسقى والطحن والخبز الخ والروح وتوايعها يكون منها الحس والحركة وصون العلوم والاقتراب والابتعاد وإفاضة الخير وإيصال الذى الخ وهاتان هما صورتان لها

(روح)

(أثير)

درجة لإيصال الخير	حس لإيصال الذى للناس	أية للحس والحركة	عقل لنظام الحياة	أفق لتقارب الأجسام	بعض لافتراق الأجسام
-------------------	----------------------	------------------	------------------	--------------------	---------------------

درجة	مغناطيس	كهرباء	ورظهور البصرات
------	---------	--------	----------------

لادارة الآلات النافعة وإيصال

الأخبار وتسهيل الأسفار

فما أنتذرا رأيت أن هنا ﴿ درجات ثلاث ﴾ الروح والأثير وهما لانزاهما وقد صدر عنهما الدرجة الثانية وهى قريبة منهما فلا ترى الكهرباء ولا المغناطيس ولا ترى العقل ولا الحب . وهذه الدرجة الثانية فى المقامين ظهر أثرها فى الدرجة الثالثة فى الأجسام المحسوسة فترى الآلات الدائرة بالكهرباء والأجسام المتحركات بالحياة وتسكون النتيجة أن مالا نراه يؤثر فيها نراه . ثم إن العقل والأثير والحياة كلها أصبحت من واد واحد وقد علمنا أن المادة التى نراها لا تعتمد بل تتغير صفاتها لاغير فن باب أولى عالم الأثير وعالم الحياة والعقل فانها أولى بالبقاء واذن تكون عقولنا وحياتنا وعواطفنا باقية . هذا ما أردت إيضاحه لتقف على آراء المتقدمين والمتأخرين واتفاهم على بقاء الروح إما بالبرهان القديم من اشتقاق أرواحنا من عقول فوق عقولنا لانفى وإما بالبرهان الحديث من أن الأثير والروح من واد واحد لايفنيان انتهى

بهذا نفهم قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - . ويقول علمائنا ان العالم ﴿علمان﴾ عالم الأرض وعالم الخلق وعالم الخلق يدخله التقدير والمساحة وعالم الأرض لا يدخله تقدير ولا مساحة ولا شكل له . أليس من عجب أن يكون كلام السر (أوليفر لودج) العالم الطبيعي في زماننا هو عين ما يقول علمائنا في تفسير الآية كالعامة الرازي . الله أكبر . اجتمع علماء الدنيا أي أكابرهم على بقاء الروح وأحوالها ومن المدهشات أنك ترى علماء الاسلام قديما لما كفر المسلمون فلاسفتهم رجعوا الى المواربة والبقية فيقول العلامة محي الدين بن عربي كما نقلته في آخر سورة هود عنه ان عذاب الأنفس بعد الموت ماهو إلا كلارض يعترى الجسم في الدنيا . ويقول العلامة الغزالي في بعض كتبه ﴿إن أكثر الناس أقرب الى الخير وأقلهم من نال أعلى مقام أو انحط الى دركات الهوان كما شاهد ذلك في الجبال . فكلال الجبال وكلال القبح كلاهما قليل والمتوسطون هم أكثرهم﴾

أقول يقولان ذلك لأن هذين القولين مذكوران في كتاب (الاشارات) لابن سينا . إذن أكابر الصوفية من المسلمين تسرتوا بالتصوف وأدخلوا الحكمة وجعلوها من ضمن الكشف وذلك بسبب المرض العقلي الذي حلّ بأهم الاسلام فاخترت حياتهم وضاعت دولهم ولله عاقبة الامور . وسيرجع لهذه الأم مجدها ورفعتها وعزها بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله والله هو الولي الحيد . انتهى

اعلم أيها الذكي أني لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك في ليلة الثلاثاء ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧ فاضطجعت للاستراحة فأخذتني ستة من النوم فرأيت جماعة يسألوني فقال قائل منهم هل كل ما كتبت في هذا الموضوع قام عليه البرهان . قلت كلا بل فيه بعض البراهين الاقناعية والخطابية وماهو أقل من ذلك . وإنما فعلت ذلك لأبين للناس كيف كان الناس يفكرون قديما وكيف يفكرون حديثا فرأيت انهم سرّوا بهذا الجواب ثم استيقظت حالا فكتبت هذا وخطر لي أن هذا مناسب لما قاله (سقراط) الفيلسوف لتلاميذه قال ﴿لعل ماسمعتوه يكتفي لاثبات بقاء النفس بعدالموت وفي الأقل ترجيح هذا الرأي على غيره وهي الغاية القصوى التي يمكن ادراكها في هذه الحياة في هذا الموضوع﴾ اه

فهذا القول من (سقراط) يفيدنا أن العلم بامور الحياة عقلا إنما يعطى فكرة الترجيح لا التحقيق التام لأننا في هذه الأجسام الأرضية وذلك عالم أعلى . فهذا العالم الأعلى يعرف بحال أخرى غير البرهان مثل مايقن به بعض علماء الأرواح أو بعض أهل الرياضة والصالح أو نحو ذلك وقد رأيت أن أنقل لك مقاله الفيلسوف (سقراط) لتلاميذه نقلا عن كتابي ﴿الأرواح﴾ فربما كانت هذه الرؤيا بقصد منها اثبات ذلك هنا فهناك ماكتبته هناك بنصه

﴿المجلس الحادي عشر في بيان براهين (سقراط) على بقاء النفس وكيف كان مبدأ التفكير عند المؤلف وكيف استدلل ابن مكسويه عليها وهيئة المفكرين في هذا العصر الحاضر﴾
قابلي الشيخ شيرمحمد وقال . لقد فهمت في المجلس السابق كيف كان انتشار الروحانية في الدنيا وطرق الاضرار واليوم أرجو أن تذكر لي كيف أنكر الناس في هذا العصر وكيف ينسبون هذا الانكار الى رجال مجلة مشهورة في هذه البلاد . فقلت يا شيرمحمد ان الناس على أقسام فمنهم المفكرون الناظرون ومنهم المقلدون فأما المفكرون فما أحرامهم أن ينظروا بعقولهم وكثير ما هم في بلادنا وقد يطلعون على آراء أفاطون وسقراط وقدماء الفلاسفة ومحدثيهم . فأما براهين المتقدمين العقلية فيها مقاله (سقراط) ترجمة الفيلسوف (ستلائنه) الطلياني والقفطي المصري وهذا نصها

﴿أولا﴾ إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجيل ينشأ عن القبيح والعديل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوة من الضعف وبالعكس فالأشياء يستحيل بعضها الى بعض ثم ترجع بصفة دائمة

الى ما كانت عليه . والحياة والموت والوجود والعدم تقيضان فالوجود بذاتاً من العدم والموت بذاتاً من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لا بد أن يكون للموت ما ينقضه والافتقد خالفت الطبيعة قاعدتها المألوفة في جميع الأشياء

﴿ ثانياً ﴾ ما يستدل به من طبيعة العلم وذلك أن العلم إنما هو تذكير النفس ما كانت قد علمته في حياة سابقة ومصادفة أن أجهل الناس اذا سئل سؤالاً من مبادئ الهندسة مثلاً وانتقل به السؤال من أصل الى أصل شيئاً فشيئاً على الترتيب فقد يتبد من نفسه مبادئ الهندسة ومبادئ كل علم وهذا لا يمكن إلا اذا كانت الاصول منطقية في فطرته موجودة عنده قبل ولادته . وهناك دليل آخر من هذا النوع وهو اما لولا فرضنا علماً سابقاً موجوداً في ذهننا ما يمكننا من فهم شيء من الموجودات فاننا اذا قبلنا شيئاً بآخر مثلاً ما أمكن أن نقول إنه مساو أو غير مساو ولم يكن في ذهننا قبل كل مقابلة معنى المساواة المطلقة التي لم نستفدها من الأشياء المحسوسة إذ لا شيء منها يتفق فيه المساواة إلا بنوع التقريب ومسامحة توجب أن يكون معنى المساواة مرتبها في ذهننا حتى نتحكم على الأشياء انها متساوية أو غير متساوية . ومثل هذا ما يحكم به فكركنا كالجبال والعدل والوجود وغيره فان ذلك يستدعي معرفة تلك المعاني قبل الحكم عليها فيلزم منه أن العقل البشري إنما اكتسب هذه المعرفة بمشاهدة تلك المعاني صافية غير مشوبة بالذاتة قبل ورودها الى هذا العالم وهذا من كلام (سقراط) في الدلالة على أن النفس كانت موجودة قبل هذه الحياة . أما الدليل على انها موجودة بعد الموت فقد قال أيضاً ما يأتي

﴿ ان النفس جوهر غير مرئي فيلزم انه على غير طبيعة الأجسام لأن من طبيعة الجسم أن يكون مدركا باحدى الحواس . واذا كانت على غير طبيعة الجسم فهي إذن غير مركبة لأن التركيب من طبيعة الأجسام واذا كانت بسيطة فانها غير قابلة للاختلال لأن الاختلال يعترى المركب الى المواد التي منها تركيب . فاذا كانت النفس بسيطة لم يتصور اختلالها . إن النفس هي الأمر والبدن هو المأمور . فن طبيعة الامور الالهية أن تكون آمرة ومتصرفة . ومن طبيعة الامور السفلية أن تكون مأمورة فالنفس إذن من الامور الالهية وهي غير قابلة للزوال فهي اذا بقيت على صفاتها وفطرتها من غير أن تشارك البدن في أدناسه فانها تلتحق بعد الموت بوجود مثلها فتبقى معه سعيدة مبهجة محررة من أهواها وأخوافها وكل ما كان يسخرها ويهوس عليها إذ كانت في قيد الحياة . واذا تركت البدن ملوثة مدسنة غير معتقدة من الوجود إلا ما يؤكل ويشرب ويدرك بالحواس فلا يسعها إلا أن ترجع الى حياة مشاكلة لطبيعتها ﴾ الى أن قال

﴿ وأما الالتحاق بالعالم الأعلى الالهي فلا يجوز إلا لمن ترك الحياة وهو في غايه من النقاوة والصفاء وهذا مختص بالفيلسوف الحقيقي دون غيره ﴾ ثم سكت (سقراط) برهته وقال ﴿ لعل ماسمعهوه يكفي لإثبات بقاء النفس بعد الموت وفي الأقل ترجيح هذا الرأي على غيره إذ هي الغاية القصوى التي يمكن إدراكها في هذه الحياة في هذا الموضوع ﴾ فاعترض عليه بعض تلاميذه ﴿ باعتراضين ﴾ الأول ﴿ انه لا يقال أن الموت هو الفساد للبدن كالألحان كآلات الموسيقى فانما انكسرت الآلة وفسدت لم يبق للألحان وجود وهكذا يمكن أن يقال ان النفس ماضية إلا نتيجة تكافؤ العناصر واعتدالها في المزاج الانساني . فاذا فسد الاعتدال وتلاشى المزاج ففسد النفس للاحالة ﴾ والاعتراض الثاني ﴿ أن يقال . قد سلمنا وجود النفس قبل هذه الحياة وانها أفضل من البدن وأقوى منه وانها تبقى بعد موته . غير أنه لا يترتب على ذلك بقاؤها على الدوام إذ قد يمكن أنها تبقى بعد موت بدنها ثم تفتي كأيوت الانسان وهو قد أخلى الثوب بعد القشوب ثم يموت عن آخر ثوب قد أخلفه فأجاب (سقراط) عن الاعتراض الأول بقوله ﴿ انا اذا سلمنا أن التعلم إنما هو تذكير النفس ما كانت قد علمته في حياة سابقة فلا يسوغ أن يقال ان النفس نتيجة اعتدال المزاج إذ لو كان كذلك ماسبق وجودها

وجود المزاج فكيف تذكر معلوماتها في حياة سابقة فاذا وجب الاعتراف بأن العلم لا يتصور إلا بوجود هذه المعلومات السابقة في النفس لزم منه أن لاتكون النفس نتيجة المزاج . وأيضاً لو كانت النفس نتيجة المزاج لكانت تابعة للمزاج ولا تخالفه في شيء بل تكون مسخرة له وتجد خيلاف ذلك في الواقع إذ قد نرى النفس تنهى البدن عن أشياء وتأمره بأشياء وتتصرف فيه بوجوه مختلفة وهذا يدل على أنها مغايرة للبدن مستقلة عنه وإن جوهرها أعلى وأفضل من طبيعة البدن إذ لو كانت تابعة للمزاج لما كانت تفرقه في شيء ما ولما كانت النفس تختلف عن النفس إذ لا فرق بين الألمان والألمان إلا في القوة والضعف لامن حيث انها ألحان .

ونحن نشاهد أن بين النفوس تفاوتاً عظيماً . وأما ﴿ الاعتراض الثاني ﴾ فجوابه أن الأشياء المحسوسة الغائبة لا يتصور قيامها إلا بوضع معان غير محسوسة أزلية كاملة الوجود وأن هذه المعاني مادامت فهي لا تقبل شيئاً مما يناقضها . ومثال ذلك أن العدل لا يقبل شيئاً من الجور والمساواة لا يدخلها شيء من التفاوت والفرد مادام على جوهر الفردية لا يقبل شيئاً من الزوجية والعكس بالعكس . والقول في النفس مثل القول في المعاني سواء بسواء إذ تقرر أن النفس جوهر مسيطر قائم بنفسه مجانس للمعاني فيكون حكمه مثل حكم المعاني من عدم قبول الضد والقيض . ولشأن أن النفس أصل الحياة فهي إذن حية من ذاتها وهي إذن لا تقبل نقيضها أي الموت مادامت على جوهرها وهو الحياة . فكما أن الفرد لا يكون زوجاً والعدل لا يكون جوراً ما بقيا على حالهما كذلك النفس لا تقبل الموت ولا يدخلها الفناء فهي إذن أزلية . ثم إذا كان الموت نهاية لكل شيء كان فيه فائدة عظيمة للشرير والظالم فانهما يستريحان بالموت من أنفسهما ومن البدن ومن شره ومن عواقب الشر دفعة واحدة . وهذا مما لا يرتضيه العقل ولا الانصاف فتعين أن نعتقد في النفس أنها إذا فارقت البدن فقد تحمل معها ما كانت عايشه من الأوصاف إن خيراً غيراً وإن شراً فشرّاً فن ترك وهو في قيد الحياة ملاذ البدن ومتاع الدنيا واجتنابها كما يجتنب الملايعني أو يضرب ولم يطلب إلا ما يعين على العلم وزين ضميره بالهفة والعدل والمروءة والخيرية والصدق فله أن يتربح وقت السفر من غير اضطراب كمن تنهياً للرحيل وكل ما تقم من المحاورة الموسومة قاذون أو فينون كتبه القفطي في تاريخه وفيها زيادات ترجعها الفيلسوف (ستلانه) الطلياني أدخلها هنا . وقد اطلعت على كتاب الانجارية مطوّل بهذا العنوان والمالدين من كلام القفطي والاستاذ (ستلانه) الطلياني مختصره

﴿ كيف كان مبدأ تفكير المؤلف في أمر الروح ﴾

ولما انتهى بنا القول الى هذا المقام قال شير محمد قد فهمت ما قلت من آراء (سقراط) وأن الروح عنده قديمة وعرفت براهينه الاقناعية ولكني أريد قبل أن نخرج من قسم المفكرين الى قسم المقلدين أن نخبرني كيف كان أول ما فكرت في هذا المقام فقد رأيتك في كتاب ﴿ التاج المصع ﴾ تبدأ بالشك في نظام هذا العالم وتبين كيف كان تشكك وكيف كنت تطلب الحقيقة بنفسك فأرجو أن تبين لي السبيل التي سلكتها حتى تعرف حقيقة الروح وهل كان الشك مبدأ أمرك فيها . فقلت اعلم يا إير محمد ان مبدأ أمرى في مسألة الروح كان الشك المطلق بل الانكار . ذلك أتى كنت يوماً واقفاً في حقناً بأرض كفر عوض الله حجازي بجانب نهره المسمى ترعة كفر عوض الله وكنت أزالول بعض العمل فاعتراتني دوار اضعف صحتي فجلست مدة فلما أفتت عما أغشى على نظرت في أمر الروح وقلت يا ليت شعري اذا كنت الآن لا أزال حيا لم أفارق الجسم وما هو إلا أن أغشى على حتى فقدت الشعور والاحساس فكيف تكون حالي اذا فارقت الجسم وتفرقت الأوصال وتناثرت الأعضاء فهل يبقى لي عقل أو علم وكنت إذ ذاك في زهد المعلقة الأثرية وكانت سني حوالي العشرين ثم بعد ذلك رجعت الى الأزهر وأنا منك على طلب العلوم المسانية والشرعية فذات ليلة رأيت وأنا نائم في مقابر قريننا (كفر عوض الله حجازي) وكأن قائلاً يقول انظر فظنرت في الحق فرأيت كأن هناك نوراً

أبيض مغمورا في وسط الزرقة فقال هذه هي الروح وكانت ليلة الخميس فلما استيقظت فت مع رفاقي المجاورين للرياضة خارج القاهرة قاصدين بيت أحد أقر بنا فلما جلست وجدت في الطابق كتابا فأخذته فإذا هو كتاب **«تهذيب الأخلاق»** للشيخ أبي علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ولم يكن لي عهد بهذا الكتاب ولا بغيره من الكتب الفلسفية فتصفحته فوجدته ابتداء بالبرهان على وجود النفس وأتى ببراهين أشبه بما تقدم ذكره عن (أفلاطون) و (سقراط) فيها أننا لما وجدنا شيئا يصاد الجسم وأعراض الجسم ويأينهما كل الماينة حكمنا أنه ليس بجسم ولا جزء من جسم ولا عرضا . ألا ترى أن الجسم المثلث لا يقبل الترتيب إلا بعد زوال الصورة الأولى وهي التثليث وهكذا سائر الأشكال والألوان والمقادير فليس يتغير بل يقبلها الجسم واحدا منها إلا إذا خلع الآخر والعقل نراه يقبل سائر الأشكال والألوان أو شكلا ولا يجمع شيئين معا . دفعة واحدة وهذه العلوم تزيد العقل قوة بخلاف الجسم فلا يقبل إلا لونا أو شكلا ولا يجمع شيئين معا . وهذا هو التباين العظيم بين المادة والعقل ومنها أن القوى الجسمية لا تعرف العلوم إلا من الحواس فتشوقها بالماستو المشابهة كاشهوات البدنية ومحبة الانتقام والجسم يزداد بها قوة فهو يفرح بها . فأما النفس فانها كلما اقتربت من المادة ضعف ادراكها . وكلما رجعت الى ذاتها ازدادت قوة . ومنها أن النفس تنحصر على العلوم والامور الالهية ولا تشوق شيئا الى ما ليس من طبعه ولا ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فالنفس بانصرافها عن الحواس عند التفكير لتكتمل معارفها بخالفة أفعال البدن فهي إذن جوهر مفارق للبدن . ومنها انها أخذت مبادئ العلوم غير التي أخذتها عن الحواس فانها حكمت مثلا بأنه ليس بين طرفي النقيض واسطة وهذا لا تحركه الحواس . ومنها أن الحواس تدرك المحسوسات وحدها . وأما النفس فانها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشئ من الجسم وهي تحكم على الحس أنه صادق أو كاذب . ألا ترى أن البصر يرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا كالشمس والأصبع المتأصل في الماء فان الأول أكبر بالبرهان والأصبع ليس بحجمه الحقيقي ما يرى في الماء بل أكبر عما هو عليه في النظر وأسباب ذلك مذكورة في علم المناظر . هذا ملخص ما ذكره ابن مسكويه ولم أشأ أن أخرج مع المجاورين للرياضة بل بقيت أقرأ الكتاب بقية النهار . فهذا كان مبدأ نظري في النفس وبقائها . قال شير محمد لقد افصحتم المقام وتبين لي ما قاله القدماء والمحدثون وعرفت كيف يتفكر العقلاء في بلادكم وإلى أي السكتين يرجعون وعرفت النحو الذي ينحونه في معرفة الروح . ولقد رأيت مقاله (سقراط) يشابه ما ذكرنا في المحاضرات السابقة في كلام غاليلي العليكي الذي يحين استحضرت روحه وقال انها من المادة الأولى بسيطة لا تقبل العدم وأخذ يفهم ما معنى الأبدية . فاذا صح ما قيل عن روح (غاليلي) سابقا وانها هي الروح حقيقة رأينا تطابقا غريبا بين كلام الأرواح ومقال (سقراط) وابن مسكويه فان اجماعهم أنها بسيطة لا تقبل العدم ألا أن العلم الحديث والقديم متفقان . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة . ولقد فهمت هذا المقام حق الفهم فلننتقل لبيان القسم الثاني من الناس بالنسبة للعلم وهم المقلدون كما وعدت في أول هذا المجلس . فقلت موعدنا الصبح - أليس الصبح قريب - انتهى ما نقلته من كتابي المسمى **«الأرواح»** **«زيادة إيضاح عن علماء الأرواح في قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -»** لقد تقدم في سورة التوبة عند قوله تعالى - اتخذوا أجيالهم ورهبانهم - الخ أني نقلت هناك ترجمة حياة (عمانوئيل سودنبرج) وانه كالم الأرواح وذكرنا هناك مستأنيين للآلة بما حدثت به الأرواح بما يوافق شريعتنا الغراء . ولقد جاء فيه ما يوافق هذه الآلة تحت عنوان **«أن الذائكة والفكر والعاطفة وكل حاسة كانت للانسان في العالم تبقى معه بعد الموت وانه لا يترك شيئا من ورائه إلا الجسد الأرضي»** قال مالم يخصه في صفحة (٢٧١) في النسخة المترجمة وما بعدها ان الانسان لا يحس أنه مات بعد الموت

لأنه يرى له جسدا كالجسد الأرضي مع أنه أصبح روحا فهو يسمع ويصبر وينطق ويلبس ويحب ويكره .
 فالروح على صورة الجسم وله سائر خواصه وهو يقرأ ويكتب كما كان قبالا . والفرق بين الحالين أن جمع
 الحواس بعد الموت أقوى وأشد وأعظم ويثلها بنور الظهيرة بالنسبة لظل المساء ثم ذكر ﴿ أولا ﴾ أن هناك
 قوما أسكروا جزأهم فكشفت لهم جميع أعمالهم وأتيد أظهارها من نفس ذا كرمهم بترتيب الأشهر والسنين
 من أول سنة إلى آخر سنة وكان أكثرها زنا وعبارة وخديعة للناس بحيل رديئة وسرقات مريعة فلما حصل
 ذلك اعترفوا ﴿ ثانيا ﴾ ومنهم من أحصيت الرشوة التي أخذوها بسبب القضاء وذلك ليس له واسطة ولا كتاب
 إلا ذا كرمهم ومن نفس هذه النادرة أحصيت جميع الأشياء التي أخذوها من أول عهد الوظيفة إلى النهاية
 وأضيف إلى ذلك أدق ما في هذه الأمور وقيم تلك الهدايا وما قصدوه في نفوسهم . ذلك كله أعيد بنفس
 النادرة ثم ظهر لهم عيانا وقد بلغ عدة مئات . قال ومن غريب الأمور أن مفكراتهم التي كتبوا فيها أشياء
 هكذا فتحت بعض الأحيان وقرئت أمامهم صفحة صفحة و «ضهم قادوا العذاري إلى العار واغتصبا العفة
 فقد دعوا إلى القضاء والنساء عرضت كأنها حاضرة وحضر نفس الزمن ونفس الكلمات والمقاصد كأنه خيال
 ظهر لحياة . وهذه المناظر التي تشبه السينما (الصور المتحركة) التي تسمى الخيالة قد تدوم ساعات متوالية
 ﴿ ثالثا ﴾ قد كان رجل يرى أن النجمة ليست شيئا مذكورا فأحصيت نجمات أممته بترتيب ونفس الكلمات
 التي قالها ذما . وهكذا الأشخاص الذين وجهها إليهم والذين قيل القول أمامهم . جميع ذلك أخرج وظهر
 مع أنه قد أتى بكل دقة عند ما كان حيا ﴿ رابعا ﴾ أن رجلا معروفًا كان قد خرم أقاربه من الارث بواسطة
 دعوى مزورة فظهر ذنبه وحكم عليه . والحجب أن الكتب والأوراق التي جرت مبادلتها بينهما تليت على
 مسمع مني ولم تفقد كلمة واحدة وهذا الرجل قبل موته كاد يقتل قريبه بالسهم فظهر بكيفية واضحة وصورتها
 أنه حفر قبرة تحت قدميه ومنها خرج رجل كأنه خارج من قبر وناداه ماذا فعلت بي فكشف كل شيء وذلك
 أن القاتل تكلم معه بهيئة صداقة ومحبة وقدم له الكأس وحضر الفكر الذي تفكره قبل ذلك ثم ماذا جرى
 بعد ذلك . ولما ظهرت هذه الأشياء حكم عليه بالسقوط في جهنم . ثم قال وبالجملة فإن جميع شروهم
 وجرائمهم وسرقاتهم وغشهم وخبائثهم وأرواحهم الشريرة وتخرج بنفس ذا كرمهم ويعلم عليهم ولاسبيل
 إلى الانكار . ثم قال متى كشفت أعمال الانسان له جاءت ملائكة مفتشون فنظروا وجهه وفتشوا جميع
 جسمه مبتدئين من أصابع اليدين إلى آخر الجسم . قال وقد عجبت من أن الأشياء التي فعلها الانسان لم
 تكن مرسومة في الدماغ وحده . كلا . بل هي مرسومة على جميع الجسد . ومعنى هذا أن أوائلها في أول
 الجسم وباقيها مرسوم على الجسم كله مرتبطا منظمًا . فسكل ما فسر فيه الانسان أو عمله مرسوم على الانسان
 كله ويظهر كأنه كتاب يقرأ وذلك عند ظهوره من النادرة . قال وقد رأيت كتابا وفيه كتابات كما ترى
 في الدنيا وأخبرت أنها كانت من ذاكرة أولئك الذين كتبوا وإنه لم تبق كلمة ناقصة مما كتبه ذلك المرء في الحياة
 الدنيا . ومن ذاكرة المرء تؤخذ كل صغيرة وكبيرة . وذلك كله من ذاكرته الروحية الداخلية لذا ذكرته
 الخارجية الطبيعية والرسوم في النادرة الروحية الداخلية لا يعجز ولا يزول وهي يرسم فيها كل فعل وفكر
 وقول وكل مآرأة المرء أو سمعه أو أحسن به . هذا ما نقلته من ذلك الكتاب ملخصا من صفحة ٢٧١ إلى
 صفحة (٢٧٦)

أليس هذا هو نفس قوله تعالى - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - وقوله - فكشفنا
 عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - وقوله - ذوقوا ما كنتم تكسبون - وقوله - يوم تشيد عليهم أستنتهم
 وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - وقوله - وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين - وقوله - وما يجزون
 إلا ما كنتم تعملون - وقوله - وقالوا لخلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - الخ

وقوله - ويقولون يا ربنا ما هذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها * ووجدوا ما علموا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله - وكل شيء أحصيناه كتابا - وقوله - وأحصى كل شيء عددا - وقوله - وكل شيء أحصيناه في إمام مبین - وقوله - وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون -

فهذه الآيات كلها موضحة أشد وضوح في هذه المحادثات التي ظهرت في علم الأرواح الحديث . نعم ان علم الأرواح حدث في القرن التاسع عشر وهذا المؤلف ظهر قبل ذلك ولكنه موافق لعلم الأرواح وهذا كل ما فيه انه موافق للقرآن فان صح كان معجزة صريحة لأنه جاء بما نطق به القرآن . والحق أن هذا زمان ظهور الحقائق ومصدق قوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سببكم آياته فتعرفونها - وقوله - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - الخ - والحمد لله رب العالمين انتهى جوهره في قوله تعالى أيضا - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - مع قوله تعالى فيا يأتني في هذه السورة - قل الروح من أمر ربي - الخ وقوله تعالى فيها أيضا - إن الشيطان ينزغ بينهم - الخ وقوله تعالى في سورة مريم - ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين - وقوله تعالى في هذه السورة - ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم - الخ ﴿

اعلم أيها الذكر أن النفس الانسانية لا يسعها أن تصدق بعوالم تحيط بنا من كل جانب وتلهمنا خيرا أو تحدث في قلوبنا شرا . ولقد قدمت في مواضع من هذا التفسير نصوصا عن كبار العلماء شرقا وغربا والنبي ذكرته من ذلك كاف موجب للعلمانية . ولكني الآن أريد أن أضف الى ما تقدمت معاشرته عليه بعد ذلك فأولا أذكر لك كلام الامام الغزالي في الاحياء ثم أتبعه بكلام بعض علماء الأرواح لتجيب من هذه الدنيا ومن عاقلها وأن الانسان قديمه وحديثه يبحث عن الحقائق . فها أناذا قد ذكرت فيما مضى في غير ما موضع وأقربها ما في آخر سورة النحل أن علمنا الذي نبش فيه قد جعل الله فيه الخير والشر مقرونين في قرن . فترى السباع في مقابلة الأنعام والحيات والعقارب فيها سمها يقابل ترياق أجسامها كما تراه هناك مبرهننا عليه بتجارب الأطباء وهكذا الحيوانات الزرية التي لا ترى إلا بالمنظار المعظم ظهر كما تقدمت هناك أن جرهما ترياق لسمها كالحيات سواء بسواء . هذا كله تقدم ثم تخطي الناس ذلك الى عالم الأرواح لأنه ما الذي بعد هذه الحيوانات التي لا ترى بالعين إلا العوالم التي لا ترى أصلا . فانظر الى كلام الامام الغزالي رحمه الله فهو يقول في المجلد الثالث من الاحياء تحت عنوان ﴿ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ﴾ لقد أفاض في هذا المقام في بيان أسباب قبول العبد الوسوسة تارة والالهام أخرى الى أن أوضح أن هذه الخواطر المنقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ خواطر الخير وخواطر الشر حادثة والحادث لا بد له من محدث ومحدث الخير غير محدث الشر فالداعي الى الخير نسميه ملكا والداعي الى الشر نسميه شيطانا واللفظ الذي يتبها به القلب لقبول الأول يسمى (توفيقا) والذي يتبها به لقبول الثاني يسمى (إغواء) والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه افاضة الخير وسخره لذلك والشيطان خلق ضد ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - * وروى عنه عليه السلام أنه قال ﴿ في القلب لثمان لمة من الملك إبعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى وليحمد الله ولثة من العدو إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء - الآية ﴾ ثم انظر الى ما يقوله علماء الأرواح في الأعصر الحديثة . جاء في كتاب ﴿ السماء وجهم ﴾ الذي نقلت عنه في سورة التوبة قال في عدد ٥٧٨ ماماخصه

إن شر أهل جهنم جميعا أولئك الذين كانوا في حياتهم يحبون الشر ولا يحبون إلا ذواتهم وحدها ولا يسلكون

إلما سلك الخلد وطرق الفس . وهذا الخلد الذي تشبعت به أفسارهم يفيض منهم على غيرهم فيوسوسون اليهم ويكون ذلك عموى . أقول كالمعدوى الحاصلة بالحيوانات الدرية . قال وهؤلاء يسمون جناً وهؤلاء يكون نعيمهم وسعادتهم وسرورهم بأن يدسوا السم في السم ويخدعوا غيرهم بالوسوسة فينشقون السم في نفوس غيرهم كما تنفث الأفاعي سمومها في الأجسام فالحيات بتفريق سمها تفرح وهؤلاء بتفريق وسوستهم وغشهم يفرحون ويمرحون . قال والذين ليس عندهم هذا المسكر وهذا الخلد المستم من حب الذات يكونون في عذاب أقل . ثم قال انهم يسمون العواطف كما تسم الكلاب البهائم البرية في حرس . ثم ان العواطف الصالحة متى أدركوها تتحول حالا الى عواطف شريرة وتقودهم بكيفية عجيبة وعذريتي وتحييولن بحيل أن يدخلوا المقاصد الرديئة بأوهام تؤثر في الانسان وهؤلاء يسمون فحولاء بعد الموت نفس ما كانوا يفعلون في الحياة الدنيا ويرون في هذا نعيمهم وسعادتهم وعزهم . قال والله يبعد هؤلاء عن هوصالح قال وهذه الأرواح الشريرة تهيج في الانسان الشرور والذائل الموروثة التي تبق مخبأة فهو لا يستخرجونها ويظهرونها فتكون ضرا وبلا على الانسان

وقال في عدد (٥٩٤) ماملخصه ان سكان الجنة طوائف وطوائف وهكذا سكان جهنم وكل عقاب لطافه من طوائف أهل النار يقابله نعيم لطافه توازيها في جهنم . ويقول إن هذين القسمين لابتدئتهما في الوجود كله . ففي عالم الطبيعة ترى الحر والبرد والظلمة والنور والرطوبة واليبوسة . ويقول ان الانسان لآخرة له إلا بأن يكون له وسوسة وإلهام فيكون عنده الداعيان داعي الخير وداعي الشر . وهذان الداعيان يجاذبان فهو بينهما يختار ما يوافقه ويجاهد في دفع الآخر حتى يختص بأحد الأمرين . انتهى

أفلا تلاحظ أن ترى العقول البشرية في الشرق والغرب التفت في نقطة واحدة فتري الامام الغزالي يأتي بالحديث ويدكر الوسوسة والاهرام ويقول هما مسخران من الله ونرى هذا العالم الانفجحي الروحي يقول مثل ما يقول بعبارة أخرى ويرجع الى أن كل شئ زوجان . انظر كيف اتفق القولان مع ما بينهما من بعد الشقة والدين والزمان وهذا من العجب العجيب

اللهم ان العلم هو السعادة في هذه الحياة . انظر كيف يقول في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ أن هذه الأرواح الشريرة تحبس بلذة . فياجبا . إذن هي مستلذة بالوسوسة كما يستلذ الناس في الدنيا بالتغلب على أعدائهم وبذل من يحسدونهم وهلاكهم

﴿ موازنة بين ماجاء في كتاب (السماء وجهنم) المذكور وبين ماجاء في كتاب الابريز الذي ألفه الحافظ أحمد بن المبارك عن أستاذه عبد العزيز الدباغ الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري أي قبل أيامنا هذه بنحو قرنين اثنين والكتابان في زمان واحد وهذا شرق وهذا غرب وكلاهما يرجعان لعلم الأرواح ﴾

ان الاستاذ الحافظ أحمد بن المبارك المذكور قد ظهر من كلامه الذي قرأته أنه كان بحرا في العلوم الاسلامية والحكومية والصوفية وهو ذكي قدير ولكنه لما قابل الشيخ عبد العزيز الدباغ رآه رجلا أميا . وهذا الأمي أدهشه فانه لا يحفظ القرآن ولا الحديث ولا يعرف من هذا شيا ولكنه رآه يعلم فوق ما يعلمه جميع الفلاسفة وعلماء الدين في أمة الاسلام . وسأذكر في مواضع أخرى من هذا الكتاب بعض المحاورات التي جرت بينهما بمناسبة آيات من القرآن وأذكر هنا ما يناسب ما نحن فيه . ذلك انه قال في صفحة ١٦٥ ما يأتي

﴿ ان الرجل الذي اذا أمكنته المعصية أقبل عليها واستحلاها غاية الاستحلاء وتشوق اليها بالكلية يستحليها يوم القيامة فينقطع الى العذاب بجميع شراشره ويتشوق اليه بالكلية ويقع فيه المرة بعد المرة ويستحليه استحلاء الجرب للحك وعلى قدر ما يحك يكون وباله ﴾ . انتهى

أقول وهذا هو نفس ما نشاهده في الدنيا فإن الإنسان على مقدار حبه لزيادة المال أو المناصب يزداد نصبا وتعبا فهو كالأجرب . أفلس ترى أن هذا المعنى هو الذي جاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ فيا قدمته لك هنا أن الأرواح الشريرة تفرح وتنعم بخداع غيرها . إذن نحن الآن في حياتنا الدنيا على هذين الرأيين تتجاذبنا أرواح ونحيط بنا نفوس منها من يريد بنا الخير . ومنها من يريد بنا الشر وكل يفرح بظهور آثاره فينا والأرواح الشريرة تريد عذابا بنعيمها باضلالنا والعكس بالعكس . إذن صار عذاب هذه الأرواح الجهنمية في البرزخ بما به تستلذ كما تستلذ الحيات والقارب والناموس بادخال السم والأمراض في أجسامنا فنهرب منا ونطاردها في أماكنها

﴿ نظرة أخرى في هذين الكتابين وذكرهما عذاب جهنم ﴾

جاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ في هذا المقام ما يأتي
ان الكوى والأبواب تكون تحت السهول والأودية بهيمات متنوعة وتحت الجبال والشلال والصخور وتكون أشبه بالعمى والكهوف أو كالغياض وبحيرات الماء وهي مغطاة لاتتقلاح إلا عند ما تطرح فيها أرواح شريرة من عالم الأرواح بعد امتحانها واذ ذلك يخرج بخار مع نار ودخان كالسحابة الذي يخرج من المشاغل ومعها لهب وبعضها سراديب مملوءة ظلمة . وفي بعض طبقات جهنم أكوخ سيئة البناء كأنها مدينة طائفة بالأزقة والشوارع وفيها تسكن الأرواح الجهنمية وهم في قتال مستمر وقد تقدم بعض هذا . انتهى
وانظر ما يقوله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيما نقله الحافظ أحمد بن المبارك في صفحة ١٤٢ في كتاب البرزخ قال الحافظ أحمد بن المبارك . أذكر هنا بعض ما يشاهده المفتوح عليه . قال انه يكشف بأمر منها أفعال العباد في خلواتهم . ومنها مشاهدة الأرضين والسموات . ومنها مشاهدة نار البرزخ وهذا البرزخ ممتد بين السموات السبع والأرضين السبع وتكون فيه الأرواح بعد خروجها من الأشباح على درجاتها وأرواح أهل الشقارة في هذه النار وهي على هيئة منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش وأهلها في نزول وصعود دائما لا يكلمك الواحد منهم كلمة حتى تهوى به هاويته . قال وليست هذه النار هي جهنم لأن جهنم خارجة عن كرة السموات السبع والأرضين السبع وكذلك الجنة الخ . انتهى

فتجب من اتفاق الكتابين على رأى واحد وأن جهنم تكون بعد الموت فعلا وليكنها جهنم البرزخ والذي عرفنا أنها جهنم البرزخ هو الشيخ عبد العزيز الدباغ . أما صاحب كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذي تقدم فانه يظن انها جهنم الأصلية . إذن الشيخ عبد العزيز الدباغ أعلم من صاحب كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ يظهر من هذا كله أن هؤلاء يرون أن المجموعة الشمسية التي نعيشها هي التي فيها البرزخ وأن هذا البرزخ هو هذا الحق الواسع الذي بين الكواكب السيارة الدائرة حول الشمس وأن أرواح الأحياء اذا خرجوا من الأجساد سارعوا الى الأماكن المعلقة لهم في ذلك الحق . ولا جرم أن هذا أمر روي لأنا في عالم الأجسام لانعرف شيئا له وجود في هذا الحلاء . ومتى قامت الساعة وطاحت هذه المجموعة الشمسية هي وغيرها جعل أصحاب النار وأصحاب الجنة في أماكنهم التي سيصاؤون بها في الجنة والنار اللذين هما في عوالم أخرى لاندر بها . وسترى ان شاء الله في سورة النور عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - مبحثا في نقطة الماء وأن هذه النقطة وجميع المادة التي نعيش فيها ليس فيها من المادة إلا جزء قليل جدا وما هي إلا خلاء نسبة للملء منه بالمادة الى الخالي منها كنسبة واحد الى مائة ألف ألف ألف جزء . فاذا كانت نقطة الماء تسع (خمسة مائة ألف ألف ألف ألف ألف) جوهرة فرد وهذه كلها لاتشغل من القطرة المذكورة إلا جزءا يكاد يكون معدوما . فاذن المادة من هذه الوجهة تكاد تكون عدما . فلو فرضنا هذه النقطة مدينة تسع (مائة ألف ألف ألف ألف) حجرة فلا تشغل تلك الجواهر الفردة المتقدمة إلا حجرة واحدة منها . وعلى ذلك

يكون هذا العالم الذى نعيش فيه من أرض وسماوات ومعدن ونبات وحيوان أشبه بالمردوم وإنما الموجود كله هو الأثير المائى لهذه العوالم كلها وهذا الأثير هو الذى توجد فيه الأرض والكواكب وفيه تسكون الأرواح ولها حياة قبل اليوم الآخرة روحية تقدم وصفها . إذا علمت هذا فانك ستفهم ماسيعرض لك من المراسلات بين الأرواح وبين الناس

إن علم الأرواح انقشر وملا الأقطار كلها والمسلم لا يمكنه أن يعيش في خلوة فهو يقرأ هذه العلوم التى ملأت أوروبا والشرق ويقرأ رسائل كثيرة ترد من الأرواح بالطرق التى ذكرتها في كتاب **«الأرواح»** فيحصل للمسلم من هذه المراسلات شكوك وأوهام فيقول في نفسه **«إذا كانت هذه الأرواح فرحة مسرورة فأين عذاب الكافر منها أو الفاسق»** فإذا علم المسلم ما كتبناه هنا أدرك أن شقاء الفاسق والكافر منها أشبه بحك الأجر لجربه وأن العذاب يصحب اللذات كما أن الحية والعقرب فرحان بحياتهما بل لا تعرفان حياة سواهما فافهم ذلك . وهالك أسئلة على ذلك من كتاب **«بهجة الأفراح في مناجاة الأرواح»** المؤلف حديثا المطبوع سنة ١٩٢٨ م جاء فيه ما يأتى

«نحن هذا الروحى الذى نسينه الآن نحل شغل وحركة لا نحل كسل وبطالة غير أن قليلا من الموسيقى والتريتل يكون مستطابا ومقبولا لكن بشرط أن لا يدوم النهار كله» اهـ

وأوضح من هذا ملجاء في رسالة من روح والد يسمى يوسف وردت في نيسان (ابريل) سنة ١٩١٩ في (واشنطن)

بأمريكا جاء فيها نصائح لابنه ومنها ما يأتى **«سيحصل الانسان ما زرعه وسينال مكافأة أعماله في هذه الحياة الأرضية . وأما الغفران فليس مجرد التخلص من القصاص بواسطة أمر الله بل هو مغفرة وأحوو الأعمال المغايرة التى ليست مرضية وتؤثر ببطء تدريجيا في نفس الانسان وهكذا عند ما يصير روحا من الأرواح السالوية يجب أن يتجدد ويتكلم على نفسه فالروح يجب أن توفى كل ما عليها من الدين قبل أن تنال النفس المغفرة وتوافق النفس ارادة الله ونواميسه»** ثم قال **«وهنا أقول لك دعنى أقل لك انه لا يوجد إيمان أوسر أو معتقد كنيسة من الكنائس يقدر أن يمتنع هذا الغفران انما هو عمل من أعمال النفس وينبئ للانسان أن يسئ له ويحذر ويبتعد . كتبت كل هذا حتى أريك يا بنى أن النظام قاس لا يلين . وقد تكلم قليلون وهم الذين يفهمون نظام الأعمال وتأثيرها في الانسان فهم انهموا ويسوون استعمالها خصوصا خدمة الكنائس وعاطفها المنتحلين دائما السلطة الروحية . وقد عرفت مما تقدم أنه يجب على الانسان أن يبتعد عن هذه الأشياء التى تدنس نفسه وتفسد أخلاقه ولكن لا لأسف أكثر الناس بدل أن يتحاشوا هذه الأشياء يزيدون الطين بلة فيأتون الى العالم الروحى مثقلين أنفسهم بأحمال ثقيلة . وهكذا تبقى أعمالهم وأفكارهم غارقة في لجج الأهواء التى لا ترضى فهؤلاء يجب أن يقضوا في عالم الأرواح أدوارا عديدة لكي تظهر نفوسهم من هذه الأشياء . فالإيمان والرجاء الكاذب لا يفيدانهم شيئا لتطهير نفوسهم بل يكونان حجر عثرة»** انتهى المقصود منه

أفلا ترى أن هذا القول وما قبله صريحان في أن كثيرا من هذه الأرواح معذبة وإن كانت تخاطب أحبابها في علانها . ها هي ذه الرسالة الأولى يقول فيها ان الحياة كلها عمل والله يقول - وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة - الخ فهذا نوع من النصب وانظر كيف يقول ان الإيمان والرجاء الكاذب عقبة في سبيل المغفرة إذن ليفهم المسلمون أن هذه الأرواح التى تراسل أفكارها في أمريكا وفى أوروبا تسكون في عذاب . ومن العذاب الشغل القاسى وانظر كيف يقول ان النظام قاس لا يلين . ثم انظر كيف يتس من العقيدة الدينية الزالفة عن محجة الصواب بسبب القسيسين والقائمين بأمر الدين . ولعلم المسلمون قاطبة أن هذه العاقبة هي عاقبة الكسالى المساهين الذين تركوا مواهبهم وعقولهم في الدنيا وانكسوا على شيوخهم ونظرانهم أولئك

هم المفلورون . انتهى والحمد لله رب العالمين

وجاء في الكتاب المذكور (بهجة الأفراح) أيضا صفحة ٩٣ و ٩٤ ما يأتي
سئلت روح (يؤب أنجوسول الجاحد) ماهو الشيء الذي أدهشك بالأكثر حينما انتقلت الى عالم الأرواح
(فأجاب) معرفتي الحق وانى ذوقفس أزلية خالدة لم أمت ولن أموت . ثم سئلت ما الدين الحق (أجاب)
هى أن تبلغ نفوسنا أسمى درجة فى القرب من خالقها وتكسب من محبة الفاتحة ومن ألوهيته العظيمة التى
لا تنتهى . وقد سئلت أيضا الأسئلة الآتية

(س) هل تقدر أن تعرفنا ماهو الاله

(ج) إن الله هو الخالق والمبدع والكل فى الشكل والذى بدوره لم يكن شئ مما كان وسيكون وهوعلة
كل العلل ومصور كل الحوادث الطبيعية . هو البداية والنهاية والأول والآخر الذى لم يكن قبله ولا بعده
شئ من الكائنات

(س) هل الاله موجود منذ الأزل

(ج) نعم . نعم . نعم هو أزلى وكل مادة الكون صادرة منه

وجاء فى الكتاب المذكور أيضا أن طبيبا يسمى (الدكتور هانسان) جرى شوطا عظيما وجد فى بحث
علم الأرواح وكتب عشرات من الأرواح أسماءها على الأوراق تارة وعلى الأشجار أخرى بدون أن تسما يد
انسان بمصوره مع جم غفير من العلماء والفلاسفة . وهذه الامضاآت شهد الحاضرون أنها هى نفسها امضاآت
أولئك العلماء فى حال حياتهم بالذقة . ومن جملة الذين كانوا يظفرون بأشخاصهم بسبب وجود الوسيطة روح
رجل يسمى (جورج خريستى) فلم يسع الدكتور (هانسان) فى مقابلة مساعدة روح (خريستى) المذكور
إلا أن يشكره شكرا جزىلا على مساعدته فى اظهار الحقائق ثم قال الدكتور (هانسان) لروح (خريستى)
المذكور انى مستعد لمساعدتك . فأجاب الروح بما يأتى

أيتها الدكتور . أظهرت كل لطف ورقة بقولك لى انك مستعد لأن تجرى نحوى كل مساعدة فأقتر
لك هذا القول اللطيف حق قدره ولكنك لاتقدر أن تصنع لى شئاً . إن الغلطة التى ارتكبتها المسيحية
هى ترك ملابسنا الكتانية المماودة دعارة ونجاسة ليسوع المسيح لى يسفلسها وينقلها ويقصرها بيننا نحن
نقضى معظم حياتنا الأرضية فى ارتكاب المعاصى والآثام . الحياة الشريرة التى تضعف رجاء الآخرين وتقطع
آمالهم من الخلاص والمحبة الالهية . هؤلاء الخطاة والأثمة انهمكوا بالخلاعة فتعالهم الديانة المسيحية انهم اذا
تابوا فى آخر ساعة وآمنوا بالمسيح وندموا ندامة تامة تغفر لهم كل خطاياهم ويسألون بدم المسيح فيصبحون
أبرارا أظهارا يستحقون أن يدخلوا السماء . فهذا الاعتقاد فاسد لانشر به هنا ولا نعلمه لأن النفس لا يلزمها
كفارة بل يجب عليها أن تطلع اشراعها كما تسير السفينة الى ميناء الأمان حالما تطلق من الجسم المادى
المسجونة فيه فاصدة أن تملك لنور الطهارة حيث تستعد لتفرل فى حلال الراحة والسلام والسعادة الأبدية مع
الله عز وجل الذى هو أصل المحبة والجمال وعلى كل انسان أن يقرع باب السماء بنفسه وبحسب استحقاقه
ويرى صك المرور فلا يستطيع أن يختاس الدخول الى السماء خلسة بل يجب عليه أن يشتغل بجهد واجتهاد وكل
منا يسكن النطقة التى تليق به وعلى مقتضى تقدمه ودرجة اختباره وارفاقه وما يحصله من المعارف والعلوم
وأساب الرقى . وهكذا يظل يجاهد بنفسه ليرتقى من كون الى كون ومن كره الى كره ومن مسكن الى
مسكن . وتختلف هذه المساكن الكثيرة بالجهد والثناء والكرامة والراحة والنور ولا تقدر أن نصفها بلسان
لذهمه العالم الأرضى . وفى هذه الأحوال قد بذلت مقدرتى لأوضح ما نحن فيه من السعادة والعدل انتهى . ولى
ذلك الامضاء .

(جورج خريستى)

ويقول الدكتور (هانسمان) انه حصل على كل ما ذكر هنا في (١٥) دقيقة

(تذكرة)

سيد على خاطرك أيها الذكي أن هذا مسيحي وكيف ينطق بهذا القول . أقول لك انه قد أظهر في قوله ان المسيحية مشوشة ضارةً بالنوع الانساني . أليس هذا هو النسخ الذي ورد في ديننا فترجع وتقول لي كيف يصف الأنوار في الحياة الأخرى وانهم في ارتقاء . أقول لك هل نسبت ما تقدم عن الشيخ عبدالعزيز الدباغ وعن الاستاذ (عمانوئيل) العالم الروحاني . فهذا افرنجى وهذا مسلم كما قدمت وكلاهما يقول ان العذاب في البرزخ أى بعد الموت يكون أشبه بحك الأجرب جربه فهو يحك ليستلذ فيزيده الحك مرضا كما نرى في الدنيا أن الانسان يعطى المال فيطمع في الزيادة فكلما ازداد مالا ازداد غما . وهكذا الصيت والذكر وهكذا الملك . فها هو ذا (نابليون) توغل في الملك وكان آخر أمره أنه جبس في جزيرة (سنت هيلانه) فهل نحن نعرف تلك الأنوار التي ذكرها فلعلمها كالأنوار التي يراها القراش فيطير اليها فيحترق . وقول لك حك الأجرب هي عبارة الشيخ عبد العزيز الدباغ . وقد تقدم أيضا عنه أن العصاة يشتاقون الى العذاب فاشتياق هؤلاء الى درجاتهم ربما كان اشتياقا الى العذاب . وأما (عمانوئيل) فعبارته المتقدمة تقرب من هذه . فانطركيف يقولون انهم يعملون ويحبون . أليس هذا العمل عذابا مع ان المعلوم عندنا في ديننا أن أهل الجنة في نعيم الخ . فقال وماذا تقول في قولهم ان الرقي بالمعلوم والمعارف . أقول لك قد رأيت في كلام (عمانوئيل) المتقدم وفي كتاب الشيخ (عبد العزيز الدباغ) أن الأرواح الشريرة تكون علومها هي علوم السحر والطلسمات فهذه العلوم تكون عذابا لها ويكافئها الله الى نفسها ويكون ذلك كله عذابا لها فلعلمك تقول بعد هذا كله أنا غير مقتنع فأقول أحلك على ما تقدم من أن هذه هي حال البرزخ وليست هذه هي الجنة ولا ضدها والرجل لم يقل ذلك إلا لأنهم ملأون بالمعاصي وهم الآن يحبون في العمل ليخلصوا منها فنقول لي وكيف يخلصون منها وهم كفار . أقول لك أذكر لك بما نقلته في هذا الكتاب في موضع آخر عن الامام الغزالي ان عذاب الناس بعد الموت لا يكون على الكفر . كلا . وانما يكون العذاب أولا بترك المشتهيات ثم بعد أن يعذب على الذنوب وهكذا . فأما العذاب على الكفر فاما يكون يوم القيامة فراجعه اما فيما سبق في هذا الكتاب واما في شرح العلامة المناوي على قصيدة ابن سينا في النفس التي أوطأ

هبطت اليك من الحل الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتتمتع

ولعلمك تقول كلامك لا يروى من غلة ولا يشفي من غلة فأنا الى الآن لم أفهم . فأقول لك اقرأ كتاب (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) للغزالي فتقول أنت قرأته فلم أعرف ما قصد . أقول ان الخواصم مجهولة فربما يكون بعض من تنوهم انهم في راحة من الأرواح قد أسلموا ونحن لانعلم أوتسكون بعض تلك الأرواح لاعلم لها بالاسلام مطلقا ولم تسمع به أو سمعت به مشوها على غير حقيقته فتقول لي أنا الى الآن لم يسترح ضمه برى . أقول إذن يكون الكلام بعد هذا كله من باب الوسوسة ونحن نريد في الأم الاسلامية بالعلم والحكمة . وياك أن تظن أن اعتناك الاسلام وحده بلا علم ولا عمل بكفك فلا بد من الجهاد في الحياة الدنيا . وياك أن تضع وقتك فيما لا يجدي نفعا . ودع الوسواس واقرأ قوله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقوله - أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون -

فما أتممت هذا المقال حضر العلامة الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . فقال قد ذكرت هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير أن أرواح الأموات يهتدون بأقاربهم ويعلمون أحوالهم كما ذكرت هنا فهذا

بدل على اتصال بين الحي والميت وإن لم يعلم الحي . وهذه النصوص التي تقتنها عن أهل أمريكا وأوروبا لا يثق الناس بها وأنا أقولهم إلا إذا جاء في ديننا ما يماثلها . فقلت فاسمع مجاه عن علمائنا الأجيال جاء في كتاب « مشارق الأنوار » نقلا عن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشرنقاني رضي الله عنه مانصه « كان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول إن الأموات لتأنيهم أخبار الأحياء فما من أحد له حليم أي قريب إلا ويأتيه خبر أقر به فان كان خيرا سر به وإن كان شرا عبس له وحزن » وقال أيضا وكان أبو الرداء يقول « اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملا تحزني به أمواتي » قال وكان وهب بن منبه يقول « إن الله تعالى بنى دارا في السماء السابعة يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم من سفر » * وروى أن الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كلهم ما فعل فلان . هل تزوج فلان . أو تزوجت فلانة ونحو ذلك »

ثم قال في صفحة (٣٨) من كتاب المشارق المذكوران بعض العارفين قال انه يؤخذ لروح صورة من بدنهما تتميز بهما عن غيرها ولذلك تتصف بالاتصال والانفصال والصعود والنزول وغير ذلك من الاعراض والشخص كل نوع تبيل الى بعضها وتنفرد عن مخالفتها ونقل في صفحة (٣٨) عن الامام النووي مانصه « وأصح ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين ان الروح جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر » وإلى هذا الخلاف قال اللقاني

ولا تخضع في الروح إذ ما وردا * نص عن الشارع لكن وجدا
لما لك هي صورة كالجسد * حسبك النص بهذا السند

ثم قلت له . إذن ظهر لك أن علمائنا كانوا يتناقلون فيما بينهم هذه الآراء فهم يقولون ان الأرواح تهتم بأقاربها الأحياء . ويقولون ان صورة الروح كهورة الجسم الجسدي ولكنها طليقة . وهذان الأمران هما اللذان ظهرا في علم الأرواح . فهذه الصورة يقول علماء الأرواح انهم رأوها كهورة الجسم في الحياة وأن الأموات يهتمون بالأحياء . ونقتم عن اللورد (أوليفر لودج) الانجليزي مثل ذلك في مواضع كثيرة من هذا التفسير . إذن صار علم الأرواح الحديث . وفاقا لما كان يقوله علماءنا . فقال وهل هذه الأحاديث المتقدمة صحيحة . فقلت عجبا . نحن الآن لسنا في مقام صحة الأحاديث وضعفها بل نحن في مقام أن هذه كانت آراء يقولها المسلمون فلنكن هذه أقوال الصحابة أو غيرهم من الصالحين إنما المراد أن نوع هذه الآراء لا ينكرها الاسلام . فقال قد اكتفيت . فقلت الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . انتهى

« الطليقة الثامنة - ولا تزر وزر أخرى - الى قوله - خيرا بصيرا - »

بعد أن بين قبل هذا كيف تنضح الذنوب وتظهر العيوب تعدد سبحانه هذا الباب ليعين لنا ما لنا وما علينا ومحمله أن الذنوب على « قسمين » قسم يختص بالمرء . وقسم يعم كثيرا من الناس . ولأوضحه بمثال فأقول . قتل رجل رجلا . فهذا القاتل قد أذنب ولا يعاقب سواه على جريمته لافي القانون ولا في الشرع وهكذا جميع الذنوب . ورجل آثر أعلن فسقه وزر به للناس وأخذ يذيع شره الفسقي ونظمه الضار فاتبعه أسس فذلك ذنبه على نفسه أيضا . ولكن هناك أمر آخر وراء ذلك وهو أن الأمم تتأثر بمؤثرات ترسخ فيها فتنتقل العدوى من زيد الى عمرو . ألم ترى الأمراض المعدية والطاعون وبعض أنواع الحيات المعدية . ومن المشهور أن زيدا يتشاء فيتأثر خالد والعادات تؤثر تأثير الطاعون والأمراض المعدية . إن الناس يعيشون بالقدرة لا بالتعليم فالتعليم في الكتب والأخلاق والعادات جاريات بين الناس معلقة بأذهانهم لاصقة

بهم محكمة فيهم لا يحدون عنها حولا فيكون للأمة ذنوب عاتية وعيوب جارحة تشملهم جميعا . ومما شل
الأمة إلا كمثل رجل ابتلى بمرض الزهري فولد أولادا مرضوا بهذا الداء فتصبح أجسامهم وأخلاقهم وآدابهم
معتلة فهنا عذب صاحب الذنب في الدنيا والآخرة ولحقه في هذه المذلة أبنائه ومن اقتبس المرض منه باللامسة
ولسكن هذا العذاب ليس على الجناية بل هو نقص طبيعي يجرهم من بعض منافع الدنيا وتسوء أخلاقهم
وتنحط فتكون سعادتهم في الآخرة أقل . ولذلك يقولون ﴿ إن البلاد يم ﴾ فالذنوب إذن ﴿ قسبان ﴾
خاصة ووبالها على صاحبها وذنوب عاتية يعذب بها الشعب كافة والعذاب في الدنيا بانحطاط الأخلاق والأعمال
وفي الآخرة بعدم ارتقايتهم لنقص أعمالهم . إن الشعب أشبه بشجرة لها أغصان ولا أغصان فروع وللغروع
أوراق فإذا ساء سقمها أوسدت عناصرها المغذية لها شملها الضعف وإن أودى غصن أوراقه أفرع اختص
به ماتج من ذلك . إن بين النفوس رابطة متينة فالأمة مرتبطة بالأمّة مرتبطة ومستحيل أن تسكمل
الأفراد إلا بجرح جليل يعمهم ورأى شريف يعهم ثم هم يفتلون على مقتضى اجتهدهم
اللهم إنا جئنا إلى هذه الأرض فرادى ولكنك جمعنا وطلبت من الجع أن يعد أخلاقا وعادات ولنلك
لما رأى الأنبياء ذلك اهتموا بأمر الشعوب فلهوهم . فأما إذا اقتصر النبي على تعليم نفسه لم يكن لهذا من
أثر فعال . ومن اقتصر على تعليم أولاده ورقاهم في أيّ شعب كان فليعلم أن الوسط له أثر السيئ فإن الخادم
والطابع والجار والشرىك كل هؤلاء سيأخذون مجراهم على حسب عاداتهم ويكون أبنائه غرباء بينهم فلا بد
من روابط عمّة في المجموع . فالذنوب على ذلك ﴿ قسبان ﴾ أحدهما ﴿ لشخص خاصة ﴾ والثاني ﴿ للمجموع ﴾
وهذا معنى هذه الآية . فقله ... ولا تز وازرة وزر أخرى - إشارة إلى الأول وقوله - وإذا أردنا أن نهلك
قرية أمرنا مترفها - الخ إشارة إلى الثاني . إن الأمة كلها كشجرة سيء سقمها وعناصرها الأرضية فتذبل
كلها . هذا هو قوله تعالى - أمرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - لأننا وجدناهم
لا يعملون للحياة فإن الأفراد الذين فسقوا فيهم لم يجدوا من يردعهم فالقوم إذن في عداد الذين ليسوا بأحياء
فليموتوا أو فليسألوا . إن الأمة التي انغمست في الترف والنعم تقاطع رجالها وتفسد أخلاقهم وهو الذي
حصل في أمّتنا الإسلامية . انظر إلى الدول الإسلامية كيف اضمحلّت بالشهوات وجب الذات وجعل النافع
العامة ففارقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض في بلاد الشرق وفي بلاد الأندلس . فلقد استكثر الأمويون
في الأندلس من البربر وهم شيعة وهم الذين قاموا بنصر عبد الرحمن الداخل أول مرة على منازيته من شيعة
العباسيين الذين كان لهم الحكم قبله بل هم نصرته أيضا على جيوش (شربان) التي أرسلها لخر به ترافا
لصديقه الخليفة العباسي في الظاهر وخوفا من اتساع ملكه إلى أرض فرنسا في الواقع . ولقد كان العباسيون
يستعينون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين وأكثروا من الماليك . هكذا الأمويون بالأندلس
فانهم لما ثبتت غمهم في الملك أخذوا يقدلون العباسيين في استكثارهم من الماليك العقابلية وغيرهم خصوصا
في أيام الحكم بن هشام وعبد الرحمن الناصر حتى أصبحت لهم التكالمة النافذة في البلاد وصار حكمها من بعده
في أيديهم وأصبح حالهم هنا حالهم في الشرق شرا بشرا وقدميا بقدم وكانت أنفسهم كثيرة منهم تتحدث في قراراتها
بتخطي الرقاب وطرق كل باب إلى الوصول إلى منصة الحكم ولا يقعد بهم عنها إلا ما كان يحيطها من ربح مشروع
وسيف مساوول وعظمة قائمة وسلطان قدمه في الأرض ورأسه في السماء . وعلى كل حال فانهم كان لهم التصرف
المطلق في داخلية الدولة . وخالف الأمويون في الأندلس آباءهم في دمشق في محافظتهم على عصبيتهم العربية
وضفت بذلك شوكة العرب وتقموا على حكومتهم ومازالوا يتربصون الفرصة للخروج عليها حتى أيام ابن أبي
عامر وزير الحكم بن الناصر وكان من العرب المنتصرين إلى عصبيتهم فأخذ بدهائه في التفرقة بين العناصر
المتغلبة من صقالبة وأتراك وبربر ثم بالإيقاع بهم شيئا فشيئا . وكان في أثناء ذلك يستقدم رجالات من بربر

الغرب من (زناته ومصموده) وغيرهم وكان يولمهم مناصب السولة حتى اذا شعروا بضعف الخلفاء ومن والاھم أخذوا يخرجون على دولتهم ويستقلون بأطرافها . وأول من بدأ منهم بإستيلائهم بنوجود في قرطبة ثم بنوعباد في أشبيلية ثم بنوزيري في غرناطة ثم بنو جهوري في قرطبة ثم بنوذى النون في طليطلة ثم بنوعاصر في بلنسية ثم بنوهدي في سرقوسة حتى غلبهم على أمرهم الفرنجة من الشمال والمرابطون من الجنوب وكثيرا ما كانت مالوك الطوائف يحاربون بعضهم بعضا طمعا في استيلاء هذا على ما كان في يد الآخر حتى انتهى أمرهم الى الضعف وصاروا يدفعون الجزية الى (الاذيفونش) غير ما كانوا يلاقونه من الهوان من الفرنجة وما زالوا حتى ضاقت صدورهم من غدر مالوك الفرنجة بهم وسوء معاملتهم لهم فأجمعوا فيما بينهم على استدعاء عرب المغرب لنصرتهم وكان هذا رأى ابن عباد صاحب أشبيلية وكان المغرب وقتئذ في حكم المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين سلطان المغرب من أقصاء الى أقصاء فلما وصلت اليه دعوة ابن عباد قبلها وأجاز الى الجزيرة سنة ٤٤٩ هـ بجيش جرارة على رأسها قائد العظم داود بن عائشة وسار هو ومقارنته وزيره الكبير سير بن أبي بكر اللتوي فقابلته جيوش الأسبان متجمعة بقرب بعلبوس وعلى رأسها الاذيفونش ملك (القوط) ووقعت بينهم موقعة تشيب لها الولدان انتصر فيها ابن تاشفين انتصارا باهرا . وهذه الواقعة يسمونها (واقعة الزلافة) وهرب الاذيفونش بعد أن جرح في يده جرحا بليغا ثم طلب الصلح من بني تاشفين فسمحه ذلك لمدة خمس سنين فأخذ فيها الاذيفونش على نفسه أن لا يتعرض للمسلمين بشئ مطلقا وخلصت بلاد الأندلس من مظالمه وما كانت تدفعه اليه سنويا من الجزية وتسمى ابن تاشفين بعد هذه الواقعة بأمر المسلمين . وقد غنم المسلمون من هذه الواقعة شيئا كثيرا جدا من الأموال والأفئس ففف ابن تاشفين عنه وتركه جميعه لأهل البلاد وانصرف عن الأندلس الى المغرب تاركا وراءه جبال العمل وجبل السيرة

وفي سنة ٤٨٦ هـ أجاز ابن تاشفين الى الأندلس جوازته الثاني لأن أهله شكوا اليه من كثرة المكوس (الضرائب) التي تأخذها منهم مالوكهم . فلما وصل الى الجزيرة الخضراء خافه مالوك العرب وقطعوا الميرة عن جيوشه بعد أن اتفقوا مع مالوك الفرنجة عليه فقصد بلادهم واستولى عليها واحدة بعد واحدة وبعث بنى بلسكين أصحاب غرناطة الى المغرب فقضوا فيه بقية حياتهم ثم قصد أشبيلية لما علم بفساد دخيلة ابن عباد وانه استجار بالاذيفونش عليه وأخذه أسيرا وأرسل به الى أنمحات من أعمال مراكش حتى مات في اعتقاله بها سنة ٤٩١ هـ ثم قصد بعلبوس وقبض على ملكها ابن الأفطس وقتله . وبذلك أصبحت الأندلس من أقصاها الى أقصاها في حوزته إلا (سرقسطة) وهي في شمال (اسبانيا) فانها بقيت في يد بنى هود لاعتصامه بالاذيفونش وبعدها عن مركز القوة الاسلامية . ولما خلاص ابن تاشفين من استيلائه على الأندلس فؤض أمره الى وزيره سير اللتوي ورجع الى بلاده ومن ثم أصبحت الأندلس في يد المرابطين ومازالت في أيديهم الى أن دب الشقاق بين أحفاد ابن تاشفين طلبا للملك في أواخر القرن الخامس الهجري بما كان سببا لضعفهم وقيام بلاد المغرب عليهم حتى سقطت دولتهم بقيام دولة الموحدين على يد المهدي بن تومرت ولما مات المهدي سنة ٥٢٤ هـ انفقت رجالات الغرب على مبايعة عبيد المؤمن بن علي وكان في مقدمة رجال المهدي علما وفضلا ودهاء وهو أول من تسمى في المغرب بأمر المؤمنين

وفي سنة ٥٤٦ هـ أجاز عبد المؤمن الى الأندلس جيشا من الموحدين للفتح فتغلب على عزيه ثم حاصر المرية فاستغاث من كان فيها بالاذيفونش الذي أرسل اليهم محمد بن مردنيش وزيره على جيش من النصاري والمسلمين فكسره عبد المؤمن . وتم استيلاء الموحدين على الأندلس في مدة ولده أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وله اصلاحات كثيرة في أشبيلية وهو الذي بنى جامعها وأقام جسرها . وأتى من بعده ولده المنصور يعقوب فأكمل الجامع بحيث أصبح لا يضاهاه شئ في الدنيا . وقد حارب المنصور يعقوب (الاذيفونش) ومعه مالوك

النصرانية فانتصر عليهم انتصارا باهرا في واقعة الكرك الشهيرة وفتح كثيرا من الحصون والبلاد التي كانت في أيديهم ومازال ينقسم في الفتح حتى طلبوا اليه الصلح فصالحهم على خمس سنين وذلك في سنة ٥٩٢ هـ وقد ذكر المؤرخون أن من قتل في هذه الموقعة من الافرنج أكثر من مائة ألف . أما ما غنمه المسلمون فيها فهو شيء لا يحصىه الحصر ولا يحيط به العدد حتى أصبحت العرب تتبع الأسير بدرهم والسيف بنصف درهم والجار بدرهم والفرس بخمسة دراهم وبعد هذه الواقعة استولى المنصور على طليطلة وهي عاصمة (الأذيقوش) وحاصرها . ولما لم يبق غير نزول من فيها على إرادته نزلت والدة (الأذيقوش) وبناته وحرمه واستغاثوا به وبزوجه فأكرم مشاهاة وأعادهن إلى مقرهن معززات مكرمات وعاد هو إلى بلاده بالغنائم التي لاحتصرها

ولمات يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ هـ استولى بعده ولده أبو عبد الله محمد الناصر فأجاز إلى الأندلس عام ٦٠٩ هـ بجيوش من العرب يقاتلونهم بستائة ألف . هنالك أعلن البابا الحرب المقتتسة فهرعت جيوش النصرانية من إيطاليا وفرنسا وألمانيا واتحدت جيوشها في إسبانيا واستعدوا لملاقاة الناصر بسهولة (نافاد) و (تولوزا) وهي قرية تبعد عن قرطبة شيئا مماثلا وأربعين كيلومترا . وكان الناصر قد أعجبه كثرة جيوشه فأخذ يفتك في طريقه برجال (الأندلس) بإيعاز وزيره ابن جامع الذي أراد أن تكون له وحده الكلمة في البلاد وقد أهمل الناصر رؤساء الأندلس ولم يستشرهم في أمر عدوه وهم أدري الناس بالجبهة التي يأخذونها منها . ومازال حتى التحمت جيوشه بجيوش النصرانية في موقعة يسمونها موقعة العقاب لكثرة ما كان فيها من القنابل التي كانت سببا في خذلانهم وانتصار الفرنجة عليهم انتصارا باهرا تمزقت معه جيوش المسلمين على كثرتها بحيث لم ينج منهم غير القليل . وفي هذه الواقعة ظهر كوكب نجس المسلمين في الأندلس وغربت شمس سعودهم والله تعالى غاب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وعلى أثر هذه الموقعة مات الناصر فباع أهل المغرب ولده يحيى فليجأ أخوه المأمون ابن الناصر إلى ملك (قشتالة) يستصره على أخيه وعلى الموحدين فاشتد عليه شروطا . منها أن يعطيه عشرة حصون يتخارها هو بمأى يد المسلمين بما يلي بلاده وأن يبنى له كنيسة في مراكش وجهاز له جيشا من الفرنجة يدخل به أرض المغرب وهنالك جمع المأمون شيوخ الموحدين وقتلهم صبرا وكان عددهم أكثر من أربعة آلاف نفس ومن هذا الوقت أخذت الأطراف تتور عليه في المغرب وأخذ حكم الموحدين في الضعف

وفي هذه الأثناء استولى الفرنجة على قرطبة ثم على جزر البليار وبلنسية واستولى أسطولهم على (سبتة) وغيرها من سواحل المغرب ثم استولوا على أشبيلية . ومازالوا يستولون على بلاد الأندلس وحصونه حتى لم يبق مع المسلمين غير (غرناطة) التي بقيت في يد بني الأحرار لضعفهم وكثرة أهلها لأن سواد البلاد التي كان يقطنها الافرنج كانت تلجأ إليها ومع هذا فقد كانت تدفع الجزية لملوك قشتالة

ولما استولى بنو مرين على المغرب كان بنو الأحرار يساعدون الفرنجة عليهم كما كان بنو مرين يققون أحيانا مع ملك قشتالة على بني الأحرار . وما زال ملك بني الأحرار قائما بغرناطة حتى حصل الخلاف بين أبي عبد الله بن أبي الحسن وأمه إسبانية وبين عمه على الملك انتهى بتغلب الفرنجة على غرناطة في سنة ٨٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٤٩٢ م وبه انقضى ملك المسلمين بالأندلس وانطوت صهيقتهم . وسبحان من له الملك يؤتية من يشاء ويترعه من يشاء . ذلك كله لأنهم مترفون وقد فسقوا وعصوا ربهم . انتهت الطائفة الثامنة

﴿ الطائفة التاسعة في قوله تعالى - من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد - ﴾

هذه الآيات جاءت كإحتمام لهذا المقام كله لأنه مبتدأ بما يفيد أن الإنسان عجول يدعو بالشر دعاءه بالخير ثم ذكر الطرق التي تجعله غير عجول كالعلوم الرياضية والتفكير في أمور النفس وأمور الدولة . ولما تم الكلام

في ذلك أخذ يشرح الحجة التي كان الكلام مسوقا لها وأعطى قاعدة عامة وهي أن النتائج على مقتضى المقدمات فالأعمال الجسمية نتيجةها الأمور الجسمية والأعمال العقلية نتائجها الأمور العقلية . والأولى مصيرها للفناء والثانية مصيرها للبقاء وليس يقوم أحدهما مقام الآخر . فلأن امرأ درس العلوم والأخلاق وعمل بهما وواظب على ذلك ثم هو في الوقت نفسه قد أهل الرياضة البدنية فلم يش في خلاء نقي . أو أهمل مضغ الطعام جسدا . أول يحافظ على قوته العقلية فيذكر فيها بكثرة الكلام والضحك . أو تعرض للبرد . أو كان جسمه معرضا للأمراض الباردة فأخذ يمشي على شطوط الأنهار والحدائق مثل من لم يكونوا مستعدين لذلك . فثل هذا تصيبه الأمراض تحكمول النفس وضعف الأعضاء في الحركات في الأول وسوء الهضم في الثاني وضعف القوة المفكرة في الثالث وعرض (الروماتزم) في الرابع

فهل أنتج الصلاح والعلم نتيجة في غير ما خلقا له . وهل صحّ البدن بهما . كلا . فنتيجة العلم والصلاح آثار خاصة بهما لا تنسداها الى صحة الأجسام . وهكذا لو أن امرأ حافظ على جسمه فضغ الطعام جيدا ولم يزد ولم يخطأ أصنافا كثيرة وكان في غاية البساطة مأكلا ومشربا وحافظ على الرياضة واحترس من كثرة الكلام والضحك حفظ عقله وجسمه واقتصر على ذلك . فهل ذلك ينفعه في العلم وهو لم يدرسه . كلا . فالثمرات نوايع الشجرات فلا شجرة تثمر ما ليس من ثمراتها . هكذا أعمالنا في كان متعلقا بالعاجلة فثمرته في العاجلة وما كان في الآجلة فهو لها . ولا جرم أن الناس درجات في الأعمال والآراء والعلوم والثروة وأوضح شئ في هذا العالم الثروة فإذنك جمعت الناس في صعيد واحد لم تجد اثنين ينساويان ثروة فلا بد من التفاضل ولو قليلا واذن يمكن أن يكونوا سلسلة لها أدنى وهو أفقر الناس وأعلى وهو أغناهم وهم جميعا بين هذين . هكذا حكمهم في الجبال وفي العلم وفي الصلاح وفي الأخلاق وهكذا . فهذه درجات بعضها فوق بعض . هكذا سيكونون في الآخرة درجات باعتبار ما اطلع في نفوسهم من العلوم والأخلاق وهم درجات انما تفاوت هناك أشد والدرجات أكبر . هذا ملخص هذه الآيات . انتهت اللطيفة التاسعة

﴿ اللطيفة العاشرة - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - الخ ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحقّ الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أبك ثم أدناك فأدناك رواه البخاري ومسلم وروى مسلم حديثا آخر قال رسول الله ﷺ ﴿ رغم أنه رغم أنه رغم أنه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ﴾

وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ﴿ جاء رجل الى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال أحيى والدك قال نعم قال فضمها لجاهد ﴾ انتهت اللطيفة العاشرة

﴿ اللطيفة الحادية عشرة - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - ﴾

إن تفسير هذه الآية جميع الشرائع والعلوم فكيف تقول فيها إلا ملخص ماضى

﴿ اللطيفة الثانية عشرة - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - ﴾

اعلم أن بعض الحكماء مثل الشيرازي في كتابه ﴿ الاسفار ﴾ في علم الحكمة قرّر أن هذا الوجود كدسّ ولا معنى للوجود بغير حياة وأن الحياة على مقدار اشراق أنوار الوجود الأعلى على الخلق فلا انسان ولا حيوان ولنبات حياة أى أن هناك نوعا من الشعور وهكذا الجاهل نوع من الشعور أقلّ لأنه أقيض عليه من الحي . هذا ملخص ما أطال به . وأنت تعلم أن الأدلة لا تسكني ونحن نصب عليها تصديق ذلك إلا ببراهين أجلى وأدلة أوضح فلذلك ترى العلماء يقولون على أن التسييح للعلوم انما هو دلالتها وهو تسييح بلسان الحال لا بلسان المقال ويظهر أثر التسييح فعلا لأهل الرياضة والنفوس التي شغلت بذكر الله فهو لا . حقا اذا

سمعوا هبوب النسيم أوصى رب الباب أومح البحار أسرع إلى قلوبهم معان بقصر دونها التسبيح الفتلى و يرون
لنّة ليس يدركها الذين لم يذوقوها فتسبيح العوالم الذى بلسان الخيال قد انطبع في نفوس هذه الطائفة وأعطاهم
معاني تدلّ على التسبيح وتؤدّي مؤداه . هذا لا يحتاج إلى برهان بل يرجع إلى الوجدان وليس يستدق به
إلا أرباب الوجدان ولكن ليس في ذلك أن الجباد نفسه يسبح غاية أضرائه يكون سببا في حدوث التسبيح
في نفوس المسبحين . أما كون الخلوقات نفسها تسبح وتعلل ما تقول فهذا ليس في مقدور الناس تصديقه
والناس يرون في ذرات الماء وصريره وهبوب النسيم وزفير الأسد ومجانب الأرض والسما من المعاني ما يجلب
عن الوصف - يسبح له ماني السموات وماني الأرض -

فأما ماورد عن ابن عباس أن النبات والحيوان يسبحان فذلك يؤمن به لأنه مسموع مسلم به ان صح

﴿ كيف يعجز لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهن ﴾

اجلس في الخلوات ودع الأعمال ولتسكن الحركات وتنظر فيها أمامك من حقل أخضر ونبات أزهر
يأثلق رجال بهيج وشجر نظير وتحل ظليل وائل طويل وسرو سحيق وكلا يزير وقد هبت النسمات
وفاءت الأفياء وتقاب الزرع ذات البين وذات الشمال وغنت الأعواد بنغمات مشجبة وأغناق عذبة وتمايلت بجبا
وتبها وتناوحت تناوح الجمال واعتقت اعتناق العشاق وطنت الحشرات بمختلف الأصوات والطير فوق الأفنان
تصدح بالألحان والسكران يرقص طربا والأرض تزداد عجبا والسما تزل الضياء في فسيح الأرجاء والوحش
في الفلوات يقتنص السخالات . فإذا جنّ الليل وأرخى سدوله تبدلت الأرض غير الأرض والسما غير السما
وطويت مضاف النهار وأسدل عليها الستار وأقبلت عرائس الليل سافرات الوجوه مشركات المصابيح ناعسات
الطرف مرسلات نور ابتسامتهن على الأحياء في الأرض أن هلموا إلى وانظروا جالئ فتعالوا اتل ما أنتم ربكم
على من جمال وبهاء وحسن وفضارة وقد حشركم في الأرض وزوى نور الشمس عنكم ليالى وليالى لتتوفروا
على النظر إلى وتعلموا أن هذا الجلال هو الذى سترونه بعد الموت حين تغرب شمس أرواحكم فتصلون في
العالم الثانى إلى جمال وسكون وبهجة نحن نعلمها الآن تمثيلا . خيانتكم كضياء النهار وموتكم كظلمة الليل
تشرق عليها المشركات المنعشات الأنثاء وتنجلى لكم أوانس العالم الجليل عالم الأرواح فانكم اليوم تشهدون
مشهدا جسيلا يعرب لكم عن المشهد الذى سلاقونه بعد الموت وستان مابين المشهدين . فهذا نور وأشراق
جسمى وذلك نور واشراق روحى مع الملا الأعلى . انهم أرسلوا إليكم تبشيرا بمستقبلكم وطبيعة لسعادتكم
وفرط أنسكم فنعن الأوانس وأنتم المستبشرون فاقبلوا نعمة الجلال واستشعروا الجلال واذكروا ذلك في
الأجيال . هذا نظامنا المتقن بحساب المرقى للألياب

هناك أيها الذكر تفهم لغة العواصف والريح وقصائد الورد والتسبيح . وهناك تفهم شيا من التسبيح

﴿ جوهرة لتذكرة معنى هذه الآية فيما تقسم في سورة هود عند قوله تعالى على لسان هود

- إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو خذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ﴾

تقدم هناك معنى الصراط المستقيم . صراط الله وصرط الذين أنعم الله عليهم وتقدم هناك معنى تسبيح
كل شئ ونحن محجوبون عن فهمه فارجع إليه ان شئت . ولكنى أريد هنا بعض إيضاح للبنى فأقرأ ذلك
هناك ثم انظر إلى ما أقوله لك الآن . وسرى أيضا فيما سيأتى عند قوله تعالى - قد أفلق المؤمنون - بعض
صور الحيوان المرسومة بالتصوير الشسمى الدالة على أن لون الحيوان إنما خلق لحمايته بحيث يكون بعضه مما لا
لون الرمل والحجارة التي يعيش عليها أولون الليل الذى يخرج ويأكل فيه أولون الورق الجاف الذى يقع
عليه أوجذوع الأشجار التي يلجأ إليها أنسكون رأسه ورجلاه وتصدقه أشبه بأفرع الأشجار وجناحه يشبهان
الورق وهما لونان بلون ما يحيط بهما من الزهر بحيث لا يشك من يرى ذلك الحيوان أنه عبارة عن خضن ذى أوراق

وهكذا بما لا حصر له سبق ذكره هناك وسيأتي ذكره وصورته وقد قلنا هناك ان هذا هو تسبيح هذه المخلوقات
وجدها لأن هذا دل على عدل الله وتنزهه عن الميل عن الصراط المستقيم فلم يكن اعطاه لون الفأر لون السواد
لظلمه ولا الطائر الأرميبي الليلى المذكور هناك لون البياض والذيل الطويل تفضيلا له على الفأر . كلا . بل
سواد الفأر ينفعه في اخفائه عن العيون ليلا و بياض هذا الطائر ليكون هو مع طول ذيله عاما لأعدائه فلا
تقربه لعلها بما له من رائحة منتهة يظلمها عليها فيكون ذلك العلم راحة لهذا الطائر ولما يريد اقتناصه من
الحيوان . فهذا غيظ من فيض من ذلك المقام . ثم نقول . هذا هو التسبيح وهذا هو التمجيد الذى
لم نفهمه في قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - وكيف نفقه تسبيحهم إلا بالعلم المذكور فى آية الأنعام
إذ يقول - قل هل عندكم من علم الخ - فهذا العلم الذى فتح بابه فى هذا التفسير لاسيا هذا المقال هناك
عرفنا تسبيح كل شئ إذ يقول الله - سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض - . فهأنت ذا رأيت الله قد
سبحناه أى نزهناه عن الجور والظلم فلم يظلم الفأر بسواده ولا الحية بلونها الضعيف الذى ليس كاون الطاووس
فاذا اسود الفأر ولبس الحلة الزنبر فسكلاهما قد دفع عنه الشر بما اصف به

(١) فالشر كالسواد به بقاء الحيوان ودفع الشر عنه

(٢) فهذا نزيه لله عن قصد الأذلال

فاذا سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض . وإذا كانت الملائكة يسبحون بحمد ربهم . وإذا كان
أهل الجنة أحر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فان ذلك كله يرجع الى هذا النظام الجليل . إن الفأران
الزنبروان اللب القطبي وان الطائر الليلي الأرميبي وغير هذه مما يعد بمئات الآلاف لأعطيت ألوانا وأشكالا
غير مالها لكان وبالا عليها فهذا نزه الله عن المحابة بل عمله متجه الى حفظ هذه الحيوانات فهو منزّه عن
العيب باعطاء الملائكة منه لهذه الحيوانات وعن المحابة وفى الوقت نفسه أعطى نعمة . فاعطاء النعمة مقرون
بدفع المضرة فهو منزّه عن الملائكة منه معطى نعمة البقاء والبقاء . إذن التسبيح والتمجيد مقرونان فى قرن
فهذا هو تسبيح ما فى السموات وما فى الأرض وهذا هو السر فى أن التسبيح قد ذكر ملتصقا بالحمد . يقول
الله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده - فهأنت ذا رأيت التسبيح مقرونا بالحمد لا يفتقران فستحيل أن
يدفع ضرر بل اجلب نفع للمدفع عنه كما رأيت

﴿ موازنة بين تسبيح اللسان وحده وبين تسبيح المخلوقات ﴾

يسبح الناس بأنسنتهم وتسبح المخلوقات بأوصافها وألوانها . فيأيت شعري أيهما أصدق . لاجرم أن
التسبيح العملى أفضح من التسبيح اللفظى . والالفاظ بالتسبيح قد يغفل عن معناه وهكذا التمجيد . أما
صور هذه المخلوقات فانها باطقة تطلقا يفتقه الحكماء بالجد والتسبيح . وإعلم أن التسبيح الحقيقى من العقلاء
كالانسان والملاك لن يكون إلا بمسقة أمثال ما ذكرناه . فتسبيح كل شئ هو التسبيح الحقيقى فاذا عرفناه فقد
سبحنا وجدنا . فهذه الصور الحيوانية الدالة على التسبيح والجد اذا قرنت بالتلفظ بهما كان الحمد والتسبيح
حقيقين وهذا هو الذى جاء فى معنى قوله تعالى - فسبح بحمد ربك - مخاطبا رسوله ﷺ قرن التسبيح
بالتمجيد كما قرنهما فى تسبيح كل شئ فى آيتنا التى نحن بصدد الكلام عليها

يقول الله رسوله ﷺ ليكن تسبيحك وحمدك مقترنين كما اقترنا فى تسبيح كل شئ . ولا يكون ذلك
إلا اذا كان الوجود مثلا أمامك على هيئة التى تقدم ذكرها (ذكر بعضها فى هذا المقام) وهكذا فى تسبيح
الملائكة قال - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - أى انهم عالمون بإبداع هذه المخلوقات التى كلها تسبيح
وتمجيد عملى . ولا جرم أن العلم بالثنى حضور صورته فى الذهن . إذن تسبيح الملائكة وتسبيح الأنبياء
بحضور أمثال ما ذكرناه من المعانى فى الحيوان والنبات أو غيرها

﴿ الكلام على قوله تعالى - ولكن لاتفقهون تسبيحهم - ﴾

قد يقول قائل إن الله يقول - ولكن لاتفقهون تسبيحهم - والمخاطب بذلك جميع الناس فكيف يعقل أن ما لا يفقه تسبيحه هو الذى يكون بصوره وتعليه التسبيح . إذن بمقتضى نص الآية يستحيل على الناس أن يعقلوا هذه المعاني

﴿ الجواب على ذلك ﴾

اعلم أن هذا الخطاب وإن كان عاما فقد خصص في آية (آل عمران) . يقول الله - شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فالتة يشهد انه واحد لا شريك له . وأنه قائم بالقسط والعدل وهكذا الملائكة يشهدون بالأمرين وهكذا أولو العلم أى الدارسون لهذا الوجود على نحو ما قررناه . إذن الدارسون لهذا الوجود مستثنون من المخاطبين الذين لا يفقهون تسبيح هذه الحقايق . فثبت إذن نقلا كما ثبت عقلا أن النوع الانسانى اذا عرف نظام الحيوان ودقته كما ذكرناه هنا وفيما مضى وفيما سياتى يكون مسبيحا حامدا ويكون العارفون بهذا مسبحين حامدين ويكون التسبيح والتحميد اللفظيان مذكرين بهذه المعاني . فاذا قال المسلم ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ عقب كل صلاة ثلاثا وثلاثين . واذا قالها المسلم عند نومه كذا كذا بهذا العدد . واذا قال المسلم في الركوع ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ ١١ مرة أوفى السجود ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ ١١ مرة أيضا . واذا كرر ذلك في كل صلاة واجبة أو مستنونة وكان العدد مئتا ومئتا كل يوم فعنى هذا كانه أنه يدرك الأسرار التى ضربناها الأمثال هنا وفيما مضى وفيما سياتى من العلوم المنتشرة في الدنيا كما كان عليه يقوم في آخر الليل وينظر في السماء ويقرأ آيات آخر (آل عمران) . كل ذلك قبل صلاة الليل . لماذا هذا . ليتذكر ذلك في تسبيحه وتحميده ويكون الوجود حاضرا بجلا في عقله فيسبح ربه ويحمده مراعيًا نحو ما قررناه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ليدلنا على أن تسبيحنا الحقيقي وتحميدنا الحقيقي لا يكونان إلا بعهد النظر في الوجود ونظيره هو عليه السلام مجرد لحة لأنه ملهم علما . أما نظران نحن فلتكن جميع العلوم التى ملأت الدنيا اليوم لأن الله علمه بالوحى ونحن لم يعلما الله بالوحى ولكن أمرنا أن نتعلم علما عمليا بعقلنا . وقوله تعالى - قائما بالقسط - أى العدل في النظام هو عين قوله تعالى - إن ربى على صراط مستقيم - الذى ذكره هود عليه السلام في معرض التوكل على الله وفي معرض أنه آخذ بنصية كل دابة . وأنت تعلم من هذا التفسير أن ذلك راجع لاعطاء كل ذى حق حقه من الحيوان فلا يعطى الحية لون الطاووس مثلا يكون هلاكها ولا الضب لون الزنبور مثلا يكون هلاكه . فتبين إذن أن المسلمين عليهم أن يدرسوا هذه الدنيا ليكونوا في الدنيا سادة وفي الآخرة مع الله ومع الملائكة والنبين وذلك بالعلم بحقائق هذا الوجود . وهذا ما اعترض بهض الاخوان فقال . إذن جميع التسبيح والتحميد من أزمان النبوة الى الآن لأنواب فيه وقد مضى ١٣٠٠ سنة فأكثر والناس لم يلاحظوا هذه المعاني . إذن كل تسبيح كان باطلا وهذا لا يترك عليه عالم في الاسلام . فقلت له ان الذكر اللفظي يكفيه المعنى الاجمالى فيكفى الذاك أن يتصور معنى اجاليا وهذا موجود عند جميع المسلمين بل ان الذى غفل قلبه عن المعنى الاجمالى يكون تكرر التسبيح والتحميد وقتا فوقتا مما يلفت النظر الى الله وجلاله . فكل تسبيح من جهال المسلمين وكل تحميد وكل ذكر لها آثار في القلوب مشهودة . هكذا قراءة القرآن وتكرار الصلوات والعبادات . كل هذه سبب في استحضار الله في النفوس وهذا الاستحضار له فعل عجيب في النفوس وآثار مشهودة معلومة . على ذلك درجت الأمم في الديانات قديما وحديثا وهذه فضلا عن لفت القلوب لحب الله بكثرة التكرار تجعل القلوب مستعدة لهذه العلوم عند قراءتها . واذا كنا نرى المرأة التى استحضرت في ذهنها الضفدعة لشدة خوفها من الضفادع قد تتحول ولها في رجها نوعا ما الى هيئة الضفدعة كما تقدم في هذا التفسير . واذا رأينا قديما المصريين كانوا يأتون بصورة الجمل المعبود الذى له لون خاص

وعلمة أشبه بالثالث على جبهته فبعضونها أمام بقرة في حال حملها ثم يكون نتيجة ذلك أن يولد الحمل على الطبيعة التي رأتها أمه فيجملونها لها . أقول إذا كانت هذه هي هيمة النفوس الحيوانية فلا جرم أن يكون استحضار الله في القلوب بالتسبيح والتحميد داعيا إلى حبه وكون ذكره في القلوب ورسوخ البر بربه في الأفتدة ولذلك نتاج صادقة مشاهدة معروفة في الدنيا ثم هذه تكون ملازمة للروح في العوالم الأخرى ومن عجب أن هذه هي التي ورد في القرآن ما يفيدها إذ رأى زكريا مريم وهي لم يمسها الرجال وكانت سيدة النساء وعابدة فدعا الله فجاء له يحيى على صفات كصفاتها فهو سيد وهي سيدة النساء وهو حصور لا أنثى النساء وهي مثله مع الرجال وهو مصدق بيبسى وهي كذلك كما تقدم ذكر هذا في (آل عمران)

اتما جاء ذلك في القرآن ليرينا الله أن النفوس آثارا ومن ذلك التسبيح والتحميد مع جهل هذا الوجود فلهم آثار في العقول ولكن هناك طائفة أرقى وهم أولو العلم الذين هم مع الملائكة ومع ربههم ويشهدون هذا النظام والجد لله الذي ألهم وعلم ولما وصلت إلى هذا المقام اطلع عليه من اعتاد من الاخوان أن يقرأ مسودات التفسير فقال هذا القول مشبع وجيل وقد ظهرت حقائق ما كنا لنذكرها ولكن أريد أبين من هذا . قلت ماذا تريد . فقال أريد أن أرى من القرآن ما يشبه النص على ما نقول أي ان التسبيح والتحميد الحقيقيين إنما يكونان بإدراك حقائق الوجود مع علمي أنك أقررت بأن تسبيح العامة وتقديسهم وإن لم يكن مقرونا بالعلم له فضل عظيم . ولكن أريد التحقق من مقام الحكماء وأولى الألباب الذين ذكرت أن تسبيحهم لابد أن يكون مع العلم حتى يكونوا أقرب إلى ربهم وإلى ملائكتهم وإلى أنبيائه . فقلت ألم تقرأ قوله تعالى - فبعباد الله حين تمسحون وحين تصبحون وله الجد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون - . ألمست ترى أنهم سبحوا الله مساء وصباحا وعشيا وظهرا وأتى بجملة بين الصباح والمساء وبين العشي والظهر وهي انه يمجود في السموات والأرض . ولا جرم أن كونه يمجود في السموات والأرض التي أتى بها بين صلاتنا في الذكر لحكمة أن تسبيحكم يستحسن أن يكون مع ادراك الجد المرسوم في صور السموات والأرضين الذي تدركه عقولكم والا فلماذا أتى بهذه الجملة بين صلاتنا الخس كأنه يقول لنا ان تسبيحكم وصلواتكم بينهما وبين العوالم المحيطة بكم مناسبة وهي انكم تدرسون هذا الوجود قبيل الرحيل إلى السموات التي استمدتم للعروج إليها طبقا عن طبق حتى تصلوا إلى لقاء ربكم وتكونوا مع الملائكة في أعلى عِلين وذلك لا يكون إلا بالعلوم . فقال حسن جدا . فقلت الحمد لله رب العالمين

(التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأولين في الكتب السماوية أشبه بأشجار

ثمارها الحكمة والعلم)

التسبيح والتحميد باللسان مثلها كمثل أشجار البساتين المزهرة . فانظر عراك الله لهذا العالم الذي تعيش فيه . خلقنا بأجسام ذات أعضاء وحواس وأحشاء وأطراف . ومست الحاجة إلى طعام وشراب فكان هناك نفس داخل وخارج . داخل بما يصلح العلم . خارج بما هو ضار . فهو أدن داخل مدخل صدق وخارج مخرج صدق . جالب خيرا في الأول ودافع ضرا بالثاني . انظر هنا قليلا . انظر إلى هذا الداخل والخارج لا صلاح الجسم ودفع الضرر عنه واقامة بنيانه . لم يرد الله أن يذر ذلك الداخل والخارج بلا عمل آخر في دخوله وخروجه فخلق له هذه الأسنان واللسان والشفتين والحنك الخ . ففي أثناء دخول الهواء وخروجه تميز على حسب هذه الأعضاء فيكون حروفا والخروف كلمات والكلمات تعبر عن هذه الدنيا كلها وعن الآخرة الله الأكبر . هذا العالم الذي تعيش فيه أشبه بصورة جميلة جاء المصورون من كل فجح عميق ليسخروا صورتها وهم آلاف آلاف أفواجا لا ينقطع عددهم ولا مددهم من يوم أن خلق السموات والأرض إلى

قيام الساعة . أندري ما معنى هذا . معناه أن الألفاظ المعبرة عن هذه الحوادث تصد في الكتب وتقال في القصائد وتذكر في المجالس فيصوّر كل واحد من الناس هذه الدنيا على مقدار ما سمع من القول وما علم بالخوارس ومافكر بالقل . إذن كل امرئ في الدنيا قد صوّرت له هذه الدنيا بصورة ما أيا كل دماغ أشبه بالخزانة المنظمة وفيه لوحة قد رسمت فيها كل ما يسمعه أو يراه والكلام الذي سببه الهواء يضع في النفس صور المعلومات عاويها وسفلها . جلّ الله وجلّ العلم . نفس داخل وخارج لإصلاح الجسم حلّ معه صور العالم الذي نعيش فيه فرسمت في دماغ كل امرئ . إذن هذه الدنيا لها صور لا تعد لها تقال باللسان في عالم الهواء وترسم في الدماغ . فإذا كان هذا العالم واحدا فهو آلاف وآلاف في آلاف بالصور المتخذة منه بالكلام وبالصور العقلية

﴿ آثار الكلام ﴾

للكلام آثار في القلوب . فبه بلغ الأنبياء . وأثر الخطباء . وبه ارتقاء الأمم وعظمة الدول وحفظ آثارهم في هياكلهم وكتبهم وحفظ الشرائع في الطوامير و بطون السفائر . فللكلام آثار وأثر . تلك كلها قد جاءت تبعا لإصلاح الجسم بالهواء داخلا وخارجا . لا يحب إذا كان التسبيح والتحميد والصلوات آثار في نفوس المسيحين الخاملين الصليين . ولا يحب إذا قلنا إن هذه التسبيحات والتحميدات بسانين . وهل بعدمقال الرّحى مقال . ألم يقل عليه السلام في حديث الاسراء محمّدا عن الخليل عليه السلام قال يا محمد بشر أمّتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبعجاء الله والجد لله الخ . إذن التسبيح والتحميد أشجار والأشجار لها أثمار . وما ثمار التسبيح والتحميد ياترى . أثمارها المعرفة والعلم أى أن يعرف المرء أن الله منزّه عن وضع الأشياء في غير مواضعها وهو مع ذلك محسن كريم . إذن الهواء في الزفير والشهيق يمثل التسبيح والتحميد فالشهيق يمثل التحميد لأنه يدخل النافع والزفير يمثل التسبيح لأنه لاخراج الضار . فإذا رأيته سبعجاءه قد جعل لون الحية أشبه بما سوحها فهو بذلك دفع عنها غوائل ما يهلكها وحفظ حياتها فدفع الغوائل يشبه التسبيح وبقاء الحياة يشبهه التحميد والأول كالزفير والثاني كالتهجد . الله أكبر . جلّ العلم وجلت الحكمة وجلّ الله . أليست هذه المعاني هي التي ورد بها الحديث في وصف أهل الجنة ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أثم النفس ﴾ فانظر لدقة المعنى وتجب لالهام النفس المشتعل على الدفع والنفع وللتسبيح المشتعل عليهما . اللهم انك أنت العلم والمالهم . تبين من هذا أن التسبيح والتحميد ان تبعهما العلم انما كان في هذا التفسير فيها ونعمت وإن لم يتبعهما ذلك كانا أشبه بأشجار وأزهار من غير ثمر والأشجار والأزهار لها منافع الدليل وجمال الزهر ومنافع أخرى . والمسيح الجاهل له في التسبيح منافع كثيرة فهو في أثناء ذلك زه نفسه عن الغيبة والغيبة وقول الزور . وأيضا بدخول النفس وخروجه تتأثر الأعصاب بالمعاني التي حلها الكلام ففسرى الى الروح سر بيان الضوء في الأثير فتصل الى الروح آثار نورية فتكون أشبه بنور الشمس والقمر في العالم المادّي ومن رأى نور الشمس والقمر اهتدى بهما وإن كان لا يدرك نظامهما وحسن اتقان جرهما . فمثل المسيحين الخاملين كمثل الناظرين للأشجار . فالعامة والجهلاء يتفتنون بنفس الضوء والعلماء والحكماء يدركون سرّ سيرة الشمس والقمر . هكذا فتأثر القلوب بآثار التسبيح فتدور في القلب اجاليا ومعرفة العالم تفيد معرفة الحقائق التي تدخل تحت التسبيح والتحميد . وتسبيح الناس في الجنة وتسبيح الملائكة وتحميدهم انما يرجع كل ذلك الى العلم والحكمة الاستفادة من قوله ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد الخ ﴾ والالهام للمعاني وتبنيها الألفاظ . ومثل ما ذكرت في التسبيح والتحميد يكون الكلام في قصص الأنبياء في القرآن فالعامة يفرحون بظواهر القصص والحكماء والعلماء لا يفتنون على الظواهر . العامة بنفس القصص يفرحون والعلماء والحكماء يستخرجون الدرر من البحار ويعلمون أن المقصود ما هو ممكنون في ذلك القصص

كما رأيت في سورة هود إذ بدأها بذكر عالم الحيوان وأن الله عليه رزقها وأعاد الكرة بذلك في قصة هود إذ قال - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بما نصيحتها . وقد تقدم هناك ذلك فكان المقصد من قصته أخذ الله بنواصي كل شيء كما جاء في مبدأ السورة . وهكذا هنا في سورة الاسراء ذكر انه أسرى بعبد له يسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ولما كان ذلك أمرا يرجع الى خواص الروح وشرفها أومأ الى ذلك بذكر أن الروح من أمر ربي لتبين للناس أن النفوس ترجع الى ربها والنبوة نبأ من ذلك الرجوع - وان الى ربك المنتهى - وهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تحوم حول هذا المعنى فان من يفقه التسبيح هو الذي يصل الى الله ومن لم يفقه فهو محجوب

﴿ تذييل . آثار كلام الناس وآثار كلام الله ﴾

هذه آثار كلامنا . آثار كلامنا صوري في الأذهان أى صور ما نتكلم به . فاذا نطقنا بلفظ شمس أو قرأوا شجرة رسمت صورة الشمس وصورة القمر وصورة الشجرة في ذهن من نخطبه . فكلامنا أشبه بالزوارع والآذهان أشبه بالمزرعة والصور تحدث في النفوس بمجرد نطقنا بها . ولاجرنا اننا من آثار فعل الله وقد خلق آدم على صورته كما في بعض الآثار . فاذا قال الله للشئ كن فان ذلك الشئ يكون ولكن كونه هناك كوناً في العيان . واذا قلنا للشئ كن فبمجرد نطقنا يكون ذلك الشئ ولكن وجوده في الأذهان وهذا قوله تعالى - إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون - أى على منوال ما تقولون أتم . فأنتم تنطقون باسم الشئ فتوجد صورته الذهنية في نفس السامع وأنا أقول كن فتكون صورته الحقيقية فأنتم عملية ووجودية وآثاركم ذهنية خيالية . وأقرب شئ لتفهيمنا سرعة خلق الأشياء وطاعتها للمانع هو كلامنا . فكما ان كلامنا لا لكفة فيه وبمجرد حصوله ترسم صور الأشياء هكذا كلام الله ووجود مخلوقاته ﴿ جوهره في قوله تعالى - تسبح له السموات والأرض ومن فيهن - ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحانك اللهم وبحمدك تقدست أسماؤك وصفاتك وأفعالك . ههنا في هذه الآية ورد - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - والذي قالوه انه معه ألهة فهو منزه عن الشريك وقال في آية أخرى - سبحان ربك رب العزة عما يصفون - الخ والذي وصفوه به أن خلق السموات والأرض باطل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا -

إن الله تعالى لم نزه ولم نزل إلا مصنوعاته . وهذه المصنوعات غامضة على أكثر هذا النوع الانساني . لقد أكثر علماء التوحيد غالباً من التنزيه في الذات والصفات والأفعال ولكن الجمهور لم يزايلوا ذلك العبوس ولم يبتدأ أكثر الناس الى بعض التفصيل والحكم في العالم للمشاهد . كثرت التسبيح في الصلاة وكثر التسبيح في القرآن ويقول الله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - هذا والله تمهيج لحرمة هذا التسبيح يسبح المسلم ويحمد . ليس الحمد وليس التسبيح قصراً على ما تصنعون . إن هذا الدين نزل لرقمكم ولم ينزل لمجرد كلمات يقال ولا آيات تحفظ ولا صاوات تقام بالعقل ولا تفكر . كثرت في الصلاة التسبيح والتعظيم وكثرت في القرآن ذانك الأمران . ألا انما مثل البيانات في الأرض كمثل ﴿ كذبت دمنة ﴾ الذي ألقه (يديبا الفيلسوف) ملك الهند في زمانه قبل الميلاد بنحو ثلثمائة سنة وجعله على السنة الأسد والتماب والحمام والغراب والسحفاة والغزاة والقرود والفيلة وما أشبه ذلك . فهذا الكتاب ظاهره ينتفع به الجهال يتسلون بالصور التي فيه ويفرحون بأسد يتكلم وتعلب بنت على الثور وثور يسمع النخبة فيظن السوء بالأسد وهكذا الأسد يسمع ذلك فيفتك بالثور ثم تدور الدائرة على الخنما وهو (دمنة) فيحكم عليه بالقتل فيقتل . هذه حكايات يفرح بها الجهال ولكن الحكماء لا يفتقرون عند الفالوهر بل يدخلون في علوم السياسة ونظام الأمم والحرمان . هذا

كتاب (كليات ودمنة) وهذا قصده وإنك إياك أن تقول إن البيانات على هذا الخط . كلا . وإنما أقول لك أن المقصود من هذا التشبيه أن كلام بعض مخاوفات الله في الأرض إذا كان له ظواهر يكتب بها العامة و بواطن يفقهها الخاصة فبالأولى ثم الأولى كلام الله الذي لا يقاس بكلام الناس . إن كلام الله أشبه بفعله أن الله يخلق الأشجار المثمرة يستظل بها قوم وقوم يأكلون الثمار . هكذا هذا القرآن وهذه الصاوات والتسبيحات . يسبح المسلم ويصلي ويحمد فإن كان جاهلا فقد نال مناه لأنه أثناء التسبيح والتحميد والقراءة وهو غافل عن المعنى قد كلف نفسه عن المعاصي وأيضا يكون حين القراءة أو الصلاة في صورة الطاعة وفي استحضار الخالق وإن كان الكلام غير مفهوم وهناك تكون البركات والآثار على قدر اجتهاد العابد ونبته فهو إذن كالاستظل بالشجرة وإن لم يذل الثمرة . الله أكبر ههنا وصلت الى المقصود من هذا المقال . سبحانه اللهم وبحمدك سبحانه وسبحك مافي السموات ومافي الأرض وذلك لا يعرف إلا بالعلوم التي ملأت الكرة الأرضية اليوم . اللهم إنك أنت القائل - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - والقائل - ثم إن علينا بيانه -

اللهم إن هذا هو زمان البيان وزمان العرفان . أنزلت القرآن وحفظه المساهون وسبحوا وحمدوا وأكبرهم نائمون . حاربوا عاصيهم كالغزالي وابن رشد فأنت قد ألهمت الأمم التي أخذت علوم المساهين أن تدرس هذا الوجود فدرسوه على قدر طاقتهم وهانحن الآن في هذا التفسير وغيره نسترد الأمانة ويقول - هذه بضاعتنا ردت إلينا . فإذا قرأنا في تلك العلوم . قرأنا أن كل مخلوق له خاصة بعضها كشفت قديما وبعضها كشفت حديثا وبعضها سيكشف . وهذا كله هو معنى التسبيح والحمد . انظره في سورة هود عند قوله تعالى - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وهكذا عند قوله تعالى في سورة الرعد - وفي الأرض قطع متجاورات - في بعض اللغات التي ذكر فيها ﴿الغياث في الأشجار﴾ هناك ترى في هذا المقام أن لون الحيوان إنما خلق فيه لمنفعته هو . وترى في سورة - قد أفلح المؤمنون - نيفا وثلاثين حالا مذكورة للحيوانات بحيث يكون اللون حافظا لنفس الحيوان وكان الزنبور مثلا وهو حامل سلاحه وماون بلونه قد نطق بتسبيح ربه أي تنزيهه عن العبث في اختصاص الزنبور باللون الزاهر لما له من السلاح الذي يحميه هذا هو التسبيح حقا . سبح مافي السموات ومافي الأرض وكل مافيهما يسبح كما يسبح الزنبور أي أن لونه الظاهر إنما وضع فيه لأنه له سلاح يحميه . في هذا اللون نجاته من الهاجم عليه لأن اللون أعلمه به ونجاة الهاجم عليه من الطيور الآكلات للحشرات لأن لون الزنبور أُنذرها . فأنه تعالى منزه أن يعطى هذا الزنبور لونه بلامنفعة إذ نفس الزنبور تسبيح عملي وقس على مسألة الزنبور كل المسائل هناك فترقبها وأقرأها وقل في كل منها ماقلت لك الآن

هذا بعض سر التسبيح في هذا المكان وغيره وهكذا في سورة الرعد إذ ترى هناك في القطع المتجاورات أن الماء والأرض والهواء والبخار والأشجار قد اختص كل واحد بعمل وصارت جميعها أشبه بأوتار الموسيقى كما شرحت لك هناك . يرتفع البخار فوق الهواء ويتكون السحاب وينزل في أرجاء الهواء قطرات راحة للناس لثلايها لكوأ أو يستضروأ بنزوله مرة واحدة . وهكذا نرى أن لكل شجر وظيفة لا ينفع فيها سواه فلا الملح يغنى عن شجر الرحي ولا شجر الرحي يغنى عن الجرائيت ولا الماء يغنى عن الهواء ولا الهواء يغنى عن البخار . فما من هذه المخلوقات إلا له مقام معلوم لا يفيد فيه سواه - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إذن الماء والهواء والبخار والملح والأشجار الأخرى كل واحد يقول أنا ما خلقت باطلا بل خلقت لمنفعة وغيري لا يستدنى من كل الوجوه ثم يقول كل واحد منها إن الله منزه عن العبث في خاقي إذ خلقني لعمل . إن هذه العوالم ليست مصادفة عمية بل معقولة موزونة . فهذه لاعبت في خلقها وإيجادها . ههنا تجد الحمد بالتسبيح فشجرة النخل مثلا تقول إني لا يستدنى غيري مستدنى في زمن الحبل فاختصاصي بهذه الصفات ليست عبثا وفيها

منافع . فقول النحلة لست عبداً معنا أن الله منزه عن عمل بالانديار وكونها فيها منافع معناه أنه محمود على نفسه . تبين بهذا معنى قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - على قدر طاقتها وتبين أن هذه المعاني لا تتم لنا إلا بدراسة علوم الأمم المحيطة بنا التي تسهلها بنا آياتنا . وتبين بهذا أيضاً أن المسلمين لن يتأثروا هذه المعاني التي توهمهم على حقائق الكائنات وتسببها إلا بعد بذل الجهد في توسيع نطاق المعارف العامة ابتدائية وتجريبية وعالية . وهناك بذغ من يدركون خواص الموسوعات . إذن لا يتم ذلك إلا بعد ازدهار أنوار المدنية في بلاد الاسلام وقراءة علوم الأمم المحيطة بنا وبغير ذلك لبقاء المسلمين ولا علم عندهم ولا تسبب ولا جد ويكون أتباع هذا الدين الحكيم حفاظين كليات لا تدخل عقولهم ولا تؤثر في نفوسهم وينطبق عليهم إذ ذاك قوله تعالى - ومنهم أمتيون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون -

الآن أيها المساهون كشف الغطاء وظهر السر وأشرق النور - وأشرق الأرض بنور ربها - . اليوم ظهرت أسرار هذا الدين . ومن أجل الأسرار أنه لا تسبب ولا تقديس على الحقيقة إلا بدراسة العلوم التي عرفها الأمم حولنا فإن لم ندرسها حقاً علينا قول ربنا - فويل للمصابين * الذين هم عن صلاتهم ساهون - إن الساهي عن صلاته لا يعقل المعنى في مثل ﴿ سبعان الله والحمد لله ﴾ . ومن لا يعقل المعنى لا يطلبه ومن لا يطلب العلم جاهل وإن جميع العلوم داخلية في الحد والتسبب والويل الذي جاء في الآية حل بالأمم الإسلامية اليوم لأنهم قوم ساهون في غمراتهم وأعمالهم ودنيائهم ودينهم . فهذه الصلاة مراح . فهل عرج المساهون عليها لعلوم التي فصلها الله في الأرض وفي السماء . ولكن الله يقول - وما كنا عن الخلق غافلين - فهو سبحانه لعنايته بالمسلمين أودع في العبادة التسبب والتحميد فسكرهم ملاً الأرض بالعلم ثم أظهر هذا التفسير وأمثاله فظهرت الحقيقة وسيقرأ الناس هذا وأمثاله فترتق أولاد مدنهم ومع ارتقاء المدن بالعلوم يكون ارتقاء النفوس بها من حيث أدراك أمثال ما قلنا الآن من أن التسبب والتحميد ساريان في سائر العوالم وهما معروفان للمفكرين والحمد لله رب العالمين

﴿ التسبب والتحميد في القرآن لغز الوجود ﴾

هل يعلم المسلمون أن هذه الآية هي اللغز الذي انتصب لحل أهم الأرض قاطبة . التسبب والتحميد هما مسألة (الخير والشر) . فالسبب تنزيه عن فعل الشر أو الاتصاف به والتحميد ائذان بالاتصاف بفعل الخير والشر والخير المذكوران هما موضوع دراسة الأمم كلها . اتنا على هذه الأرض نحس بالآلام والذات ومحجوب ومكروه . هكذا أبناء آدم من عهده وإن تقادم بحثوا في الخير والشر ونظروا . فأنظر في دين المجوس وكيف كان المجوس يقولون إن الذي صنع هذا العالم ﴿ إلهان ﴾ إله للخير وإله للشر . فاذا قيل لهم من الذي صنع العقارب والحيات . ومن الذي أتى بالأمراض والموت فاجواب لهم إلا أن يقولوا هو إله الشر . ولقد فروا بذلك من أن إلهاً رحماً يصبح فاعلاً للشر وانتهى الأمر عندهم على ذلك . إن الناس قديماً وحديثاً لا يعقلون إلهاً رحماً ثم هو يخاف الشر . فهذه العقدة حلها دين المجوس بهذا الحل الذي فصل الخير عن الشر وجعلوا أن إله الخير تغلب على إله الشر وصنع هذه الخيرات . هذا هو دين المجوس وهذا الحل يتناول الشرور التي في العالم والتي في نفس الانسان . فاذا قيل لم كانت الزلازل يقولون من فعل إله الشر . وإذا قيل لم كانت الحياة فيقولون من إله الخير وهكذا المرض من الأول والصحة من الثاني

﴿ آراء علماء اليونان في الخير والشر ﴾

ثم إنك ترى أن علماء اليونان بحثوا في الخير والشر ولكن من الجهة الإنسانية وحدها . ولقد كان فيهم (الرواقيون) أصحاب (سقراط) والمشاؤون أصحاب (أرسطاطاليس) والذي نقل إلينا انما هو رأى أصحاب الرواق وكلامهم في هذا المقام خاص بالأخلاق . ولقد كان (سقراط) قبل الميلاد بنحو أربعة قرون وكلام هذه الطائفة

أما الآن فالآثم كلها لاتزال غير قادرة على حفظ النظام العام . هذه هي اللغة العامة التي لم يتم الناس دراستها الى الآن . ففسدا الكلام الالهي ظهر اثره في نوع الانسان قد دخلت فيه آلام كثيرة . آلام موت الولد ومرضه . وآلام الحرب . وآلام النصب في كسب المعاش . وآلام المرض بل ان أكثر هذا الكلام الالهي آلام . إذن اللغة التي يخاطبنا الله بها كلها إحساس والاحساس متنوع . إذن هذا الاحساس لم يكن لا يذنا بل هو لضعفنا . فاذن قول المسلم ﴿ سبحان الله ﴾ معناه أن هذه الآلام لم ترسل لأهل الأرض ظاهرا كلا . بل هي اللسان الذي يفهمونه وليس هناك طريق توصل للحيوان وللإنسان منفاه إلا من طريق هذه اللغة . فعلى قادة الأمم بعدنا أن يكونوا جاعات للتفكير في أسباب الآلام العامة حتى يتداركوا مافرط من نوع ان نسان وعلى مقدار الجهل بهذه اللغة يكون العذاب لهذا الانسان . فاذن يجب دراسة هذه الآلام الشاملة لنوع الانسان ومتى أدركها الناس سعدوا . فما هذه الآلام العامة في نوع الانسان من سياسية وجسمية وعقلية إلا مطالبات بالكمال وعلى الناس الدراسة . هذا معنى سبحان الله يعنى يا أيها الناس إني لم أنزل عليكم جوعا ولا عريا ولا غيرهما إلا لتكميلكم فالآلام مقدمات الكمال لا أنى أريد تعذيبكم بل تمهيدكم . إذن تسبيح السامعين يراد به دراسة هذا الوجود . أما التمجيد فانه تكميل لتسبيح فانا اذا درسنا الآلام الانسانية وعرفنا أن القصد منها معرفة مقاصدها . هكذا من باب أولى فلندرس النعم المحيطة بنا فلا نغرقها ولاما ولا نعصرها أرضيا إلا لدرسناه لنتمتع بنعم الله لأن هذه النعم هي المطالب العامة التي لها خلق الله فينا أنواع الآلام . فالآلام تدفعنا للعمل والعمل يبيننا نعم الله التي تحيط بنا وهذه النعم هي الحمد عليها . فاذن يدرس الناس طبائعهم فيكونون مسبحين لأنهم اذا عرفوا الخالق نزهوا ربهم عن قصد إيذائهم وعذابهم بالحكمة ثم يخرجون من ذلك الى تناول النعم فيكون الحمد ثم بعد ذلك يقال لهم أيها الناس انكم لم تؤثروا من العلم إلا قليلا وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ هذا هو التسبيح والتمجيد والتكبير عقب الصلوات وهذا بعض سر قوله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - فاجوع يؤلك في الوقت نفسه ينزه الله أن يريد إيذاك وإنما يرسل الجوع ليدعوك للطعام وبالطعام تحيا فالامك لاسعادك بالحياة فلاون الناس درسوا ما في نفوسهم لأدركوا أن كل ألم قائما هو لمصلحة والمسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان ربي العظيم وسبحان ربي الأعلى ثم يتبع ذلك بأنه خضع له سمعه وبصره وبأنه سجد وجهه للذي خلقه وصوره الخ كل ذلك من هذا الوادي . فهو يقول ان الله لم يرسل الآلام في الأرض إلا لرحمتنا فلندرس ما لم نفهمه لأن الله يقول - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - * وقد جاء في الحديث ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ ومثل هذا الفهم من أجل الفقه في الدين لأنه نهاية حكمة الحكماء وعلم العلماء وبعض مافضل به ابو بكر رضى الله عنه الذي فضل الناس بشئ وقر في نفسه

اذا عرف المسلم هذا ينقل الى طبائع هذه الدنيا ويدرسها وينظر منافعها ويحتس من المضار ويجب المنافع وهو هو معنى الحمد . واذا وصل الناس الى منافع في الأرض فليس معنى هذا انهم قد وصلوا الى النهاية كلا . وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ فكما وصل الناس الى نعمة فليعلموا أن وراءها نعمة . واعلم أن أهل الأرض اليوم كلهم جاهلون لأنهم يجهلون مآخلاق فيهم من الآلام مع انهم لودرسوها لأعظمهم علما جا فاذا رأينا الجوع والعري وسب التزوج مغروسين فينا فلنعلم يقينا أن هذا قصد وحكمة وهذا القصد وهذه الحكمة يجب علينا دراستها لتهدينا الى حياتنا بل لقلد الله في ذلك وليكن تعليمنا صامتا اذا قفرتا . وكلما كان التعليم بالصمت كان أقرب الى الثقة والافئح ممتثلون فنا كل الطعام ونزج ونحن مقهورون على ذلك ولاندرى اننا مقهورون . فاما اذا ليفكر أهل الأرض في انهم يكون بعضهم لبعض نافع بطريق الحب والدافع النفسى كما رأوا أنفسهم يلدون ويأكلون ويشربون وهم يظنون انهم مختارون مع انهم جميعا يجهلون انهم مقهورون

على ذلك . اللهم اننا خلقنا في هذه الأرض ونحن لم نتم مقصود هذه الحياة كما قال تعالى - كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة - الى قوله - قتل الانسان ما اكفره * من أى شئ خلقه * من نطفة خلقه فقتله * ثم الجبل يسره - الى قوله - كلا لما يقض ما أمره - وترى القرآن يذكر أن ثمود طغوا بعقر الناقة ويقول - كذبت ثمود بطغواها * اذ انعت أشعاقها * الخ وهذا كله راجع الى جهل نعمة أرسلت اليهم وهي الناقة ولما جهلوا عقروها وهي نعمة في الحياة الدنيا فعوقبوا . ومعنى هذا أن الناس على الأرض اليوم اذا جهلوا النعم التي أحاطت بهم فانهم لامحالة معاقبون وأكثر أهل الأرض اليوم في عقاب في الدنيا - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى -

فليقرأ الناس جميعا عواطفهم ومنافع أرضهم والله لن يتم ذلك إلا اذا تضافر أهل الأرض على هذه الدراسة ووجدوا الوجهة العلمية والعملية والافهم لايزالون في عذاب مستمر . وأظن أن النوع الانساني سيقرب منه هذا اليوم - والله يعلم وأنتم لاتعلمون - انتهى

﴿ بهجة العالم في قوله تعالى أيضا - نسيح له السموات السبع - الخ ﴾

(من كلام الصوفية)

اعلم أيها الذي أن الله عز وجل أنذر هذه الأمم الاسلامية بجميع طرق الانذار فلم يذر سبيلا لتعليمهم إلا سلكه ولا طريقا لهدانهم إلا سنها . ذلك لأنه رحن رحيم فهو رؤف بخلقه . ولأجرح أن هذا العالم الذي نعيش فيه من العوالم المتأخرة التي تأتي الهداية لأهلها بطرق خاصة تناسب عقولهم . فانظر ماذا جرى

قد عرفت فيما سبق في هذا التفسير أن المسلمين المتأخرين حرّموا من العلم بجمال هذه الدنيا وزاد الطين بلة أنه شاع بين المتصوفة أن العلم حجاب وشاعت هذه القضية بين الناس فأصبحت هذه عقيدة معمولاً بها فنادا صنع الله مع المسلمين . جعل بعضهم في أخريات الأمم وسلط عليهم الفرجة فأحاطوا بهم من كل جانب وقبل ذلك سلط عليهم الصليبيين فزار بهم . كل ذلك ليوقظهم للعلم والمعرفة لأن العلم هو السلاح العام في كل زمان لاسيما في هذا الزمان فهو السلاح المتين فان السلاح في الحرب نتيجة من نتائج العلم وهكذا سائر أدوات الحرب من سفن وقلاع الخ

تجب من صنعه مع المسلمين . علم سبحانه أنه عز وجل سيهلكهم أناسا في عصرنا هذا لنشر العلم وتحريض المسلمين عليه مثل ما في هذا الكتاب وعلم أن أكثر الأمم الاسلامية أتباع شيوخ الطرق وأكثر شيوخ الطرق يهون الناس عن العلم وعن قراءة الكتب لتبقي السلطة في أيديهم لأن المسلم اذا كان أعلم من أستاذه تركه لامحالة . فانظر ماذا دبر الله لقرأ هذا التفسير . ألهم الرجل الصالح المسمى (بالشيخ الخواص) بمصر في القرن العاشر الهجري أن يلقى بعض مسائل للشيخ عبد الوهاب الشعراني رجمنا الله تعالى وتلك المسائل تناسب الآية التي نحن بصدها وتناسب العلوم التي كشفت حديثا ولم تكن معلومة في ذلك العصر وانما فعل ذلك لتكون حجة لأشكال قراء هذا التفسير وتلك الحجج بها يصولون ويهاجون أولئك الجهلة من المسلمين الذين يقولون ان هذه العلوم لا لزوم لها فتكون هذه المسائل أشبه بمن يضرب طيرين بحجر واحد فهي أول حجة على جميع من يدعى من الصوفية جهلا أن الاسلام براء من هذه العلوم فيقال لهم إذن لماذا أظهر الله معرفة ما ستسمعه من الحجاب العلمية على يد صوفي مثلك في وقت لم يعلم بهذه العلوم أحد في الأرض . إذن هذه العلوم اسلامية صوفية وأنت جاهل بها ﴿ ثانيا ﴾ هذه متى سمعها المسلم وأيقن أن بعض الخواص من المسلمين عرفوا هذه المسائل قبل ظهورها أيقن لامحالة بأن هذا علامة على صدق هذا الدين وتكون هذه من معجزات

صاحب الشرع ﷺ

اذا علمت ذلك فهناك ما قاله الشيخ الخواص للشيخ الشعراني في كتابه المسمى ﴿ الجواهر والدرر ﴾

ذلك أن الشيخ الشعرائي سأل الخوَّاصَّ شبه الأثني الذي لم يكتب ولم يقرأ ولم يتعلم فقال إذا كان كل شيء في الوجود حياً دراكاً عند أهل الكشف فبأي شيء زاد الحيوان على الجاد في شهود العامة . فقال زاد على الجاد بالمشورة فقط زيادة عن الإدراك ثم ذكر له ماجاء في السنة الصحيحة مما يشهد بمعرفة لها وأوامر ربها ومعرفة بكل شيء وبفهمها كل كلام ولكنها عاجزة عن إسباغنا النطق بالله . وذكر هنا أحاديث في هذا المعنى اكتفى منها بقوله أنه عليه السلام لما هاجر إلى المدينة وتعرض كل من الأنصار لزاماً نأفته قال عليه السلام دعوها فإنها مأمورة . قال ولا يؤمر إلا ما يعقل ثم قال وفي القرآن العظيم - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أئماً لكم - قال والأئمة هم المشتركون في صفات النفس كلها حيوان ناطق إلا أن كل جنس يقل في غيره معرفة اصطلاحه ثم قال تعالى - ثم إلى ربهم يحشرون - يعني كما تحشرون أنتم وهو قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - يعني الشهادة يوم الفصل والقضاء ليفصل الله بينهم كما يفضل بيننا فيأخذ للشاة الجاء من الشاة القرناء كما ورد في ذلك دليل على أنهم مخاطبون مكافون من عند الله من حيث لا يشعرون المحجوبون وذكر آية - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - قال والنذير خاص وعام . قال وورد أن الكلاب أئمة من الأمم وهكذا الخمل والحشرات أنها أم أئمتنا . ثم ذكر كلاماً لاتصوّره عقولنا مثل ان البهائم قد حارت أشد الحيرة في معرفة الله تعالى وإن أعلى ما يصل إليه العلماء في العلم بالله تعالى مبتدأ البهائم التي لم تنقل عنه وإن كانت منتقلة في شؤنه . ويقول إن الناس احتاروا في أمر الحيوان لأنهم يرون أعمالاً صادرة بعقل وروية وفكر دقيق ولم يكشف الله لهم عن عقولها ومعرفة بها وهم لا يتقدرون على انكار ما يرونه ويصرون عنها من الصنائع المحكمة غارراً وأخذ هؤلاء المحجوبون يتأولون ماجاء في الكتاب والسنة من نطقهم ونسبة القول إليهم . ثم قال فبأي شيء يشرى ماذا يفعلون فيما يرونه مشاهدة كالنحل في أقراص الشمع وما في صفتها من الحكم والآداب مع الله تعالى . وكالعناكب في ترتيب الحبالات لصيد الذباب حيث جعل الله أزرارها فيه . وما يدخره الخمل وبعض الحيوانات من أقوات وبناء أعشاشهم وإقامتها من القش والطين ونحو ذلك على ميزان معلوم وقدر مخصوص واحتياطهم على أنفسهم في أقواتهم فيأكلون نصف ما يتخرون خوف الجذب فلا يتجربون ما يتقنون به فإن كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر . فأين عدم العقل الذي ينسب إليهم وإن كان ذلك علماً ضرورياً فقد أشبهوا فيها لاندركه إلا بالضرورة فلا فرق إذن بيننا وبينهم ولورفع الله عن أعين الخلق حجاب العبي كما رفعه عن أهل الشهود لرأوا عجباً في عشق الأشجار بعضها بعضاً وطابها القاقح وأظهر آية لأهل النظر إذا أنصفوا . ثم قال الشعرائي بعد ذلك وقد شهدت شيخنا علياً الخوَّاصَّ يعامل كل جاد في الوجود معاملة الخيِّ فضلاً عن الحيوانات ويقول إن كل جاد يفهم الخطاب ويتألم كما يتألم الحيوان الخ انتهى

ثم إن الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك بقرنين اثنين حدث عن شيخه أيضاً المسمى الشيخ عبدالعزيز الدباغ بمثل هذا فقد سأله عن تسبيح الخصى ونحوه فقال إن ذلك كلامها وتسبيحها دائماً وإنما سألت النبي عليه السلام به أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها . ثم أخذ يشرح هذا المقام بحسب طريقه فأفاد أن الجادات تعرف ربها كسائر الحيوان وإنها عابدة خاشعة خاضعة . هذه وجهتها لربها ووجهتها لنا أنها لا تعلم ولا تسمع الخ وأتى بهذه الآية - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - وقال أيضاً إن للأرض علماً هي حاملته وعارفة به كما يجعل أحدنا كتاب الله عز وجل ويعرفه وكذا كل مخلوق من الجادات هو حامل له . قال الشيخ ابن المبارك فقلت له فتكون عاقلة عالمة كيف وهي جاد . فقال إنما كانت جادا في أعيننا وأما بالنسبة إلى ربها فهي عالة به . وأكد في قوله أن كل جاد خاضع خائف خاشع وجل من ربه والناس لجهلهم يظنون أنهم يتشبهون على جاد . وأتى بعد ذلك بأشياء لا يتخيلها العقل مثل أنه سمع الأسفار بطريق الكشف تذكر الله وتسبيحه . انتهى

وههنا جاء صديقي العالم الذي اعتاد أن يسألني في الامور الهامة فقال بعد أن اطلع على ما كتبت هنا .
عجبا لقد آتيت هنا بما لاتصوره العقول . وهل هذا يليق بتفسير القرآن في هذا الزمان . فالتنا القول
الذي لاتصوره العقول وأتى مناسبة بينه وبين الكشف في العصر الحاضر الذي ذكرته وأبني الكشف الذي
كشف هذا . فقلت له ان ما تقدمت به يرجع لعالم الحيوان والنبات والجماد . فأما الحيوان فهذا العصر قد
كشف فيه علما جبا . ناهيك ما تقدمت في هذا التفسير من علوم عصرنا ومن دقة صناعات الحيوانات وبدائعها
وتصريفها فارجع اليه في سورة هود والنحل وغيرها فذكر ذلك قبل أربعة قرون على لسان رجل مسلم أي
أمر عجيب . وأما النبات فأمره أعجب لأنك ترى الشيخ الخواص يقول ان الأشجار تعشق بعضها لأجل
الانقاص وهذا عينه هو الذي كشفه العلم الحديث وأنا أجد الله عز وجل جدا كثيرا إذ جعل هذا التفسير مستوفيا
لهذه المسائل كما تقدمت في سورة الحجر وفي غيرها فان القاح النبات أمر عام لا يخص بعالم واحد نباتي وقدمت
شرحه في سور كثيرة غير الحجر كالأنعام والبقرة وهكذا . وأما الجماد فهو أمر خفي جدا ولكن علماء العصر
الحاضر لم يذكروا إلا ما يأتي

يقول بعض علماء أوروبا إن كل الجادات متحركات وهذا أمر أصبح مبرها عليه وتقدم في هذا التفسير
ومعنى هذا أن كل قطرة ماء أو قطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة وللذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة
والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالكسوجين والادروجين وقد بلغت العناصر الآن فوق الثمانين عدا
وجعلوا منها النحاس والحديد والذهب والفضة وهكذا وهذه العناصر متى تحلت لا ترجع إلا الى كهرباء وماهى
الاتومات وبنها مسافات متباعدات بدور بعضها على بعض كما تدور السيارات حول الشمس فالعالم كلها
متحركات دائما لاسكون لها وحركات تلك النرات دأمة لا فتور لها فهي لا تنهدأ من يوم أن خلق الله العالم
الى يوم أن يفنى العالم كله فناء تاما

ويقول العالم (هنشرو) الذي نشر في مجلة (هاربر) الأمريكية مقالا في نقطة الماء وانه فرض تكبيرها
حتى صارت بحسب الفرض أكبر من فلك الأرض حول الشمس ما يأتي

إننا نرى جواهر الكسوجين مثلا وجواهر الادروجين ليس كل منهما إلا ذرتين من النور واحداهما تدور
حول الأخرى قال وإذا استنبطنا وسيلة تبطل حركتهما رأينا في كل دائرة منها نقطة صغيرة من النور وسرعة
دورانها يظهر مدارها دائرة من نور لأنها تدور فيه ستة آلاف ألف ألف دورة في الثانية الواحدة من
الزمان . وما هذه النقطة اللامعة النورية الدائرة إلا نقطة كهربائية . إذن الأجسام التي نراها كلها ترجع
للعناصر والعناصر ترجع الى كهرباء والكهرباء ماهي إلا نقط نورية بدور بعضها على بعض بسرعة ملايين
الملايين أى آلاف آلاف أضعافا مضاعفة وهذه السرعة باختلافها تختلفت العناصر وباختلاف العناصر اختلف
العالم الذي نعيش فيه من سماوات وأرضين . هذا كلام علماء العصر الحاضر جميعا ثم إن طائفة منهم خاصة في
سائر أنحاء أوروبا يستنبطون من ذلك أن كل مخلوق له حياة لأن الحركة تصحب الحياة . وإذا كان الحيوان
بسبب الحياة متحركا حركات مختلفات فهناك أولاء تحققنا حركات الجماد كله وحركته أسرع آلاف الآلاف
من حركات الحيوان فلم نثبت الحياة لضعيف الحركة وننفى عن الحركة في أقوى وأدوم . فهذه الطائفة تقول
ان كل موجود حي . هذا آخر ما وصل اليه العلماء في العصر الحاضر . ثم قلت له . أفلا ترى أيها الأخ أن
كشف العصر الحاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ المسلمين من باب الإلهام وقد نبهوا المسلمين والمسلمون
بقوا غافلين لم يتفطنوا لما يقولون . فقال صاحبي حقا انه من العجب أن يذكر ذلك بعض الشيوخ والعالم
الإنساني كله منذ أربعة قرون كان في غفلة فان تعاشق الأشجار التي ذكرها الشيخ الخواص لم تعرف إلا في
زماننا ومعرفتها جاءت من أوروبا ولم يعلم أحد من المسلمين ولا غيرهم أن للجماد حركات بطيئة وأسرعة إلا في

هذا الزمان ولكن كون الجادله فهم أمره غير معقول . فقلت نعم انه غير معقول لنا ولكن نحن الآن في مقام الموازنة بين كلام بعض شيوخ المسلمين وبين الكشف الحديث واننا نتجيب من أن بعض مآلوه ظهر صدقه فقال نعم هذا حسن . وقد قرب لنا معنى أن كل شيء يسبح بحمد الله فعلا . ثم سألت ﴿سؤالين﴾ أولهما ﴿ما الفائدة في ظهور مثل هذه الأقوال في زمان تأخر المسلمين مع انه كما في ذلك الزمان كان خارجا عن العقول وبعضه الى الآن لا يزال بعيدا عن تصور العقل﴾ ثانيهما ﴿هل كل ما يقوله الصوفية بالنسبة لما نراه من تحقيق كثير من المسائل العلمية بدون تعليم﴾ . فقلت أما فائدة ظهور هذه الأقوال في زمان تأخر المسلمين فقد قدمت لك جلستها في هذا المقال وأز يدعا وضوحا الآن فأقول

إن فائدتها ترجع ﴿لأمرين﴾ الأول ﴿أن الناس في زمان جهالتهم حين يسمعون هذا وهو فوق طاقة العقل يسمعون به تسليبا بالبحث وتكون فائدته لهم ثبات عقيدة الإيمان فهي أشبه بمجربات الأنبياء فهي من العلوم التي فوق طاقتهم كما ان المجردة فوق طاقتهم فيكون نتيجة ذلك العلم إيمانا ثابتا ﴿الامر الثاني﴾ أن يعرف المسلمون في عصرنا حين يطلعون على هذه العلوم والمباحث الطبيعية التي تسلك تنطلق بما قاله هؤلاء الشيوخ أن شيوخ الصوفية وتلاميذهم الذين هم أكثر المسلمين الآن اذا تركوا هذه العلوم وهم قادرون عليها وعكفوا على العبادات وحدها والخلوات والدعوات والذكر وعقولهم خاوية من معرفة هذه العلوم يكونون آتمين مغرورين مذنبين وذلك ﴿لأمرين﴾ الأول ﴿ما عرفت من أنها فروع كفايات﴾ الثاني ﴿أن نفس رجال الصوفية هم الذين أخبروا بهذه المسائل قبل ظهورها في أوروبا وبقيت هذه نحو أربعة قرون في بطون الكتب لتظهر الآن مشروحة في أمثال هذا التفسير الذي سيكون من الأسباب الفعالة في انطلاق العقول الى حوز هذه العلوم ان شاء الله تعالى . فاذا كان شيوخ الصوفية هم الذين أشاروا اليها قبل ظهور علماء أوروبا وقد وصل هؤلاء الى أهم ما ذكره شيوخ الصوفية . فاذن يكون الصوفية في زماننا اذا جهلوا هذه العلوم مذنبين مغرورين معاقبين . إن الله عز وجل أنطق هؤلاء الشيوخ بذلك تقريرا للصوفية في هذا الزمان على جهلهم . فقال صاحبي هذا حق من وجه ولكنه باطل من وجه آخر . إن الصوفية بسبب الانقطاع الى الله يفتح عليهم فيعرفون ما لا يعرفه الناس . فقلت هذا أمر نادر والنادر لا يحكم له وهذه العقيدة عامة بين تلاميذ الصوفية وأكثرهم يموتون وهم لا يعلمون ولو كان هذا الفتوح عاما لأصبحت بلاد الاسلام كلها غنية عامرة أغنى من أوروبا في هذه العلوم . فقال الفتوح عليه لا يكلم الناس بعامة لأنهم لا يعقلون . فقلت وما فائدتنا منه فرضا وهذا كما جهل قال رسول الله ﷺ ﴿إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم﴾ والله عز وجل لا يعطى العلم إلا للجد فيه . وانظر الى هؤلاء الشيوخ مثل الدباغ الذي ذكر تسبيح الجاد والشيخ الخواص الذي قال ان الأشجار تتعاشق فان علمهما علم اجلي ولم يقد للمسلمين فائدة عامة ولكن العلوم اذا درست دراسة حقيقية انشهر العلم وانتفع به الناس ولكننا رأينا المسلمين مع كثرة رجال الصوفية فيهم أفقر خلق الله في هذه العلوم . إذن من الجهل أن تتشكل على الفتوح بالعلوم مجانا وأن تترك عقولنا ومواهبا كمن يترك حراث الأرض وزرعها انتكالا على أنه ربما يثر على كثر فهذا جهل وغرور . انتهى الأمر الأول وأما الثاني وهو هل كل ما يقوله الصوفية حق فأقول جوابا عليه . كلا . وأذكر كما بما تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر - الخ إذ ترى أن في كل انسان قوة خفية عنه وقد استعمل الناس طرقا صناعية بها فقد الانسان احساسه وانخطف اخطافا روحيا فيسمع من بعد وينبئ بحوادث مستقبلية ويحاطب الأرواح حوله ويكون بالنسبة لجسمه كأنه غريب عنه ثم هو مع ذلك قد يخطف . ذلك لأن الله عز وجل لا يريد أن يجعلنا في الأرض نعيش خاملين . فقال اذا صح هذا في التنويم المغناطيسي فلا يصح في حق الشيوخ . فقلت له . كلا . إن الله عظيم متعال متكبر وقد فعل مع الشيوخ ما فعله مع غيرهم

قال وكيف ذلك . قلت ألم تر الى ما ذكره الشيخ الشعرائي نقلا عن الخواص في آخر الكتاب للتقدم . يقول ﴿ إن يوم الأمة المحمدية ألف سنة أولها من ولاية معاوية قال ولا تزال الشريعة ظاهرة يحكم بها الى ثلاثين سنة من القرن الحادى عشر ثم يختل نظامها الأكبر وتصير كمقد انقطع سلسله ﴾ وقال في آخر كتاب ﴿ درر الغواص ﴾ ما يفيد هذا وقال مانعه

وقد بين الكشف والنوق اقتراب الأمر الدينى وانشقاق الفجر الأخرى وزاد في البيان عكس الظلمة والظلال وقبض العالم الى أن قال وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدى عليه السلام وأخبره أنه قد قرب ظهوره الخ فهذه الأقوال كلها لم تتم . وهاتين أولاء في القرن الرابع عشر الهجرى ولم تقم القيامة مع أنها كان موعدها في القرن الحادى عشر الهجرى . فينتج من ذلك أن التويم المغايبى وشيوخ الصوفية يخطئون ويصيبون وما أصاب فيه الصوفية ايقاظ للمسلمين وما أخطأوا فيه تعلم لنا أن لا تتشكل إلا على الله وتعلم بأفسنا فهذا زمان رقى المسلمين وانى أحمده عز وجل إذ علمنا ما لم نكن نعلم

وقبل الانتقال الى القسم الثانى أوضح ماجاء في حديث الاسراء أنه ﷺ رأى ليلة أسرى به نهرين ظاهرين وهما الفرات والنيل وهناك نهران آخران فى الجنة وأيضا قوله انه رفع الى البيت المعمور وأن هناك ملائكة يدخلونه كل يوم ثم لا يرجعون وأن سدرة المنتهى لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحدم خلق الله يستطيع أن ينعها

(١) النيل والفرات . اعلم أن الجنة ليس نيلنا فيها ولا فراتنا وانما هذا الذى رآه رسول الله ﷺ من عالم البرزخ الذى هو المسمى عالم المثال الذى ذكره (أفلاطون) وكثير من الصوفية عندنا . فهذا العالم أرى الله فيه نبيه ﷺ الحقيقة مجسمة والحقيقة كذلك أى ان النيل والفرات من السماء . و بيانه أن الحركات الشمسية المنتظمة سبب فى الصيف والربيع والخريف والشتاء ومن هذه يكون المطر المستخرج من الحرارة من المياه ففى أرسلت الشمس أشعتها على الأرض وسخن ظاهر الماء اتجه البخار الى الجوف فتلاقى مع الطبقة الباردة عند خط الاستواء فهطل المطر . إن الأرض يحيط بها خيمة من الهواء البارد مرفوعة عند خط الاستواء راسية على الأرض عند القطبين فهناك الثلج المتراكم والجو بارد فاذا ارتفع البخار فى هواء حار عند خط الاستواء وتلاقى بهذا الهواء البارد نزل المطر واذا اتجه الريح من المنطقة المعتدلة الى المنطقة الباردة كالرياح التجارية الضديدة المتجهة الى الدائرتين القطبيتين فان السحاب هناك تهطل . لماذا . لأن الهواء الحار قابله البارد ومثل هذا يحصل فى الرياح الموسمية التى تتجه من الشمال الى الجنوب شتاء ومن الجنوب الى الشمال صيفا وتهب على المحيط الهندى فهذه الرياح متى لاقى الرياح الباردة هطلت مطرا . فهذه الأمطار ناجمة من البخار الذى حملته الرياح التى أثارها وأثارت البخار حرارة الشمس المسيرة فى السماء . فاذن كل ذلك بفعل سماوى لا أرضى ففى النيل والفرات وغيرها من الأنهار التى يبنها فى سورة الرعد لإقارة من بحر النظام السماوى فحركات الشمس وحرارتها هما اللذان بسببهما أجرى الله الأنهار من فرات ونيل وغيرها ولا جرم أن الشمس ونظامها متصلة بشموس أخرى وأخرى وهكذا الى أن ينقطع فكر العباد فظهر أن كلام نبينا محمد ﷺ يقصد به البحث والتقيب عن العجائب والنظام فان الانسان اذا سمع أن النيل فى الجنة لا يصدق فيبحث فىصل الى ما قلته . إن عالم الطبيعة أوصدت أبوابها دوننا معاشر بنى آدم إلا ما تجرد به حواسنا وعقولنا وغيره محجوب . هكذا جعل الله للأنبيا رموزا لنبعث حتى نصل الى مقصودها ونقف على الحقائق بقدر الامكان

(٢) وأما كون سدرة المنتهى قد غشيها من أمر الله ما غشيها فذلك يعرف بمبادئ بعض المقنعين للعبادة فان هناك لهم أحوال خاصة بهم حقيقية أنا لا أشك فيها وليس لها مفتاح إلا العبادة والذكر واستحضار الله

في الصلاة بحيث تشعر بانك تخاطبه فهذه مفتاح التخلي التي يريك مبادئ هذا الذي ذكر في الحديث وان كان النبي يتخلى للساكنين ليس شياً بالنسبة للنبي ﷺ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . وإذا كان حديث الفرات والنيل للبحث في العوالم غديث سدرة المنتهى وأتوارها للبحث في أسرار النفس . وأنا أقول لك ان فيها أسراراً لا تقف عليها إلا بفتح العبادة والذكر مع حضور قلبك ولتعلم أن هذه الأنوار النفسية شيء وعلم النفس الذي في الفلسفة شيء آخر . فعل النفس الذي ذكرنا بعضه في سورة البقرة يتناوله البحث ويدخل فيه المنطق والقياس والبرهان . فأما هذا فلا يبرهان له إلا العبادة والذكر والتسليم لا يعرفها إلا صاحبها فقد يرى مسرات وانسراحاً لا يحس بها الذي لم يزاوها فعلم النفس الفلسفي يشترك فيه الناس عموماً وعلم النفس الوجداني خاص بأصحابه ولهم ثمراته

(٣) وأما مسألة الملائكة وانهم سبعون ألفاً يأتون البيت المعمور ثم لا يرجعون أبداً فهذا مقام فوق هذا المقام فإن الجبال الذي يتجلى لأصحاب الذكر والمتاضين مرتبته أقل من مرتبة الذين ارتقوا فشاهدوا عالم الملائكة . وإذا كنا نرى في أرضنا الضعيفة عوالم لا تعد ولا تحصى حتى انك لو حسبت ما في دارك وحدها من المكروبات التي لا ترى ربما بلغت مئات آلاف آلاف بل هذه الأعداد وما فوقها ربما كانت في قطرة ماء في فنجان فما بالك بما في المنزل . وإذا كان هذا في عالمنا فما بالك بعالم الملائكة فالأنبياء يطعمون على عوالم شريفة لا تحصى لقرب نفوسهم من نفوسهم ولتجانس بينهما . انتهى ما أردناه تابعاً للقسم الأول

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

قُلْ كُونُوا حِجَابَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُم أَوْ إِنَّ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا نُوحًا نَافَاةً مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّهُمْ فَأَنْزِلُوهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا *
قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوَدِّعَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا أَحْشِيكَ مِنْ دُرِّيَّتِهِ إِلَّا قَلِيلًا *
قَالَ أَذْهَبَ فَإِنَّ لِي مِنْهُمْ جَنْدًا وَجَحِيمًا * وَإِنْ جَاهِدْكُمْ أَجْزَأُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَأَسْفِرْزَ مَنْ
اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكُمْ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَنِسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا * رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْأَمْوََالَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتِغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا جَاءَكُمْ إِلَى
الْبَرِّ اعْرِضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ فَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُمَ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا *
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أَؤْتِيَ كِتَابَهُ بَيِّنَاتٍ
قَالُوا لَكَ يَقْرَءُ كِتَابَهُمْ وَلَا يُمِطْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا
لَا ذَنْبَكَ ضَعِفَ الْحَيَاءُ وَضَعِفَ الْمَأْتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةٌ مِنْ قَدَرُاسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا * أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ
يَمِيتَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ
لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا *
وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا
أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَغْرَضَ وَتَأَاجَبَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا * قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى

شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
 رَبِّي وَمَا أُتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا * وَلَقَدْ شِئْنَا لَنذْهَبَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ نَمَّ لَا تَجِدُ
 لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا * إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا * قُلْ لَنْ أَجْمَعَتِ
 الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
 * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا *
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَدْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
 وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالَ أُوتَانٍ
 بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونُ لَكَ يَدٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
 بِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا
 مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا * قُلْ كُنِي
 بِاللَّهِ شَهِيدًا نَبِيٍّ وَيُنَسِّكُكُمْ إِنَّهُ كَانَ بَعِيدًا خَبِيرًا * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلُّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا
 وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَا نُلْبَعُوثُ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ
 إِلَّا كُفُورًا * قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ قَتُورًا * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَأَسَاءَلَتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
 فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَتَزَلُّهُ لَوْلَا إِيَّاكَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بِصَآرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِزَهُمْ مِنَ
 الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا
 جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَغِيفًا * وَبِالْحَقِّ أَتْرَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
 وَنَذِيرًا * وَفَرَأَيْنَا فَتْنَةً لِنُفْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَا تَنْزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ

لَا تُؤْمِنُوا إِنْ دَلَّيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَلْفٍ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ
سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا *
قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا
تُخَافَتِ بِهَا وَابْتِغَاءَ بَيْنَ ذَلِكَ سُبُلًا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

لما قالوا - أئذا متنا وكنا عظاما ورفانا - قال الله لبيه ﷺ (قل كونوا حجارة) في شدتها (أوحديدا) في قوته وبأسه (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) ويستعصى على قبول الحياة لكونه أبعد شئ عنها فقدره الله لا تقصر عن إحياكم فسرنا عنده أصاب الأشياء والطفها فأعظام النخرة أقرب إذن إلى قبول الحياة لا تستعصى عليها كما أطاع ماهوا كثر منها شدة وأصلب (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة) وكنتم ترابا فن قسر على الانشاء فهو على الاعادة أقدر (فسيدغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها تحريك نجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) استبعاد له (قل عسى أن يكون قريبا) عسى هنا للوجوب أى هو قريب (يوم يدعوكم فستجيبون بحمده) أى يوم يدعوكم من قبورك إلى المحاسبة يوم القيامة فتجيبونه حامدين له إذ تفتنون التراب عن رؤسكم وتقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو مقادير له انقياد الخامدين وإذا جدوا الله على الأول فهم ﴿فريقان﴾ فريق ينفعه الجد وهم للمؤمنون والثاني لا ينفعه لأنه بعد فوات الفرصة في الحياة وهم الكافرون (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) أى وتستقصرون مدة لبثكم في الدنيا عند الموت أومة لبثكم في القبر يوم القيامة - كالتى مر على قرية وهى خاوية على عروشها - (وقل لعبادى المؤمنين الكلمة التى هى أحسن) ولا تخاشنوا المشركين (إن الشيطان ينزغ بينهم) بهيج ويفسد ويبقى العداوة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة ثم قال تعالى (ربكم أعلم بكم أن يشأ ربكم) أى بوقمكم للإيمان فتؤمنوا (أو أن يشأ يعذبكم) أى بتمكم على الشرك فتعدبوا (وما أرسلناك عليهم كيلا) موكولا لك أمرهم فتقهرهم على الإيمان * يروى أن المشركين أفرطوا في إيذاء المؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فزلزل (وربك أعلم بمن فى السموات والأرض) بأحوالهم فيقذف الإيمان فى قلب من يشاء والكفر فى قلب من يشاء ويصطفى منهم أفضلاهم استعدادا للنبوة والنبون أيضا درجات فلا بدع إذا كان محمد ﷺ نبيا وهو يتيم إلى طالب فإن استعداده هكذا ولا بدع أيضا فى أن العرا الضعاف أصحابه فالتفضيل راجع للقوة الروحية لا للمادة الجسمية وللأكثر الأموال والذرية . إن تفضيل داود عليه الصلاة والسلام لم يكن للملك وإنما هو لما أوليه من نعمة الزبور . فهكذا محمد ﷺ تفضيله واصطفاه الفقراء أن يكونوا أتباعه لم يكن إلا لما سترهم النفسية وهذا رد لاستبعادهم أن يكون يتيم إلى طالب نبيا وأصحابه العرا أتباعه وهذا قوله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتيناه داود زبورًا) * قل ادعوا الذين زعمتم من دونه أى الذين زعمتم أنهم آلهة كلالانكة والمسيح وعز برعاليهم السلام (فلا تملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر) عنكم ولا تخو (بال) فالضر كالمرض والفقر والقحط لا يقدرون على كشفه عنكم ولا تخو يله إلى غيركم وليس الأمر قاصرا على محزهم عن ذلك بل إن أفرهم إلى الله يدعوهم يتننى إليه الوسيلة فكيف يكون غير الأقرب وإذا كان هذا شأنهم محزا عن كشف الضر عنكم وافقاروا والتجاء إلى الله أعلاهم وأدناهم فكيف تعبدونهم

وهذا قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) ثم أبدل من الواو في يبتغون فقال (أبهم) هو (أقرب ويرجون رحمة ويخافون عذابه) فهم كغيرهم في الرجاء والخوف (لأن عذاب ربك كان محذورا) أى حقيقا بأن يحذره كل أحد ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن سواهما (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالوت والحرب (أو معدنوها عذابا شديدا) بالقتل وأنواع العذاب (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أى مثبتا في علم الله القديم أو اللوح المحفوظ * لما سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهابا ونفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا أوحى الله لرسوله ﷺ خيرا له بين الاستئصال اذا أنزل عليهم الآيات كشمود فيكذبون وتأخير العذاب مع عدم انزال تلك الآيات فاختار التأخير ليكون منهم مؤمنون وذريتهم سيكونون من المؤمنين فقال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى وما صرفنا عن اقتراح الآيات التي اقترحتها قر يش (إلا أن كذب بها الأولون) أى إلا تكذيب الأولين الذين هم مثلهم كعاد وثمود فلما أنزلت لكذبوها فستأصلون وكيف نستأصلهم وفهم من يؤمن بنفسه أو يؤمن بآناؤه (وأتينا نود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) آية بينة (فظالموا بها) فكفروا بها وعقروها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (إلا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فإذا لم يخافوا أنزلناها (و) اذكر (إذ قلنا لك) أى أوحينا اليك (لأن ربك اعطى الناس) فهم في قبضة قدرته (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة المعراج من الجبابب والغرائب إذ أسرى به الى بيت المقدس ثم عرج به الى السماء والعرب تقول ﴿ رأيت بعيني رؤيا ورؤية ﴾ (إلا فتنة للناس) فأنكر قوم ذلك وزاد المؤمنون اخلاصا فهذه الفتنة كنار تميز الخبيث من الطيب والمؤمنون منهم من قال انها رؤيا منام ومنهم من قال رؤية يقطعه ومنهم من قال ان المعراج معراجان معراج في اليقظة ومعراج في المنام . ثم ان ما اقتسمناه يجمع الأقوال للعتبة بها يقول الله فتنا بها الناس كما فتناهم بغيرها فكفر المكذبون فأما المؤمنون فلههم مذاهب شتى ويدخلون في أبواب من المعارف مختلفة وكل يقف عند ما يدعنه له نفسه و فريق يتناهى في البحث الى كشف الحقائق العلمية والأقوال الروحية ليخرج الناس من ظلمة الجهالة . إن أمثال هذه أشبه بالإنار توقد في صهر المعدن في البودقة فوقها فيكون الزبد أعلاه والجوهر الصافي ادناه فقد امتازا بالإنار امتيازاً كذلك هذه الرؤيا فعلت التي أريناك (والشجرة الملعونة في القرآن) أى وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس فانهم حين سمعوا أن شجرة الزقوم طعام الأثيم اختلفوا فقوم ازدادوا إيماناً وقوم ازدادوا كفراً كآبى جهل إذ قال ان ابن أبى كبشة أى النبي ﷺ توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت شجرة وتعالون أن النار تحرق الشجر . وقال عبد الله بن الزبير ان محمداً يخوفنا بالزقوم وما الزقوم إلا الزبد والحمر وإنما كانت ملعونة لأنها في جهنم وهي أبعد مكان من رحمة الله وآكلوها مبعدون من رحمة الله فجعلت ملعونة مجازاً . ويقال لكل طعام ضار انه ملعون . فهؤلاء كما فتنوا بالرؤيا فتنوا بالشجرة فالكافرون يشكرون والمؤمنون ﴿ فريقان ﴾ فريق بكل الأمر لله وفريق يرى أن يبحث في الحكمة وعالوم الطبيعة هل يجد شجرة لا تحرق النار فيرون أن هناك حريراً يقال له الحرير الصخرى . ولقد رأيت وأنا في دار العلوم وألقيت درساً على الطلبة بدل مدرس العلم فيها المرحوم أستاذى أحمد أفندى عبد العزيز فاني وضعت الحرير على النار مقدار ثلث ساعة تقريباً والحرير لم يزد إلا نظافة وهذا الحرير يلبسه الذين يطفون النار في المدن بأمر الحكومات كحكومة مصرية فالحرير الصخرى كالحرير المعتاد وكالقطن فإذا جاز ذلك في هذه الحياة فكف في الأرض نفسها من عجب وكف في العوالم الأخرى من عجب بل مامن شجر أو حجر الاوفيه نار بل الأرض مملوءة نارا وماخلص من النار إلا قشرتها التي تحن عليها بل الماء نفسه مادة نارية فنجوها اتساعه اكسوجين وهو مادة تشتعل سريعاً والتسع أودوجين فأرضنا نار وماؤنا نار وأشجارنا نار وأجارتنا مملوءة نارا وهذا العالم الذي نسكنه تتخلله النار ولو لم يكن في هذه الآية سوى هذا الذي ذكرناه اسكني هذه الفتنة

أثارت حاجة البحث والتنقيب وأوقفت أهل الجهل والتقصير فوقفوا جامدين ثم قال تعالى (وتخوفهم)
 بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخوف (إلا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حاظم باجاية
 ما يقترحون من الآيات فاذن لا نزل الآيات المقترحات لهم إذ لا فائدة في ذلك . ان هؤلاء ساروا في طريقهم
 على مذهب إبليس إذ طغى وتكبر بعد ظهور الحق وأتى بشبهات ضلّيات فهم اتبعوه في تسكينهم (و) اذكر
 (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) فالملائكة مع آدم يشبههم المؤمنون مع محمد وإبليس
 هناك يقابله الكفار هنا (قال) إبليس (أسأجد لمن خلقت) حال كونه (طينا) وهؤلاء قالوا أنتبع ينتم
 أبى طالب ولا نصديق المعراج ولا نعقل شجرة في نار فهذا كله تكذيب بأدلة سفسطائية كأدلة إبليس ثم ان
 إبليس تمادى في ذلك ووعد باغواء بنى آدم وهذا قوله تعالى (قال أرأيتك) الكاف للخطاب تأكيذا
 (هذا) مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا (الذى كرمت على) أى فضلت لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى
 من نار وخلقته من طين كما يقول كفار مكة - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (لئن
 أخزيتنى الى يوم القيامة لأحتسبن ذرية) لأسأصلهم بالاضلال (إلا قليلا) يعنى المعصومين وهم الذين قال
 الله فيهم - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - (قال اذهب) امض لما قصده فطرده وخلق بينه وبين
 ماسوئت له نفسه (فن تبعك منهم) فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) أى فان جزاءك وجزاءهم جزاء مكمل
 (واستغزز) استخف وزاعج (من استطعت منهم) أى من ذرية آدم (بصونك) بدعائك الى الفساد (وأجلب
 عليهم بغيلا) من الجلبة وهى الصياح أى صح عليهم بأعوانك من راجل وراكب واخيل الخيالة
 والرجل اسم جمع لراجل كركب لراكب وصحب لصاحب وهذا تمثيل لسلطته على من يغوهم برجل مغير صاح
 على قوم فاستغزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم ثم قال (وشاركهم فى الأموال والأولاد)
 فيكسبون الأموال من السحت ويصرفونها فيما لا ينفعى ويلدون الأولاد من حرام باغرائك ويكر أولادهم
 ويضاون بزيينك لهم الباطل مع جهل آبائهم ولو اهتموا لآقتنوه الهدى (وعدهم) المواعيد التى لا تفيد كمتأخر

حاصبا) ربحا تحصب أى ترمى بالحصباء (ثم لاتجبدوا لكم علينا وكيلاً) مانعا وناصريا (أم أمتم أن يبيدكم فيه) فى البحر (تارة أخرى) مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) وهى التى لاتمتر بئى إلا قصفته أى كسرتة (فيفرقكم بما كفرتكم) أى بسبب اشراركم (ثم لاتجبدوا لكم علينا به تبعا) التبعية المطالب أى لاتجبدون أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودر كالتأركم . إن الانغراق فى البحر والحسف فى الأرض جا آكلاما معترضا بين نعمة اجزاء السفن فى البحر لاتباع الرزق وبين تمام النعمة بتكريم بنى آدم وجلهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات والكلام المعترض للانذار والتخويف وليعرفوا النعمة وهذا قوله تعالى (ولقد كرمتنا بنى آدم) بحسن الصورة واعتدال القامة والعقل والصناعة واللغات والخط والهدى لأسباب المعاش الشريفة والتساقط على ما فى الأرض والاطلاع على العجائب العالوية والسفلية (وجلدناهم فى البر والبحر) على الدواب والقطرات والطيارات والمطارد (جمع منطاد) والسفن (ورزقاهم من الطيبات) وهى الأغذية النباتية والحيوانية المصفاة المنقاة فلهم خلاصتها لأن أمرجهم أرق الأمزجة وخلاصة الغذاء بنشأته خلاصة المعتدين (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) بالغبلة والاستعلاء والشرف والكرامة والقليل الذى لايفضل الانسان عليه خواص للملازمة والمسألة محل نظر لافائدة فى التوغل فيها . اذكر (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) بكتاب أعمالهم التى قدموها فلاذكر للأناس لأنها مقطوعة ولاذكرى إلا للأعمال والأخلاق والآراء والعقائد والقوى النفسية التى هى مغروسة فى النفوس فلايقال يا ابن فلان وإنما يقال يا صاحب كتاب كذا فالأنساب جسمية والآراء علمية عقلية والباقي هذا الأخير والفانى خلفه الناس فى الأرض (فن أوتى) من المدعوين (كتابه) يحينه فأولئك يقرؤن كتبهم) مبتهجين فرحين (ولايطامون فتيلاً) ولاينقصون من أجورهم أدنى شئ * والفصيل الشئ الذى يكون فى شق النواة وذلك ظاهر فى علم الكيمياء فان وزن الذرات لاخلل فيه فلوان ذرة واحدة زادت فى نبات أوحيوان أوماء من عنصر من العناصر الداخلة فى تركيب ذلك لم يتكوّن ذلك المخلوق كما شرحناه فى هذا الكتاب . والذى خلق الدنيا هو الذى خلق الآخرة فالظلم مستحيل هناك كما استحال هنا الظلم فى نظم الطبيعة فتأمل وعجب وارجع الى ما تقدم فى مواضع كثيرة فى هذا التفسير (ومن كان فى هذه أعمى) أعمى القلب لايبصر رشده (فهو فى الآخرة أعمى) لايرى طريق النجاة (وأصل سبيل) منه فى الدنيا . ذلك لأنك رأيت فى تفسير هذه السورة وفى غيرها أن الحياة الأخرى بعد الموت مباشرة ويوم القيامة ليست شئاً سوى هذه الروح التى بين جنينها قد خرجت وولدها هذا الجسم كما تلد المرأة الصبي وكما يثمر الغنم القرو والأشجار الأخرى الفواكه وما الثمر ولا الفواكه إلا ما كان من طبع الشجرة . هكذا ما الروح الباقية شئ سوى هذه الروح نفسها وقد خرجت بجميع صفاتها وأخلاقها وأحوالها وأعمالها وآدابها فهى التى تنظر الى نفسها وتنفر أو تشرع بذاتها فالمرء على حسب الشجر والروح هناك هى الروح هنا فإذا كانت هنا ساهية لاهية فهى هناك أكثر سهواً وأكثر لهما بل هى هناك أبعد مدى فى الضلال والعمى لأن آلات العلم والعمل عطلت وقيمت فيها مناقبها ومنازلها ولا قدرة لها على الزيادة من الأولى ولا النقص من الثانية فهذا تقرر بقوله تعالى (وأصل سبيل) ثم أتى بمثالين للتبيين قسم المهتدين وقسم العمى الضالين فهو لاء الآخرون كبعض قر يش إذ قالوا لا يمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتأ وتسمها بيدك . وكذلك أيضاً قال ان أهل مكة كادوا يرجعونك منها واذن لايقون بعدك فيها إلا زماناً قليلاً فهذه حال القسم الأعمى . أما القسم الذى أخذ كتابه بيئته فهو الذى يعمل بما بعد ذلك من الآيات فيصلون الصلوات المحس وبتهجدون وهذا هو قوله (وان كادوا ليفتنونك) أى وانه أى الحال والشأن قاربوا بمبغتهم أن يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال والصرف (عن الذى أوحينا اليك) من الأحكام (لتفتري علينا غيره) غير ما أوحينا اليك (واذن لاتخذرك خيلاً) أى ولوانبتت مرادهم لاتخذرك وليا وخرجت من

ولايتي (ولولأن ثباتك) ولولا تثبيتنا إياك (لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم والمعنى أنك كنت على أهة الركون اليهم لا تضعف منك . كلا . ولكن لشدة مبالغتهم في الخداع لك والتحيل ولكن عنايتنا بك بمنعتك أن تقرب من الركون فضلاً عن أن تركن اليهم (إذن لأذقناك) أي لوفعلت ذلك لأذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أي ضاعفتا لك العذاب في الدنيا والآخرة وأصل الكلام لأذقناك عذاباً ضعفاً أي مضاعفاً ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهي الضعف ثم أضيفت الصفة كإضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات فهو ^{مركب} لو ركن اليهم يكون عذابه ضعف عذاب غيره لأن الذنب من العظم عقابه أعظم وهكذا زلة العلماء يعاقبون عليها أشد من عقاب العامة لأنهم يتبعونهم (ثم لا تجد لك علينا نصيراً) يدفع عنك العذاب * لمازات هذه الآية قال النبي ^{صلى الله عليه وسلم} (اللهم لا تسكني إلى نفسي طرفه عين) (وان كادوا) أي وان كاد أهل مكة (لبيسترونك) ليزججوك بالعداوة (من الأرض) أرض مكة (ليخرجوك منها واذن لا يلبثون خلافك) أي ولويخرجت لا يبقون بعد خروجك (الاقليلاً) أي إلزامنا قليلاً وقد كان كذلك فانهم قد غلبوا يوم بدر بعد الهجرة بسنة * وقال بعض المفسرين لو أخرجوك لاستؤصاوا بالعذاب ولكنه هو الذي هاجر . وهذه سنة الله في خلقه أنه يهلك كل أمة تتخرج رسولها من ديارها وذلك سن الله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) إضافة السنة للرسول لأنها لأجلهم سنت (ولا تجد لسننتا) فيهم (تحويلاً) تغييراً . هذا آخر الكلام في مثال الذين هم عمى في الدنيا والآخرة وهم أهل مكة . ثم شرع في قسم المهتدين كما قدمنا فذكر أشرفهم فقال (أقم الصلاة لندوك الشمس) أي لزوالها أي بعد زوال الشمس لأن الندوك من الدلك وهو الانتقال والدالك لاستقرّ يده في مكان (إلى غسق الليل) إلى ظلمته وذلك وقت صلاة العشاء الأخيرة إذا زال الشفق (وقرآن الفجر) صلاة الصبح وسميت قرآناً من تسمية الكل باسم البعض لأن القراءة من أركانها كما تسمى ركوعاً وتسمى سجوداً (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) تشهد شواهد القدرة وبدائع الحكمة ونظام الحقيقة وبهجة العالم العلوي والسفلي من ظلام حاله أزاله نور ساطع وبهجة باهرة فبينما الناس في نومتهم خامدون إذ أيقظهم النور فهم منتشرون فهناك ظهور النور وجمال الاصباح ويقظة النورام بعد الظلام وغيبوبة الحواس . ذلك كله محيط بالمصلى صلاة الصبح كأن ذلك كله طوائف من العقلاء مطلقون عليه يشهدونه ويراقبون حركاته . وهكذا الملائكة الموكلون بحراسة هذا العالم وحراسة المؤمنين يشهدون المصلى وقد أخذت ملائكة الليل ينصرفون وأقبل ملائكة النهار يرقبون كما أدبر الظلام وأقبل الضياء - وما منا إلالة مقام معلوم - وإذا كانت هذه الصلاة مشهودة من العوالم العاقلة كالصليان والملائكة وغير العاقلين كما ذكرناه فإن المصلى نفسه يشهد معناها كأنه يطالعها في صحيفة نفسه وقد أصبح وقلبه فارغ لم يصب بهموم النهار فتندفق المعاني على قلبه وتجلي له الأنوار المعنوية كما تجلب الأنوار الحسية في آفاق المشرق وتشرق نفسه كما ينبج الصبح اشراقاً . وإذا كان حاضر القلب وقد حضرت الملائكة ألهموه المعاني والهام الإصلاح والتقوى لأنهم لا يلهمون بالخير إلا المستعد - وهذا وقت الاستعداد . وهذه هي الصلوات الخمس فن ندوك الشمس إلى غسق الليل أي غروب الشفق الذي يتبعه الظلام أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرآن الفجر هو الصبح ثم قال تعالى (ومن الليل فتهجد به) أي وبعض الليل فأترك الهجود للصلاة . ويقال في النوم أيضاً تهجد (نافلة لك) أي فريضة زائدة لك على الصلوات الخمس المفروضة عليك فأما أمتك فهو مندوب في حقها (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) أي عسى أن يقيمك ربك مقاماً يحمدك القائم فيه وكل من عرفه فابعت هنا ضمن معنى الإقامة . وذلك أن اشراق النفس بالصلوات الخمس والنوافل يكسبها قوة وتأثيراً وهذا مما يبعث على انتشار أنوار الهداية كضياء الشمس والقمر إذ الهداية في الأرض إما شعوس كالأنبياء وأما كواكب كالعلماء ولا تشرق قلوب هؤلاء ولا هؤلاء إلا بتوجهها

الى الله في أوقات خاصة عبت هنا وزيد فيها لئلي ﷺ صلاة الليل إذ بترك النوم ويقوم للصلاة فتمشقر نفوس هؤلاء فيقومون في الخلق داعين ولا أثر لهم في العقول إلا على مقدار ما أوتوا من قوة النور النفسى واشراق القلوب وبهجة النفوس ومستحيل أن يكون للارشاد تأثير ولا لعلم نور إلا بهجة الطريقة فيقوم الأنبياء في الناس داعين ويكون مقامهم محمودا لثناء الناس عليهم وهم أنفسهم حامدون لمقامهم وموقفهم الشريف لما يحسون في أنفسهم من السور واللذة والبهجة والرضا فهم يحمدون مقامهم والناس من حوهم يحمدونهم والله والملائكة من فوقهم كذلك . ولاجرم أن هذا المقام المحمود بالرشد والارشاد يتبعه مقام الشفاعة كما قررناه في سورة البقرة إذ لاشفاعة في الآخرة إلا على مقدار ما أوتى المشفوع له في الدنيا من علم ومن أخلاق فهذا تقرير المقام والله في الشفاعة ما يشاء من غفران واعلاء درجات . فإذا قال بعض المفسر إن الله مطلق المقام أوفال آخره مقام الشفاعة كما دلت عليه الأخبار . وإذا قال غيرهم هو مقام يعطى فيه لواء الحمد فقد دخل ذلك كله فيها قررناه لك فهذه الصلوات تتأججها ما يبينها هداية الناس أولا والشفاعة التابعة لها ثانيا وأى لواء مرفوع للحمد أكثر من هذا اللواء والشرف العظيم هداية في الدنيا ونجاة في الآخرة ومشهد شريف هائأت ذا رأيت كفاركم كيف بالغوا في ردة عن طريقه الشريف في الدين وكيف أرادوا اخراجه من مكة ثم خرج وكيف أمره الله بالعبادة والتهجد . ولاجرم أن التهجد والصلوات الخمس ترقى النفس وتشرح الصدر وتقرب العبد الى ربه ويعطى مقاما محمودا ولذلك أعقبه بمقام من تلك المقامات المحمودة وهو الدعاء الذى هو مستجاب فقال (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد هنا كل ادخال وكل اخراج كالادخال في القبر وكالاخراج منه بالبعث كالادخال في المدينة للهجرة والاخراج من مكة وكادخاله مكة فاتحا و اخراجه منها مهاجرا . كل ذلك داخل في الآية وكل مفسر اختار واحدا منها والحقيقة تعم الجميع أى ادخاني ادخلا مرضيا وأخرجني اخراجا محمدا بالكرامة والرضا في كل موطن من مواطنهما (واجعل لي من لذك سلطانا نصيرا) أى تسلط نصرتي بالجنة والملك فأقنع المستمعين للدعوة بالجنة ونصر الاسلام على الكفر بالاستيلاء والقبلة . ولقد أجاب الله هذا الدعاء بقوله - فان حزب الله هم الغالبون - وبقوله - ليظهره على الدين كله - وبقوله - ليستخلفهم في الأرض - فهذا الدعاء من المقامات المحمودة هو مقام الشفاعة (وقل جاء الحق وزهق الباطل) جاء الاسلام وذهب وهلك الشرك . يقال زهق روجه اذا خرج (إن الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت * روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنبا فجعل يقطعها يعود في يده ويقول - جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد وما أتم الكلام على قسمي العمى والبصراء أخذيين أولئك العمى الذين أرادوا أن يصرفوا النبي ﷺ عن سبيله الى سبيلهم وقالوا ألم باهتتنا قبل أن نلمس الحجر فقال تعالى - بينا أن القرآن شفاء (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورجوة) وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للؤمنين ولايزيد الظالمين) الكافرين (إلا خسارا) ضلالا لأنهم كلما كذبوا باية نزل بها الوحي ازدادوا بها كفرا فأما المؤمنون فانه يشفيهم من العقائد الزائفة ومن الأخلاق المذمومة . ولما كان يدعوهم للنبي ﷺ أن يركن اليهم كفرا بنعمة القرآن الذى هو شفاء قال (وإذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة وهكذا أنزل القرآن على أهل مكة (أعرض ونأى بجانبه) لوى عطفه و بعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره أى تكبر فلا يذكر الله ولا يبالى بالناس (وإذا مسه الشر) كالفقر والمرض والتوازل التي تنزل عادة بنوع الانسان (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله . ولما أتم الكلام على تقرير هذه الحقائق الثابتة للعمى وللمهتدين ختم القول بأن كلا يسير على مذهبه فقال تعالى (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال وحال جوهر روحه وما يلبسها من البدن ومزاجه

فبلى مقتضى هذين يكون العقل والعلم والصالح والجهل والاطلاح . فمن قال الشاكلة الطبيعية أو الدين أو العادة فلم يخرج عما ذكرناه لأن جوهر الروح ومزاج الجسم يتبعهما كل ما يتعلق بهما من ذلك ونبتجة ذلك كله يعلمها الله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد طريقا وأبين منهجا . ولما كان هذا القول يستدعي السؤال عن تلك الشاكلة والجوهر الروحي الذي نشأ عنه كل هذا الاختلاف حتى رأينا أنبياء يهدون وعامة يضلون وكفاراً يعاندون فما تلك الروح التي أسند إليها هذا كله وعلى مقتضاها ومقتضى مزاج الجسم صدرت هذه الأمور بل إن هذا السؤال نفسه ورد فعلا * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مر رسول الله ﷺ بفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا نسأله لا يسمعكم ماتكموهون فقاموا إليه وقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه ثم قال (ويسألك عن الروح) الذي يحيا به بدن الإنسان ويدبره (قل الروح من أمر ربي) مما أبدعه الله من غير مادة وقد استأثر بعلمه لا يعلمه سواه لأنكم لا تعلمون إلا آثاره حواسكم وتتصرف فيه عقولكم وحواسكم لا ترى من المادة إلا بعض أوصافها كالألوان والحركات للبصر والأصوات للسمع والطعوم للذوق والمشومات للشم والحرارة والبرودة لللس وقد وصلت هذه إلى ست وثلاثين نوعا من أحوال المادة وغاب عنكم في المادة ما عداها فكيف تدركون ماهو غير مائى وهو الروح (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أخرجه الشيخان والترمذى * وفي رواية أخرى للترمذى قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى علما كثيرا فنزلت - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - الآية - وأماما هذا الحديث من حديث أن قر يشا بغراء اليهود أسأله عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح مما ذكره المفسرون فذلك لم يرد في الأحاديث الصحاح فلذلك ضربنا الذكر عنه صفحا ورجعنا إلى التفسير . ولما فرغ من مسألة الروح وأن الإنسان عاجز عن ادراكها وذلك له اتصال بمسألتي الهداية والعبي المتقدمين وأن قر يشا حاولوا صرفه عن بعض ما وحي إليه . فلما أتم ذلك كله وأبان طريق المهديين بالصلاة والتعبد وطريقة الغافلين بالضلال رجع يخاطب نبينا ﷺ بمناسبة اغرامهم له ليبين لنا أن لا نفترعن وجهتنا بأغراء المغربين ولا بإفساد المفسدين فقال مهتدا (ولئن شئنا لنذهبن بالئى أوحينا إليك) أى والله لئن شئنا لنمحون القرآن من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب ولا الإيمان (ثم لا تجد لك به حليما وكيلا) أى ثم لا تجد لك بعد الذهاب به مانعا وكفيلا يرجعه لك (إلا رجعة من ربك) لكن رجعة من ربك تركته غير مذهوب به . امان الله ببقاء الكتاب بعد المنية بالانزال وهذا تحذيرنا أن نتنزل عن نعمة الهداية بالضلال المضلين وأرجاف المرجفين . فاذا كان الله يقول لنبيه ﷺ إياك أن يقتنوك وهو عاصمه من الفتنة ويقول إني إن شئت أذهب ما قبلك من القرآن فكيف بأتباعه وهو لم يعصمهم وهذا هو السبب في ضلال كثير من أهل العلم فانهم متى ظاهروا العامة بأعد الله بينهم وبين العلم ثم قال تعالى (إن فضله كان عليك كبيرا) إذ أرسلك وأنزل الكتاب عليك وأبقاه وحفظك وفي مصاحفك وحفظ أتباعك ومصاحفهم ثم وصف القرآن بأعظم وصف ليثبت قلبه ﷺ وقلوب تابعيه وكذلك ليرد على أولئك العبي الذين بالغوا في طلب صرفه عن الحق فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) بلاغة وحسن معنى وتصرفا واحكاما وغير ذلك (لا يأتون بمثله) وفيهم العرب الفصحاء وأرباب البيان والمحققون وهذه الجملة جواب القسم المنلول عليه بالإلام وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) معينا . ثم ذكر بعض محاسن هذا القرآن فقال (ولقد صرنا في هذا القرآن من كل مثل) أى ينافيه من كل وجه من وجوه العبر والاحكام والوعيد والوعيد والقصص (فأنى أكثر الناس إلا كفورا) سجودا وثبوتا على الكفر أى لم يرضوا إلا كفورا . ولما أتم الكلام وقام الانقاع بالجعة وقطعت ألسنتهم ولم يبق لهم حجة أرادوا المراءغة باقتراح الآيات (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) عينا

غربة من شأنها أن ينبع الماء منها لا تقطع وهو على وزن يفعل من نبع (أو: تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه ذلك (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) كقطع لفظا ومعنى (أو تأتي بالله واللائكة قبلا) أي نراهم مقابلة عيانا كالعشيرة بمعنى المعاشرو في آية أخرى - لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا - ثم قال تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب (أو ترقى في السماء) في معارجها (ولن نؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وفيه تصديقك (قل سبحان ربي) تجبها من اقتراحاتهم وتنزيها له من أن عليه ويشاركة أحد في القدرة (هل كنت إلا بشرا رسولا) فأنا كسائر الرسل وليس للرسل أن يأتوا إلا بما يظهره الله على يدهم فليس لكم الخيرة * روى أن أشرف قريش سأله عليه السلام انه ان أراد المال أعطوه حتى يكون أغناهم وإذا أراد السيادة سؤدوه عليهم وان كان الذي أصابه من تابع من الحق غلبه حتى قال ما قال فان أموالهم يحبسونها عليه ويدفعونها للأطباء حتى يزول ما به من الداء فأبى وقال لهم انه رسول الله وما عليه إلا البلاغ فقالوا له اذا كانت هذه منزلتك من الله فأزل عنا جبال مكة ولتكن لك جنة من نخيل وعنب وفيها العيون نابعة الخ . فلما قام من مجلسهم ومعه عبد الله بن أبي أمية ابن عمته غائبة شدد عليه في القول وقال له عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبل فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى ترقى السماء الخ فرجع الى أهله عليه السلام حزنا فزلت هذه الآية وهذا هو الجواب الاجالى وهناك في آيات أخرى تفصيل لبعض ذلك كقوله تعالى - ولوفتحنا عليهم بابا من السماء - الخ . ثم أعقب الله ذلك بأن الناس دأبهم أن يقولوا كيف يرسل الله بشرا هلا أنزل ملائكة (ومانع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) أي إلا قولهم ذلك أي فلم يبق لهم شبهة إلا هذه (قل) جوابا لهم (لو كان في الأرض ملائكة يمشون) كما يمشى بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم يفهمون عنه وملائكة السماء لا عمل لها مع أهل الأرض في الهداية إلا الإلهام وأكثر الناس ليسوا أهلا لالهامهم (قل) كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) انى رسوله اليكم باظهار المعجزات والبيان على يدى وهو الذى ينصرنى لعلمه أنكم معادون وشهيدا تميز (انه كان عباده خيرا بصيرا) فهو يعلم أحوالكم الظاهرة والباطنة فيجازيهم عليها وهذا تسلية للنبي عليه السلام وتهديد للكفار (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها أو يمشون * وفي البخارى ومسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - أبحشر الكافر على وجهه قال رسول الله عليه السلام أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة * وفي رواية الترمذى (ان الناس يكونون ثلاثة أصناف في الحشر مشاة وركبانا وعلى وجوههم) هذا ونحن نرى الحيوان منه طائر ومنه ماش ومنه زاحف كالخيات وهوام الأرض . فهذا القسم أقرب الى هيئة الزواحف بحيث يبقى الوجه جهة الأرض وتحيط به زوائد كالأرجل الصغيرة الحيوانية وهوهاهم على وجهه وقوله (عبيا وبكنا وصا) أى لا يصبرون ولا ينفقون ولا يسمعون وذلك في مبدل الأمر ثم تعاد لهم هذه الخواص فيحاسبون (مأواهم جهنم كلما خبت) أى سكن لها فيها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) بسبب انهم (كفروا بآياتنا وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاقا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) ثم استدلل على البعث فقال سبحانه (أولم ير) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) سجودا مع وضوح الدليل وإذا طاب من محمد عليه السلام ما طلبت من بساتين وعيون تنبع وأن تروا الملائكة والله عيانا الخ فان الله تعالى لا يرضى بذلك إلا بخلا منه ولكن الحكمة قضت أن يكون هذا نظام الدنيا ولارقي لهذا الانسان إلا على هذا المتوال بل هو يوسع الرقي ويضيقه بالحكمة وعلى مقتضى الصلحة ولوانكم كنتم ملكتم خزائن السموات والأرض وأنتم على فطركم

هذه لأسكتكم خيفة الانفاق فامسك الله للحكمة والمصلحة ولذلك لم ينزل ما اقترحتموه وامسككم للشبح والبخل وهذا قوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الى قوله (وكان الانسان قتورا) أى لو تملكون أنتم فأنتم فاعل الفعل المضمرة خزائن الرحمة الرزق وسائر النعم - إذن لأسكتكم خشية الانفاق - أى لبخلكم خشية أن يفنيه الانفاق - قتورا - بخيلا يعنى ان الله لم يمنع محمدا نبيه ﷺ الآيات التى اقترحوها هو اناله فكأنهم قالوا ان محمدا إما أن يكون نبيا أولا فان لم يكن نبيا فالأمر واضح لأن الآيات التى اقترحتها لم يجب عنها ولم تنزل فاذن هو ليس بنبي وهذا ظاهر وان كان نبيا وهو مقرب من ربه فلم لا ينزل الله ما اقترسناه والله يؤيد عبده عند خلقه فكان الجواب أن الله اذا أنزل ما اقترحتموه لكان ذلك خلافا للنظام وسوء عمل وهذه العطايا الوافرة ربما كانت مصائب اذا أنزلت على غير وجهها وليس ذلك المنع لأن محمدا ليس نبيا بل المنع من جهة الحكمة ولاهو من جهة بخل الله فلا بخل من الله ولا كذب من نبيه ولم يبق إلا انه حكمة . فأما أنتم فنعكم بجرى على طريقة البخل فالوسل لكم السموات والأرض وادرستموها لم تفهموا إلا الامساك على قدر عقولكم ولن يطلعكم على ملكوته فى الحال ولا فى المال إلا اذا ارتقت النفوس فصارت إلهية وزن الأشياء بمقدار فيسل لكم الاطلاع على عجائبه وارتباد مواطن الكمال ولذلك متى كان فى الأرض مستبiron وقولهم صافية ونفوسهم عالية وتعالوا عن المادّة وزهدوا فى الأرض فهم من أهلها صورة وهم ينسكهم فهو لاء أصلهم الى عالم قدسى يطلعون على عجائب لمناسبة عقولهم لتلك العالم الشريف . فهنا الخزانة فتحت لأنهم عرفوا مقدارها وهكذا تنبىكم محمد ﷺ سأمسلكه زمام الامور لأنى علمت أنه سيعطى كلاً ما يستحقه فى الدنيا فأسلمه بعض خزائن الأمم المحيطة بكم وسيقسمها بين الناس فعلا بالقسط لأنى أفهمته نظام هذه العوالم وقد حقر الدنيا . فأما أنتم فانى لأسلكم مفاتيح أرضى لئلا تمسكوا المال لأنفسكم ولاتنفعوا خلقى

فهاأنذا أفتح خزائن العلم لمحمد فيوحى اليه ويهمل تابعوه من الله والملائكة وأعطيتهم خزائنى فيصرفونها فى وجوها ومتى راغت أمة من الأمم عن تلك الحادّة صرفت عنها رزقى فلم ألهم العلماء لغياوتهم ولم أمسكهم زمام الناس لبخلهم وجشعهم سواء أكانوا من أتباع الأنبياء كأمة محمد ﷺ أم كانوا من غيرهم فأنا لأعطي خزائنى فى الأرض ولا فى غيرها إلا للصلحين . أقول وهامى هذه أمثنا لما طغت وبغت وجهت أحاطت بها أمة الفرثجة من كل حذب ينساون واقترب الوعد الحق وشخصت الأبصار وذلت النفوس وستكون صرختنا فى هذا الكتاب وأمثاله من كتب المسلمين فرطاً للإصلاح ومقدمات للرقى وظهور أمة جديدة غير التى مضت فى الأجيال المتأخرة . ولما تقرّر ما تقدم شرع يهتد بهم انهم ان لم يؤمنوا بعهد ظهور الأمر والحجج الواضحة هلكوا كما هلك فرعون بالقرق كأنه يقول أما الآيات التى اقترحتموها فلا فائدة فى انزالها وكفاكم الآيات العلية التى أنزلناها على محمد ﷺ كما أنزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام تسع آيات واضحة الدلالة فالما لم يؤمن فرعون أهلكناه فالهلاك لعدم اتباع الصلاح والعلم وهذا قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) دلالات واضحة (فاسأل بنى اسرائيل) كعب الله بن سلام وأصحابه (إذ جاءهم) موسى (فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحورا) مغلوب العقل مخدوعا (قال) موسى (لقد علمت) بافرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (إلا رب السموات والأرض) خافقهما حال كون هؤلاء الآيات (بصائر) بينات (وانى لأظنك يا فرعون مشهورا فأراد أن يستفزهم) يستأصل موسى وقومه (من الأرض) كلها (فأغرقتاه ومن معه جميعا) بأن استغفره الله فغرق فى البحر مع جنده (وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض) أى أرض الشام التى وعدمتم بها (فاذا جاء وعد الآخرة) القيامة (جئنا بكم لقيفا) جماعات من قبائل شتى ثم تحكم بينكم وغير الحديث من الطيب . هذا هو القصة الذى يبين مآخذ سلوى مع فرعون فانه آتاه تسع آيات قدر رواها النفسانى والترمذى فعن صفوان بن عسال رضى الله عنه أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا

الذي نسأله فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قوله - ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات - فقال رسول الله ﷺ لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تشموا يريء الى سلطان فيقتله ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تقربوا من الزحف عليكم معشر اليهود خاصة أن لا تدعوا في السبت فقبل يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تسلما قالان داود عليه السلام دع الله أن لا يزال في ذرئته نبي وأنا نخاف ان أسلمنا أن تقتلنا اليهود . والمراد بالزحف القتال وهو الجهاد في سبيل الله . هذه هي الآيات التسع التي سمعها فرعون ماعدا الآيات المشهورة فجحدتها كما جحد أهل مكة الذي ﷺ وأراد فرعون استفزاهم من الأرض ففرق . هكذا أراد أهل مكة استزاج النبي ﷺ فقتل صناديدهم يوم بدر . فهذه القصة منطبقة ولم يبق إلا انطباق الآيات على الآيات ولذلك أعقبه بقوله - وبالحق - الخ

لقد تبين في أول السورة أن النبي ﷺ أسرى به وعرج به الى السماء وقابل موسى وبينه وبينه محاورات وأخذ ورد وانتهى الأمر بالصلوات الحسن وارتقى ﷺ الى ما فوق السموات العلى ولم يرد أن موسى ارتقى هذا الارتفاع . ولقد رأيت أن موسى عليه السلام أنزل عليه التوراة وأن قومه أفسدوا في الأرض مرتين وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . فها نحن الآن وصلنا الى آخر السورة . ومن عادة القرآن أن يجعل آخر السورة منطبقة على أوّلها . فها هوذا يقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى عليه السلام وجاء في الحديث زيادة واحدة فكأنها هي الوصايا العشر . وقد رأيت هناك عن ابن عباس أن الوصايا الخمسة والعشرين المتقدمة فيها الوصايا العشر أو نحو ذلك . فها هنا وصلنا الى المقصود من هذه الآيات . فها هوذا يعيد الكرة على أول السورة فيقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى وأنزلنا اليك (٢٥) وهناك غيرها في هذه السورة فكأن عماد ماني التوراة هي التسع وعماد ماني هذه السورة (٢٥) ويقول هناك - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - ويقول هنا مؤكدا ذلك (وبالحق - أنزلناه وبالحق - نزل) أي وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحكمة والحق فهو مشتمل على الهداية الى كل . فاذا قلنا هناك انها (٢٥) حكمة فيقال هنا ان القرآن كله حكمة وهنا بيت القصيد . فاذا كانت تسع آيات لموسى كفر بها فرعون ففرق فها بالكم يا أهل مكة اذا كفرتم بما هو ملتبس بالحق والحكمة فلاجرم ستعاقبون على كفركم ففوقوا بؤس الكافرين يوم بدر وغيره وانتهى الكفر من بلاد العرب (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) للطبع في الأول والعاصي في الثاني (و) فرقنا (قرأنا فرقناه) فرقنا فيه الحق من الباطل أي فرقنا فيه (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدده لأنه أبسر حفظا وأعون فهما (ونزلناه تنزيلا) منجما على حسب الخواص في تضاعيف نحو عشرين سنة (قل أمّونا به أولّا ثم امنوا) وهذا وعيد لهم وتهديد وأن القرآن لا يتوقف أمر انتشاره عليهم وعلاه بقوله (إن الذين أوتوا العلم من قبله) من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان) يقعون على الوجوه (سجدا) تعظيما لأمر الله وشكره (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي انه كان وعده كائننا لا محالة . يقول الله أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به فقد آمن من هم خير منهم وهم علماء الأمم السالفة الذين قرؤا الكتب السماوية وعرفوا الحقائق الدينية وأن الله سيبعث نبيا يغفروا سجدا لله وشكرا له على انجاز وعده بارسالك (ويخرون للأذقان يكونون) لما أثر فيهم من المواعظ فالسجود هناك للشكر على انجاز الوعد وتكراره هنا لتأثير الوعد ولذا ذكره البكاء (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما . ولما كان أهم شئ في القرآن هو التوحيد وكرر فيه تأكيده وقد تبين في هذه السورة أن القرآن آمن به أهل الكتاب وهو أفضل من التوراة لأنه آخر كتاب سماوي . وهنارد سؤال فيقال كيف يكون ذلك وأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات وقد سمعك المشركون كأبي جهل يقول يا الله يارجن وأي فرق بين آلهتنا وآلهتك . إذن نحن نعبد الأصنام وأنت تعبد الآلهة

فنزله قوله تعالى (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أي مآل دعوا) أي سمو الله أو سمووا الرحمن أي هذين الاسمين ذكرتم وسميت فهو حسن وقد وضع موضع هذا الجواب (فقله الأسماء الحسنى) وإذا كانت أسماؤه كلها حسنى فهذان الاسمان منها . وإنما كانت كل أسمائه أحسن الأسماء لأنها فيها التوحيد والتعظيم والتقدس لأعظم موجود خالق الوجود فشرّف المسمى ببقية شرف الاسم فسمّاه الله أحسن الأسماء كلها * قيل قال ابن عباس سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينها عن أهلنا وهو يدعو إلين فنزلت . ثم انه لم يعترض أبو جهل والمشركون معه على الدعاء بالله والرحمن إلا لما سمعوا القراءة فنزل (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) أي بالقراءة في الصلاة (وابتغ بين ذلك سبيلا) وسطا بين الجهر والخافتة فلا تجهر حتى يسمع المشركون ولا تخافت حتى لا يسمع من وراءك . وهذه من الاشارات العامة لعلم الأخلاق .

إن الأخلاق ترجع لأربعة أمور ﴿ العفة للشهوات . والحلم في المفوقات والزوات . والحكمة في المعقولات . والعدل في نظم هذه المذكورات ﴾ فلا عفة إلا حيث يكون التوسط بين الشره وخود الشهوة ولا شجاعة إلا حيث يكون التوسط بين التهور والحيين ويقع الشجاعة كثير من الأخلاق كالخلف انظره في آل عمران ولا حكمة إلا حيث يكون التوسط بين المتناقضات فلا يكون المرء من المعاندين ولا هو من الجاهلين بل علمه يكون ميزان .

فالتوسط بين الجهر والتخافت أحد هذه الأخلاق . ثم ختم هذه السورة بالثناء على الله لأنه لا ولد له ولو كان له ولد لحول نعمه اليه ودخل حب الاستئثار عنده بخلاف عباده الذين إذا أعطوا خزائن السموات والأرض فانهم يسكنونها قتيلا وضنا بها على الناس ويقونها لأنبائهم . فليحمد الناس الله لأنه عدل يعطي على قدر الاستعداد والعمل فليس هو كما أتم عليه من الحباة والحرص فالإنسان ناقص نقصا مفرطا لان قلبه وإن كان يؤدّ لو بلاء الأرض نعمها على الناس ويجب أن يغث كل مضطر فإن حاجاته وحاجات أبنائه من بعده تقطره أن يخصّ به ويخصّ أبنائه من بعده ولكن الأنبياء وأعظم الرجال لا يورثون إلا العلم ولا يعتبرون المال ويكونون قائمين بالعدل . يقول ﷺ إنا معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة وقال الله تعالى - وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير - فهذه الاشارات تفيد أن أرقى الناس من يتخلّفون بأخلاق الله . فإذا كان الله لم يتخذ ولدا فهو عدل عالم الوجود والناس لما حشروا في هذه الأرض والعالم المادى عالم ضيق اضطروا الى الامساك بقلوبهم وأرواحهم من عالم أعلى من هذا العالم بل هم قبسة من نور جيل عال يحسّ به الانسان من نفسه ويؤدّ لو يكون منها على سائر الناس سيّدا على هذا الوجود بعلمه وبماله ولكن غرسه في الطين الأرضى حكم عليه بالتقبر ولا يسلم من هذه الخصلة إلا أناس عرفوا الوجود وخالفه فتخلصوا كالأنبياء وجعلوا نفوسهم آباء الشعوب آباء واحد أو اثنين . فهذه الآية ترجع لقوله تعالى - قل لو أنتم تملكون خزائن رحمتى - الى آخر ما تقدم ويقول هناك احبوا الله على هذه النعمة وعظموه فانه قد اتصف بالرحمة المذكورة وهما لم يقصرهما على أفراد خاصة . فإذا أرسل محمدا ﷺ فلم يخصه إلا لاستعداده فلا بنة ولا قرابة بل هو استعداد واستحقاق . فلتجذبوا أيها الناس فرجتى وسعت كل شئ . فهذه الآية تنسحب على ذلك كله فليس الله مقتركا كقترتون ولا رحمة محصورة كرحانكم بل هو يريد أن تتخلّقوا بأخلاقه لأن من أحبّ أحدا سار على منهجه وقد سار الأنبياء على ذلك المنهج فغفروا الأثم ولم يخصوا أحدا ولذلك أرسل محمد ﷺ رحمة للعالمين . فليكن العقل قدوة الأثم وسعادة الناس اتباعا لهم وأقتداء بكماله ونظرا لجلاله ولما كان من النقص في الوجود أن يكون للملك شريك فانه يعطى أعماله ويقف له بالمرصاد وأوعدو لينأوه فيحتاج الى ناصر قال الله (ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدّل) أي لم يذل فيحتاج الى ناصر أول يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بوالائه بل أولياؤه هم الذين استحقوا تلك الولاية بفقرهم وأعمالهم وكما لم يكن له ولد يحبس نعمه عليه لم يكن له شريك يقف أعماله في الملك ولا ناصر يدفع العدو المنزل

له . وهذه الثلاثة هي آفات هذه الحياة . فالعدو يمتدحك والشر يك يقاومنا والوالد يجعلنا جنباء جهلاء أشحاء . وإذا تنزه الله عن ذلك فقد أمن الناس نضوب موارده وأصبحت مفتحة أبوابها لكل قاصد . فعلى هذا فليحمد الله . فاذا جدد الصلح ربه على أنه مرى العالمين فليحمده تعالى على أن وجوده لا يمنع شريك ولا عدو ولا ولد . وهذا اغراء على اكتساب الفضائل والارتواء من تلك المناهل . ولعلمكم كم اغترج جهال المسلمين بالانكسار على شيخوهم أو على بعض أمور أو عبادات ثم هم يعصون الله أو يقولون نحن أتباع النبي الفلاني كعبسى وموسى ومحمد ﷺ وعليهم لقد كذبوا فأنه تعالى ليس له ولد وليس له شريك وليس له عدو فيحتاج الى نصر فأنه فتح أبواب الخير للعباد فلتغترف أيها العبد من مناهله وتعلم أنه لا يحاييك لأجل أهلك ولا نسلك ولادنيك ولو كنت ابن نبي من الأنبياء ولا شريف من الشرفاء ولا عظيم من العظماء بل أنت أيها العبد عبد من عبيد ربك فاحذر أن تغتر بأنك من أبناء الولي الذي يزوره الناس واحذر أن يقال لك كاذب لئلا يلعنك عليه السلام - إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح -

أيها المسلمون . ماضى فات والمؤمل غيب ولكم الساعة التي أنتم فيها . وضع الحق واستبان السبيل وتبدى في الوجود جماله . يقول الله لكم أنا ليس لى ولد . إن الجائر من المسلمين واليهود وأكثرا الأمم يعرفون أن الله لا يلد والمسلم موقن بهذا فكيف يحمد على انه لا ولد له . إن المقام أعظم وأعظم . لماذا يكرر هذا القول ويقول اجدونى . وهل هذا يستحق الحمد . نعم الحمد هنا يراد به معنى عظيم

﴿ الخطاب المفتوح من الله للمسلمين ﴾

يقول الله . أيها المسلمون لا تغفروا بأنكم أنزل عليكم آخر الأديان وأن نبيكم خير الأنبياء فليس لى أبناء ولا شركاء . ها أنتم أولاد جهنم وكسلم وتغم فهل تفعمكم انتسابكم لأعظم الأديان فالنسبة شئ والعمل شئ آخر أنا لم أخلقكم لتكونوا عالة على خلقى . أنا لا ألد . فإذا تريدون . تقاعدتم أيها المسلمون فشرت عنكم المعالي . أنعبشون في غرور . أبكسب الناس وأتم نأكلون . كلا . وعزتى وجلالى لا أجعل لأحد سلطانا على أحد . كلا ثم كلا . احفروا . اعملوا فسأرى عملكم وكيف تتكلمون على النسبة الدينية أو النسبة الأبوية وأنا لانسب بينى وبينكم إنما أنتم عبيد مسخرون فإن اتبعتم سبيل نبي أعطيتكم . أنا أعمل فلم أقتلدى أنا الذى خلقت السموات والأرض . أنا الذى لا أنام . أنا الذى أعظم النعم على خلقى ولا أبخل فأنا الله ولا أعطى إلا من يسر على نهجى وينفع خلقى ويجعل مواهبه وقفا على عبادى ويواسيهم بماله أوجاهه أو علمه المنتشر بينهم . هذه أعمالى فلتقلدنى ولتخلقوا بأخلاقى . أيها المسلمون . ألم أنزل عليكم - يوم لا ينفع مال ولا بنون - فالنبوة والابوة وقتية لنظام الحياة - فاعتبروا يا أولى الأبصار -

ولنذكر هنا ﴿ جوهرة وزبرجدتين ﴾ أما الجوهرة ففي قوله تعالى - ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر - الى قوله - ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا - وأما ﴿ الزبرجدتان ﴾ فهما فى قوله تعالى - وما أوتيتن من العلم إلا قليلا -

﴿ جوهرة فى قوله تعالى - ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر - الى قوله - علينا به تبيعا - ﴾

إن فى هذه الآيات الكلام على البحر والبر وأن الله حل اللسان فيهما . فاعلم أن البحر أوسع مساحة من البر . ذلك أن مساحة الكرة الأرضية كلها (١٩٧) ألف ألف ميل مربع ونحو ثلاثة أرباع هذه المساحة بحر أعنى (١٤٠) ألف ألف ميل مربع . وفى هذه المسافات الشاسعة من البحار والتلال والأودية والسهول المختلفة والأراضى الخصبة مثل مافى اليابسة والبحار أيضا تختلف فى درجات حرارتها باختلاف الأمكنة وفى أنواع حيواناتها ونباتاتها التى تتوقف حياتها فيها على شروط خاصة كما فى أمر سكان اليابسة سواء بسواء . واعلم أن العلماء فى زماننا بحثوا فى عمق البحار فترى أهم العوامين على (الاسفنج) فى العالم وهم اليونان لم يصلوا

في غوصهم الى اعماق (٤٠) قائمة لاغير فلذا لجأ العلماء الى آلات استعمالها لمعرفة الأعماق فوصلوا الى معرفة الأعماق المختلفة باختلاف الجهات . فترى العلامة (ويقلنا سون) يقول ان العمق وصل الى ٢٥٠٠ قائمة أو ١٥٠٠ قدم وهذا باعتبار بعض البحار . وترى العمق في بحر البلطيق وبحر الشمال وهكذا لايزيد عن ١٨٧٧ قائمة ومتوسط أعماق البحار في الدنيا انما يكون في شمال المحيط الهادى للمسمى (الباسفيك) فان المتوسط المذكور هناك وصل الى (٤٥٧٥) قائمة وقد مسح بعض العلماء العمق في الجانب الشرقى من بلاد اليابان فلم يجد له آخرأ بعد أن وصل الى (٤٦٥٥) قائمة . ومن أراد الزيادة فليراجع هذا المقال في كتاب (علوم للجميع) في المجلد الثالث تحت عنوان (قاع البحر) باللغة الانجليزية وما ذكرته الآن كاف في هذا المقام . وأما اليابسة فاقرا الكلام عليها عند قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - في سورة الرعد في المجلد السابع . يقول الله - وجنناهم في البر والبحر - أليس من العجب أن يكون عمق البحر قد يصل الى مايقرب من (٤٦٠٠) قائمة ثم نجد السفن تجرى فوقه فهذه حياة مستقرة على هاوية بعيدة الغور سحيقة مهلكة فأى عاصفة قلبت السفينة لم يكن لهو بها في البحر من قرار بل تسقط الى ذلك البعد السحيق . فاذا حفظ الله حياة الناس في هذه المهالك فذلك لرحمته ودقة صنعه وحكمته ثم تكرر لي آدم الذين أراهم العجب فهم تارة يسافرون على الأرض وتارة يسبرون فوق الماء وآونة يطيرون في الجو فيصلون الى بعد معين بطياراتهم وتقف عند ذلك الحد . ذلك هو أعظم التكريم بالنسبة لعالمنا الأرضي والجد لله رب العالمين ﴿ زبرجدتان في قوله تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - ﴾

﴿ الزبرجدة الأولى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نظرت في السماء ليلة الجمعة (١٤) اكتوبر سنة ١٩٢٧ الساعة الرابعة بعد نصف الليل فقلت يا الله ما أحسن ما صنعت وما أجل ما أبدعت . خلقت تلك الكواكب العظيمة الشاسعة الأبعاد العظيمة المقادير فما منها من كوكب إلا وهو أكبر من الشمس غالبا جرما وأكثر منها ضوأ وأبعد منها مرمى وأجل منها قدرا . ولقد حشرتنا في أرضها هذه لأننا لسنا أهلا بعد لأن نشاهد هذا الجبال الذي أبدعته وهذا الحسن الذي زينته وتلطفت وأبدعت فأحضرت هذه الشمس العظيمة وأثبت بها من أقطارها الشاسعة وأصغرت أحجامها وقلت من نورها وكلت بها سماءنا ونظمتها في جونا القريب الأسود ليلا الأزرق نهارا وجعلتها أشبه ببيض الطائر يحما وبهجة البردة حسنا وبصيص الآمال في لقائك رجاء . زينت سماءنا بشموك . تلك الشمس التي خلقت لها خلأق وأودعتها أهما تسكن في سياراتها وأراضيتها تلطف بها فأسكنتها جونا القريب ورصعته بها وجعلتها حديقة جميلة تقرأ بها أعيننا ليلا . ذلك لأنك لطيف لما تشاء عليم حكيم تطغى الطفل لبنا من أمه على قدر طاقتها حتى اذا بلغ أشده فتحت له باب الرزق من العوالم المحيطة به . فهنا نحن أولاء الآن في الأرض كالأطفال لاقدرة لنا على مواجهة تلك الشمس الكبيرة غفلت عيوننا الأرضية مناسبة لعالمنا وصغرت هذه الشمس لتراتها تلك العيون وتطيق التحديق اليها . وهاهم أولاء لما رآوها مناسبة لعيونهم ومنزلة لعقولهم جمعواها على شاكاة مالبسهم في الأرض فقالوا هذه المجموعة حل وهذه ثور وهذه جوزاء وهذه سرطان وهذه أسد وهذه سنبله وهذه ميزان وهذا جدى وهذا دلو وهذا حوت . الله أكبر . هاهوذا الانسان درس نجوم السماء أى تلك الشمس العظيمة فمر بها إلا دلوا ليستقي به الماء والاسنبله في حقول الأرض وجلا من الضأن وثورا يحرق عليه الأرض وميزانا يزن به الفاكهة والذهب والفضة وعقربا يفر منه وقوسا يرعى السهم عنه محاربته العدو وجديا ينتفع بلحمه وحموتا يجرى في الماء . هاهوذا الانسان بفضل ربه أخذ عوالم الله التي لا حصر لها وأنزلها الى أرضه وجعلها مما يلائم حاله . الله أكبر كبيرا والجد لله كثيرا . اللهم إنك كبير

عظيم تعاليت وعظمت فلم تخط الأطفال علوم الحكماء ولم تسمع الدواب وحى الأنبياء فأنت متكبر ومن هذه الصفة أنك ترأ بالتم أن تعطى لمن لا يستحقها فتحن في أرضنا لا نستحق أن نرى هذه الحقائق بأعيننا فأزنتها البنا في سمائنا مصفرة وأقيت حقائقها مخزونة عندك فلم تعطها إلا بمقدار بحيث لا يعرف بعض هذا أحد من الناس إلا بعد البحث والتنقيب . لماذا . لأنك متكبر ولأنك حكيم ولأنك عظيم . فهذه الكبرياء التي جاءت في كتابك - وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - قد تجلت في معاملة نوع الإنسان إذا شيعت فيا بينهم وأديعت في مدارسهم أسماء البروج فرسمها قدماء المصريين على صناديق موتاهم (كما تقدم في سورة يونس بالجلد السادس من رسم البروج على صندوق حتر من قلماء المصريين فانظر ذلك الرسم هناك مصورا بالتصوير الشمسي) أصبحت أسماء الجبل والطور الخ شائعة بين النوع الانساني لا ينكرها أحد ولا يغيرها مغير مع انها صور خيالية لاحقائق لها ولكن هكذا نوع الانسان في الأرض كالطفل والنابغون منه الذين درسوا حقائق الشمس والأضواء هم الذين عرفوا ما أكتبه في هذا التفسير ولكنهم لن يغيروا تلك المصطلحات العامة للتعليم العام . الله أكبر . هكذا كل دين نزل من السماء فيه من ضرب الأمثال ما في منظر السماء من تصغير الشمس فصار حيوانات خيالية . العلم واحد . علم المبصرات وعلم السموعات . بنصر شمس عظمة فجعلها حيوانات أو نباتات تعيش بها وتسمع في الكتب السماوية جنة ونارا ونعما وعجبا فتخيّلها بما نشاهده في الدنيا ثم نسمع الحديث النبوي أن في الجنة ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وهذا بعينه أشبه بما نراه إذ ظهر أن الكواكب التي جعلناها جديدا ودلوا وسنبلة هي شمس لم ترها عين ولم تسمعها أذن الغافلين ولم تحظر على قلوب الجاهلين . أليس هذا الموضوع بعينه هو قوله تعالى هنا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - كيف لا وتم لا تعلمون الشمس العظيمة ولا تعرفون حسابها ومنزلها إلا إذا جعلتها صغيرة في أعينكم ثم ألهمت علماءكم بصورها بالديك من المشاهدات في أرضكم . فهذا القليل من العلم في جانب الحقائق في كوكب السماء أشبه بما لديكم من العلوم التي أنزلتها في الكتب السماوية والكتب العلمية عند نسبتها الى الحقائق في ذاتها قال تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم . - ونظير هذا قول الخضر لموسى إذ جعل علمه وعلم موسى عليهما السلام وعلم الناس بالنسبة لعلم الله بما أخذه الطائر بمنقاره من ماء البحر . انتهت الزبرجدة الأولى

﴿ الزبرجدة الثانية في قوله تعالى أيضا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - ﴾

اعلم أن العلم القليل المذكور كذا تعمقا فيه زدنا علما بقلته فالإنسان وهو على فطرته لا يعلم بقله علمه إلا اجالا ولكنه اذا درس وتمقن أدرك أن هناك أبوابا من العلم مغلقة وكذا فتح مغلقا أدرك أن وراءه أبوابا لم تفتح فيتسع الشعور بالجهل بنسبة اتساع المادة العلمية . وإذا أردت مثلا لذلك فهاك علم فلسفة الطبيعة . إن هذا العلم يبحث في المادة وصفاتها العامة والخاصة وعند التعمق نرى أماننا مالا ينهائى ونحن به جاهلون وهأنذا بعون الله ذاكر لك نبذة صالحة تشرح صدرك وترى ذلك البرهان . اعلم أن المادة كل ما نشر به بجواسنا وما أن نحفظ حجمها وشكلها فهي الجامد وما أن نحفظ حجمها ولا نحفظ شكلها فهو السائل أو لا نحفظ حجمها ولا شكلها فهو الغازي والأول كالحديد والذهب والثاني كالماء والزيوت والثالث كالخار والهواء . انظر الى هذا التقسيم والى صنع القادر الحكيم . تراه أعطى المادة كل ما يمكن في عقولنا وعقولنا لا تتصور إلا واحدا من ثلاثة حافظ لحجمه بصورة . غير حافظ لها . حافظ للحجم دون الصورة وهناك صور رابعة وهي ما يحفظ الصورة ولا يحفظ الحجم وذلك مثل كل نام من حيوان ونبات فليس كالخار ولا كالماء ولا البخار بل هو قسم رابع ولكنه ليس من الأقسام العامة في المادة بل هو داخل في قسم الجامد . هذه هي الأقسام التي يحصرها العقل وهماي ذه قد وجدت ، فعلا في المادة والإنسان اذا قرأ هذا يرى انه عرف الاجال . فانظر ماذا

ترى . للمادة صفات عامة وصفات خاصة فالصفات العامة هي التي لا يتخلو منها جسم ما وأهم ذلك (ثمان صفات)

- (١) الامتداد وهو أن يشغل الجسم حيزا ومقدار الحيز الذي يملؤه الجسم يسمى حجبا
- (٢) عدم التدخل وهو كون الجسم لا يشغل إلا حيزا واحدا في وقت واحد فإذا حل جسم في مكان لا يمكن أن يحل غيره في ذلك المكان
- (٣) التجزؤ وهو كون الجسم يقبل الانقسام فهما كان الجسم صغيرا فهو قابل للتقسمة
- (٤) لسلل جسم مسام كبيرة كمال في الخبز والاسفنج أو صغيرة كالحديد والذهب
- (٥) الاستمرار ومعناه أن الجسم اذا حرك ولم يعارضه ما يوقفه لم يقف . واذا سكن ولم يجد له محركا يحركه لا يتحرك

- (٦) عدم فناء المادة إلا بأمر خالقها ونحن انما نغيرها من حال الى حال
 - (٧) قبول الضغط وهوان تضيق المسام والغازات أقبل للضغط من الجومد وهذه أسهل ضغطا من السوائل
 - (٨) الثقل فكل جسم نراه منجذبا الى مركز الكرة التي هو فيها
- هذه هي الصفات العامة للمادة بمعنى أن كل جسم متصف بهذه كلها . فالذهب مثلا يشغل حيزا وهذا الحيز لا يقبل غيره وهو يتجزأ وله مسام سنشرحها قريبا واذا حرك على سطح أملس لاختونة فيه ألبتة لم يقف وهذا على سبيل الفرض . واذا تركناه في مكان لا يتحرك ألبتة . واذا أذناه في النار ذاب ولكنه لا ينفى ويمكن ضغطه ولولقيللا وهو ثقيل ومثله الماء والهواء والبخار . أما الصفات الخاصة فهي ما يأتي
- (١) فهي كون الجسم يمكن سحبه شريطا وأكثر الأجسام قبولا لذلك الذهب والفضة والبلاتين أما مثل الزجاج والحجر فلا يمكن ذلك فيهما فلذلك كانت هذه الصفة ليست عامة
 - (٢) قبول الطرق . وأشدد المعادن قبولا للطرق الذهب وذلك لا يمكن في تحول الزجاج والحجر لذلك كانت هذه صفة خاصة أيضا

- (٣) الصلابة بحيث يعسر تفريق اتصاله أومطه وأصلب المعادن الحديد
 - (٤) المرونة وهي رجوع الجسم الى حاله الأصلية بعد ما يكون مضغوطا أو ممتوطا أو مقنولا
 - (٥) اللسابة وهي كون الجسم لا يدعن للضغط إلا بصعوبة كالذهب والحديد
 - (٦) وقبول القصف بحيث يسهل كسر الجسم كالزجاج
- فهذه هي الصفات الخاصة وكلها ترجع لجاذبية الملاصقة وتسكيها بكيفيات شتى . وهناك أحوال أخرى
- (١) مثل قوة الجذب والدفع بين دقائق الجسم
 - (٢) والجاذبية العامة
 - (٣) ومثل أحوال الأجسام الساقطة ومركز الثقل ورقاص الساعة
 - (٤) والكلام على الحركة ونواميسها والسطوح المائلة التي يرفع الجل عليها
 - (٥) والكلام على السوائل
 - (٦) وعلى الهواء وعلى الصوت
 - (٧) وعلى الضوء ونواميسه (٨) وعلى الحرارة (٩) وعلى الظواهر الجوية
 - (١٠) وأشكال الماء ومنافعه (١١) والكهربائية (١٢) والمغناطيسية

هذا هو بجمل أقسام الفلسفة الطبيعية التي يدرسها الناس في الشرق والغرب وهي من القليل الذي عرفناه ويدخل تحتها علوم وعالم وآلات وأعمال ينتفع بها الناس . هذا هو المجل الذي أردت ذكره الآن فهاك بعض عجائبه فهو المقصود في هذا المقام لأننا لسنا في مقام علم الطبيعة بل في تبيان بأي طريق

نصف اننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . أنت تعلم رعاك الله أن هذه المسائل التي ذكرتها لك قد قام بتعامها جميع أهل الشرق والغرب في الأمم المتدينه وقد شغلت سائر الأمم وقرعوا عليها آلاف المسائل والآلات الزراعية والصناعية والانتقالية والبصرية . وهاهم أولاء يجتهدون ولانهاية للاختراع . فهذه المسائل المذكورة هنا أشبه بحروف اللجم أو بالأرقام البسيطة للحساب فهي عند تركيبها لا تقف عند حد . فالحساب لا يمتسى لأعداده والكلام لا يمتسى لتركيب كلماته . غرور اللغة العربية وهي (٢٩) والانجليزية يتوى (٢٥) حرفا يمكن الانسان أن يركب من كل منهما ما لا حده من الكلمات فهكذا هنا وهذا الذي ذكرته مجرد تنظير لتقريب المقام هذا ولأدرك عجيبه من عجائب العلم ينظره الناس عادة وأكثرهم لا يعلمون

(١) قد ذكرنا في الصفات العامة أن الجسم له مسام كبيرة وصغيرة كالاسفنج والفخار والذهب والحديد أفلا أرى لك العجائب في هذا المقام . قد أسمعتك الآن رؤس مسائل وهي مجموع علم فلسفة الطبيعة ولكن لم تأخذ بلبك ولم تكن بما يشرح الصدر لأهل اجمال ولأنها أشبه بدروس التلاميذ تلقى اليهم وان كانوا لا يفهمون بها ولا هم بها محبين . أتدري ما هذه العجائب . هي

﴿ المسام ﴾

كل الناس يشاهدون الأحجار والطين والزجاج والذهب والفضة والحديد والنحاس . يشاهدونها ولكن ليس ينظر لأحدهم أن تلك الجوامد المصنعة مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب واسعة الطرقات كبيرة الجحرات هذا ولما وصلت الى هذا المقام حضر ذلك العالم الذي اعتاد أن يناقشني في عوصات المسائل . فقال حياك الله . ما هذه السجعات والخطرات . تقول مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب . ماذا تريد بهذا . أتريد أن تقول ان الحديد كالاسفنج . قلت كلا . قال فسكالغرايل . قلت كلا . قال فهل أجزاء الحديد مثلا بينها مسام كمشوارع المدينة . قلت أوسع . قال فسكالغرايل بين البلدين . قلت كلا بل أوسع من ذلك . قال وهل هذا القول يقال في تفسير القرآن . أنفسر القرآن وتقول أيها المسلمون ان الحديد منفصل لا متصل وهكذا بقية المعادن وأن فيها فتحات وتلك الفتحات أوسع من الحقول التي بين القرى في البلاد المصرية . وإذا كان هذا يقال في التفسير تضعيق الثقة لأن هذا انكار للحسوس وهل بعد تكذيب الحس من ضلال . فقلت كم للحس من غلط وقد غلط الحس في قوله ليس هنا فتحات وصدق في فتحات الخبز والسفنج فقال ربما كان ذلك ولكن هذه المبالغات التي تخالف العقول تذهب ببقية الناس بالمؤلفين . فقلت له لقد برهنوا على هذه المسام بما يأتي

(١) نلأ كاس ماء وزيد ملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء فدقائق الماء كالبطيخ والملاح كالسيوم والسكر كحبات القمح فالذيون بذهب بين البطيخ والياهر حجمه وحجبه القمح يسعه السيون بين وحداته (٢) أخذ بعض أهل (فلورنسا) بايطاليا كرة مخوفة من الذهب وملأها ماء ثم سدّها سداً محكما وحفظها من الخارج فقسطحت قليلا وصغر حجمها فخرج الماء من مسامها وتجمع على سطحها كالندى (٣) ان الذين يجرّبون المدافع الكبيرة يضغطون الماء فيها حتى يرتشح من مسامها ويصير زبدا على سطحها ثم يجتمع ويقطر عنها

(٤) الأعمدة الحجرية والقناطر تضغط أحيانا فتقصر اذا كانت تحت بناء عظيم لزيادة ثقله وقد تقدّمت في سورة آل عمران فهل كفالك هذا في أن لها مسام . قال هذا كافيني واسكن المبالغات المذكورة هي التي تخالف كل عقل . فقلت ان القوم بحثوا ودققوا كما رأيت أن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء . فاذن دقائق الماء أكبر وقد رأيت أن دقائق الماء قد اخترقت دقائق الحديد والذهب

وهذا الاختراق معناه أن الفتحات تسع ذرات الماء وهذا الاتساع يحشوا فيه وفي الذرات المحيطة به فظهر لهم ما يأتي قالوا ﴿لَوْ تَصَوَّرْنَا أَنْ فِي الْمَسَامِ حَيَوَانًا صَغِيرًا جَدًّا جَدًّا بَحِثْ يَعْشُ عَلَى جَوْهَرٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ كَمَا يَعْشُ إِنْسَانٌ مَنَا عَلَى الْأَرْضِ وَفَرَضْنَا أَنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرُ وَاقِعٌ فِي وَسْطِ سَجَرٍ لَكُنَ الْحَيَوَانُ الْمَشَارِبِ لَهُ بِرَى أَقْرَبَ الْجَوَاهِرِ إِلَيْهِ بَعِيدَةً جَدًّا عَنْهُ كَمَا تَرَى نَحْنُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ وَرَبِّمَا كَانُ بِحِجَابٍ مُعْرِقَةٍ تَكُ الْجَوَاهِرُ إِلَى مَنَظَرٍ كَبِيرَةٍ كَمَا نَحْتَاجُ نَحْنُ إِلَيْهَا لِمَعْرِفَةِ الْأَجْسَامِ السَّالَوِيَّةِ فَيُظْهِرُ هَذَا الْمَثَلُ اتِّسَاعَ الْمَسَامِ بِالنِّسْبَةِ لِلْجَوَاهِرِ انْتَهَى كَلَامُهُمْ . ثم قلت ان بعد الشمس المتوسط عن الأرض يعادل تقريبا قطر الأرض (١١٦٥٠) مرة فقتضى كلامهم أن يكون بين الجوهر والجوهر في الحديد والذهب مسافة تبلغ مقدار أحدهما ١١٦٥٠ مرة هذا معنى كلام أولئك العلماء وقد قالوه ولم ينكر أحد منهم هذا بل أقروا والناس لا يقرّون مثل هذا إلا إذا كان واضحا لديهم أجمعين . هذا شأن جميع العالوم . فاذن هذا أشبه باليقينيات لاجتماع الأم عليه . أفلمست بهذا ترى أن الأجرام الجامدة وغير الجامدة أمرها عجب وأن مآثرها مصمتة هو خلو وكلها مسالك بل يكاد يكون أشبه بالخلاء الذي قلت الأجسام فيه وهذا مما يحير العقول ويدعش الألباب فأمثال الحديد والذهب على هذا المتوال فهذا أمر عجب وهومن أدل الدلائل أن العلم لانهائية له وأن علمنا قليل . فقال أريد بيانا أزيد من هذا . قلت قد تقدم بعضه في أوّل (آل عمران) . فقال أريد ما يقرب منه هنا . فقلت ان رأى العلماء اليوم أن المادّة مؤلفة من جواهر غاية في الصغر ولكل جوهر شكل ولون وتقل وانها تبقى على حالها فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كباوى وهذه الجواهر لم يرها أحد ولا يبرهان محسوسا على وجودها وانما هي توافق العالوم لاسيا الكيمياء ولذلك أجمع العلماء على قبولها ويستعان على تصوّرها بهذه الصفة

(١) إن بعض الحيوانات لشدة صغرها لا ترى بالعين المجردة وهناك آلاف آلاف منها تعيش في نقطة واحدة صغيرة من الماء تلتق برأس الابرة مثلا وتمو هناك وتتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البرّ في القفار وحيوانات الماء في البحار ويسطو بعضها على بعض ويقتل ويفترس بعضها بعضا كالسكاوس والجوارح وهي في المستنقعات أيام الصيف وتبعد في البخار بحرارة الشمس وتطير في الجوّ مع الهباء ثم تعيش وتكثر حينما نزلت ووافقتها الرطوبة والحرارة . وهناك في سورة (آل عمران) زيادة فارجع إليها وكفالك ما هنا أفليس هذا معناه - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - وأنى علم عندنا اذا كانت قطرة فيها آلاف الآلاف من المخاوقات ونحن لانراها وكل حيوان منها له معدة أو أكثر لهضم طعامه والاغتذاء به وأن طعامه بعد أن يدخل معدته لا يغذيه إلا بعد ما يدور في قنوات كثيرة في جسمه وطعام الحيوان مؤلف من دقائق سائلة وأخرى جامدة مثل ما ترى في الحيوان المشاهد وكل دقيقة مؤلفة مما هو أصغر منها وهكذا فأصبحت تلك الحيوانات التي لانراها علما جديدا لاندرى ما وراءه وربما كان في باطنه حيوانات ذرية كما نشاهد في الحيوان الذي نراه هنا . ونحن في حيرة فلا الصغير أدر كنا صغره ولا الأجرام العظيمة من الشمس والكواكب أدر كنا نهائيتها هذا تفسير قوله تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - وقوله - لقد خلقنا الانسان في كبد - أى نصب وتعبد لأنه بعد هذا النصب كما أصبح جاهلا جهلا حتا وقوله - وما ننزله إلا بقدر معلوم - فهو لا يعطينا العلم إلا على مقدار طاقتنا وقوله - ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - انتهى والجد لله رب العالمين ﴿حادثه عجيبه في الطيارات﴾

أنا أكتب هذا في صباح يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٤ ولما وصلت الى هذا المقام ذرت ما اتفق لي أمس . ذلك أن بعض الشبان قتالوا رئيس الجيش الانجليزى والمصرى وهو حاكم السودان من قبل الحكومة الانجليزية والمصرية . وقد ارتجت بلادنا من أقصاها الى أقصاها لوقوع هذا الحادث لأن بلادنا المصرية قد أعطى لها الانجليز استقلالاً وبلادنا المصرية لا تسوية الامور بيننا وبينهم . فلما وقع هذا الحادث

اختلطت الامور والناس في ذهول عميق . فبينما أنا في القرعة إذ سمعت أصواتا في الجوّ فقامت ووقفت خارجها اذا هناك طيارات تتلوه طيارات وهي محلقه في الهواء على هيئة طيور ذوات أجنحة وذبول ورؤس تقليدا لطيور السماء وطال الأمد على وقوفي وهي تمرّ منى وثلاث ورباع وخماس احتقالا بدفن ذلك الحاكم الكبير الذي أقام انكسارها وأقصدها كما أفلق مصر وأخافها وأنا شاخص اليها أراقب حركاتها وأسمع أصواتها وهي تحلق فوق البيوت (لغرضين * الأول) الاحتفال بالجنائز (والثاني) ليقولوا للمصريين انظروا انظروا هذه طياراتنا قد ملكت السماء عليكم وسددناها في وجوهكم فالبجر من رراتكم فيه أساطيلنا والجوّ فوقكم فيه طياراتنا فالى أين تفترون . هذا مايقصدون

(لغة الطيارات التي فهمتها)

أما أنا فكنت أسمع غير هذا . كنت أسمع اني الآن أكتب في التفسير وهناك أناس مثل يكتبون لرقى المسلمين وكأن تلك الأصوات تقول بلسان فصيح "سيكون في هذه الأمة الاسلامية رجال غير ماثرون وسينسر هذا الكتاب ويكون من وراءه ووراء أمثاله مارقى هذه الأمة ويكسبها حركة عظيمة وسيعود الاسلام كما بدا أى ينشر انتشارا غربا وليس الانتشار هو كثرة الأتباع فلا فائدة في اتباع أذلاء بل سيكون هذا الاسلام أمره غريب جدّا وسيظهر فيه أناس بارعون في جميع الصناعات ويعملون أعمالا يهجز عنها الأوروبيون ولكنهم يكونون خدام الانسانية . خدام الحضرة العلية . خدام الحق . خدام الحكمة بربون العالم تربية علمية ويكونون صلة بين الأمم المختلفة . هذا هو الذى فهمته من غور الطيارات وأنا لا أقول تكلفا ولا أذكر إلا ماخبرني قلبي ونقاه فؤادى . فالأمة الاسلامية سيكون بها أناس أبرع في هذه الصناعات من جميع الأمم يؤدّبون العاصين ويرفعون المدنية الجاهلة الى أوج الكمال وتكون دعوتهم الدينية مبنية على الاقتناع ولا يستعملون السلاح إلا للفضيلة وتربية الأمة تربية علمية لأنهم يحبون الله حبا جافيعملون لمصلح عباده والخلق كلهم عباد الله . هذا هو الذى فهمته من الطيارات العائزات الانجليزيات . وهذا هو الذى فهمته في قوله تعالى - وكل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا - وإنما الامور بالاستعداد والعمل والجسد لله رب العالمين ولذلك هنا (أربع لطائف)

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - إن قرآن الفجر كان مشهودا -)

أى يشهد معناه المصلى ويطالع ويحضر فيه قلبه ونفسه إذ ذاك فارغة عقب النوم فهى مستعدة للفهم وتلقى المعاني لاسما وقد تحلى الله على الناس بالصبح منيع الأنوار المشرقة الفاضلة على الآفاق فتذكر النفس بالجمال والبهاء . وإنما ذكرى هذه الجلالة لأنه لامتعى للصلاة إلا بحضور القلب ومطابقة القلب للسان وموافقة له كما قال في آية أخرى - إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قبلا - أى أشد موافقة بحيث يوافق القلب اللسان موافقة أشد وأبين قولاً . فهذا هو المعنى المقصود من قوله تعالى - مشهودا - وأما الحديث فانه ذكر بعض لوازم حضور القلب من الانتفاع بحضور الملائكة للإلهام فيلهمون المصلى المعانى وترسم في نفسه عند صلاته (اللطيفة الثانية - ويسألونك عن الروح -)

(اللطيفة الثالثة - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين -)

(اللطيفة الرابعة زيادة مبحث في القسم الأول في قوله تعالى - إقرأ كتابك كنى بنفسك اليوم عليك حسبياً -) هذه اللطائف الثلاث يتجلى لك نبؤها وتشرق شمسها وتبهرك بحسنها وتراها عروسا حليت في حبر قد ازينت للناظرين وقالت هيت لك للعاشقين فهالك غادة هيفاء وكاعبا غيداء وعقبلة حوراء أرفها اليك باسمه الشجر حالية المنطق عذبة المورد شارحة الصدر مرقية العقل جالبة الأنس بمنطقها الرخيم وبينها الفصيح فلازفها اليك ساعة اليك لم تجشك مهرا إلا قبولها ولا نفقة إلا وصالها وهى مبهجة بخلاها وحلاها

تخالف في غلاتها الهندسية وأثولها العبقريّة

فأقول نقلا من ﴿كتاب الأرواح﴾ الذي ألفته منذ بضع سنين ولا أحيلك عليه بل أذكر منه ما يناسب المقام لتري جمال الاسلام قد أوحى به الى الأنام ولتجيب أيها النكي كيف أشرقت أنوار الله على عباده وأخذ نوره يتجلى على المخالوقات الانسانية فأظهر الأرواح وأقامها من برازنها فصل السرى بالسرى لتقابل الأحياء فترىهم أن وعد الله حق وانهم أحياء فعلا وأن الأبرار والفجار بعد الموت هم هم الذين كنا نراهم في الدنيا ولقد ذكرت لك بعضا من هذا الكتاب في سورة البقرة مما يناسب المقام هناك فلأزودك الحقيقة الناصعة لتري أن الحياة الأخرى موجودة فعلا وأن الناس لم يموتوا إلا أجسامهم وأن أرواحهم تطالع ما كسبت في حياتها وأن العذاب والنعيم حاصلان فعلا في الدنيا وفي الآخرة وهنا يظهر لك سر هذه السورة وكيف تنكسر فيها ذكر النفس وانها تطالع أعمالها ويكشف عنها غطاؤها وأن الملائكة لا يستطيعون المشي على الأرض • وبالجملة هذا الموضوع سترى فيه معجزات القرآن في آخر الزمان وهذه هي المعجزات الكبرى التي وعد بها الله إذ قال سبحانه - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - أما آيات الله في الآفاق فهذا الكتاب مملوء منها وأما آياته في أنفسنا • فيها أنادى أولها عليك من الكتاب المذكور بعد أن ذكرت مسألة الروح في سورة البقرة ومباحث العلماء فيها ومباحثي أنا أيضا عند قصة العزيز وحجاره وإبراهيم وطيره الذي فرقّه على الجبال ثم دعاه فأقول جاء في هذا الكتاب ما يأتي وهوتبيان اللطيفة الثانية والثالثة

﴿فصل في طرق إحضار الأرواح﴾

قال شير محمد • قد فهمت تاريخ مناجاة الأرواح بأوروبا وقد شافني هذا الى أن أعرف كيف أخضرت واذا كانت العلوم الرياضية والطبيعية قد صدقها الجهال لعلهم إنهم إن سلكوا السبل إلى سارعلها المهندسون وعلماء الحساب والطبيعة وصلوا الى النتائج التي وصل اليها أولئك الأعلام حق لنا أن نسأل عن الطرق التي سارعلها علماء الأرواح في أوروبا حتى اذا اعترونا الشك فيما أخبرونا به مما لم يحط به علما سلكنا سبيلهم ليحقي الحق ويبتل الباطل عند المحققين • فقلت اعلم يا شير محمد أن الطرق التي اطلعت عليها في كتبهم ست وسأوضحها جهد طاقتي ولا أخرج عن دائرة النقل مما يكتبون ﴿الطريقة الأولى﴾ لا بد من قراءة الفصل الآتي أولا في آداب المخضرين فحتى عملت به فلتجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك حول مائدة ذات ثلاثة أرجل وتضعوا أيديكم عليها غير متكئين بقوة وقد لامست يد كل واحد منكم يد الآخر واتصلت بها ثم يدرم ذلك لا يزيد عن ربع ساعة فاذا لم تتحرك فليعد الى العمل في اليوم الثاني وهكذا كما سيأتي في الفصل الآتي ومتى تحركت فليستألو الروح الحاضر أن يرسل لكم من تريدون من أصدقائكم أو أستاذتكم ومتى حضر ففهمنا طرق تتفقون عليها معه لأنه إما أن يقال له أن الجواب نعم بضرورة أو بضر بين وهكذا ولما أن يقال يكون الجواب كتابة فتكون الألف ضربة وباء ضربتين والتاء ثلاثة ولما أن تنطق بحروف الهجاء (اب ث الح) والحرف الذي تضرب المائدة عنده يكتب ثم تكتب الحروف فتكون ذات معنى وهناك يحصل كثير من التوهيش والتخليط عند المبتهدين كما في الفصل الآتي ﴿الطريقة الثانية﴾ تجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك وقد وضعت فنجانا فوق المائدة مثلا وقد كتبت حروف الهجاء واضحة - جلية حسنة الخط في ورقة لطيفة وجعلت هذه الورقة محيطة بهذه المائدة ويكون الفنججان في وسط المائدة مقابوا وقد وضعت أصابعكم على قاعدته ويدرم ذلك ربع ساعة كما تقدم فان لم يتحرك فليعد العمل وهكذا اسبوعا أو شهرا الى ستة شهور كما سيأتي في الفصل التالي ولتكن أنت رئيس القوم ولتفكروا جميعا في روح سالحة حاضرة في المكان أو تريدون احضارها ومتى حضرت فاطلبوا منها أن تعرف اسمها فيتحرك الفنججان والأصابع موضوعة عليه بطريق الملامسة بلا ضغط وتوجه الى الحروف حرفا حرفا فتكتب تلك الحروف وتقرأ وتسكون مفهومة معقولة وقد يحصل

تمهيش وخلط عند المبتدئين لتداخل أرواح سفلية وأذن تكف حالا عن العمل ثم يعاد مرة أخرى ولا بد من الصبر والثبات **﴿ الطريقة الثالثة ﴾** أن الأرواح أنفسها لما رأت أن في تحريك المائدة واستخراج الحروف بطرقها صعوبة وضياعا للزمن أشارت بما يأتي . وهي أن تأخذ قطعة صغيرة من الخشب مثلك الزوايا تجعل لها ثلاث قوائم صغيرة منتهية بدواليب صغيرة وتربط بأحداها قلما من الرصاص وتضعها على صحيفة من الورق فلما فعلوا ذلك ووضع الوسيط يده على هذه المنضدة الصغيرة أخذ القلم يتحرك فخط أحرفا ثم جلا وبعد ذلك أخذت المائدة تكتب بسرعة زائدة وتحرك رسائل مطولة **﴿ الطريقة الرابعة ﴾** أن يضع الوسيط يده على الورقة وهو ممسك القلم فيستولى عليها الروح ويحركها بذاته ويسمى هذا كتابة آية لأن الكاتب إذ ذاك لا يدري ما تخطه يده . ولقد جاءهم كتابات ورسائل بلغات مختلفة وعجائب من التصوير وبدائع من النقش ومن العلوم المختلفة **﴿ الطريقة الخامسة ﴾** أن توضع الورقة في علبة مغلقة ويضع الوسيط يده خارج العلبة ولما فعلوا ذلك خرجت مشعونة بالكتابة والتصاوير الجلية **﴿ الطريقة السادسة ﴾** أن تظهر الأشباح والأرواح وصور أيد بشرية نورية ووجوه مستديرة لامعة ويدعى القوم انهم لمسوا الأشباح أخيرا بأيديهم . ولا حرج أن هذا لا يكون إلا بطريقة التنويم المغناطيسي . قال شير محمد . أ أجريت بنفسك هذه الطرق الست أم هذا مجرد نقل . قلت بل مجرد نقل . قال أراك في هذا أشبه بمن يصف للناس علم الكيمياء القديم التي يزعم القوم انها تكون الذهب فتضمر المسلمين بلا فائدة . فقلت ان الانسان قد يصف المزارع والأشجار والأنهر والبحار والأرض وهو لم يصنع شيئا من ذلك . فقال وهل شاهدت شيئا من هذا . قلت نعم قد شاهدت فقد فيض الله لي من عمل الطريقة الأولى والثانية وأنا جالس بالقرب منهم وهم قوم صالحون . وهذا كان عندي من العجب لأنه كان أثناء تأليف الكتاب فانهم طلبوا أنا اسأله الامام الغزالي فتحرك الضجيج الى الحروف بهذه العبارة **﴿ مسكين شاب عرف الله ولم بهم شوقا الى جلاله ﴾** ثم سألته مسائل أخرى لا يعلمها الحضور فأنت الأجوبة مطابقة فجيت أشد العجب . فقال شير محمد لعل أعضاءهم تأثرت بما في ذلك أو بما عندهم من الصلاح فجاءت العبارة على مقتضاه . فقلت بإشیر محمد هذا هو الذي أريد من الناس أن يبعثوه ولست أقطع في العلم بل هذا يعوزه جماعات وقوم عندهم استعداد - وما على الرسول إلا البلاغ - انتهى

﴿ أمثلة على ما تقدم ﴾

﴿ المثال الأول ﴾ هناك حادثة مدهشة . وذلك أنه في سنة ١٨٧٣ ذكرت جرائد أوروبا وأمريكا حادثة مدهشة وهو أن المؤلف الإنجليزي (ديكنس) فاجأته المنية في مدينة لندن سنة (١٨٧٠) م قبل ثمة روايته الأخيرة المدعوة **﴿ أسرار ادوين برود ﴾** فأتمها بعد موته على يد الوسيط الأميرك (جيمس) في مدينة (بوستون) وذلك أن (جيمس) كان غلاما صاعدا قليل العلم يقضى أيامه في العلم واثقان حرفته فحضر في إحدى ليالي (تشرين الأول) سنة ١٨٧٢ جلسة روحانية تجلّى فيها روح (ديكنس) وطلب أن يكون (جيمس) وسيطا يتم به روايته فقبل (جيمس) وصار يجلس في كل ليلة في نحو الساعة السابعة وتتحرك يده وهي تكتب في القراطيس أقوالا يعلمها ودام على ذلك سبعة أشهر أكل فيها الرواية بأنفسها ثم أتى قراطس . ولقد شهد رجال الصحافة عموما أنه يستحيل على القارئ أن يميز بين ما كتبه (ديكنس) قبل موته وبين ما كتبه الوسيط (جيمس) بعد موته أقل اختلاف لافي الانشاء ولا في الخط ولا في نسق الرواية حتى ان الأغلاط الإملائية التي كان المؤلف في حياته يعتادها بقيت كما هي . ولقد جاءت مقالات في الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبتها الأرواح على أيدي فيان حديثي السن أوثقيات ساذجات لا يحسن القراءة **﴿ المثال الثاني ﴾** قال . في المذهب الروحاني أن الأرواح قد أشارت الى واسطة أسهل من المائدة لخبايرتهم وهي أن يمسك الوسيط بيده قلما ويضعها على قراطس

فبحسب بعد ذلك بيده قد تحركت من نفسها وأخذت ترقم نقطا وخطوطا ثم أحرفا يتألف منها المقالة الروحية وهاك كيفية ممالك الدكتور (سرياكس) الألماني الوساطة الخطية بعد أن عزم على استجلاء الحوادث الروحية في بيته وما بين آله دفعا للاحتيال فبعد أن أقام تسع عشرة جلسة بدون نتيجة تذكر قال ما رجته ﴿ في هذه الجلسة الأخيرة وهي العشرون شمرت خطاة وبالتوالي باحساس غير مألوف من الحرارة والبرودة ثم برمج باردة مرت على وجهي ويدي فاعتري ذراعي الأسرنوع من الخدر لا مناسبة بينه وبين التعب الذي كان يعتريني في الجلسة فكانت يدي تخلعة على نوع القول لا تقوى ارادتي على تحريكها وبعد هنيهة شعرت بقوة أجنبية تحركها بسرعة لم أكن أقوى على تثبيتها ثم أحضرت لي امرأتى ورقا وقلم رصاص ووضعتهما على المائدة فوثبت يدي اليسرى على القلم وأمسكته وبدأت تخط في الفضاء اشارات لامعني لها وبسرعة عفيفة أجهرت مجاورى على التخلف للأوراء وبعد ذلك انقضت يدي على الورق وضربت بعنف حتى انكسر القلم ثم انحطت على المائدة ومهدت فتأكدت أنه ليس لارادتي دخل لاني الحركات التي أهدتها يدي ولا في حالة السكونية التي صارت اليها فيما بعد وبعد أن برى القلم من جديد ووضعت أمانى أمسكته يدي وأخذت تلتف أوراقا جمعة مائلة إياها شطوبا وتقاطيع الى أن هذأت بعد هنيهة ورأيتها تكتب ترفينات خطية يبدأ بها صبيان المدارس أى خطوطا بسيطة في الأول ثم أحرفا هجائية وكل ذلك بسرعة عجيبية وبعدها هذا اضطراب ذراعى وشعرت من جديد برمج باردة مرت على يدي فعدت الى أصلها وتبددت منها كل ضرر وتعب فسررت جدّا بهذه الجلسة لتأكيدى فيها ظهور قوة لاتعلق لها بارادتي ولا في وسعى مقاومتها . وفي الليلة الثانية قنّا من جديد الى العمل ومامست خسن دقائق حتى شعرت بالريح الباردة والاعراض ذاتها التي تمت في الجلسة السابقة فكانت يدي اليسرى تهتز بعنف متزايد وتطرق أحيانا طرف المائدة طرقات شديدة مترددة حتى ظننت انها قد سلخت إلا اني لم أرفها بعد الجلسة أدنى خدش ولا اعتراى فيها أقل وجع ثم تمرنت وسطاني في الجلسات التالية ونكاملت بسرعة حتى صارت يدي اليسرى تكتب مقالات شتى للأرواح وفي احدى الليالي صورت ثلة من الزهور في منتهى الاتقان ولاحاجة للقول لاني لا أستطيع أن أستعمل يسارى حتى في الأكل فكيف في الكتابة . وأما التصوير فليس لى إلمام بأصوله ولو بيدي اليمنى وقد تأكدت تأكيداً لا ريب فيه أن القوة التي كانت تستعين بيسارى للكتابة والتصوير كانت خارجة عني ولاتعلق لها بارادتي وكنت في حال الكتابة على أتم الانباه لا أشعر من نفسى بغير خسر يدي وتسلط غريب عليها بمعزل عن اختيارى . والدليل على ذلك اني كنت في حال الكتابة أناط برفقائى وأطارحهم الحديث دون أن تتوقف يدي عن الكتابة ولا أدري ما تخط وقصد أحد الحضور في جلسة أن يوقف يدي بوضع عليها يديه وارفع جسمه حتى وقع كل قتله عليها فبقيت مع هذا تحرك للكتابة بقوة ونظام كأنها ليس عليها شئ وأنا لا أحس بالثقل الواقع عليها ﴿ قال في الكتاب المذكور أحيانا الملاحظات التي نشرها الدكتور (سرياكس) لأنها تختوى على الأعراض التي تعتري كل وسيط كاتب في أول وساطته فضلا عما لصاحبها من الشهرة في العلم والكفاءة واهتمامه الى الروحية باختياره حوادثها في نفسه ﴿ المثال الثالث ﴾ قال في الكتاب المذكور قال العلامة (وليام كروكس) في الوساطة الخطية ﴿ كثيرا ما شاهدت الأنسة (فوكس) وهي الوسيطة تكتب مقالة روحانية لأحد الحضور في حين أن مقالة أخرى وفي موضوع آخر كان يتلقها آخر بوساطة طرقات المائدة الواضحة الوسيطة بعدها عليها . وفي الوقت نفسه كانت الوسيطة تكلم انسانا ثالثا بكل سهولة وانتباه في موضوع مخالف للوضوعين الآخرين ﴿ قال ولا جرم أن الوساطة الخطية أكل وأسهل طريقة لمناجاة الأرواح ولنيلها ببذل المتبتدون جهدهم خصوصا لأنهم يتمكنون بها من تمييز الأرواح واستجلاء بواطن أفكارهم وتقدير درجة ارتقائهم ﴿

﴿ الأرواح تكتب بلا أقلام ﴾

(المثال الرابع)

قال البارون (جيلد نستويه) في كتابه عن حقيقة الأرواح في أول شهر (آب) سنة ١٨٥٦ مآياتي ﴿ خطرت لي أن أجرب كتابة الأرواح من غير يد الوسيط لما قرأت في كتاب موسى عن كتابة الوصايا العشر وفي سفر دانيال عن الكلمات السرية التي خطتها يد غير منظورة في ولجة بلشاصر وما قرأته عن أسرار (أسترافور) الأمريكي في هذا الموضوع فوضعت ورقا أبيض وقلم رصاص في علبة ألقفتها ووضعت المفتاح معي ولا علم لأحد بما فعلت وفي اليوم الثالث عشر من شهر آب سنة ١٨٥٦ رأيت حروفا سرية مكتوبة فدهشت وعجبت أشد العجب وكرت العمل في ذلك اليوم عشر مرات فشكل مسعاى بالنجاح وفي اليوم الثاني كررته عشرين مرة والعلبة مفتوحة أمامي وأرى الحروف والكلمات تسطر أمامي بلا قلم فصرت بعد ذلك أضع الورق أمامي على المائدة ففسطر المقالات عليه بيد غير منظورة ﴾

بهذا العمل نفسه حظي الكونت (أورش) برسالة من أمه المتوفاة بالخط والامضاء نفسه الذي كان لها في حياتها على يد البارون المتقتم . وقد جرب مثل هذا العلامة (والاس) وكذا العلامة (أوكون) من جمعية العلماء في (اكسفورد) والعلامة (زولغر) الألماني والدكتور (جيبه) الافرنسي والمعلم (أويت كويس) الأمريكي في مؤلفاتهم بعد الاحتياط الشديد لرفع الريبة وفي الشبهة والاثبات واليقين ﴿ المثال الخامس ﴾ روى المستر القهيه (سارجان كوكس) مآثره يه ﴿ كثيرا ما رأيت غلاما صيرفيا وهو وسيط عار عن كل علم وتهذب يجادل عند استيلاء الروح عليه قوما من الفلاسفة في مسائل المنطق ومعرفة الغيب والارادة والقدره وغالبا كان يفهمهم بأجوبة السيدة وأنا نفسي ألقيت عليه يوما بعضا من معضلات علم النفس فخلها لي ببراهين قاطعة وألفاظ في منتهى الرقة والقصاحة مع أنه في حالته الطبيعية لا يدري ما الفلسفة ولا يجد ألفاظا يعبر بها عن أفكاره الصغيرة ﴾ . ﴿ المثال السادس ﴾ روى العلامة (والاس) في تكلمه عن أعمال الحاكم (أدمون) الأمريكي ما يأتي ﴿ ان ابنة الحاكم المدعوة (لاورا) أصبحت فيها بعد وسيطة متكلمة وصارت تنطق بلغات أجنبية لا تعرف هي منها شيئا وكثيرا ما خاطب أصحاب الحاكم موتاهم على بداهة وبلغاتهم الخصوصية . واتفق مرة أن نزلت بعشر لغات في مدة ساعة فقط منها الاسبانية والافرنسية واليونانية والايطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية والانجليزية وغيرها من اللغات التي كان يجهلها الحضور ﴾ المثال السابع ﴿ هو وبعض ماتقتم خاص بالتنويم المغناطيسى وبعضها يتيسر لجميع الناس بلاتنويم على شرط المثابرة والصبر والاحترام والانتجاع الى الله عز وجل فلنختم بهذا المثال فنقول . قال في المذهب الروحاني لابد لأهل الشك أن ينسوا الى الاحاديث الخرافية كل الوقائع التي أثبتنا على ذكرها رغما من ثبوت صحتها وصدق رواياتها زاعمين أنه لا بد أن يكون للتخيل الوهمي والمبالغة النصب الأوفر فيها ولكن هل ثبت شكهم ازاء حوادث من هذا النوع تمت في معمل وحيد العصر وخيرة علماء انكثرا أعني به (وليام كروكس) ان ضيق المقام لا يمكننا من تفصيل الامتحانات التي أقامها على يد الوسيط هوم والآنسة (فلورنس كوك) فنكتفي بتلخيص بعض الأندية التي فيها تجسمت الروح المدعوة (كاتي كيننج) وظهرت عيانا للحضور قال اله . لامة المذكور في كتابه المدعو ﴿ مباحث الروحانية ﴾ كنت أقم الجلسات في معمل ذاته والمكتبة التي ينفذ إليها أجعلها الخجرة السوداء التي تدخلها الوسيطة لالتقاءها في السبات ومنها يظهر خيال الروح بعد اضعاف النور . وقد قال في الكتاب المذكور كانت (كاتي كيننج) هذه روح حى من عالم الغيب تجلت في البدء بهيئة بخار يظهر في الظلمة ولا يقوى على تحمل النور ولكنها تدرجت شيئا فشيئا إلى أن تجمعت في وسط الأشعة الكهر بائية وفي معمل عالم كبير تنزه عن الجهل والغش . ثم قال الصلابة المذكور لم تظهر (كاتي) قط ظهورا واضحا كهذا فانها لبثت زهاء ساعتين تمشي في الغرفة وتكلم

بدالة كلام من الحضور ثم أخذت مرارا بذراعي لتمشى معا . وناهيك ما تولاني من التأنس عند معرفتي أني أمأشي زائرا من عالم الغيب لا امرأة حية ثم قالت (كاتي) انها تستطيع في هذه المرة أن تتجلى مع الآنسة (كوك) وهي الوسيطة فأطفأت نور الغاز وأخذت مصباحا من الزيت السفوري ودخلت الحجرة السوداء فوجدت الآنسة (كوك) ملقاة على المقعدة فاقدة الحراك فجثوت بجانبها وأذيت المصباح منها فأقبتها لاسية حلة من الخمل الاسود ثم رفعت المصباح ونظرت الى ماحولي فرأيت (كاتي) واقفة ازاء الوسيطة لاسية حلة بيضاء ضافية الذيل ثم أمسكت ثلاث مرات يد الآنسة (كوك) لأتحقق أنني بمسك يد امرأة حية ورفعت مصباحي ثلاث مرات نحو يد الآنسة (كاتي) لأخضها بدقة وأنا كد اني أعين حقاً لماي من كنت أعتشى معها وبدى في يدها منذ بضع دقائق ثم تحركت قليلا الآنسة (كوك) فأوعزت (كاتي) حالا الى بالذهب نفرجت من الحجرة و بعد قليل استيقظت الوسيطة بعد أن توارى خيال (كاتي) وأعدنا مصباح الغاز الى ما كان عليه . ثم أخذنا العلامة المذكور بقران ما بين الآنسة (كوك) الوسيطة والآنسة (كاتي) للتحلية فكان الفرق في اللون واللمس والطول وقلب الأذن والنبض والشعر والريتين . فالآنسة (كاتي) كانت ذات شعر ذهبي ووجه أبيض ناصع وعنق ناعم اللمس وقوام أطول وأذن غير مثقوبة ونبضاتها (٧٥) في الدقيقة والريته أكثر اعتدالا . فأما الآنسة (كوك) فانها ذات شعر كأنه أسود ووجه أسمر وعنق في بعضه خشونة وأذناها مثقوبتان وطولها أقصر قليلا ونبضاتها ٩٠ في الدقيقة وفي رثتها زكلم . ثم وصف العلامة المذكور آخر جلسة للآنسة (كاتي) وذكر فيها عجائب لا يستطيع الخيال فضلا عن العقل تصورها . فعلى من عندهم قوة على هذه الأعمال أن يجربوها في بلادنا حتى نوقن بما يقولون . يقول ان الآنسة (كوك) وهي الوسيطة دخلت الحجرة الساعة السابعة والدقيقة ٣٣ مساء وفي الساعة السابعة والدقيقة ٢٨ سمعنا صوت (كاتي) وفي الدقيقة ٣٠ تجلجت وظهرت بجملة بيضاء قصيرة الأكم وعنقها مكشوف وشعرها منسدل حتى خصرها ووجهها مبرقع بخمار طويل لم تنزعه الا قليلا ثم أخذت (كاتي) تسكلمهم عن رجلها القريب وقدم لها أحد الحضور باقة من الزهر فقبلتها ثم قعدت على الأرض وأقعدتنا حولها وأخذت تفرق الزهور علينا وحررت رسائل لأحبابها ومنها رسالة للآنسة (كوك) مطولة وذيلتها باسمها الحقيقي على الأرض (حنا مرجان) وقد زعمت انها عاشت في عصر (كارلوس) الأول ثم تمشت مع هذا العلامة آخذة بذراعي في الغرفة مايا ثم جلست وقصت قطعاً شتى من رداؤها وخارجها وقصتها لهم هدايا . قال العلامة المذكور فسألناها هل تستطيع أن تملأ الخروق التي في ثوبها كما فعلت ذلك مرارا فأجابت نعم وأخذت يدها القدام الخروق وضربت عليه يدها ففاد حالا الى ما كان عليه فسألته حينئذ أن تأذن لي في تحقيق الأمر فأذنت فلم أجد في الرداء أقل أثر لفتق ثم دخلت الى الحجرة السوداء وأيقظت الآنسة (كوك) وقالت لها لقد أزعمت الرحيل فانعتبت الآنسة (كوك) وطلبت أن لا تفرقها فقالت لها إني راحلة الى عالم آخر غير الذي أنا فيه الآن . وبما قالته لهم انها لا تقدر أن تتجلى فيسمعوا صوته او يروا شخصها وانها تأتي لهم بالوساطة الخطية على يد الآنسة (كوك) ولا تظهر لها إلا في السبات الغناطيسي . انتهى

وهناك حوادث شهيرة لتجسم الأرواح كاتى ظهرت من تجسم (استيل) قرينة الصيرفي الأمريكي ليفرمور فانها تجلت بعد موتها لزوجها ٣٨٨ مرة بهيئة محسوسة في خلال خمس سنين كذلك العلامة (جيبه) الافرنسي شهد في معمله كثيرا من هذا النوع على يد الوسيطة (مدام سلمون) ونشرها مفصلة في تأليفه وفي سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ ذكرت الصحافة الإيطالية غرائب الامتحانات التي أقامها العلامة (لومبوزو) في (جينوا) مع العلماء (مورسلي) و (برو) والكتاب النحير (فاسالو) مدير جريدة الجليل التاسع عشر الإيطالية وكانت الوسيطة (اوزايا بالادينو) وقد تجسم على يد مرارا ابن (فاسالو) المتوفى وقد أطفأ بتجليه لوعة

أبيه وأبدله محبة خاود النفس . ثم قال في الكتاب المذكور وإن لنا حوادث أخرى عديدة من تجسم الأرواح على يد الوسطاء وظهورهم لأحبابهم لتعزيتهم وتبديد حزنهم فنضرب عن ذكرها لاكتفائنا بشهادات العلماء المتقدم ذكرهم . قال شيرمحمد وهل اطلمت على شيء مما يذكره جهالة المسلمين اليوم من قولهم إن العفريت ليس حته فلانة أو فلان و يأتي شيخ يقرأ ويهزم . أحنى هذا أم ضلال . أفلا يمكن تبيان الحقيقة حتى لا يقع الناس في شبك الكذابين . فقلت يا شيرمحمد اني قابلت كثيرا من هؤلاء فأفبتهم كذابين غاشين للأمة ولطالما قابلت متعلما فاضلا حاز الشهادات العالية . وقد أحسن الظن بأحد هؤلاء فاذا قابلته وجدته أفرغ من فؤاد أم موسى والى الآن لم أسر بواحد من هؤلاء وجدير بالأمة أن تتيقظ وتأقف من مسامرة هؤلاء لاسيما انها دخلت باب العلم والترقى وقد اطلمت على نبذة يسيرة تناسب هذا من الكتاب المذكور . قال

﴿إن الاستيلاء الجسدى ليس لصاحبه قوة كافية للتخلص من مضايقة الروح فلهمذا يشترط في الأمر تدخل شخص ثالث بفعل إما بقوة الغناطيسية وإما بسلطة ارادته . هذه السلطة أدبية محضة فلا تقوى على طرد الروح إلا من كان متعلبا عليها بالفضيلة والكمال ﴾ الى أن قال ﴿ وليس للتقسيم والتعزيم أقل فعل في طرد الروح المضايق ﴾ ثم قال ﴿ ان النقاىس الأدبية أقوى جاذب للأرواح الشريرة ومن قصد التخلص منها فعليه أن يسعى في عمل الخير فيجتذب اليه الأرواح وبمجرد ارادتها فقط تنسحب جاحها وتطردها إلا أن مساعدتها لابنائها إلا المجتهدين في اصلاح أنفسهم الساعون وراء الكمال والفضيلة . أقول ان هذا القول أقرب الى الصواب فعلى من يتولى أمر من يتخطه الشيطان من المس أن يأمره بالأعمال الصالحة والاخلاص . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان . وأن استيلاء الروح الشريرة على الجسد المذهب أشبهه بما جاء في محاسننا السابقة يا شيرمحمد إذ قالت الروح العالية فيما ذكرته لك في المجلس التاسع ﴿ ثم لو لم تكونوا ناقصين ما وافاكم إلا أرواح سالحة فاذا مكر بكم أحد فلاتولموا إلا ذواتكم وما أنسب هذا لقوله تعالى في سورة ابراهيم . وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدهم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتنكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلاتولموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى لى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم . وفي آية أخرى . ككل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال لى برى منك لى أخاف الله رب العالمين . والحكمة في ذلك ترويضنا على الثبات وصدق العزيمة وكأن الله عز وجل يريد بذلك ترويضنا على مصادمة الأهوال والثبات في سائر الأحوال فكل شر جسمى أو روسوسة عقلية تدعو حثيثا الى الصبر والثبات فن صبر وصار ذلك عادة فيه سعد ومن مال مع الهوى فرضى بالترف والنعم ولم يحتمل المشقات أو أطاع الوسوسة سقط في الهاوية . وقد تقدم في المجلس التاسع قول الروح ﴿ ان الله يسمح بذلك حتى تروضوا على الصبر والثبات وتعلموا أن تميزوا الخبيث من الطيب فان لم تفعلوا ذلك يكون هذا دليلا على نقصكم ﴾

﴿مطابقات للشرعة الاسلامية﴾

ثم قلت . أليس هذا يا شيرمحمد من العجب العجيب . أوليس حديث (ديكنس) السابق هذا يورى الى قوله عز وجل . ولورى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بإيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون . وقوله . وعرضوا على ربك صفا لئلا نجتمعوا كما جفناكم أول مرة . وقوله . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . فقال شيرمحمد أما . ديكنس) فهو عجيب ان صح بل هو أعجب ماسمعنا وأما هذه الآيات فلا أدري ماموقعها وأى علاقة لعرض جهنم على الكفار يوم القيامة وعلى الله وقراءة الانسان كتابه لما في حكاية (ديكنس) من نمط الانشاء وخطا الاملاء . فقلت اعلم يا شيرمحمد . ان هذه الآيات فيها دلالة واضحة أن كل عمل نعمله واعتدناه

يصبح فينا سحابة وغريزة ثابتة فلا ينزع منا الموت وأن (ديكس) لم يقتل الموت منه خطأ الاملاء وأبقى عنده حسن الانشاء . ولا جرم أن كل ذنوبه وأعماله من الخير والشر بقيت في نفسه بحسب عليها ويعاقب وهذا قوله تعالى - ولوردوا لعاديا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون - لأن الغريزة لا تقارم كما لم يمكن اصلاح الاملاء بعد الموت عند (ديكس) وهكذا كل ذرة من الخير والشر حاضرة عندنا باقية في نفوسنا هي هكذا لم تتغير فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكفى بنفسنا حسبيا علينا وإذا قلنا - أرجعنا لعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - أجابنا - أولم نعمركم ما ينذكر فيه من تذكر وجاءكم النذر فذوقوا لما للظالمين من نصير - ويقول لوردتكم لعدتم لما نهيتكم عنه وأنتم تكذبون كما كنتم تكذبون في الدنيا بنقض عهدي بعد مرض يصيبكم أوافقة فتناكبكم أو نازلة تمحقكم فلا عهد لكم عندي . يا شير محمد اننا غافلون عن نفوسنا في هذه الدنيا ولقد أفلح المؤمنون ولأذكرك بالحديث الصحيح الشريف ﴿ يعث العبد على ما مات عليه ﴾ وقال الشيخ محمد الزرقاني

وتحشر أطفال وسقط كمثل ما * يكونون عند الموت ثم تكمل

وقال في شرحه للفظ . هل يحشر الطفل والسقط بصفته وقت الموت أم لا . جوابه قال الحافظ ابن حجر كل واحد من أهل الموقف يكون على ما مات عليه

أقول . ألت ترى ياشير محمد أن كلام النبوة صريح في أن الانسان حافظ لأخلاقه وآدابه حتى يحشر عليها . أليس هذا بعينه ما في حكاية (ديكس) وأنه قد حفظ أخلاقه في أساليب الانشاء وخطأ الاملاء وهكذا يقاس عليها سائر أخلاقه التي يحشر عليها إلا أن هذه الأخلاق الثابتة فينا بعد الموت أعدل ناقد وأكبر شاهد كنت فينا فأظهرها الله ألا وإن العادات المورسات فينا بال تكرار لن تزول بل تبقى خزا علينا وعارا وفضيحة يقرؤها الناس في محافل أرواحنا ويكون عذاب الخزي . فاقطع المرء عن عاداته وليوطد النفس على منابذة الهوى ومحاربة العادات النسيمة فانها برسوخها فينا تشهد علينا . أوليس الخطأ في املاء (ديكس) شهد عليه بذلك . أليس ذلك مصداقا لقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - اليوم نختم على أفواههم ونكفلنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - وقوله - حتى إذا ماجأها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا للجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون -

﴿ فصل في آداب من يحضرون الأرواح ﴾

قال في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ ملخصا من أخص شروطه ما يأتي

الاختلاء والسكينة والرغبة الصادقة والارادة مع العزيمة والهدوء والتجرد من الاضطراب وقلة الصبر وليكن في مكان معتزل بعيد عن الضوضاء وتشيت الفكر وليلجأ المرء الى الله تعالى وليحترم الأرواح . ولا ينبغي أن يطيل الامتحان أكثر من ١٥ دقيقة كل يوم وذلك مدة شهر أو شهرين أو أكثر اذا لزم ذلك فان من الناس من لا تتحرك أيديهم إلا بعد مرور ستة أشهر من التجربة وبعضهم تتحرك أيديهم لأول جلسة وهو نادر جدا . ومتى شعر الجرب بضعف في قواه أو ضيق في صدره ناتج عن فقد كبريائه العصبية فليكيف حالا عن العمل ولا يستأنفه إلا بعد أن تكمل قواه . وإذا أطال الجلسة أكثر من (١٥) دقيقة فهو غير حسن وليكن العمل كل يوم أربعين على قدر امكانه وإن خالف ما ذكرناه انتابه أمراض وبيلة . وليجلس مع أهل منزله على مأدبة بهيئة ويمسك كل منهم قلما على قرطاس فغسي أن يكون لأحدهم استعداد سريع . وإذا جلس وحده أضربه . ومن جرب ولم يجد في نفسه استعدادا فليكيف . وإذا ظهرت فيه هذه القوة فليصرفها

في الامور الشريفة لافي اللهو واللعب والامور الشهوية . وليختريوما في الاسبوع يحضر مع آله لتلك العمل والأرواح ليسوا تحت أمرنا بل يحضرون متى وكيفما شاؤا . وإذا كانت السكتة غير مفهومة فليطلب من الروح اعادتها وبعض الأرواح لا يمكن حضورها فلا يكن في صدر الطاب حرج من ذلك وكثرة الاستحضار تضر المستحضر وقد يحدث الجنون لمن في دماغهم ضعف وهكذا كل ما يهيج العصب وهي ضارة بالعالمان إلا إذا كان طبيعيا فيهم . وليست هذه القوة دليلا على السكالك ولا عدها دليلا على النقص إنما هي ترجع للاستعداد وسوء التصرف بهذه القوة يضرب أصحابها لأن من يعلم يعذب أكثر ممن لا يعلم على التصدير وكل صاحب هذه القوة ونقصه يرجعان للامور النفسية من التواضع وحب الناس والكبر وكرهه الناس وما أشبه ذلك .

ألا وان اجتماع الحاضرين في الفكر صالح لحضور الأرواح وضد ذلك تفرق الأهواء وخير للمستحضران بعين وقتا لأحبابه الذين يستحضرونهم لأنهم ليسوا تحت أمره بل هم أعمال غير ذلك هم لها عاملون . ومن الأرواح من يسر بالحضور وهم أحبائنا أومن يحبون الخير العالم ويرون أننا نطلبهم لغاية جيدة بنا والروح العاوى قد يحضر مجالس كثيرة في آن واحد . أما الأرواح السفلية فلا تحضر إلا مجلسا واحدا لأنهم أقرب إلى الأرض . أما الأرواح النقية وهي التي ارتفعت عن المادّة فلا تنجى إلا قلوبا مخلصه لا يشوبها كبرياء ولا حب ذات . ومن أراد الفوز بتعليم الأرواح فليصنع الخير وليتجنب الكبرياء وحب الذات

﴿ درجات الأرواح ﴾

إن الأرواح على ﴿ ثلاث درجات ﴾ أرواح سفلية وأرواح عاوية وأرواح نقية

(١) فالأرواح السفلية هي التي تغلبت عليها المادّة فالت إلى الشرّ وهي إما منحصة ودينها الشرّ والقائه الخصومة . وإما طائشة تحبّ الخلاعة والخفة والتلاعب . وإما متكبرة بمعارفها القليلة وعلاؤها الضئيلة فتتعالى عن الحقّ . وإما عقيمة لا تصلح للخير ولا شرّ

(٢) وأما الأرواح العاوية فلها سلطان على المادّة تحبّ الخير وتبعد عن الرذائل وهي

(٣) إما صالحة توصف بالوجود وحب الصلاح وإلهام الناس أفكارا صالحة ومعارفها قليلة وترقى العقلى دون ترقبها الأدنى

(ب) وإما حكيمة وصفاتها الأدبية جيدة لانقص فيها وعلاؤها أوفر اتساعا وأعزّ مازدة

(ج) وإما رفيعة جمعت ما بين الحكمة والعلم والفضيلة ولاتنقى تعاليمها إلا لمن طلب معرفة الحقّ بمخالص نية وجرّد قلبه من المطامع الدنيوية

(٣) وأما الأرواح النقية فمضى التي بلغت ذروة السكالك وتجردت من كل نقص ولم يعد للمادّة أدنى تأثير فيها فأصبحت معانية لله مغتبطة به وليست تنجى إلا من كان ذا فضيلة سامية وقلبه مجرّد من كل ما هو ذميم وعليه فالنور لا يغير طبع الانسان فالعالم يبقى عالما والمتوحش متوحشا والشاعر شاعرا وهلم جرا كما ورد في الحديث ﴿ ان العبد يحشر على مامات عليه ﴾ ومن كان في هذه أعشى فهو في الآخرة أعشى وأضلّ سبيلا . وعلى ذلك تكون رسائل الأرواح غير مسلم بها ففيها الغفّ والسمين فر بما حضر للمستحضر روح طائشة أو منحصة أو متكبرة أو عقيمة فتذكر له حقائق ناقصة لجهلها أو لسوء خلقها . وكما أننا في الدنيا نرى طوائف الناس على أقسام . فهكذا نرى الأرواح فالآخرون من الأوّلين . فإذا شككت فيمن حضر من الأرواح فسله عن اسمه وقلبه وعدد السنين التي عاشها على الأرض والأماكن التي حلّ بها والظروف التي مكنته من التعرف بك الى غير ذلك وتسأله أن يقسم لك بالله انه هو حقّا روح فلان فأكثرهم لا يجيبون على هذا الكذب وقليل منهم يقسمون وهم الفاسقون . ومن الأدلة أيضا الامضاء ومضاهاته بمضاهه المعروف في الأرض . وأهم الأدلة سير الانشاء وأسلوبه ومعانيه فغالبا لا يمكن الجاهل أن يظهر علما ولا صاحب الرذيلة أن يزور الفضيلة فالأرواح

تتميز بالحديث . ألا وإن الرذائل تحيط بالروح بعد موته احاطة الهواء وأن العالم المتكبر أشد خطرا من الأرواح الشريرة لأن العالم جمع العلم والنباهة والكبرياء والمكر فيغري الجهال ويشربهم مبادئه السخيفة الكاذبة والروح العاوي قد يحضر طالبا وقد ينب عنه من يعلم أنه كفو . على أن الأرواح كلما ازداد اتقاؤها ازدادت في وحدة الفكر وانضم بعضها الى بعض فابراه أحدها يراه الآخرون وقد تنتحل بعض الأرواح السفلية أسماء الأرواح العاوية بغير إرادة الآخرين فتعاقب بعد تلك الجريمة ويكون ذلك امتحانا واختبارا للناس ليعرف الخبيث من الطيب . وقد تأتي الرسائل محشوة بالكاذب تفرق ما بين الأسرة فلا ينبغي أن يصدق ما فيها كما قدّمنا . وللأرواح العاوية سلطة أدبية على السفلية فهي التي تمنعها عن اغواء من هم مخلصون صادقون قال تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - والأرواح في حال تمكنهم من فعل ما يريدون كما يتمكن الناس على الأرض ألا وإن الانسان قد ينجى الأرواح بفكره وإن لم يكن وسيطا وهذا يسمى الاحضار الفكرى ولا يجوز له أن يحضر روحا شريرة احضارا فكريا إذا كان وحده . والذي يصدّ الروح عن اجابة محضره أمور كثيرة منها إرادته الخاصة به فله الحرية المطلقة . ومنها أن يكون في أعماله الخاصة فلا يتفرّع الى المحضر . ومنها أن لا يؤذن له في اجابة المحضر عقابا له أو لمن يحضره . ومنها أن يكون في عالم أدنى من العالم الأرضى وهو لا يتنى له الحضور هنا لتثاقى المبدئين . فأما إذا كان عاويا وقد أرسل الى العالم السفلى تكفيرا عن ذنبه أو لرسالة يقوم بها فذلك ان يجز حيثن عن الحضور لمناجاة أهل الأرض . ثم ان الفكر تحمله المادة الأثرية الى الروح كما يحمل الهواء الصوت والأثر لاحت له والثاني محدود . وجميع الأرواح لها الحرية المطلقة في الحضور وعدمه ولكن الأرواح السفلية ترغمها الأرواح العاوية على الحضور إذا كان ذلك نافعا لها . والرجل الفاضل تنابه الأرواح السفلية فلا ترق به ولا سيما ان كانت تحميه أرواح عاوية والاعلاسم لآثارها على الأرواح وإنما ذلك في عقول السذج والعوام . والروح قد يحضر عند موته ولكنه يكون في حال اختلاط واختباط وتحضر روح الحي إذا كان نائما ولكن اجابته لا تكون سهلة وليس يتذكر عند اللحظة ما فعله وقت الاحضار في نومه والجنين لا يمكن احضاره البتة واحضار المريض والصغير والشيخ الضعيف يضر بهم كما تقدم أنه يضر بهم أيضا أن يكونوا وسطاء . ومن المقالات ما يكون من روح الوسيط الكامة وعلموه الخفية التي علمها قبل وروده الى هذا العالم فلا تدرى أمن النائم هذا أم من روح حاضرة . ولا جرم أن هذا مما يدعو الى التفكير والتبصر لينزل اللبس . والأرواح العاوية لا تحضر المجالس الروحية الهزلية وإنما تحضرها الأرواح الطائشة فتنتهى طرق الموائد ورفعتها وتلقى الأحاديث الهزلية والكاذب الفارغة إذ شبيه الشيء منجذب اليه وليس يؤذن للأرواح الطائشة أن تحضر المجالس الرزينة إلا إذا حضرت للاستفادة فلا تجسر أن ترفع أصواتها . والوسيط قد يفقد الوساطة مؤقتا إما لتصرفه بأن يجعلها بابا للرزق أو للعب واللهو وأما اراحة الوسيط من التعب . ولا يسمح لآخر أن يحل مكانه والذي يميز بين الأمرين . ثم ان المبتدئ يرغب في مناجاة أحبائه وهم ربما لا يقدرن على مناجاة جهلهم بطرق ذلك وأما لأنهم في عالم أقل من عالمنا فليستخذ الانسان روحا مرشدا من الأرواح العاوية ويسأله عن تحضره من الأرواح وهو يجيبه ﴿أذلك تمكن﴾ وليستمن المبتدئ إذا داخلته الأرواح الشريرة بالأرواح العاوية مع التوقف حالا عن الكتابة وقد أثبتت في هذا المقام لأهمية الموضوع وليكون القارئ على بصيرة ونور وهدى وكتاب منير . هذه الاحكام كلها من محادثات الأرواح أنفسهم مع العلماء فيما تقدم نقلنا عن الآن كردك

﴿ تذكرة في مقارنة ما في هذا القرآن وكلام الامام الغزالي واخوان الصفا ﴾

قال شير محمد . إذن كل هذا الفصل نقلته من كلام نفس الأرواح . فقلت نعم . قال سبحانه الله إن في هذا لعجا مجابا . قد قسمت الأرواح الى درجات من صالحة ونقية وعاوية والصالحة جعلت أقل الجميع والنقية

أرقاها . فهل له نظير عند علماء الاسلام . وإذا كانت الأرواح لها حياة بعد الموت وحرية فلم يكره الناس الموت وجهلوا حياتهم بعده وهو في الحقيقة الحرية التامة وأرجو أن تزيدني يقينا في أن أرواح الأموات لها اتصال بالأحياء تعاملها وتربيتها . فقلت أما درجات الأرواح فقد وردت في قوله عز وجل - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله - فالأنبيااء هم الأرواح النقية والصديقون والشهداء هم الأرواح العالوية ومنهم الصالحون وهم أقل الجميع درجات وقال الامام الغزالي في كتابه ﴿ بديهة الهداية ﴾ ما ملخصه ان العلم أفضل ما يتبعه الطالبون وبليه كل عمل عام للناس من المنافع المادية ككفالة الملهوف ودفع الضرر والأذى وآخر الدرجات أن ينقطع للعبادة وشرّ الرجال له أن يكون شريرا مؤذيا طامعا جاعا . وأما كون الناس يكرهون الموت لجهلهم بالحياة بعده ولا يحبونه مع انهم بعده أحرار . فهناك أسمعك مقالة (اخوان الصفا)

إن علة كراهة الحيوانات الموت هو ما يلحقها من الآلام والأوجاع والفرع عند مفارقة الأحياء فإن قيل فلم لا تدري النفوس بأن لها وجودا خالوا من الأجسام قلنا لأنه لا يصلح لها أن تعلم هذه المعاني لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكمل . وإذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطشا بلا فصل ولا عمل وليس من الحكمة أن يكون كذلك إذا كان خالقها لم يحل من تدبير ليكون فارغا بلا فعل بل كل يوم هو في شأن . وأما قولك كيف كانت الأرواح مهنية ومربية للأحياء في الدنيا فقد ذكرنا في هذا الكتاب ما ورد في النبوة أن إلهام الناس من الملائكة والوسوسة لهم من الشياطين كما جاء عن الأرواح في الجامع النفسية . ويزيده بيانا الآن فنقول قال عليه السلام ﴿ إن الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى الغلة في سحرها والخيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير ﴾ وقال عليه السلام ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ﴾ فانظر وتجب . ليس ذكر الملائكة في هذا الحديث وإنما تضع أجنحتها لطالب العلم دلالة على المناسبة والملازمة بين المعلم وبين الملائكة والأرواح العالوية . ليس هذا نظير ما جاء في هذا المقال عن الأرواح ترجمة الآن كركك إذ يقول ان الأرواح العالوية لا تحضر المجالس الهزلية وإنما تحضرها الأرواح الطائشة ولا يؤذن للأرواح الطائشة أن تحضر المجالس الرزينة . ونقول أيضا ان الأرواح العالوية قد تأمر الأرواح بالحضور في المجالس النافعة الروحية . فهناك إذن علاقة عامية . وترى مناسبة الملائكة لأهل العلم جاءت في السنة وفي كلام الأرواح ووردت في القرآن الشريف - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فجعل أولى العلم بعد الملائكة فإن الأولين يعامون الآخرين . وقال في (اخوان الصفا) في رسالة (العلل والمعلولات) صفحة ١٣٣ ما يأتي

ثم اعلم أن النفوس التامة الكاملة إذا فارقت أجسادها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتم هذه وتكمل تلك وتتخلص من حال النقص وتبلغ تلك الى حال الكمال وترتقي هذه المؤيدة أيضا الى حال هي أكمل وأشرف وأعلى - وان الى ربك المنتهى - والمثال في ذلك الأب الشفيق والاستاذ الرفيق وتعليمهما التلامذة والأولاد وإخراجهما إياهم من ظلمات الجهالات الى فسحة العلوم وروح المعارف ليم التلاميذ وليكمل الآباء والاستاذون بإخراج ماني قوة نفوسهم من العلوم والمعارف والصنائع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء بالله تعالى وتشبهها به في حكمته إذ هو السبب الأول والمبدأ في إخراج الموجودات من القوة الى الفعل والظهور . وكل نفس هي أكثر علوما وأحكم صنائع وأجود عملا فهي أقرب تشبها بربها وهذه هي مرتبة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويتبعون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب . ولذا قالت الحكماء ﴿ الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر ﴾ معناه أن تكون عاومه حقيقة وصناعته محكمة وأعماله سالحة وأخلاقه جميلة وإرادته صحيحة ومعاملته نظيفة وجوده على غيره متصلا والله سبحانه

وتعالى كذلك • انتهى ما أردته من (أخوان الصفاء)

فتعجب أيها الذكر • أليس ما قالته الأرواح في الجعيات النفسية في أوروبا هو كما في القرآن وفي الحديث وفي كلام (أخوان الصفاء) • ذلك اجماع من الغرب والشرق والعلم والدين أن أرواح الناس بعد الموت تكون متصلة بالأحياء تشبه الشياطين تارة والملائكة أخرى وأن السكاملة منها تعلم الأحياء ويهديهم الصراط المستقيم • أوليس هذا معجزة لسيدنا محمد ﷺ

ما كان ليجهول في خاطري أن العلم يكشف عن وجه الحقيقة النقاب ويجليها عنراء بهية لأولى الألباب • إن في هذا لعلوة لقوم مفكرين • أوليس ذلك قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ألا انهم في مربة من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط - ولقد بين فيما مضى أن الانس لهم تأثير على الأرواح السفلية وهنا تجلى أن للأرواح السفلية والملائكة سلطانا على نفوس الأحياء وأن الفضلاء منا يتلقون عن الأرواح العالوية والسفهاء من الأرواح يتعلمون من الانس لاقتراب طبيعتهم السفلية من طبيعة الأحياء لانغماسهم في المادة • وكل هذا يستفاد من كلام الأرواح كما تقدم فانظر كيف صح هذا في ديننا • تعجب • أليس الذي ﷺ لما قرأ سورة الرحمن وكر رآية - فبأي آلاء ربكما تكذبان - أي بأى نم ربكما ياعشر الجن والانس تكذبان • ذكر للصحابة رضوان الله عليهم أن الجن لما سمعوا قالوا ﴿ ولا نبئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ﴾ وكثيرا ما كنا نسمع أن الذي عليه الصلاة والسلام مرسل للانس والجن ونسمعه في سورة الرحمن يقول سبحانه وتعالى - ياعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لانتفذون لإس سلطان - وقال في سورة أخرى - ياعشر الجن والانس ألم بأنكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي - فاذا سمع العاقل أمثال هذا قال في نفسه كيف يرسل للجن وهم مجرّدون عن المادة وبهذا الكتاب وضع الحق واستبان السبيل وأن الأرواح التي ماتت ناقصة طبيعتها أقرب الى البشر فيفهمون عنهم أكثر مما يفهمون عن الأرواح العالوية التي تفيض العلم على أقدسة العلماء في الدنيا • وقد تأذن الأرواح العلوية للسفلية أن تحضر مجالسنا للتسفيد منها علوما وبهذا تجلى لنا كيف كان ﷺ مرسلا للجن والانس • ما أجل العلم والحكمة

﴿ فائدة ﴾

ربما أشارت النبوة من طرف خفي الى بعض حوادث العصر الحاضر إذ جاء في السيرة الحلبية الجزء الأول صفحة ٢٠٦ قال قال رسول الله ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك لغله وعذبة سوطه بما فعله أهله ﴾ وشراك النعل أحد سيورها التي يكون على وجهه وعذبة سوطه طرفه وقيل سيوره وهذا أشبه بشرط (السر) التليفون ولعل في المستقبل مايبين معناه من هذا العلم وأخبره والله أعلم

﴿ جوهره في النفس وقواها ﴾

بينما كنت في يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ قائما إذ وقعت ساعتى فكسرت زجاجتها ووقت وكان معي صديق هو ملازمي في الحضر والسفر فقال عقب ذلك • لماذا بألم الانسان لمثل هذا • ولم كانت نفوسنا تتأثر تأثرا يطابق ما يحدث في المادة فان وقت ساعة أو اختل حائط أو سقط منزل أو حصل خطأ أو هجم عدو زانا نتأثر على مقدار الحادث • هكذا نألم للحر والبرد ولقلة المال والملابس والأغذية كما نخوت من الغرق والحرق والعطش والجوع والسيف والبلدفع • يا عجب • لماذا هذا التلازم بين المادة والنفس اذا جزعنا على ما يصيب أجسامنا من جوع أو عطش أو مرض • فالماذا نجزع على ما يحصل في المادة حولنا من قبح أو تخريب الخ هل المادة أم والنفس بنتها • أم النفس أم والمادة بنتها • أم هما ابتنان لأم واحدة • فقلت انك بهذا السؤال قد تعرضت لاصول علم المادة وعلم النفس وارتباطهما • إنك قد أبنت للملازمة بينهما إبانة تامة وأوتعتي

في حيرة لأنى لا قوة لى على الاجابة التامة لأن العلماء الى الآن لم يهتدوا الى سبيل هذه الحقيقة هداية تامة بل هم في حيرة . وغاية الأمر أن كلار يرجع ما يراه . إلى سأل بحث هذا الموضوع بحثا علميا سيتضمن آراء العلماء وسأكون فيه حرا لا أتقيد برأى بل أوجه النفس الى مبدعها ليعطيها من العلم ما به يستتير وجه الحقيقة . فقال مع مشاركتى . قلت نعم . فقال (س) لم هذا الألم وهذا السرور صفهما (ج) إن المدة حولنا مرتبطة بمصلحتنا ففرح ونعم لهما ونقصهما . إن الله لم يخلق فى الأرض خلقا إلا للحكمة . ويظهر أن هذه النفس لا تسعد إلا بظهور جميع ما كمن فيها وقد كمن فيها الألم واللذة وكأن هذا الألم يهيمز يدفعها الى الرقى كالجوع والعطش وكسر الساعة . نحن نحتاج الى الغذاء والشراب والهواء والملابس وصراقة حركات الشمس وسير الكواكب ونظام أمنا والألام والمسرات تتبع ذلك قلة وكثرة وذلك لارتقائنا ولو كان الألم لا فائدة فيه ما خلقه الله فيها . إن ألم الأم لأجل ولدها والأنبياء والحكماء للأمم والانسان لجرحه ومرضه كل ذلك مرقق للانسانية (س) صف الانسان ومصاحبه للمادة (ج) الانسان والحيوان والنبات . كل هؤلاء ينمون فى المادة أى فى الماء والهواء والتراب بحيث يكون النور بأجزاء مادية مكونة من هذه العوالم المحيطة بنا (س) ثم ماذا (ج) فيكون الحر والبرد والمفرطان والجوع والعطش وعدم اللباس لمن يحتاج اليه كبعوض بنى آدم . كل ذلك مضاعف للحس وكل من هذه الأحياء ينمو ثم يموت (س) إذن هذا دليل على أن المادة أصل والنفس فرع وما مثل النفس إلا اكتم اللون والشكل والصورة فى المادة . إن كلا من هذه تضمحل على طول الزمان . فإذن هذه النفس تابعة للمادة . ألا ترى أن عقل الانسان يضعف بمعاورة بنت الحان وكثرة التدخين وتعاطى الأفيون والخشيش . إن للمادة سلطانا على العقل . فالعقل نتيجة المادة لا أكثر ولا أقل . فأين الحساب والعقاب إذن (ج) اعلم أن هذه العوالم التى نعيش فيها لغز وهذا اللغز لا يحله إلا جميع العلوم . فإذا وقفت عند هذا فغناه مجازة العاقل لأن ما أوضحت أن يعلمه الجهلاء والحكمة والعلم يترفعان عن مرتبة الجهلاء (س) فأبرز الحكمة إذن ولما نبرزها اذا لم نسمعها لى (ج) ليست نفس الانسان كالمادة التى نعيش فيها (س) بين ووضح (ج) إن للنفس قوى ظاهرة وقوى باطنة . والقوى الظاهرة هى الحواس الخمس ﴿البصر والسمع والشم والذوق واللمس﴾ وهذه الخمس أربعة منها فى الرأس والخامسة فى الجسد كله وهى حاسة اللمس والأربعة الأولى هى السمع والبصر والشم والذوق فى الأذن والعين والأنف واللسان مع سقف الحلق . هذه الحواس الخمس جواسيس لمن رئيس وهو المسمى (الحس المشترك) وما الحس المشترك إلا أمر خضعت له هذه الجنود إن هذه الحواس خاضعة لأرادته . جارية على نلموسه . بأمرها فتأمر . فتترى حاسة البصر تحضر لهذا الأمير الألوان والأشكال والسطوح والأحجام والأنوار والظلمات والحركات والسكنات والقرب والبعد . وترى حاسة السمع تحضر له نغمات الموسيقى وأصوات الانسان والحيوان وأصوات الرياح من كل فج . وترى حاسة الشم تفرق بين الرائحة الذكية العطرية والرائحة المنفرة للكرويه . وترى حاسة الذوق تميز له الحلو والحامض والملح والعصص والحريف والمز والمز والعذب وهكذا . وحاسة اللمس تميز التفتيل والخفيف والحر والبارد والأملس والخشن واللين والصلب والزجج وضده وقد عدها العلماء (٣٣) لهذه الحواس الخمس (س) ثم ماذا (ج) هذه الصور كلها تقتضها الحواس الخمس وتعطيها للحس المشترك (س) ثم ماذا (ج) فهذا الخيال تحفظ فيه الصور . والدليل على ذلك اننا نرى الصورة أنفهم الرائحة أو نأكل التفاح أو نحس بالحرير ونفعل عن ذلك سنين ثم إذا تذكرناه وجدنا هذه الصور محزنة عندنا فتذكرها . فبالت شعرى من أين تذكرناها . فإذا كان عقلا مادة أى تابعها لها كما ينبغ اللون المتلون . فلماذا عكس الأمر لأننا نرى أن الأجسام لا تتحمل إلا صورة فصورة وشكلا فشكلا ومارأينا قط أن الانسان يكون شيخا وطفلا فى آن واحد ولا المزاج مشرة وغير مشرة فى آن واحد ولا الخمر مبعأ ومثمن فى آن واحد . إن المادة نطاقها ضيق

انها لا تقبل إلا صورة فصورة . أما العقل فانا نراه قد جمع هذه الصور كلها وخزنها عنده وله جواسيس وله أمير وله مخزن . وهذا المخزن قد حفظ تلك الصور لافرق عنده بين السماء والأرض ولا بين الشاب والشيب والقبح والجمال والحلو والحامض . إن الذي فرق على الحواس اجتمع في الخيال . جمع الخيال كل صورة رأيناها أو سمعناها أو ذوقناها أو لمسناها بل هناك ما هو أعجب (س) وما هو ذلك (ج) إن هذه الصور تحصل فيها أعمال عجيبة (س) ما هي (ج) هناك قوة أخرى فرضها القدماء كما فرضوا خطوط الهندسة في المادة فقالوا ان عدواة الذئب للشاة ومحبة الأتباع للأبناء تلك معان جزئية ليست من الصور المحسة فلها قوة تسمى الواهمة وهذه المعاني تخزن في خزانة لها سموها الحافظة . فاذن هنا أربع قوى الحس المشترك والخيال والواهمة والحافظة وهناك قوة تصرف في أكثر من هذه وهي القوة المتصرفة وهذه تصرف في الصور المرسومة في الخيال والمعاني المخزونة في الحافظة . ألا ترى اننا نرسم في نفوسنا أعلام باقوت نشرن على رماح من زبرجد اذا أردنا أن ننسبه الورد وقد لعبت به الرياح فهذه صور مبتكرة ابتكرتها القوة المتصرفة وهي حينئذ تسمى متخيلة . وقد تبتكر هذه القوة المتخيلة صورة ومعنى أو معنى ومعنى فالصورة والمعنى كيباض صديقك وسخاؤه والمعنى مع المعنى كتنصير الشاة أن الذئب منفور منه والولد معطوف عليه (س) هذه مباحث طويلة لا تناسب هذا التفسير فأوضح وأت بالتبعية . ألا ترى اننا في مقام الكلام على المادة والنفس الانسانية فإذا يفيدنا من هذا كله . هل تريد أن تأتى بكل ما قرأته . ان التطويل مل فالاختصار هو المفيد فالتنباها يفيد . ان النفس فيها مزايا ليست في المادة (ج) إنك بهذا القول أشبهت من يسمع قصة أبي زيد طول الليل فلما انصرم الليل قال الشاعر أسمعنا قصة أبي زيد . إن هذا هو الجواب . إن النفس لما جمعت الصور فيها وعجزت المادة عن هذا الجمع دل ذلك على أن النفس غير المادة . ومعنى هذا أن الحافظة في منزلك لم يحتمل إلا ألوانا واحدا (س) بل فيه ألوان (ج) إن البقعة الواحدة لا تحتمل إلا ألوانا واحدا وصورة واحدة والجسم أيا كان لا يقبل شيكاًين معا . قال ثم ماذا . قلت ونحن اخترعنا في نفوسنا معاني وكميات فان القوة العاقلة فينا تأتى بقضايا كلية وتحل مشكلات وتحكم على المادة . أليس الانسان بعقله قلب وجه البسطة وتصرف في المادة وهندس وزوق وبني وهدم وزرع وحصد وغلف وجه الأرض بالأسلاك الكهر بائية وركم على المادة وأدرك انها كانت أثيرا فصارت أجساما ثم ترجع أثيرا كره أخرى والانسان بعقله فعل الأعاجيب وحكم ودبر . فهل خزنت المادة الصور كما خزنها العقل . فهل تصورت الماضي وأدركت القضايا العقلية كما أدركها العقل . كلا . إن الانسان في الدنيا أشبه بمسجون في سجن تكون أطواره تابعة لحال السجن وخداهم ولكن المسجون ربما كان حكما عليا والسجان جاهل غر . إن الانسان حبس في المادة وتغذى بها والتوى تبع لتوائها ومات على مقتضى نظامها ولكنه ليس معنى موته انه فنى كما انه ليس معنى خروج المسجون من السجن أنه مات . كلا . بل لا تظهر فائدة المسجون العالم إلا اذا خرج من السجن وليس احتياجه في أثناء السجن للقوامين عليه فيطعمونه ويسقونه ولباسونه بما ينم من نفقه ورقبه وسعادته بعد خروجه من السجن . هكذا ليس تطوّر الانسان في المادة صفرا وكبرا وضعفا وصحة وحياة وموتا بحاجة على أنه لاجياله بعد ذلك . تشابه المادة والنفس في ظواهر الأحوال . كلاهما دائم الحركة ذلا ونهارا أمد الدهر . المادة لا تفتأ تتحرك شمسها وقمرها وليلها ونهارها وجميع ما فيها . هكذا نفوسنا في حركة مستمرة حتى أثناء النوم . النفس متحركة والأرض متحركة فهما في ظواهر أمرهما كأنهما شيء واحد تشابه حركات ونموا وذبولاً . وهذا يشير له قوله تعالى - والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يشأها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها ...

علم الله قبل أن يخلق السموات أن الناس سيرون الشمس والقمر والنهار والليل والأرض كلها جاريات بلا

انقطع وعلم أنهم سيعلمون أن النفس لا تنفث تتحرك قطعها على الأرض ولكن النفس فيها مزية أرقى فقال - ونفس وماسواها * فألهما فجورها وتقواها - . ذكر الله هذه ليبين لك كل ما ذكرناه الآن . فألهما الفجور والتقوى يجمع كل ما تقتل من القوى وهي الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والعقل المخزون فيه . فهذا فأتت النفس هذه العوالم . الله أكبر . إن النفس هي الواسطة بين المادة وبين العوالم العالية بل انه قيل ان المادة صنع النفس

(١) وهل أذاك نأ الغذاء إذ يتحول فينا قوى كثيرة ومنها قوة الفكر فالفكر اشتق من المادة والمادة كانت أولا ففكرنا فعلنا المادة ففكر متجعد والا فكيف رجعت فينا نحن ففكرنا (٢) وأيضا الأعمال المادية لا تكون إلا بعد فكر ويتبع الفكر نية والنية يتبعها العمل فلا عمل إلا بعد فكر . فالمادة بعد فكر والفكر في النفس فالعالم المادي من نفس كلية (٣) وأيضا ان الانسان يمشي على الأرض فلا يقع وإذا مشى على الحائط وقع لأن فكره أفهمه أنه يقع مع انه على الأرض لا يمشي على أوسع من الحائط . فهذه ﴿ ثلاثة براهين ﴾ رجوع الغذاء فينا الى فكر وأن أعمالنا بعد الفكر . وأن الانسان يسقط عن الحائط بفكره وخوفه وهو على الأرض لا يمشي في أوسع من الحائط

إن نفوسنا محل الإلهام والوسوسة . فبالإلهام نصلح الأرض وبالوسوسة نفسدها ولا إلهام ولا وسوسة تتحران أشياء غير ما ذكرناه مما أتى من الحواس الظاهرة والباطنة . ولما كانت النفس بهذه المثابة وانها واسطة لأنها لطيفة والمادة غليظة قال الله فيها في هذه السورة - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي . - ههنا بان معنى الآية . يقول الله - قل الروح من أمر ربي - أي الروح ليست من المادة بل من أمر الرب والرب فيه معنى التربية . إذن الروح مربية للادة لأن الرب لطيف والروح أقرب اليه من المادة وكلما كان الخلق أنطق كان أقدر . ألا ترى الى الكهرباء كيف حركت الآلات بل ألم ترى الى البخار كيف أدرك الآلات وحرك القطرات - إن ربي لطيف لما يشاء - والروح أقبل لطفا من الله والمادة أغلظ شكلا والكهرباء والمغناطيس والبخار أقل لطفا من أرواحنا فلذلك نجدها البخار والكهرباء سلطت على المعادن وعلى المادة خفضت لها بالحركات والأعمال . ثم إن البخار والكهرباء والمغناطيس لم تسلط على المادة إلا بتسخير نفوسنا لها بدليل انها بقيت ساكنة لاحتراكها حتى حركها الانسان فاستيقظت . فأما عقولنا فما أجعلها وما ألقها وما أعلاها . ألم ترى انها سخرت هذه اللطائف لحكمة المادة وسخرتها . ألم ترى انها حكمت على الأفلاك حتى عرفت بالمظار من كواكب السماء نحو (بلبوني) أي أني ألف ذلك وهذا آخر كشف عند كتابة هذه السطور وعرفت أن هذا القدر قطرة من بحر وأدركت حركات كثير منها وأحجامها وأبعادها وأضواءها وعناصرها المركبة هي منها بواسطة أنوار الطيف هل تقدر المادة على هذا أو يقدر الضوء والكهرباء والمغناطيس على هذا . كلا . بل العقل الانساني فوق هذا كله ولذلك ميزه الله عن الأرض فقال - فألهما فجورها وتقواها - . وأبان المقام أعظم لإبانه في هذه السورة فقال - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي . - أظن أن المقام وضع وأن قوله - من أمر ربي - ظهر بعضه في هذا الزمان

﴿ عجب عجب ﴾

عجب لهذه النفس . انها قد خبئت فيها نفائس وعجائب (س) بين ذلك (ج) ان عجائب النفس لم تقتصر على قلب وجه البسيطة بل فوق ذلك أدركت مستقبلها وانها خالدة لا تنفث (س) أما هذا فعقل لا يقبله (ج) انظر الى العنكبوت . ألم تجد في جسمه مصنعا يصنع فيه الخيوط . قال بلى . قلت ألم تره يفهم كيف يجعله خيوطا ويوتا وشبكات صيد كما ستره موضعا في سورة العنكبوت . قال بلى . قلت فعجب كل العجب

إن كل نفس تخطى من العلم على مقدار استعدادها . استعدت حشرة العنكبوت الى النسيج و بناء البيوت فوضع مصنع في جسمها وقوة فاهمة في مخها تدبر أمر هذا الغزل وتنفع به . هكذا نرى الطيور والحيوانات الأرضية جميعا خلق فيها بيض وأجنة في البطون وعلى مقدار ذلك تلهم نفوسها إلهامات مطابقة تمام المطابقة لما فيها فالطيور والحيوانا أرضيا إلا ولها غرام بعضن يبضها وتربية ولها وارضاعه وحفظه . يا عجبا لكل العجب . أجسام تظهر فيها مخلوقات صغيرة ونفوس ترسم فيها ماوافق هذه المخلوقات . أنظر الى الانسان . نراه يعيش ويتخى أن لا يموت . هذه فكرة عامة . فشيخه وشبانة كل يحب أن لا يموت وهأنذا في هذا التفسير أقول أنا لأحب أن أموت إلا بعد تمام طبع هذا التفسير فأكون قد أدت ماعلى وأنا شيخ ولكنى لا أدري اذا تم ماذا يحدث في نفسى بعد ذلك فنفس الناس جميعا تحب الخلود والبقاء الأبدى

إن هذا الحب وحده قياس اقتناعى دال على بقاء النفس . وأى فرق بين بقاء الانسان وغرائر الحيوانات كلها . ان غرائر الحيوان كلها صادقة كما عرفت فلم توضع في نفوسها معان إلا لأغراض صالحة . فاذا كانت غرائر الحيوان صادقة هكذا الانسان . فلماذا نستثنى منها مسألة واحدة وهى حب البقاء . أحب الانسان الولد فرباه وأحب الطعام والشراب واللباس والفاكهة والماء والهواء والزينة والشجر والنجم والسواء فوجد ذلك كله وأحب النعمات فلائى السبل والجبل والماء وأعطاء فوق ذلك علما به يأتى بنعمات أجل فلماذا تقول إن غريزة البقاء كاذبة . الانصاف يقتضى أن تكون حقيقة كقبة الغرائز . إن هذا العالم موضوع على نسق جليل وحكمة (س) قد أثبت تفسير قوله تعالى - ويسألونك عن الروح - وأثبت لماذا ذكر الله النفس بعد الأرض ولم تأت بالنتيجة التى تناسب الآية هنا (ج) إن ما تقدمت عليه جاء مقدمة لتفسيرها بل تفسيرها يؤخذ ضمنا . ألم تر أن النفس تخزن فيها الصور . قال بلى . قلت فهذا الخزن يدوم فيها ثم يظهر بعد الموت بصفة أخرى . قال فبين هذا المقام . قلت قد تقدم في هذا التفسير أن للنفس أحوالا حال القطة وحال التنويم فى الدرجة الأولى ثم فى الثانية ثم فى الثالثة وفى كل حال يظهر للانسان عوالم لم تظهر فيها قبله . اقرأه فى سورة البقرة عند ايضاح الكلام على السحر فانك اذا قرأت هذا المقام هناك تبين لك أحوال الآخرة من نفس علم التنويم وبذلك تعرف قوله تعالى هنا - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -

(س) قد مضى ما فى سورة البقرة وحقيقة هو يفيد ذلك ولكن زدنا شيا بعده فلعلك اطلعت على زيادة فائدة (ج)

﴿ جرت حوادث ﴾

(١) عالم سويسرى يسمى (هايم) سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس محاصل للناس من الامور المختلفة وجعلها محاضرة ألقاها فى نادى (زوريج) سنة ١٨٩٥ يقول لى عند ما زلت قديمى وأخذت أسقط فقدت حاسة اللمس وظهرت أمامى جميع الحوادث الماضية أسرع من البرق بحيث طالعنها كلها مرتبة مع انها تحتاج الى زمان طويل . فهذه اللحظة برز فيها هذا كله بجميع الصور التى مرت على والحوادث ظهرت مرتبة . فهى فى ثانية واحدة ظهرت مرتبة كأنها فى ساعات كثيرة ترتيبا ونظما ووضوحا . وهكذا وجد كل الحوادث التى جمعها من غيره تشابه هذه سرعة ووضوحا وفقد حاسة اللمس سواء أكان ذلك سقوطا أم حرقا أم غرقا

(٢) المسيو (جون لامونت) كان رئيسا للجمعية النفسية فى (ليفربول) فانه غرق فى البحر وأحس بأنه رأى جميع الصور والحوادث الماضية وأنه بعد ذلك انغزل عن الجسم وعاشت روحه وحدها . ولكن لما انتشاه طامح ذلك كله مرة واحدة فكتب ذلك للناس . وهاتحن أولاء نضعه فى تفسير قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا -

(٣) ومثل ذلك ماحدث لطبيبة انها عملت لها عملية جراحية ورجعت لصحتها بعد قطع الأطباء الأمل

من نجاتها . قالت ان جميع حوادى وذنوبى مرت على وقد استحضرت فى القيس وهو يلقنى كلمات
وسمعت كأن قائلا يقول ارجع الى حباك فلما تنهت قلت للقيس قم فانى لا اموت اليوم فقام
هذه بعض الأحوال التى مرت على الناس . وهاتى تلك الأحوال المذكورة فى سورة البقرة . انظر
الى حوادث الدنيا واعجب من هذا الانسان وقواه . اعجب من نظام هذه الأرض . رأيت الحيوان تساعده
غرائزه على ما خلق له كالعسل للنحل والفزل للعنكبوت وحسن الطير ليضه وارضاع الأم ولدها . ورأينا هذا
الانسان مغرما بالبقاء يربى ولده كأنه يلقن انه بقاء له ولو بقاء صوريا ويؤلف العلم ويشيد المباني كالاهرام ويكتب
اسمه عليها تخليدا له ويبذل المال للشعراء ليحيوا اسمه . أليس ذلك كفر بزة الفزل المخلق فى جسم
العنكبوت لابت من فائدته . انظر انظر كيف خزنت الصوفى عقله . بل انظر انظر كيف جاء التنويم المغناطيسى
قائبان أن الحوادث كلها كامنة وأن الانسان يكشف عوالم أخرى حينما تضعف رابطة بالجد . ولنا الآن
نذكر الصالحين وأهل الذكر وأهل الرياضة لأننا فى مقام خطاب الجمهور . انظر الى الأمم جميعها كلها لها
ديانات وامم دين إلا وهوبذكر الخلود . لماذا . أليس قبول الأمم للديانات معناه انهم يحيون حياة خالدة
وبحسب أن يكون لهم إله والا فلماذا يصدقون ويؤمنون . لم يخلق الله أمة إلا ولها دين . إذن هذا ليس
أقص من غريزة النحلة والخملة والفراش صادقات . إن الفرائز الانسانية والأمال قد ظهر صدقها بالديانات
والديانات ظهر صدقها فى حوادث التنويم المغناطيسى وحوادث الفرق والسقوط من شاهق جبل . إن معنى
قوله تعالى - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - قد وضع فى الفرائز وفى التنويم المغناطيسى
وفى حوادث الفرق والسقوط . إن المسلمين هم المقصرون فى العلوم والأمم كلها عرفت من العلم ماهو سر
كتابنا وكتابنا لم نعرف منه إلا حفظ الكمامات وعلم الأحكام الشرعية ونحن عن علومه معرضون . اللهم
ألم الأمة الاسلامية علما وحكمة والحد لله رب العالمين

﴿ يا قوتة فى الحياة بعد الموت ﴾

كنت كتبتها فى مجلة ﴿ نور الاسلام ﴾ منذ سنين وهى التى كانت تصدر بالزقازيق
من العجب أن جميع الجرائد والمجلات العلمية العربية لم تبحث بحثا يتدبه فى الحياة بعد الموت إلا ما ينقله
بعض من اصحاب أنفسهم ترجمة المقالات العلمية عن فلاسفة الافرنج أولئك هم الباحثون . فيا سبحان الله
كأن أهل الشرق لما رأوا أنفسهم خسروا الماديات أتبعوها بالأدييات والعقليات فتركوا للفردين العلمين
وقرؤا - ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير - وراهم كل يوم يتدون الاتحاد وهم
الى الآن ما اتحدوا فى الاعتقاد فعم الفساد فى كل ناد . كيف وهذا البحث طالما كان الشغل الشاغل لفلاسفة
الشرق بل هو موضوع أبحاث كل ملة فى مشارق الأرض ومغاربها وهالك ما اختلج فى صدرى . فإحوج
الآمنة الى الخوض فى هذا الموضوع فى هذه النشأة المدنية التى التبس فيها الحق بالباطل حتى ان الناس يخوضون
فى كل موضوع فاذا وصلوا الى هذا فلا تسمع منهم إلا همسا كأنهم ظنوا أنه من القضايا التى لم تحم حولها
الفلاسفة والكتاب مع أنها أول خاطر يحطّر للتفكر المتبصر ولتجعل مدار بحثنا على ﴿ ستة اوجه ﴾

﴿ الوجه الأول ﴾

من نظر الى الفطرة الانسانية وجدها تأنى أن تعمل عملا بلا فائدة وتحب أن يكون ماتفعله تاما . وانظر
لو رأيت أيها الانسان رجلا أو قد شمعته فى ضوء الشمس لحسكت عليه أول رهلة أن موهبة الانسانية وغريزته
الفطرية انتزعت منه وقلت هذا فعل الأطفال الذين لا يعقلون والفطر فينا كلها صادقة قد انجذبت فيها الخلق
والبينات على أيها الغريزة والحجة ههنا أن يقال هذا الفعل لا بد له من فائدة إما للفاعل أو للمفعول أو
لغيرهما وغير ذلك لا يكون . فأما فائدة المفعول وهو الشمعة ههنا فالعدم المحض وبئست الفائدة ولا فائدة

للفاعل ولا لنفسه لشمس التي لا أثر للصباح في ضوئها فلننظر الى أرق من هذا ألا وهو هذه العوالم بأجمعها التي أشرقت بأنوار الحياة السارية في كلياتها وجزيئاتها - الله نور السموات والأرض - نرى نجوما طالعاً وأقماراً لامعة وشموساً ساطعة فشروقها بنظام وغروبها باحكام . فليفكر الانسان - الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان - أي يخضعان لما يروا منهما - يوجل الليل في النهار ويوجل النهار في الليل - فعوالم السموات وقوالب الأرض كالذكر والأنثى وأنت أيها الانسان تبيحتهما ففضل التفصيل السابق في مثال الشمعة وقل ما الفائدة في خلقك إذن . فاما أن تكون للخائف ومعلوم أنه غني واما أن تكون لك أنت ونحن نعم انك في هذه الدار تسعد يوماً وتشقى أياماً . وهب انك ملكت مقاليد السعادة . أفلا يكون مصيرها الى الفناء فالتصور قصور والخور بور

أشدّ الغم عندى في سرور * يتقن عنه صاحبه انتقالا
واما أن تكون لعديرك من المخلوقات وقد علمت أن فائدته من نفسه لاقيمة لها فكيف بفائدته منك فنتج انه اذا كان مصير هذا العالم الى الفناء المطلق كان عبثاً وباطلاً . واذا كنت أنت أيها العاقل تأتي نفسك أن تفعل العبث وتكبر عن اللغو والباطل فهل يتصف بذلك الذي أودع تلك الفطرة السامية فيك كيف وقد ورد في القرآن ما يثبت الوجودان قال تعالى - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - وقال أيضاً - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية - وقال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . - فانظروا أيها العقلاء كيف أعقب خالق السموات والأرض بالحق بذكر قيام الساعة وانقلاب هذا العالم الى نشأة أخرى كأنه يقول ان لم يكن لهذا العالم نشأة غير هذه بأن هدمناه وأعدمناه كان خلقه بغير حق ولاحكمة فلا بد أن يأخذ دوراً جديداً بل نشأة أخرى أرقى من هذه كما هو شأن نظامنا العالي الذي تشاهدونه في الانسان والحيوان والنبات وجميع العوالم فقيسوا ما غاب على ما شوهد . ولما كان الدليل واضحاً ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار من طريق الاعتبار . أنكر الله على من لم يقطن لذلك فقال تعالى - أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم البنا لاترجعون * فتعالى الله الملك الحق - كأنه يقول ألم ننظروا فيما ترونه من حكم هذه العوالم وانها تأخذ في الترقى فحسبتم أن خلقكم عبث وانكم لاترجعون أفلاتعقلون - وكأين من آياتي السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - فثبت بالدلائل العقلية والنقلية أن اعدام العالم بلانشأة أخرى أرقى من هذه عبث والعبث مستحيل على الله تعالى فلا بد إذن من نشأة أخرى لهذه العوالم - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً - فوق ما تشاهد في هذه النشأة الصغيرة ولولا خوف الملل لأطلت المقال

﴿ الوجه الثاني ﴾

اننا نرى فطرنا الصادقة فيها داعية عجيبة وهي حبّ الأخذ بناصر الضعيف على القوى فهؤلاء الحكماء والقضاة وأرباب المنازل يجدون في أنفسهم قاهراً وشوقاً باعثاً على مكافأة المحسنين على الاحسان والمسيئين على الاساءة وهو أمر يقع بالاضطرار من دواعي النفوس فبالله ما هذا الوجدان العجيب . أليس هو من العدل المنبئته أشعته من الحكمة الالهية العالية في نفس هذا الانسان الذي أشرقت عليه أنوار الكمال من الحضرة الالهية . فكل انسان من الملوكة الى الصعاليك ومن أعلم عالم الى أجهل جاهل اذا رآوا ذا روح اعتدى على غيره من انسان أو حيوان دهمته أنفسهم الى المدافعة عنه بل ربما خاطروا بها مخاطرة وتمدحوا بذلك حتى عدّ هذا من فروع الشجاعة التي هي أحد أركان كمال الفطرة الانسانية كما أوضحه علماء الأخلاق . فهذه فطرنا الصادقة التي تشف من وراء ستر رقيق عن حكمة عالية وعدل تام في صدرها وهو القائم على كل نفس بما

كسبت وهو القاهر فوق عباده . أفنكون أنت أيها الإنسان مقظورا على العسل والجزاء والقيام بالقسط حتى ان فطر تلك السامية كتبت على صفحات ضميرها المستر - هل جزاء الاحسان إلا الاحسان - ومع هذا كله لا ترقى في الفكر قليلا الى فاطر هذه الفطرة وموجد هذه الفكرة - ومار بك بظلام للعبيد - فساء ما يحكم الجاهلون . كيف ونحن لم نر جزاء في هذه الدار التي استوى فيها المحسن والمسيء - كلا نمتد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا -

فالأرزاق في هذه الدار جعل الخالق موردها الحياة ولم يفرق فيها بين الخبيث والطيب والبر والفاجر حتى قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فبالله رعاك الله أين ما يوجد من الفرق بين ذوى النفوس الفاضلة والنفوس الناقصة . وإذا ثبت أنه لا جزاء هنا فالجزاء إذن في دار أخرى وهي به أخرى - ومار بك بغافل عما تعملون - وهل يستوى عنده الأخيار والأشرار - أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض ثم نجعل المتقين كالفجار - وهل كل عنده منساوون - أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون - فانظروا أيها العقلاء في هذا التوبيخ وتأملوا هذه الآية مع ما قدمنا سابقا تجدوا انطباقا تاما بين المعقول والمنقول

﴿ الوجه الثالث ﴾

إن فطرة الإنسان لانكاد تقنع بالحاجيات من المال ولا بالكماليات من الجبال والخور الحسن وبالالعاليات من العلوم والمعارف ولا بالحياة الفانية فهي أبدا تحب الغنى والجبال والجاه وسعة العلم ودوام البقاء فلو أوتيت ما أوتى قارون وهو ذو حظ العظيم في المال وحكمة لقمان وملك سليمان وحظيت بأجل أهل دهرها من بنات الإنسان . بل لولمسكت البسيطة وما حوت والسماء وما وعت لقاتل - هل من مزيد - فكأنها تنادى معربة عما خط فيها بالقم الألهي . إن هذا الملك لا يكون إلا في عالم أرقى من هذا ونشأة تناسب شوق وتسكون منتهى لذتي - وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - والا فبالله أين العلم الذي لا جهل معه وأين الغنى الذي لا فقر بعده وأين الحياة التي لا موت بعدها وأين مقتضى الفطرة من حبنا دوام البقاء ونفوسنا مستشعرة بذلك فهل يحب أحدنا إلا الحياة الدائمة . ولما أيس منها في هذه الدار وخيل له الوهم بادى بدء أن لا حياة في غيرها وانحصرت أمنيته فيها إذ لاسم في الخيال لدار غيرها أخذ يخترع صوراً شتى تصور البقاء بأنواع من الخيالات وضروب من الأوهام التي لا حقيقة لها فلو كننا وعظماؤنا بل وعاقمتنا يحبون تخليد أسماؤهم في بطون التواريخ وعلى المباني الباقية وأن يلدوا من يبق لهم شبه الحياة . كل هذا شهادة من الفطرة بالبقاء . ولا نظن أن الفطرة ليست من الأدلة فان جميع الفطر المنغرسه فيها لها حكم باهرة وكلها صادقة . وإن كنت في شك مما رمزنا اليك فسل قوة الشهوة والغضب وما فينا من كبر وتواضع ورجعة وشجاعة وجبن وحياء وعفة وهكذا فكل منها له نأب - ولكل نأب مستقر وسوف تعلمون - فلم تسكون هذه الفطرة وحدها بقاء وبقيّة الفطر صادقة . انتهى الوجه الثالث

﴿ الوجه الرابع ﴾

من المشاهد أن لآلة في الدنيا إلا وهي ناقصة ولا ألم إلا وهو زائل فهما كالليل والنهار يمحو أحدهما الآخر . ومن المسلم أن لكل شئ غاية يصل إليها . فأين غاية اللذات . وأين نهاية الآلام في هذه الحياة التي امتزج فيها الخير بالشر والخبيث بالطيب بل كل من اللذة والآلم ينتج الآخر فهما فرسا رهاق فلابد من دار أخرى تكمل فيها اللذات لقوم والآلام لقوم آخرين - لعين الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا فيجعل في جهنم - ويجعل أهل الكمال على سرر في جنات النعم حتى تتحقق نهاية كل من اللذة والآلم والا كانتا ناقصتين لم يصل لغايتيهما وذلك بخلاف القياس فنتهى الألم في دار يقال فيها - وحيل

بينهم وبين ما يشتهون - ومنتهى اللذات في دار يقال فيها - ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون -

﴿ الوجه الخامس ﴾

قد ثبت في الاستكشافات الحديثة في الجغرافيا الدينية أن جميع سكان الكرة الأرضية في مشارق الأرض ومغاربها متوحشين ومتمدنين يدعونون بجزء على الخير والشر بعد الموت . فإليت شعري كيف انغمرت الفكرة في جميع الأذهان . وباللهجب ان سكان المحيط الأعظم مع تباعد جزائرهم وتفرقها في أقاصي المحيط وأدانيه عندهم هذا الاعتقاد ولا تواصل بينهم في محيطهم ولا بينهم وبين الأمم التي في القارات . فإليت شعري ما الذي أثبت تلك الفكرة في الأذهان من قديم الزمان . ولعمري ماهي إلا فطرة سارية في جميع النوع الانساني . اللهم إلامن شذ من قليل من المتمدنين الذين خرجوا عن الفطرة الأصلية ولم يصلوا الى الكمال في العلم فهو لاء بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * قال الشاعر

ولم أر في عيوب الناس عيبا * كعب القادرين على الغمام

وإذا كانت هذه الفطرة عامة فلا عجب إذا اتخذناها دليلا وحدها . ولعمري لا يسلم بهذا الدليل إلا من كانت له قلم راسخة في العلوم وعرف صدق جميع الفطر المنغرسه فينا وأن شهادتها لا تقبل الرشا وهذا يحتاج الى بصيرة ونظر تام في جميع العلوم لاسيما علم النفس والتشريح ونظير هذه شهادة جميع الفطر أيضا بأن لها ربا صانعا ونوعته بحسب ما يناسب فكرها في كافة أنحاء الأرض . ولقد أشار الله سبحانه وتعالى لذلك بقوله - فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ الوجه السادس ﴾

أردت بهذا الوجه تقريب حال الآخرة بأشلية الظواهر الطبيعية فرب قائل يقول نحن لانعقل لليت نشأة وكيف يعذب أو يثاب قبل أن يأتي اليوم الموعود . قلت أنت في كل يوم ولية تموت وتحيا فالنوم أخوال الموت قال تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها - يتوفى - التي لم تمت في منامها - وكثيرا ما نرى اثنين في لحاف واحد قد أحكمت عليهما الحجرة وغلقت الأبواب فقام هذا يقول واحسرتاه على لذة ذهبت قد كنت في بستان مع الغزلان والندمان اقتطف الريحان وأجنى الثمار ويقول الآخر الحمد لله الذي أيقظني من النوم ولم يكن الحلم واقعا قد أخذوا بمخنتي الى رجال الشرطة وحكم علي بما يسىء واشتد الأمر بهذا في النعم وهذا في العذاب الأليم مع ان ظاهرهما ساكن قد ضرب على آذانها وأطبقت أجفانها وخشعت أصواتها وهلك مثلا أقرب وهو التنويم المغناطيسي فإن النوم يسمع من النوم كل غريبة * حكى أنه نوم بعضهم فتاة فقالت أثناء المحادثة أظنك أنت اليقظان وأنا النائمة لا فالأمر بالعكس فأنى أرى وأسمع من بعد ما لا ترى ولا تسمع وسوف يأتي وقت نضل فيه هذه الحال جميعا . وكان هذه الفتاة تشير لمعنى الحديث ﴿ الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ﴾ وتشير الى الآية وهي قوله تعالى - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - أى قوى ثابت . فباللهجب لهذا الزمان الذي ظهرت فيه العلوم العقلية والنقلية للعبان بعد أن عرفوا الأقدمون بالبرهان العقلي حيث أثبتوا أن الجسم متى ضعف واضمححل قويت حالة النفس ورأت المستغربات ولا أفتح على هذا الباب لئلا يطول المقال ويخرج عن حد الاعتدال . ولكن أقول كلمة . قد ورد في بعض الأخبار ما يشير الى أن هذه الأزمنة المتأخرة مصدر الحجاب وظهور الغرائب . ومن أراد أن يطالع على كل جمال وكمال ويرى مآل العالم الاوروبي والأمريكي من المستكشفات التي بهرت العقول مما يدل على بقائنا بعد الموت فليعلم بعالم الأرواح فانها أتت من سبأ بنأ يقين وأظهرت للعالم الاسلامي غرائب يجب على كل متتوأن يطالع عليها لاسيما متخرجي المدارس . هذا ومثل النشأة الأخرى بالنسبة الى الدنيا كمثل الحياة الدنيا بالنسبة لحياة الانسان

في الرحم فلا يزال الانسان في ترق من ظهر أبيه الى بطن أمه الى عالم الدنيا الى البرزخ . وكلما كان في حالة لا يكاد يصدق غيرها ولا يجب الانتقال منها فلو قيل للطفل في بطن أمه بفرض أنه يعقل انك ستزل الى فضاء واسع سماؤه قاصر المشيمة التي أنت فيها ملايين كثيرة وفيها قوم مثلك وأشياء تأكلها وتركها ولا تقتصر على طعام واحد والأطعمة هناك أحسن من دم أمك الذي يغذيك وستأكل بفمك لا بسترتك بل هذا الدم الذي يغذيك الآن ستستقذره هناك وبعده طبعك ولا تودّ الرجوع الى هذا الرحم فلو ذكر بهذا كله لأحاله واستعبده كما نستبعد نحن حال الآخرة لولا البصائر والأخبار . وانرجع الى ماتحن بصدده أولا فتقول رب قائل يقول كيف مثلت بالنوم وهو أمر بسيط عادي . قلنا على رسلك أيها الأخ غاضعا إلا الجهل بما بين أيدينا فالأم الغريبة من حولنا ماترتق إلا بنظرها حتى النظر في الأمور البسيطة . من كان بالله قبل اليوم يظن أن الكهرمان الذي كنا نضحك من جذبته للأشياء الصغيرة عند فكره يضيء الأمكنة ويحرق الأثقال ويولد الحرارة ومن بالله قبل اليوم كان يظن أن البخار الذي يشاهد كل يوم في كل منزل بحيث يراه العامة يتحدث انقلابا عظيما في عالم المدينة ومن ذا الذي كان يظن أن المغناطيس يجذب لقطع الحديد يساعد في إيصال الأخبار الى ما بهد من الأقطار مع الكهرباء . اذا كان هذا كله في الآفاق ونشأت منه هذه عجائب فكيف تركنا النظر في نفوسنا وعجائبها أظهر وأبهر من عجائب البخار والكهرباء والمغناطيس . فنعن كتاركة يضيء بالعرء وملبسة يضيء أخرى جناحا - أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم - وقال تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - النوم الحقيقي والصناعي هي حالة أخرى للانسان ضربت لك مثلا وتكررت كل يوم تمثل حالك بعد الموت وان كانت نسبتها الى الموت كنسبة ضوء المصباح الى الشمس - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم - وقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام . وقال الحكماء ﴿ إن لذّة النوم لافرق بينها وبين لذّة اليقظة إلا أن لذّة اليقظة يمكن استبقاؤها بخلاف لذّة النوم فمن رأى وجهها جبالا وتمتع بمشاهدتها في نومه كانت لذّة به كذذته في يقظته لافرق بينهما ولودام النوم إذا ذاك له امت اللذات ﴾ ومن فهم هذه المقتمات عرف معنى قوله تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وقوله ﷺ للذين قتلوا يوم بدر يأفان يأفان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقول يا رسول الله أناديهم وهم أموات فتال ﷺ والذي نفسى بيده انهم لأسمع بهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرّون على الجواب . وماورد أيضا ﴿ القبر أول منزل من منازل الآخرة وانه إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ﴾ وغير ذلك مما لا يحصى . وبالجملة فأمر الانسان في حياته و بعد موته بدهش العقول ولولا خوف اللال لأطلت المقال وفي هذا بلاغ والله أعلم

وسأتي في سورة الكهف زيادة على هذا في مسألة الروح بمناسبة البحث وقصة أهل الكهف ﴿ بهجة اللطيفة الثانية والثالثة في قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمري - ﴾ اعلم أن الروح كانت قديما ولم تزل حديثنا مناط مباحث العلماء والحكماء أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ومن نحا منحهم من علماء الاسكندرية الذين لحصوا فلسفة اليونان واستخلصوا زبدتها وأخرجوها للناس صافية في القرون الأولى للتاريخ المسيحي . ومن هؤلاء في نحو القرن الثاني لليلاد حكيم يقال له (أفاطين) فكل هؤلاء منحوا في النفس ودققوا فيها وجوه هؤلاء انها نور إلهي تنزل من الله الى هذه الأشخاص الانسانية . ومعالم أن هذا اللفظ مجاز لأن النور لا يحس وهذه تحس ثم رتبوا على نسبة أرواحنا الى ربا ناعل الأخلاق جبعه ففى (الرواقين) منهم يحرسون الحرس كله كما يحرس متبوعهم (سقراط) على التخليق الأخلاق الجيلة من الصبر والحلم والشجاعة والعفة والحكمة لأن هذه هي التي تنقى هذه النفس وترفعها الى خالقها فترجع له نقية . لا تكاد تقرأ كتابا من كتب هؤلاء الحكماء ولا من حكماء الاسلام ولا كبار الصوفية إلا وجدت

نسبة الروح الى الله ويسمونها تارة ﴿الجزء الالهى﴾ وتارة نورا والنور مجاز . فانظر للقرآن كيف يقول - من أمر ربى - وهذا هو التعبير الصحيح الخالى من المجاز بخلاف النور . وتجد (سقراط) فى الاستدلال على أن طبيعة النفس غير طبيعة الجسد يقول ﴿إن النفس أمة والجسم مأمور ومن شأن الأمور الالهية أن تكون أمة الخ﴾

فاستبان لك من ذلك أن نفوسنا لها شأن من الشؤون الالهية ﴿وبعارة أخرى﴾ هذه النفس فى صفاتها وتمقلها وتفكرها تكون أقرب للعالم المجردة التى هى أقرب الى الله من عالم الأجساد . فانظر الى أفعال هذه النفس فى علمنا الذى نعيش فيه لاسما فى هذا الزمان . اعلم أنى اطلعت على كتاب يسمى ﴿راجا يوقا﴾ باللغة الانجليزية كما ذكرته مراراً فى هذا التفسير وهذا الكتاب مترجم من اللغة الهندية فعرفت منه عجائب النفس وأن القوم لهم طرق يستعملونها لتقدر أرواحهم أن تحكم أجسامهم فيجذون فى السطاس على أنفسهم بحيث يكون الشهيق والزفير أطول من المعتاد شيئاً فشيئاً الى دقيقة نفوس دقائق وهكذا . وبهذه الطريقة أمكنهم حبس النفس مدة طويلة . ومعنى هذا أن حركة الدم تكون ضعيفة وقد تنقف وليس هذا الوقوف الاختيارى موتاً . كلا . ويقولون انهم متى حكموا هذا التنفس الذى (بواسطته حكموا الدورة الدموية) فقد تسلطوا على القوى العقلية بحيث لا يدخل فى عقله إلا ما ينفع نفسه فلا يسلطه هم ولا غم لأنه متى أراد شيئاً حصل له وهو لا يريد الغم فلا يغم . وهكذا . وهناك فروع كثيرة وكتب مؤلفة ظهرت حديثاً بلغات مختلفة فى هذا الباب . وعلى ذلك قدر بعضهم أن ينام فى الصندوق ستة أشهر بارادته

هذا ما كنت قرأته فى هذا الكتاب ثم مضى زمن بعد ذلك فقرأت عن حوادث حصلت فى أوروبا وفى مصر تشابه ما قرأته فى ذلك الكتاب وهى ﴿ثلاث حوادث * الحادثة الأولى﴾ حادثة الفقيه الألمانى (ديبلر) الآتى تفصيل حوادثه هنا . فهذا لما وقع أسيراً قطع (عرق الوريد) من رقبته ثم أحب الحياة فاجتهد أن يقوى ارادته حتى انقطع الدم وكان هذا مبدءاً لحصول القوة عند الرجل فصار يفعل بحسبه ما يشاء ويريد من غير ألم . ﴿الحادثة الثانية﴾ الفتاة (ترينومان) هذه التى كانت فى ليلة الجمعة من كل أسبوع تظهر عليها أعراض تشبه الأعراض التى تسمعا فى الكتب الدينية وهى علامات آلام السيد المسيح . ولعمري إن ذلك لم يحصل لها إلا بكثره تأملها فى أمر السيد المسيح عليه السلام فأصبحت تظهر عليها الأعراض التى سمعت انه اتصف بها ﴿الحادثة الثالثة﴾ هى حادثة الدكتور (طهرا بك) الذى جاء الى مصر أثناء طبع هذه السورة وفعل مثل ما قرأته عن علماء الهند تماماً فى أوروبا وفى مصر . وقد آن أن أسمعك هذه الأخبار الثلاثة ثم أحدثك بعد ذلك عن هذه المناظر ما يليق بالمقام من الجلال والجلال والحكمة والنور الالهى والسعادة الأبدية والسر العظيم

﴿الحادثة الأولى والثانية﴾

أرسل مكاتب جريدة (البتى باريزيان) فى (برساو) البرقية الآتية الى جريدته تكلمت الجرائد الألمانية والأجنبية فى المدة الأخيرة عن المظاهر الغريبة التى بدت مؤخرًا على الفتاة (ترينومان) البافارية التى كان يرى على جسدها فى يوم الجمعة من كل أسبوع علامات آلام السيد المسيح وقد تألفت لجنة من الأطباء هى الآن مجتدة فى البحث لمعرفة كنه هذه الوقائع . ويظهر أن الاستغراق الدينى لم يكن وحده السبب لهذه المظاهر وحدثت هذه العلامات فقد قام مؤخرًا رجل من العمال فى (برساو) اسمه (ديبلر) وجهر بألم الأطباء ورجال العلم والصحافة فى تلك المدينة بأنه قادر بمجرد ارادته فقط أن يحدث على جسده وبدون أى ألم كل الظواهر (الفسيولوجية) التى بدت على جسم الفتاة (ترينومان) وفصلاً كان ظهور (ديبلر) هذا حادثاً خارقاً للطبيعة اهتم بشأنه رجال العلم لأنه يضاهى فى غرابته الأفعال التى يقوم بها فقراء الهنود . عرف (ديبلر) لغاية الآن بأنه رجل لا يشعر بأى ألم من الآلام الطبيعية ولذلك لقبه مواطنوه

(بالفاد الأثم) وقد ظهر على جبهة مسارح عمومية وسمر مرارا على صليب بواسطة دق مسامير كبيرة في يديه ورجليه وطعن أيضا في جنبه بحربة اخترقته . ومن المدهش أن كل جراحاته هذه لم تكن قط لتنزف دما وكان يصريح وهو في هذه الحالات بأنه لا يشعر قط بأى ألم . ولما بلغت أسباع (ديبلر) أخبار (ترينيوومان) طلب أن تعقد لجنة مؤلفة من الأطباء ورجال العلم والصحافة في مدينة (برساو) ليعرض أمامها مشاهد غريبة من نوع جديد . وفعلا أمام هذه اللجنة أظهر (ديبلر) على يديه ورجليه وجنبه لطخا جروا بشكل صليب كما كانت تظهر على (ترينيوومان) وجعل هذه اللطخ تنزف دما وبرهن (ديبلر) على أنه بمجرد إرادته فقط يستطيع إحداث هذه المظاهر في أى قسم من جسده وذلك بدون أى ألم . وقد يكون من المفيد أن نروى للقراء كيف توصل (ديبلر) المذكور إلى هذه المقاربة الفارقة لأحداث هذه المظاهر الخارقة للعادة

في بدء الحرب العالمية كان (ديبلر) هذا جنديا في آلاي (الهوسار) بمدينة أوهاو ثم أخذ أسيرا واعتقل في (بولونيا) حيث تعلم سريعا اللغة الروسية وساعده ذلك على الفرار مخفيا بملابس ضابط لكن ألقى القبض عليه وحكم عليه بالإعدام بتهمة التجسس . وفي الليلة السابقة لليوم المعين موعدا لتنفيذ الحكم حاول الانتحار بأن قطع من عنقه الشريان المعروف (بجبل الوريد) ولكنه قبل أن يسلم الروح عاوده فجأة شوق شديد إلى الحياة وتمكن بقوة إرادة خارقة للعادة من توقيف النزيف الدموي ثم أغشى عليه ولما أفاق من غمائه وجد نفسه منطرحا على حافة حفرة كانت بدون شك معدة لأن تكون قبرا ولا يعلم إلا أن سبب ما يطرح في داخلها . ولماذا لم يهل عليه التراب . وقد كان ذلك سببا لنجاته وتمكنه من الفرار ثانية . وبعد رجوعه لألمانيا أخذ يقص على مواطنيه الحوادث الغريبة التي طرأت عليه . ولما لاحظ أنهم كانوا يدهشون لها ولا يكادون يصدقونها آلى على نفسه أن يجتهد لكي يقوى لدرجة عجيبة . تلك الإرادة التي أحسها في داخله أثناء ظروف غير عادية وهكذا كان فإن النتائج المدهشة التي حصل عليها لتنجح مجالا لأى شك . ونحن نساءل ألا نكون هذه النتائج ردا علميا يفسر ما غمض من مظاهر (ترينيوومان)

﴿ الحادثة الثالثة حوادث روحية في مصر ﴾

ظهر رجل يقال له (طهرا بك) في أوروبا وفي الشرق وحضر إلى مصر واجتمع به عدد من راغبي مشاهدة التجارب الغريبة ليلة ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وكان بين الحاضرين كثيرون من الأطباء ورجال الصحافة العربية والأفريقية . ومع أن صاحب الحفلة كان قد نبه على استحسان عدم حضور السيدات لأن منظر تجار به قد يؤثر في مزاجهن قد حضر هذه الحفلة كثيرات منهن . وقبل الساعة العاشرة بدقائق رفع الستار عن الدكتور (طهرا بك) في لباسه العربي الأبيض وعلى رأسه العقاب وعن منضدة غرزت فيها خناجر ودبابيس طويلة وعن سائر أدوات تجار به مما سنذكره في خلال وصف هذه التجارب وقد تصاعدت رائحة البخور في المسرح ووقف أحد أصدقاء الدكتور (طهرا بك) فأخذ يتلو باللغة الفرنسية شرحا لنظريات الدكتور ثم أكل هو هذا الشرح وبسط جانبا من برنامج الحفلة . وقبل أن يشرع في تجار به طلب من الأطباء ورجال الصحافة أن يصعدوا إلى المسرح فبعد عدد كبير منهم فأعلن لهم أنه سيبتدىء بتجربة وقوعه في غيبوبة أوتيس وطلب من الأطباء أن يفحصوا نبضه ففحصوه ووجدوا أنه ١١٠ في الدقيقة ثم زاد النبض حتى بالغ ١٤٠ فأعلنوا ذلك للجمهور . وعندئذ وضع يديه على صدغيه وضغط بأصابعه على الوريدين الموصلين للدماغ إلى رأسه ضغطا شديدا فغاب عن صوابه وصار في حالة تخشب فحمله اثنان ووضعه على أقدامه من الفولاذ محمولة على حاملين ولكنها غير محدة ثم رفعوا عن الأرض حجرا ثقيلًا كالخارجة التي تستعمل في أفاريز الشوارع ووضعه على بطنه وهوى شخص بمطرقة على هذا الحجر فكسره نصفين . وعلى إثر ذلك أفاق الدكتور (طهرا بك) من غيبوبة دون أن يصاب بسوء . ثم طلب من الحاضرين من الأطباء ورجال

الصحافة أن يفحصوا الخناجر والدبابيس ففحصوها وأعلن انه أصبح فاقد الاحساس بالألم وتناول خنجر كبير وأدخله بمقدار (٥) سنتيمترات في الجزء الأسفل من عنقه وطلب من أحد الأطباء الواقفين أن يربط دبوسين في سطح جلد ساعديه ففعل وأربط هو كذلك دبوسين في شديقه ودبوسين في ثنديه فسأل دم من هذه الجروح لوث ثوبه الأبيض ولكنه لم يتألم ونزل الى البهو وطاف بين الحاضرين يريهم هذه الدبابيس المولجة في جسمه وعاد فصدع الى المسرح وأخرجها منه . وكان قد أعد له لوح من الخشب ثبت فيه مسامير حادة طول كل منها أكثر من ١٠ سنتيمترات فاستلقى على ظهره فوق هذا اللوح وجاء بعض الأطباء وفحصوا الأمر فقال طبيب منهم إن المسامير لم تمسه وأنه فيما بين أعلى تغذيه قد وضع قطعاً من الكاوتشوك . وقال أطباء آخرون بل إن جانباً من المسامير اخترق لحمه ولا سيما في الجانب العلوي من الظهر وحدث خلاف في هذا الشأن وأصر كل من الفريقين على رأيه وكان الطبيب الخائف يود أن يرى المسامير تخترق السلسلة الفقرية أولمقاتل الأخرى . وأخيراً ثبت انه وإن كانت المسامير لم تخترق موضعاً قالنا فقد اخترقت مواضع أخرى وأنه قام من فوق هذا اللوح دون أن يتألم . وإلى هنا انتهى الفصل الأول . ولما رفع الستار في الفصل الثاني أعلن الدكتور (طهرا بك) أنه مستعد لقراءة الأفكار عن الماضي والحاضر فقط وطلب من أحدهم أن يفكر في أي شخص كان في القاعة ففكر في صديق له جزء في أحد اللوحات العليا فقرأ فكره وقاده الى صديقه ثم طلب منه أن يفكر في بعض أشياء صديقه ففكر في منديل به فأخرجه من جيبه

على أنه لم يتحجج تماماً في قراءة أفكار آخرين . وعلل ذلك بترددهم في الفكر . وانتقل الى تجربة مقدرة على تنويم الحيوانات تنويماً مغناطيسياً فجاء به يديكين وأربك كبير فتوهمهما بمجرد لمسه بإيماء وختم تجاربه بتجربة دفنه في صندوق وكان قد أعد هذا الصندوق فوق المسرح وإلى جانبه كومة كبيرة من الرمل وجاء كثيرون ففحصوا قاع الصندوق وجوانبه وبعد ما شرح نظريته هذه وتعليقها العلمي قال إن هذه النظرية منقولة عن المصريين القدماء ثم سأل الحاضرين كم من الوقت يريدون أن يظل مدفوناً فافترحو أن تسكون المدة ١٥ دقائق ثم جرى له بقطن سد به أنفه وأوقع نفسه في غيبوبة كما في المرة الأولى وحل الى الصندوق وأهيل عليه التراب وسد الصندوق بغطائه وأحكم سده من الخارج بالرمل وعند ما انقضت الدقائق العشر كشف التراب عن الصندوق في الحال وأخرج منه فإذا هو حي ووقف على حافة المسرح وفي يده أوراق صغيرة وازدحم الجمهور حوله وتحاطبوه من يده وهي كما قال (طلاس) مفيدة وكان الحاضرون يصفقون له وقد سئل طبيب كبير مشهور من أطباء الامراض الباطنية في العاصمة وكان من جملة الحاضرين . بماذا يعمل عدم احساس الدكتور (طهرا بك) بالألم في تجربة الخناجر والدبابيس . فأجاب بأن ذلك نتيجة تشنج في الأعيرة . وعلل تجربة الوقوع في الغيبوبة بأنها نتيجة تمرين المخ تمريناً مستمراً على ذلك وقال انه يوجد أساس يستطيعون أن يوقفوا حركة القلب مدة معينة دون أن يموتوا . أما هو فيقول إن هذه الاعمال ترجع الى أصل علمي أي انها ليست سحراً ولا شعوذة . ثم انه قد اقتنعت به أوروبا في العامين الماضيين عند ما طاف عواصمها وهو يدعش الناس بأعماله الخارقة للطبيعة ويجعل الصحف الغربية تعجب بتجاربه العلمية الساحرة وقد اهتم الأطباء بأمره وعقدوا الجلسات لفحصه ودراسة عجائبه فقررُوا أنه ذو مقدرة عجيبة تسلط بها روحه على جسده فيأتي بالجانب وطيرت التلغرافات في العام الماضي عجائبه فروتها الجرائد في مصر . ولما سئل قال إن هذا العلم اسمه علم (الفيززم) وقال إن الانسان مركب من (ثلاثة عناصر) الجسم والنفس والروح . ولنفنس (قوتان) أحدهما متصل بالجسم تدير حركاته والاخرى متصلة بقوة خفية عظيمة هي التي يعرفها أهل الاديان باسم (الله) والغرض من (الفيززم) البحث عن هذه القوة النفسية وانماها والتوصل الى الانتفاع بها في جعل الحياة سعيدة هانئة . وقد ولد الدكتور (طهرا بك) في الاستانة وتخرج من كليتها

الطبية وشغف بالفقير زم فدرسه على شيخ مصرى يدعى الشيخ الفلكى واستطاع أن يتبحر فى هذا العلم ويقوم بتجاربه العجيبة ومنها أن يطلع نفسه بالمدى والخارج ويسلط على الدورة الدموية فلا تسيل السماء من جرحه ثم تلتحم فى الحال وأن يسيطر على نفسه وعلى دورته الدموية فيدفن نفسه فى صناديق مفرغة من الهواء ويظل مدفوناً ساعات وأياماً ثم ينهض حياً . وقد قضى ١٨ يوماً مدفوناً فى بطن الأرض فى بلاد اليونان ويستطيع أن يصب جسمه فلا يتأثر من الوحز ويعزز فى جسمه المسامير والبرايس فلا تترك أثراً . وقال إن فى استطاعة كل انسان أن يقوم بهذه التجارب اذا مرن ارادته على التحكم فى جسده بقوة روحه . انتهى الكلام على (طهرا بك)

انظر أيها الذكى الى العلم قديماً وحديثاً وانظر الى تعاريف القدماء إذ يقولون انها نور من الله أو شعاع منه . ثم انظر الى قول (سقراط) كيف استدلل على أنها مخالفة للأجسام بعلمة وهى انها أمرة والجسم مأمور والأمر انما يكون من الله . فهى إذن منسوبة اليه مستمدة منه . ثم انظر كيف جاء القرآن وقال - من أمر ربي - فعبيراً هو أدق . ثم تجب ألف مرة من هذا النوع الانسانى ذلك النوع النشط الفكري فانظر أولاً الى (ديبلر) الألمانى . ألم ترى أن تسلطه على قوى جسمه انما جاء بطريق المصادفة بحيث انه لما قطع العرق ونزف الدم واقترب الموت وجد فى نفسه نزوعاً الى المغالبة فقلبت ارادته الدم وقوى عليه . أفلم ترى أن هذه الحادثة التى جرت فى أوربا تلك الأمم المادية التى أصبحت تميد المادة عبادة قد جرت قبلها قديماً عند الهنود فى مدينتهم القديمة فأخذوا يفكرون فيما به يحكمون أجسامهم فوجدوا أن النفس الخارج الداخلى موصل لذلك بحيث يحسونه داخلاً وأخارجاً بنظام خاص . وأيضاً ربما ان بعضهم فى الأعصر القديمة حصل له ما حصل الى (تريزنيومان) البافارية من ألمانيا أيضاً فعلموا أن الأفكار الدينية لها تأثير على الجسم فأخذوا يفكرون حتى فعلوا ذلك علماً . ولعل مسألة النفس عندهم أقرب الى مسألة (ديبلر) المتقدمة إن الله لنو فضل على وعلى الناس بالعلم ولنسأل الله أن يلهمنا شكر هذه النعمة العظيمة

﴿ عجائب العلم ﴾

فانظر كيف يحصل هذا أيام طبع هذا التفسير ونشره بين الناس وابتهج بالعلم الذى سدمعه فسترى من آيات الله عجبا . فانظر الى هذا الانسان إذ عرف روحه الفلاسفة وأصلح القرآن تعر يفهم ثم جاء العصر الحاضر فاطلعنا على أسرار للروح جاءت على أيدي أقوام قبل الهجرة بألف السنين ثم اقترب العلم منا وظهر لنا ووضح وأصبح ما كان اجتهدا وفلسفة عملاً ظاهراً مكشوفاً للناس ورأينا أن هذه النفس نافذة العمل فى الجسم بالنصرف فيه تصرفاً تاماً كأنها تقول أنا نور الله وان لم تصدقوا فانظروا آثارى القاهرة العجيبة فيه .

الأهم من ذلك

﴿ ثمرة هذا المقال وبهيجته ﴾

اللهم إنك أنت الحمود على العلم والحكمة . اللهم أنت الملم . أنت الحكيم بعلم الحكمة المرشد لنفوسنا المسعد لها . أنت الذى أنزلت العبادات على الأمم جميعاً . وأنت الذى أمرتهم أن يصلوا ويقولوا - اهتدنا الصراط المستقيم - فهانئ الآن فهمنا فائدة الصلاة . إن المصلى والذاكر لله كلاًهما يحضر فى قلبه عظمة مولاه فيفاض عليه حلل من أنوار ذى الجلال والاكرام من جنس ما فكر فيه . فاذا كانت الفتاة البافارية فكرت فى أن المسيح مصلوب فقد ظهرت أعراض الصلب على جسدها وهكذا الفتى الألمانى وهكذا طهرا بك الله أكبر . جلّ العلم وجلّ الله . إذن عقلنا حقاً من أمر الله أو نور من الله ولولم يكن من الله لم يؤثر هذه الآثار الهائلة عند الاستعداد لها بالممارسة بالنفس أو بقوة الارادة أو بالفكر الدينى . أليس هذا بعينه هو قوله ﷺ فى الحديث المشهور ﴿ أنا عند ظن عبدي بي ﴾ ولسنا نهم بكون الحديث بسند ضعيف أو صحيح لأن المعنى صحيح . وأظهر من هذا قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - . اقد استبان

بهذا المقام كيف وصل قوم الى معاني تظهر على ألسنتهم وتؤثر في عقول الناس بواسطة طرق واحدة وهي استدامة الذكر فيذكرون اسما من أسماء الله تعالى أو يلزمون الصمت والجوع والسهر وما أشبه ذلك فيحصل لهم أمور غيبية . فهذا حقا من هذا الباب لأن النفس الانسانية تتجه الى الأغراض السامية اذا وجهت اليها والى الدنية كذلك . ولما كان الذكر حسبا للنفس الانسانية عن أمور الدنيا اتجهت النفس الى ما طلب منها وهذا أمر أوجعت عليه أم الأرض . ولقد قرأته في كتاب ﴿ راجا يوقا ﴾ مترجما الى الانجليزية عن الهندية . فهو لاء الوثنيون بعد أن ذكروا نظام الجسم وفقرات الظاهر وانها في وسطها فراغ يوصل الى الملح وفي نهايتها من أسفل مثلث محكم السد يشتمل على عجب الذنب . قالوا وهذا له سر لا يعلمه الناس . وبكثرة المجاهدة يحصل اتصال مجهول بين هذا المثلث وبين المخ به نفاض العالم على الانسان جميعا وان لم يتعلمها . هذا كلامهم وهذه النعمة هي التي يرددها الصوفية وليس لهذا أهمية في هذا المقام إلا أنهم يقولون ان عجب الذنب موضع العالم والأسرار والتبذير والعبادة يفتح سد مجهول بينه وبين المخ فيعرف الانسان العالم كلها . هذا القول يذكرنا بقول العلماء ان عجب الذنب باقى كالروح كما جاء في كتب التوحيد إذ قال صاحب الجوهرة ﴿ عجب الذنب كالروح الخ ﴾

نعم إن المسألة فيها خلاف ولكن كيف يرد في ديننا مسألة عجب الذنب وبقائه وكيف يكون هذا القول حاصلا عند البراهمة قبل آلاف السنين وأن العلم في ذلك المخزن واذن يكون الباقي هو العلم لانفس العجب . إذن عجب الذنب رمز الى العالم والعالم في النفس تبقى معها . فالروح باقية وعالمها باقية واذن يكون علم الهنود في هذا سر هذه المسألة ويزول الخلاف . وعندى أن هذه وحدها تعجب المجهزات فهذا القول لم يسمع به المسامون في العصور الأولى ولا المتأخرة . وقد عثرت عليه مصادفة وأنا أقرؤه في الكتاب وجاء في هذا الكتاب أيضا أن ذكر اسم الله وتكراره في النفس يؤثر في الأعصاب فتتملى بالأوتار بحكم المجاورة فترتق النفس وتعرف ربها . ولكن هم يقولون إن كبح جراح الشهوات لابد منه لأن كثيرا من الناس بالذكر يصلون الى الله ولكن الوصول ناقص لأنهم يحبون الدنيا فلا بد من احتقار الدنيا وحصر الحب في الله وحده . ههنا ظهرت صفة العلم في هذه الدنيا

﴿ صفة العلم في هذا المقام ﴾

إن النفس الانسانية بالتبذير والذكر وحصر الفكر والتفكير وقوة الإرادة المكتسبة قد تفصل الى الله أو تتحكم في الجسم كما تشاء أو تنفع الناس بعلمها ومواهبها . يظهر أن الله قد أعطانا هذه القوة وقال لنا سأظهر ماذا تصنعون ونحن منا من جعل ذلك سببا لرفع نفسه ورفع الانسانية ومنا من جعلها للذاته وشهواته هذا هو حل المشاكل التي كانت أمامي فلقد سألت شاب مهذب ذكي من مدينة (تيطوان) من بلاد مراکش قائلا . لقد شهدت جماعة ببلادنا لهم رئيس كبير وهو وأتباعه وأشياعه يجتمعون في مكان خاص ويوجهون همهم الى أمر واحد فلا يلبثون حتى يروا واحدا منهم ارتفع الى أعلى المنزل وهؤلاء لاصلاة لهم ولا زكاة ولا حجاج ولا طهارة . وإذا أهدهم أحد كبشا من الضأن أو تيسا من المعز لم يذبحوه بل يخرقون بطنه بسكين ثم يتلقفونه ويأكلونه . ثم قال فهذه القوة الخارقة للعادة ليست عندنا نحن المصلين فلا أدري أنحن على الحق أم هم . لهذا أطلت في هذا المقام وأنتيت بزبدة علوم الأمم قديما وحديثا هنا قائلا للسامعين وجميع المتعلمين ان روح الانسان فيها قوة إلهية كما رأيت بالبرهان في هذا المقام وهذه القوة بحصرها تفعل الأعاجيب ولا تتوقف على دين بل هذه القوة كامنة في النفس تظهر في الوثني والمتدين بل ربما ظهرت في الوثنيين أكثر ذلك لأن الدين جاء لمنع اخراج هذه القوة وبعثتها فيما لا يفيد وماذا يفيد الانسانية من أمور مثل هذه وما هذا إلا ضرب مثل من السحر لأن السحر يرجع همه الى تأثير النفس تأثيرا سافلا . فههنا انصرفت النفس

الى تعطيل قواها وملكانها في هذه الحياة فانبعث قوتها الى الشعوذة والشعوذة وهذه نفس معدبة في هذه الحياة وبعد الموت لأنها عالة على الأمم ضالة . فهذه القوة التي ارتفع بها أحد المجتمعين هي نفسها التي صرفها المؤلفون والمدرسون والصانعون والمهندسون في منفعة الأمم ولهذا جاء الدين . الله أرسل الأنبياء للناس بروحي وقوة قدسية وقال للناس فكروا واعتقلوا وإياكم أن تبعوا الكهانة لأن الكهان يوجهون همهم الى الاخبار بالغيب واعلام الناس بحوادث تافهة منها الصادقة والكاذبة ومن هذه الكهانة ماورد على ألسنة بعض الذاكرين الذين اتبعوا طريقا من طرق الصوفية فهو لاء ربما يرد بخواطيرهم ويظهر على ألسنتهم بعض حوادث الناس فيظنون هذا وصولا لله وماهو بوصول ولكن هذه قوى كانت كامنة فظهرت لتقويهم على العباداة لا لتكون آلة للشهوات فاذا اتخذوها صناعة وصاروا على الناس عالة أصبحوا شياطين ضالين كما نص عليه أكابر الصوفية وراه ظاهرا في كتبهم وبهذا ظهر الأمر واتضح وتحقق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فالأنبياء جاؤا لانتقاذ الناس من أمثال هذا ووجهوا الناس الى كشف قواهم التي بها يساعد بعضهم بعضا وهي العلوم والصناعات . فاما أمثال هذا فهو المسمى سحرا أو شعوذة أو شعونة

إن في نفوسنا قوة كامنة يظهرها مؤثرات عليها كما ترى في التنويم المغناطيسى وكيف يصبح الانسان عند تنويمه في الدرجة الأولى عالما بأمور يجهلها في اليقظة وفي الدرجة الثانية عالما بأمور يجهلها في الدرجة الثالثة يخاطب الأرواح ويكلمهم ويتصرف في جسمه كأنه غريب عنه ويساعد الأطباء في قطع عضو من أعضائه وهو ضاحك مستبشر . كل ذلك تقدم في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر - فهذه القوة النفسية ظهرت بالتنويم المغناطيسى وهو نوع من السحر ولم يخلقنا الله في الأرض لفعل ذلك بل خلقنا لتقوى إرادتنا وندرس العالم الذى نحن فيه لتزيد قوتنا المتخزة العظيمة . ومن هذه القوة ما ذكره العلامة الرئيس ابن سينا أن القوة الروحية في الانسان قد تظهر فيخبر بأمور غالبية أو يقوى على أعمال جسمية . أتول وهذا حق كما تبين لك في مسألة (طهارا بك) المذكورة فيما تقدم . وقد ذكرى هو أيضا أن الترك اذا أرادوا أن يستنبخوا عن الحوادث المستقبلة يضعون رجلا معروفا عندهم باستعداده لذلك ويشربونه بحبل ويذهب ويحىء وهو كالمخفق به وزفيره وشبهه مرتفعان حتى يعشى عليه فيخبرهم ببعض الحوادث . وقد يضعون قطعة حبر أسود في كوب ماء ويأمرن صبا مثلا أن يتحدث فيه بعبارة مدة طويلة فيخبرهم ببعض الحوادث . أقول وهذا هو (المدلل) المعروف . وكل هذا نوع من التنويم المغناطيسى . ومن هذه القوة ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته قال ﴿ وبالغرب صنف من هؤلاء المتخيلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون (بالعاجين) وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فينخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأغنام يهرب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متسعون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكم - . لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه وأخبرنى أن لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية وإشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الجزيرة) يتدارسونها ﴾ ثم قال ﴿ وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعابناها من غير ريبة . هذا شأن السحر والطلسمات في العالم ﴾ انتهى ما قاله ابن خلدون

أقول وهذه الطائفة بعينها التي تقدم ذكرها في مقال الشاب المراكشى المتقدم فان هؤلاء يجلسون ويبيعون الغنم ويتكلمون على الأئمة في احضارها بطريق أنهم أولياء أو عندهم سر . فالمرجع في هذا كله للنفس الانسانية فيها قوة كامنة إلهية ان حركناها بعد استخراجها للخير نفعنا بالعلوم والصناعات وان حركناها بعد استخراجها للشر فعلت كما يفعل الناس اليوم في التنويم المغناطيسى إذ يأمرن النائم (بالفتح) أن يقتل

زيدا في وقت معين فإذا استيقظ وبدد في نفسه الميل للقتل في نفس الوقت وهذا أمر معلوم مشاهد . ولا فرق بين هؤلاء البعاجتين وبين لا تخبرين ببعض الغيب كل عنده قوة حركتها الى ما لا خبر فيه . ولكن العلم في عصرنا الحاضر استخرج قوت الطليعة قبل أن يبعج بقوته الروحية بطن الفهم أهلكوا بقوة السلاح الأمم بالقوة الخفية يجب توجيهها الى العاوم المعروفة الآن لأنها ترقى الأشخاص والأمم . فأما فعل السحرة وصغار الصوفية فهو فسق وجهل بين وقد وقعت الأمم فيه . ومعلوم أن الخوارق للعادات إما معجزة لشيء أوكرامة لولي أو استدراج لفاسق أو معونة لعاص ولذلك قال تعالى - وما ترسل بالآيات إلا تخويفا -

ومما مثل القوى المتقدمة إلا كمثل الحرارة والحركة والمغناطيس والكهرباء اللاتي اتضح شرحها في سورة الرعد فهذه ينقلب بعضها الى بعض فالحرارة تنقلب حركة والحركة كهرباء وهكذا وهي شئ واحد هكذا قوة النفس إن وجهت الى المنفعة أعطاه الله معجزة لشيء أوكرامة لولي . وبالعكس المعونة لعاص والاستدراج لفاسق كما تقدم . وقد وقعت الأمم الاسلامية المتأخرة في هذه الورطة وصار الناس فرقا منشاكسين لأنهم جهلوا أصول العاوم ولم يفرقوا بين التصوف الصحيح والتصوف المزيف الكاذب . وههنا سألت بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيئا مما دخل من البدع في عاوم المسلمين من الباطنية ونحوهم حتى نتصور ونميز الفت من السمين . فقلت أنا سأذكر لك ﴿ ثلاث مسائل ﴾ من أفعال المضلين ﴿ المسألة الأولى ﴾ مذهب الباطنية الذي تغفل في بلاد الاسلام واتصل من العصور الأولى الى الآن ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكلام على نظام الملك والوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضحها للمسألة الأولى ﴿ المسألة الثالثة ﴾ زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وان هذا مسبب عن المسألتين السابقتين . وسترى الكلام على هذه المسائل في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - انتهى الكلام على الطيفتين الثانية والثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة الجمال والبهاء والحسن والسحر الحلال في قوله تعالى - وإذا قرأت القرآن

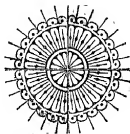
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا - ﴾

اعلم أن الحجاب ﴿ خمسة أنواع ﴾ حجاب جسمي . وحجاب خلق . وحجاب عقلي . وحجاب علمي . وحجاب ديني . أما الحجاب الجسمي فإن الانسان اذا كان ضعيف الجسم خائر القوة مريض لم يفقه العلم بل نتجه قواه لاعام ناقص من قوة الجسم فلا تنفرغ لعمل ولا تنصت لعلم ولا تستلذ بالحكمة ولا تنش ولا تبش للحكماء وهذا يفهم من قوله تعالى - وزاده بسطة في العلم والجسم - فكأن فيه اشارة الى أن بسطة الجسم قد توافقي بسطة العلم . وأما الحجاب الخلق فهو ما يعترى الناس من الشهوات وأنواع العداوات فتشغل النفس عن العاوم وتصد عن سبيل المعارف بما ملئت به من الحسرات على ما فات ومن الندم والألم وهكذا الآمال الكثيرة التي تستغرق أمر النفس وتوقعها في اللبس وتمككها وتخرفها عن دائرة الحكمة وسواء السبيل وهذا قوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - . وأما الحجاب العقلي فهو ذلك النقص الذي يخلق مع الانسان في مبدئ حياته وأول نشأته بحيث يكون قليل التمييز ضعيف الفكر فقل هذا لا ينفعه تعلم المعامير ولا يرفعه تهذيب المبادئ ولكن هذا النوع نادر أو قليل وهذا معنى قوله تعالى - فانها لا تعي الأبصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور - . وأما الحجاب العلمي فهو ما يعترى به الانسان من الشهادات الراسية والمناصب العلمية والاجازات الفنية ومدح الناس وثناؤهم عليه والتصدر للفتوى ونحو ذلك فيظن انه قد كملت نفسه وفاق الأقران علمه . فهناك لانسكان تقبل نفسه علم العلماء ولا حكمة الحكماء وهؤلاء يقول الله فيهم - فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا لا يستنزلون -

فيا حشرة على من طبع الجهل على قلبه وختم الغرور على سمعه وبصره فعبي عن حقيقة نفسه فصار من

الجاهلین المالكين والله تعالى يقول - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها - فاذن أكبر مصيبة وأجل رزية نعتال النفوس وتحصد الرجال الشهادات الدراسية من المعاهد العلمية والمدارس النظامية فهي حجاب بين العقول وارتقاء العلوم وقد يفتّر المرء بعلم من العلوم كالخو والصرف والمعاني والبيان والبدیع وكالانشاء والتاريخ كاللغة والطب وكلهندسة فيشمخ أحدهم بما حواه من العلم فيكون في ذلك مصرع نفسه وذهاب ألسه

فأما الحجاب الديني فهو ما يعتور القلوب من العمى بالاغترار بمذهب من المذاهب الدينية فيظن الجهول أن دين الله إنما هو في هذا المذهب فيحصر عقله فيه تقليدا لاستاذ ضيق العطن قليل الفطن فيقول مادمت أقرأ مذهب الشافعية أو الحنفية أو الزيدية أو الشيعية أو غيرهم فاني قد قضيت واجبي وأطعت خالقي . وما عرف المسكين أن ما قرأه إنما هو بعض الدين لا كله وإن أصل الدين الوقوف على جمال هذا العالم ونظامه إذ ذلك به زيادة التوحيد وبه اليقين وبه شكر الله تعالى فلا شكر إلا بعلم وأجل العلوم معرفة هذه الدنيا ومادروس اللغات جميعها من عربية وفروعها الاثني عشر ونحوها ومن فارسية وتركية وأوردية والإنجليزية والألمانية ويونانية إلا مقتنيات للعلوم . فعالم اللسان مقتنيات لعالم الجنان . وعالم الجنان هي عالم نظام هذه الدنيا من السموات والأرضين . ومادروس الفقه إلا لنظام القضاء بين العباد لنظام هذه الدنيا فمن جعل حياته وقفا عليه فقد باء باسم عظيم إذا كان عنده استعداد للعلوم . فهذه كلها حجب أسدلت على عقول طوائف من المساكين منذ تسعة قرون فكان ما كان وهذا أوان اشراق شمس المعارف في بلاد الشرق . انتهى تفسير سورة بنى اسرائيل



﴿ سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

﴿ المناسبة بين سورة الاسراء والكهف ﴾

اعلم أن قوله تعالى - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب - متصل بالجد فى آخر سورة الاسراء . يقول هناك - وقال الحمد لله الذى - لم يشغله ولد عن اسداء النعم ولم يعارضه شريك ولم يعوزه ناصر فهناك يحمّد على أنه لا صارف له يصرفه عن القيام بشؤون خلقه وهنا أخذ يتم صفاته تعالى . فهناك صفات الجلال التى يكون بها التنزيه وهنا صفات الجلال وهى ازال الكتاب الموصوف بوصفين وصف سلبى ووصف ايجابى على الترتيب السابق . ومن العجب أن الحمد فى آخر الاسراء مناسب للتنزيه في أولها والحمد فى أول الكهف جاء متما . فالله كامل فى نفسه مكمل لغيره . وهكذا الانسان يجب أن يتشبه بالله فيكون كاملاً مكملًا لغيره وهذه صفات الأنبياء والحكماء والعلماء . وانظر الى الاسراء فأولها تسبيح والى الكهف أولها تحميد والتسبيح مقدم على التحميد كما تقدم فى قوله تعالى فى الاسراء - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - انتهى

والسورة ﴿ قسمان ﴾ القسم الأول ﴿ فى قصة أهل الكهف وما يناسبها من أمر البعث وبقاء الأرواح

﴿ القسم الثانى ﴾ فى قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وذى القرنين

القِسْمُ الْأَوَّلُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ قَبْلَاسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنْشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَمَلَّوْنَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كَيْشِفَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا * فَلَمَّا كَبَخِيعَ تَفَسَّكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَلَبَّوْهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا * أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آتَانَا هَبًّا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَشَّرْنَاهُمْ بِغَلَمٍ أَيْ الْحَزَنِيِّنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هُوَ لَاءَ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

إِلَّا اللَّهُ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُؤَيِّدُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا
 * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِدُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ
 الشَّمَالِ وَهُمْ فِي خَفْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَدِ اللَّهِ فَهُوَ الْمُتَعِدُّ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجَدَّ لَهُ
 وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكُلُّهُمْ
 بِاسِطٌ ذِرَاعَاهُ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَمْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِيتَ مِنْهُمْ رُعبًا * وَكَذَلِكَ
 بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
 يَرْمِئُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا * وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَنفَعُوا أَنْ
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرٌ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا
 رَبُّهُمْ أَعْلَمُ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَسْتَخَذْنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ
 كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَامْتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ
 رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ * فَلَا تَحَارْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
 أَحَدًا * وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ
 وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ
 وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَنْتُمْ مَا
 لَمْ تُبْصِرْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا * وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
 رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ
 مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، هَنْ
 شَاءَ فَلْيُؤْمِنُوا وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَيْشُوا
 بِعُتَاؤِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا فُجُوهٌ وَبِمَسِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَشَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبِيعَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ لَهُمْ تُفَقُّا * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مِثْلًا لِرَجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ
آتَتْهُمَا أَكْلُهُمَا وَلَمْ يُظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن
تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا *
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ
رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ زَيْنَ أَنَا أَفْلَسٌ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يَؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاوًا غَوْرًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِيَّةً عَلَى مَا كُنَّ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرْوَتِهَا يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْغُرُونَهُ مِنْ
ذَوْنِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هَئِلَكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُمْ مِنَ الْمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا * وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُسْتَفْضِينَ فِيهَا يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا * مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَانَتْ تُتَّخَذُ الْمُضِلَّيْنَ عَصُدًا * وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
رَزَعْتُمْ فَعَدُوَّهُمْ قُلْهُمْ يَنْتَحِبُونَهُمْ * وَرَأَى الْخَيْرُ مَوْنَ النَّارِ فَظَنُّوا
أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا
رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا
أُنذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ
يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجِلَ لَهُمُ الْعَذَابُ
بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (عوجا) شياً من العوج والعوج بوزن عنب في المعاني كالعوج بوزن سبب في الاعيان فتقول
في رأيه عوج وفي عصاه عوج (قيا) أى وجعله قياستقيا معتدلاً أوقيا بمصالح العباد (لينذر) الذين كفروا
(بأسا شديدا) عذابا شديدا (من لدنه) من عنده (أجرا حسنا) الجنة (ما كثرين فيه) مقيمين فيه (ما لهم
به) بالولد وباتخاذها أى ان قره لم يصدر عن علم بل هم جهلاء لا يعرفون الأدلة التى توصلهم الى العلم بنفيه
(كبرت كلمة) نصب كلمة على التمييز وفيه معنى التعجب أى عظمت مقاتلتهم هذه في الكفر وهى قولهم اتخذ الله
ولدا وسميت كلمة كايؤمنون القصيدة بها والخصوص بالنم تحذوف وصف بقوله (تخرج من أفواههم) استعظاما
للفعل ولفعول كبرت كبس وقاعله مضمر ميز بالكرة (إن يقولون إلا كذبا) أى ما يقولون ذلك إلا كذبا
(فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثامهم) أى آثار الكفار فكأنك رجس فارقه أحبته فهو هالع
القلب يتعسر ويتساقط حسرات على آثامهم وهو يبتغى نفسه وجدا عليهم وتلهفا فكأنه يشتجر أسفا عليهم
(إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) أى لفرط الحزن والأسف (إننا جعلنا ماء على الأرض) من نبات
وشجر وأنهار وعلماء وصلحاء وكل ماء على الأرض فهو زينة لها بعضها معروف عند العام والخاص والجميع
معروف عند الخواص كالحيات والقارب والحشرات (زينة لها) ولأهلها (البهائم أبهم أحسن عملا) في
فهم مقاصد تلك الزينة وخالقها والآثار المترتبة عليها وهل هناك لها نتيجة في الوجود فيكون الناس محاسنين
عليها وهل هى مثقنة حقاً وصدقا وفي فهم جميع دروسها وهل يأخذون منها ما يكتسبهم ويواسرون شيرهم بالباقي

وهل يعرفون نعمة الله أم هم ينكرونها (صعيدا جزا) الصعيد وجه الأرض والجزر الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء (أم حسبت) بل أحسبت (أن أصحاب الكهف والقيم) الكهف الغار الواسع في الجبل والقيم لوح حجري رقت فيه أسماؤهم كالألواح الحجرية المصرية المشهورة التي يذكر فيها تاريخ الحوادث وتراجم العظماء (كانوا من آياتنا عجبا) أي لانتخب يا محمد أن قصة أصحاب الكهف والقيم المذكورة في كتب الأمم السالفة وبقاء حياتهم أمدا طويلا عجبا بالاضافة الى ما جعلناه على الأرض من زينتها عجبا فليست هي عجبا من بين آياتنا فقط بل زينة الأرض وعجائبها أبدع وأعظم من قصة أصحاب الكهف فإذا وقف علماء الأديان الأخرى على أمثالها فأنا أدعوك وأنتك الى ما هو أعظم منها والنظر في هذا العالم الذي تعيشون فيه لتفوزوا في الدنيا والآخرة بالعلو والجنة . فأما الوقوف على القصص وغرائبها فذلك ليس يكفي الإنسانية في مستقبل الزمان وإنما يقف عندها العامة والخاصة يقرؤن ما نقشته في الطبيعة وهو الموصل الى خيرى الدنيا والآخرة والوصول الى الله . لقد تقدمت في سورة الاسراء أن الحديث المشهور وهو انهم سأله عليه السلام عن الروح وعن ذى القرنين وعن أصحاب الكهف لم يرد في الصحيح فلا يعول عليه . ولندكر لك نبذة صغيرة مما ذكره المفسرون على انه من غير الصحيح لتقف على ما قاله العلماء لمجرد المعرفة * يقال ان النضر بن الحارث كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى جلس صلى الله عليه وسلم مجلسا ليبلغ الرسالة يخلفه النضر ويقول بعد أن يقوم أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه ويحدثهم عن مالوك فارس ثم ان قريشا بعثوه ومعه آخر الى اليهود ليسألوهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فلما وصلا الى المدينة قال الأحزاب ساؤه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسأوه عن الروح وما هو فان أخبركم فهو نبي والافهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة سألا النبي صلى الله عليه وسلم قال أخبركم بما سألتكم عنه غدا ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يذكرون خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة فتش على ذلك ثم جاءه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبه الله إياه على حزنه عليهم وفيه خبر أولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وهو ذوالقرنين

﴿ قصة أهل الكهف ملخصة ﴾

روى أن أهل الانجيل عظمتم فيهم الخطايا وطغت مالوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروهوا على عبادتها الناس فتشدد أكثرهم الجميع في ذلك (دقيانوس) الملك فأراد فتية من أشرف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الدين فنزع نياهم وحلبهم وتوعدهم ولكنه رحم شباههم فأملهم حتى يرجعوا الى رشدهم وانطلق (دقيانوس) الى مدن أخرى ليأمرهم بعبادة الأصنام أوليقتلوا . أما الفتية فانهم انطلقوا الى كهف قريب من مدينتهم المسماة (أفسوس) وهذا الجبل يسمى (ينحايوس) وأخذوا يعبدون الله فيه حتى اذا هجم عليهم (دقيانوس) وقتلهم ماتوا طامعين عابدين وقد كانوا سبعة فلما مروا في الطريق الى الكهف تبعهم راع ومعه كلبه فجلسوا هناك على العبادة والتسبيح وكان أحدهم المسى (تليخا) هو الذي يتنازع لهم أرزاقهم ويوصل لهم أخبار (دقيانوس) وهو مجتد في طلبهم وبقوا كذلك أياما حتى رجع دقيانوس الى بلدتهم وبحث عن عابدى الله يذبهم أو فليسجدوا للأصنام فسمع بذلك (شمليخا) وهو يشتري الطعام في اختفاء فأخبرهم فبيكوا ثم ضرب الله على آذانهم فناموا وتذكروهم (دقيانوس) فهتد آباءهم ان لم يحضروهم فدلوه عليهم في الكهف فتوجه الى الكهف فسدته عليهم ليموتوا واتى الأمر على ذلك . ثم انه كان هناك رجلان مؤمنان في حاشية الملك (دقيانوس) يكتمان إيمانهما وهما (بيدروس) و (يونان) فكتبتا قصة هؤلاء الفتية سرا في لوحين من حجر وجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلتا التابوت في البنيان ليكون ذلك عبرة وتاريجا فيما بعد . ثم مضت قرون تبتعتها قرون ولم يبق لدقيانوس ذكر ولا اثر وملك

البلاد ملك صالح يقال له (بيدروس) و بقي ملكه ٦٨ سنة وانقسم الناس في أمر البعث ففرقتين كافرة ومؤمنة
 ففرن الملك حزنا شديدا وتضرع الى الله تعالى أن يرى الناس آية حتى يعلموا أن الساعة لا ريب فيها . وانفق
 إذ ذاك أن راعيا اسمه (أولياس) خطر له أن يهدم باب هذا الكهف ويبني به حظيرة لغنمه ولكن الله لم يمكنه
 من رؤيتهم فلما فتح الكهف استيقظوا جميعا فجلسوا مستبشرين وقاموا للصلاة ثم قال بعضهم لبعض كم لبثتم
 نياما - قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدهم بورقة من هذه الى المدينة فلينظر أيا
 أركي طعاما الخ - فذهب تلميذا على عادته يشتري الطعام ويتلطف في السؤال متخفيا حذرا من (دقيانوس)
 فلما خرج تلميذا من باب الكهف عجب من الحجارة التي حوله وذهب الى المدينة فرأى جميع معالم متغيرة
 أما الخيام فانها تكياهمهم * وأرى رجال الخبيث غير رجالها

وسمع اسم المسيح ينادي به في كل مكان فقال عجبا لم لم يذبح (دقيانوس) هؤلاء المؤمنين ولما تحبر
 قال ربما كنت نائما ولعل هذه ليست مدينتنا فسأل رجلا ما اسم هذه المدينة فقال (افسوس) وأخيرا تقدم
 الى رجل فأعطاه الورق ليشتري به طعاما فدهش الرجل وأخذ يقلبها ويعطيها الى جيرانه وهم يبجبون
 ويقولون هذا كنز عثرت عليه فان هذه التراهم عليها اسم (دقيانوس) وذلك من زمان بعيد فسحبوه
 حتى دخلوا على رجلين يقومان بأحكام المدينة فظن تلميذا انهم أخذوه الى (دقيانوس) فلما عرف انه لم
 يؤت به الى (دقيانوس) سرى عنه الغم وذهب البكاء فسألاه الحاكمان وهما (ار يوس) و (طنطوس)
 أين الكنز الذي وجدت يافتي . وبعد أخذ ورد ذكرهما خبر الفتية (ودقيانوس) وأن أمرهما كان أمس
 ولكنه متحبر في أمره وانكم ان شئتم فها هوذا الكهف فاذهبوا معي فانظروا فيه أبحاثا فقاموا معه حتى
 وصلا الى باب الكهف وتقدمهم تلميذا فأخبرهم الخبر كما فحبوا وعرفوا انهم ناموا ثلثانة وتسع سنين وانهم
 أوقظوا ليكونوا آية للناس ثم دخل (ار يوس) فرأى تابوتا من نحاس مكتوبا مخنوما بنحمت وفيه قصتهم في
 اللوحين المذكورين وملخصها انهم فتية هربوا من (دقيانوس) خوفا على دينهم فسدت عليهم بالحجارة . وقد
 كتبنا هذه القصة ليعرفها من بعدنا نقر (ار يوس) ومن معه سجدا لله وأرسلوا بريدا الى ملكهم الذي
 تضرع لله (بيدروس) أن يعجل واحضر ليرى آية الله في أمر البعث فهؤلاء فتية ناموا منذ (٣٠٠) سنة الخ
 فحمد الملك الله وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة (افسوس) وكان يوما مشهودا . ولما رأى
 الفتية (بيدروس) خروا سجدا لله ثم اعتنقهم وبكى وهم لا يزالون يسبحون الله تعالى . ثم قال الفتية له
 نستودعك الله ونعيذك من شر الانس والجن فرجعوا الى مضاجعهم وتوفي الله انفسهم فأمر الملك أن يجعل
 كل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام رآهم في المنام يقولون له اتركنا كما كنا في الكهف على التراب
 حتى يبعثنا الله فأمر الملك أن يكونوا في تابوت من ساج فجعلوا فيه ولم يقدر أحد بعد ذلك أن يدخل عليهم
 وأمر الملك أن يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلي الناس فيه وجعل لهم عيدا عظيما انتهى

هذا ملخص القصة ذكرتها لك حتى يسهل عليك فهم الآيات والآية ولم يبق إلا تفسير ألفاظها . فهذه
 هي القصة التي كان النصارى يجعلونها دليلا على البعث . فأما القرآن فان الله يقول فيه إن آياتي على البعث
 وعلى بقاء أرواحكم ورجوعها بعد الموت وعلى وجودي ليست قاصرة على هذه القصة فآياتي لا تعد
 والأقلام لا تحصى فلا تقفوا على هذا بل اقرأوا نقوش هذا الوجود لا نقوش أهل الكهف والرقم وحدها فأنتم
 خير أمة أخرجت للناس ونظركم عام في الكائنات لا في مجرد القصص والحكايات وإن كانت فيها دلائل ولكن
 دلائلها أوسع . يقول الله تعالى إذ ذكر يا محمد (إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة)
 أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من
 مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين (فضر بنا على آذانهم) أي ضر بنا عليهم حجابا

يمنع السباع بمعنى أننا أئمانهم ائمانه لانهم فيها الأصوات مخدفة للمفعول الذي هو الخجاب (في الكهف سنين) ظروفاً لضربنا (عدداً) أى ذوات عدد (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم أى الحزبين) الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم منهم ومن غيرهم (أحصى لما لبثوا أمداً) أى لنعلم اختلافاً موقوداً كما علمناه قبل وجوده انه سيوجد (نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق) بالصدق (إنهم فتية) شبان جمع فتى كصبيته جمع صبي (آمنوا) برهم وزدناهم هدى) بالثبوت (وربطنا على قلوبهم) قلوبها بالصبر لحجر الوطن والحال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (إذ قاموا) بين يديه في مدينة افسوس (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) الى قوله (شططاً) أى والله لقد قلنا إذن قولاً ذا شطط أى ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم ثم قال (هؤلاء قومنا) مبتدأ وعطف بيان عليه وخبره (اتخذوا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم بسلطان بين) على عبادتهم بحجة بينة (فن أظلم عن افترى على الله كذباً) بنسبة الشريك اليه . ثم خاطب بعضهم بعضاً لما رحم الملك شباههم وأرجأ أمرهم (إذ اعتزلتوهم وما يعبدون إلا الله) أى واذ اعتزلتم القوم ومعبودهم إلا الله لأنهم كانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام (فأووا الى الكهف) في الجبل الذي هو بالقرب من افسوس (ينشر) ييسط (لكم ربكم من رحمة) في الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أى ما ترتقون به أى تنفعون وذلك لوقوفهم بأن الله معهم لخالصهم وقد فعل الله ذلك بهم إذ أقفل دقيانوس عليهم فم الكهف ليكون ذلك آية (وترى الشمس) أيها الانسان (إذا طلعت تزاو عن كهفهم ذات اليمين) أى تميل جهة اليمين أى الجهة صاحبة اسم اليمين * وقرئ - تزاور - بالتشديد وأصلها تزاور فأدغمت التاء في الزاى (وإذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أى في متسع من الكهف أى انهم في ظل نهارهم لالتصبيهم الشمس في طوعها ولاغروبها وكان باب الكهف في مقابلة نبات لعل فهو الى الجهة الشمالية والشمس لاتسامت ذلك أبداً لأنها لاتصل الى أبعد من خط السرطان وكل بلاد بعده الى جهة الشمال تكون من ورائها لا أمامها فيكون الظل مائلاً جهة الشمال طول السنة كما يعرفه من له أدنى إلمام بعلم الفلك (ذلك من آيات الله) أى شأنهم وإياؤهم الى كف بهذه الصفة وإخبارك بقصتهم ووضعهم في موضع بحيث تزاور الشمس عنهم طالعة وتقرضهم غاربة . كل ذلك من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) أى من يوفقه الله بالتأمل في آياته الكثيرة هذه وغيرها فهو الذي يصيب الفلاح (ومن يضلل) ومن يضله الله ولم يرشده (فلن نجد له وليا مرشداً) معينا يرشده (وتحسبهم أبقاظاً وهم رقود) وتحسبهم أيها الانسان منتهين لأن أعينهم مفتحة وهم نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) أى فناء الكهف أوعتة الباب (لواطلت عليهم) يا محمد (وليت منهم - من فرارا) لما ألبسهم الله من الهيبة (ولمست منهم رعباً) خوفاً بلا صدرك وكما أئمانهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا وهذا قوله تعالى (وكذلك بعثناهم لئلا يئسوا يئسهم) ليسأل بعضهم بعضاً وليشعروا بالبعث (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم) فضحك (أيها أركي طعاماً) أى أى أهل المدينة أحلّ طعاماً لأن منهم مؤمنين يخفون إيمانهم فلنا كل من ذابحهم أو أوجد (برزق) من قوت وطعاماً كالونه (وليتاطف) يترفق في الطريق وفي المدينة (ولا يشعرون) يعلمون (بكم أحداً) من غير المؤمنين (إنهم إن يظهروا عليكم) يعلموا بكانكم (برجواكم) يقتلوكم بالجرأة وهو أخبث القتل أو يعذبوك (أو يعذبوك في ماتهم) كما تقتلهم في أعمال دقيانوس الذي أرجأ أمرهم (ولن تفلحوا إذن أبداً) أى ان عدم اليهم (وكذلك أعثرنا عليهم) أى وكما أئمانهم وبعثناهم اطاعنا عليهم (ليعلموا) أى ليعلم الذين أطاعناهم على حاطم (أن وعد الله) بالبعث (حق) فنومهم كحال الأموات واستيقاظهم كحال البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) وأن القيامة لا ريب في امكانها فن حفظ أجسامهم مدة ثلثمائة سنة ولم تتعفن ثم أيقظهم قادر أن يحفظ الأرواح أمداً طويلاً ثم

يردها الى ابدانها (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) متعلق بأعترأى أطلعنا عليهم يديروس وقومه حين ينازع بعضهم بعضا بعد ما فرحوا وفرح الملك بآية الله تعالى على البعث وذهب ما بينهم من الشقاق في أمر القيامة وحمدوا الله تعالى الى آخر ما في القصة . ففريق يقول بنى عليهم قرية نسكنها . وفريق يقول بنى مسجدا يصلي فيه الناس فقلب هذا الفريق الفريق الآخر في الرأي وبنوا عليهم مسجدا وهذا قوله تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بيانا ربهم أعلم بهم) الى قوله (مسجدا) وقوله - ربهم أعلم بهم - جملة اعتراضية من الله . ولما فرغ من الكلام على القصة وعلى نزاع المتخاصمين فيما بيني عليهم أخذ الله يقص علينا ما دار في زمن النبي ﷺ بعد ما قص ما دار في زمن يديروس الذي بنى المسجد إذ اختلف الناس في عدد أهل الكهف فقال السيد وهو نصراني يعقوي من تبحران انهم ثلاثة ورايهم كلهم وقال العاقب منهم وكان تسطوريا هم خمسة وسادسهم كلهم وقال أصحاب الملك وهم المملوكية سبعة وثامنهم كلهم قطاير وهذا قوله تعالى (سيقولون ثلاثة) الى قوله (مايعلمهم إلا قليل) وقوله - رجبا بالغيب - ظنا بالغيب بغير علم * وروي أن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنا من القليل هم ثمانية سوى الكلب ولم يرد في الصحيح عن النبي ﷺ شئ في هذا دلالة على أن أمر العدد لا يهم والمهم الاعتبار بمجموع القصة وما يكون نافعاً لعقولنا وارتقائنا في حياتنا الدنيا وفي الآخرة . هذا هو القصص الذي طلبوه (فلا تفرق فيهم إلا مرء ظاهرا) أى لتجادل في شأن الفتية لإجلالا ظاهرا غير متعلق فيه فتنص عليهم ما في القرآن من غير تهجيل لهم ولا رد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أى لاستفت في أصحاب الكهف من أهل الكتاب أحدا أى لاترجع الى قول أحد منهم بعد ما أخبرتك وانما كان التمتع غير مرغوب فيه لأن المقام مقام عظات واعتبار فالبعث عن العدد مثلا هل كان (٣) أو (٥) أو (٧) لافائدة من تحقيقه ولا غرض في معرفته . وإذا كانت القصة كلها ليست بالنسبة لآيات الله إلا أمرا قليلا فكيف يكون البحث عن مفصلاتها . إن القصص لم يكن الغرض منها سوى الوعظ وهذه القصة يقصد منها أمر البعث وأمر البحث يعرف بأمر من العوالم المحيطة بك لاتنتهى كما سيأتى بيانه من علم الطبيعة في العلوم الحديثة فكيف تضيعون الوقت في ذلك والوقت يجب أن يوفر للعلوم الطبيعية التي دخلت في ضمن - لما جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - ثم قال (ولا تقولن ألقى) * يقول العلماء رجهم الله تعالى إن هذا تأديب من الله لنبيه ﷺ حين قالت العرب بشارة اليهود ما تقدم من طلب الامور الثلاثة فقال لا تنو في غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله أى ولا تقولن لأجل شئ تعزم عليه إلى فاعل ذلك الشئ غدا إلا حال كونك متلبسا بمشيئة الله أى قائلا ان شاء الله (واذكر ربك) أى مشيئته وقل ان شاء الله (إذا نسيت) أى اذا فرط منك نسيان لتلك أى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تذكرتها فتداركها بالذكر مادمت في المجلس عن الحسن وبعد سنة عن ابن عباس وفي أقرب زمن عند بعضهم والأحكام الفقهية مبنية على أن يكون الاستثناء متصلا

﴿ حكاية ﴾

حكى الله بلغ المنصور أن أباحنيفة رجه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبوحنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالآيمان أفرضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك هذا هو الذى يقصده هذا الذى وشى في اليك فاستحسن كلامه وأمر أن يخرج الطاعن في الامام من عنده . انتهت الحكاية

﴿ وجوه أخرى في الآية ﴾

(١) واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء

(٢) وصل صلاة نسيها اذا ذكرتها

(٣) اذا نسيت شياً فاذكره ليدذكرك المنسى

أقول وهذه الأخيرة جرت بها فتذكرت مانسبت وكان الذكر بلفظ يارب . واعلم أن هذه القصة المذكورة
بجها كما تقدم على أنها ليس الحجب خاصا بها بل أعجب منها عجائب الله في الأرض والسما فها على الأرض
من نبات وحيوان الخ أعجب . وما في الفلك من بهجة أجل وأبهى وأسمى من خوارق العادات في هذه القصة
أوفى غيرها ولذلك أتبعها بما بعده فأمره ﷺ أن يسأله تعالى فقال (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا
رشدا) أى لأظهر دلالة على أني من نبي أصحاب المكيف الذى هو عبارة عن حديث جرى لأهم النصارى
مع ان آيات الله لا تنتهى في أرضه ورجائه فهو قادر أن يعطينى منها مايشاء ولذلك أجب دعاءه حالا وأنزل عليه
(وليثوا في كهفهم ثلاث مئة) وأبدل منها لفظ (سنتين) وقرئ بالإضافة على وضع سنتين موضع سنة التى هى
الأصل في تمييز المائة . يقول الله اخبارا من عنده ولت أهل الكهف الى يوم النبوة المحمدية ثلثمائة سنة
وتسع سنين . ولما سمع أهل الكتاب وهم نصارى نجران ذلك قالوا أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم
لنا بها فقال الله له (قل الله أعلم بما ليثوا) كما قلنا لك من قبل - فلا تمار فهم إلا مرأا ظاهرا - الخ لأن
المقام مقام اعتبار وحكم والمشاغبة والجدال يصعب المقصود من الرسالة ومن العلم . ثم اعلم أيها الفطن أن هذه
مبجزة أهم من ذكر قصة أهل الكهف لأن الله يقول أيها الناس هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم
يدرس علم الحساب والهندسة ولا الفلك من أين جاء له أن كل ثلثمائة سنة تزداد تسع سنين (وبعبارة أخرى)
من أين عرف أن كل مائة سنة شمسية تزيد ثلاث سنين قرية وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد سنة شمسية
وكل سنة شمسية تزيد نحو (١١) يوما . من أين جاء له ذلك وهو لم يدرس ذلك وكيف ينزل عليه لفظ
- وازدادوا - ليفصل بين الزيادة في القمرية والمزيد عليه في الشمسية . هل هذه رمية من غير رام . وإذا
وقف أهل نجران وقالوا لا نعرف التسع ونعرف الثلثمائة أفلا يتفطن الناس لهذا القول ويعرفوا أن هناك معاني
وأن أهل عصر النبوة عجزوا عن فهم مثل هذه الامور . وإذا كان حبر عظيم من أكبر علماء الاسلام كالأعلام
الرازى رحمه الله يقول ان الحساب لا يوافق هذا القول فكيف بغيره من الذين لا علم لهم . فاذا كان فلاسفة
الاسلام وحكاهم يترددون في هذا القول من حيث السنين الشمسية والقمرية ويقولون ليس ذلك حقيقة
فكيف بغيرهم من لا علم لهم بحساب ولا فلك . ولقد أريتك الحقيقة ناصعة كما أثبتتها المحققون وقرأناه في الفلك
وأصبح معلوما مشهورا عند علماء . أفلا تعجب من حكمة عالية وآيات ظاهرة وعجائب باهرة . إذن عرفت
كيف هداه الله لأقرب من هذا رشدا وكيف لفت الأنظار الى علم ماعلى الأرض من زينة لها كضوء الشمس
المشرق على وجهها وحسابها وزينته وماتتج عن الضوء من بهجة الأرض وزينتها لأنه لولا اختلاف الفصول
لم تكن للأرض زينة ولا اختلاف للفصول إلا بتقلب الشمس وطوعها من حيث لا تمسئ وتنقلب في البروج
فهذا التقلب هو الذي يعطي الأرض زينة فها من دابة ولاحيوان ولا جبال إلا وكان أسه ضوء الشمس الذي
أرسله الله الى الأرض كما يرسل نبينا ﷺ ليهدينا للعلم ويقول لنا ان النظر فها على الأرض من زينة الناجم
من ضوء الكواكب أقرب رشدا من قصص الأولين وحكايات الغابرين وان ماترونه في هذه الأرض أبهر
وأجل من كل ما يصدر من خوارق العادات فكيف في العوالم المحيطة بكم من خوارق فهاكم أن تذكروها ابتغاء
مايقع على يدي أنبيائكم وأوليائكم فاني أرسلت الأنبياء ليرشدوكم الى ملكى حتى اني لم أشغلكم بما جاء على
يدي المختارين منكم لأن ذلك يسير بالإضافة الى عجائبي في خلقى وما الأنبياء والأولياء إلا بعض خلقى . فخلق
السموات والأرضين أكبر من خلق الناس . فانظروا فيها هو أكبر والأنبياء ماجوا لكم إلا ليرشدوكم الى وإلى
نظامي وعجائبي فاذا قصرتم عقولكم على بعض مايقع لهم كتم غافلين عما هو أقرب رشدا . وسأني أيضا
هذا المقام فانتظر سيرا تالجب العجائب . واعلم أن هذا ينافي ماجاء في القصة وهو أن ثلثمائة سنة كان آسرها
المعشور عليهم وقت أن بنوا المسجد ولكن القصة فيها تساهل والحكايات يدخلها التحريف فالقول أن المدة

الى زمن النبوة أقرب الى التاريخ وهي المنقولة عن كثير من العلماء ومجربوها ثم قال تعالى (له غيب السموات والأرض) أى ما غاب وخفى فيهما ومن ذلك الغائب على كثير من العقول حساب السنين الشمسية والقمرية غيبه الله عن بعض الناس حتى يطلع عليه العارفون بحساب الفلك فيحسون من أمر بينهم ويهملون أن هذا مبدأ زينة الأرض وزخرفها ويتجسسون ويدرسون العلوم المتعلقة بهذا التي مبدؤها العلوم الرياضية ونهايتها العلوم الطبيعية أى انى أعلم غيب السموات والأرض وغيبها هو ما غاب عن العقول وسأظن لها الأجيال المقبلة حتى يدرسوا الرياضة التي أشرفت لها بالسنين المذكورة ونتيجة الأضواء والشموس زينة الأرض وهي علوم الطبيعة (أبصره وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمع صيغة تعجب من أن الله يسمع ويصير ما لا علم لنا به وهو خارج عن ادراكنا (ما لهم) لأهل السموات والأرض (من دونه من ولي) من يتولى أمورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا . ومثل هذا القول لا يذكر عادة في القرآن إلا عند الأمور العظيمة للتنبيه على ما فيها من خفايا وقد أرشدك الله اليها في هذا التفسير كأنه يقول انظروا في جلال الفلك وحسابه ونتائج الاشراف وجمال زينة الأرض التي جعلتها لكم ابتلاء واختبارا لعقولكم وأعمالكم فتجلبقوا في العلوم لتعرفوني ولتكونوا أقوياء في الأرض

أيها المسلمون . هذا أوانه وهذا أوان ظهور مقاصد القرآن وعلومه وقد أرشد الله كتاب الاسلام أن يظهر الله على أيديهم غرائب القرآن لتنجيهم الى عجائب ربكم في أرضه وسماؤه والله ولى جيد . واعلم أن الكلام على ما رزقت به الأرض المذكور في أول السورة جاء في ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ قصة أهل الكهف وانها أقل عجايب من زينة الأرض وما عليها

﴿ الفصل الثاني ﴾ حساب السنين الشمسية والقمرية وجمالها وبدائها وهذا أول قطرة من بحر الزينة الفاضل وهي جملة وقدمت لأنها أصل ما على الأرض كما تقدم في أن النيل والفرات جآ من الحركات الدوامة ﴿ الفصل الثالث ﴾ إيضاح المقام بذكر أن القلوب ﴿ قسبات ﴾ قسم غافل وقسم مستبصر والمستبصرون يفكرون والغافلون يطلبون الزينة المذكورة في أول السورة للشهوات والحياة الدنيا الى قوله - وساء مر تقا - ﴿ الفصل الرابع ﴾ دخول في المقصود فعلا وإيضاحه بضرب مثل لرجلين فأحدهما له بستان والآخر لا بستان له واغترار الأول وتبصر الثاني . فهذا بيان لمن غفل قلبه فتعلق بظاهر الزينة ومن فكر قلبه فعرف حقائقها وفناءها الى قوله - وخير عقبا -

﴿ الفصل الخامس ﴾ في استخراج النتيجة كما هي والرجوع لأول السورة إذ ضرب مثل الدنيا مثل النبات يخضر ثم يصير هشيا تذروه الرياح وأن المال والبنين كالنبات كلاهما متاع الحياة الدنيا ذاهب أيضا كما يذهب النبات فالمدار على الحقائق لا المظاهر . ثم أتبع ذلك بذكر خراب الأرض وذهاب الجبال وقراءة الناس كتبهم وذكر إبليس وعصيانته الذي هو أصل هذه الأخلاق وأن هؤلاء الضالين المضلين ومن تبعهم لا يعرفون سقائى الأشياء في السموات والأرض الى آخر ما سأتى

﴿ تفسير كلمات الفصل الثالث ﴾

قال تعالى (من كتاب ربك) القرآن (لا مبتل لكماته) لا أحد يقدر على تغييرها (ملتجدا) متجبا تعمل اليه ان همت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (بالغداة والعشي) أى في جميع أوقاتهم أوفى طرفى النهار (يريدون وجهه) رضا الله تعالى (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تتجاوزهم عينك * يقال عداه جاوزه ولكن عدى هنا بمن تضمن معنى نبا يقال نبت عنه عينه اذا لم تبصره (يريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر كأمية بن خلف لما دعاك الى طرد الفقراء من مجلسك ليحل محلهم صناديد قریش (وانبع هواه) في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) مجاوزا الحق

مخالفاته (وقل) يا محمد (الحق من ربكم) الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لا أبالي بإيمان من آمن ولا بكفر من كفر (أعدتنا) هيئاً (سرادقها) فسطاطها فقد شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق أو السرادق السخان لأنه محيط بالنار وبهم فيها فهو كالفسطاط من وجه الشمول والاحاطة (وان يستشيوا) من العطش (كلهم) هودردى الزيت أو ما أذيب من الجواهر المعدنية كالزجاج والنحاس (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حره (بأس الشراب وساءت) فصلا من اللذم والمخصوص بالذم المهمل والنار (مرتققا) متسكاً بجىء به لمشاكاة قوله - وحسنت مرتققا - فى الجنة (إنا لانضيق أجراً من أحسن عملاً) أى لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة (أولئك هم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) خبر - إن الذين آمنوا - وجلة - إنا لانضيق أجراً من أحسن عملاً - اعتراضية وقوله (يحاول فيها من أساور من ذهب) خبر ثان من الأولى ابتدائية والثانية للبيان بين الأساور بأنها من الذهب أى أساور كانت من ذهب وهى جمع أسورة جمع سوار (وبلبسون ثياباً خضراً) لأن الخضرة أرفق للإبصار ولذلك جعلها الله عاتمة فى النبات وزين بها الأشجار كما لون السماء بالزرق وهما معا مقبولان نافعا لالإبصار الحيوان (من سندس وإستبرق) مارق من الديباج وما غلظ منه (متسكئين فيها على الأرائك) السرر (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الأرائك (مرتققا) متسكاً . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع . ضرب المثل ﴾

قال تعالى (واضرب لهم مثلاً) للكافرين والمؤمنين والمتبصرين والغافلين أى وبين لهم الخ صفة (رجلين) أخوين فى بنى إسرائيل أو من مكة (جعلنا لأحدهما جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم (وحففناهما بنخل) أى وجعلنا النخل محيطاً بهما * يقال حفوه إذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد وتزیده الباء مفعولاً ثانياً (وجعلنا بينهما زرعاً) أى جعلناهما أرضاً جهت القوت والغلبة وهى متواصلة متشابهة فليس هناك ما يقطع شكها الحسن الجليل البهيج (كلتا الجنتين آتت) أعطت وجاء الخبر على لفظ - كلتا - وهو مفرد ويصح أن يراعى المعنى فى اللغة (أكلها) ثمرا (ولم تظلم منه شيئاً) ولم تنقص من أكلها شيئاً . ثم ذكر ما هو أصل هذا الخبر والبهجة فقال (وجفونا خلاهما نورا) ليدوم شربهما وتظهر بهجتهما ووجود النهر مما يجعل الثمر لا ينقص (وكان له ثمر) أى وكان لصاحب الجنتين مال سوى ما فى الجنتين * يقال ثمراله إذا كثره فهو الأموال الكثيرة المثمرة من الذهب والفضة وغيرها (فقال له صاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام يقال حار يحور إذا رجع * يقال إن هذين الرجلين هما قطروس وهوكافر ويهوذا وهو مؤمن وراثاً من أبيهما ثمانية آلاف دينار فنشاطرا فاشتري الكافر بها ضياعاً وعقاراً وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل أمرهما إلى محاكاة الله أوهما أخوان من بنى مخزوم ولا يهمننا شئ من ذلك لأن الآية تسرى على كل اثنين هذه صفتها وهذه حال عاتمة والناس فى كل جيل يحسون بهذه المعاني ويتعالى الفنى على الفقير غرورا وجهالة ولو كانا مؤمنين على سبيل العقلة والمؤمن قد تكون له جهالة تنسبه الآخرة وإيمانه لا يمتعه من الغفلة . فقال صاحب الجنة لصاحبه (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) حسداً وأعاوناً وأولاداً ذكورا لأن هؤلاء ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها (وهو ظالم لنفسه) ضار لها ببغبه وبكبره وكفره (قال ما أطئن أن تبعد) تنفى (هذه) الجنة (أبداً) أطول أملة وتمادى الغفلة (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت إلى ربي) بالبعث كما رجعت (لأجدن خيراً منها) أى يعطينى هنالك خيراً منها وهو لم يعطينى هنا إلا لأنه يعطينى هناك (منقلباً) مرجعاً (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) كيف تقول - وما أظن الساعة قائمة - (أكفرت بالذى خلقك من تراب) وذلك التراب تغذى به وبماء النبات والحيوان فأكله أبوك فولدك وأكلته أنت فكان منه السم فصرت بشراً سوياً وهو قادر أن يخلقك مرة أخرى

كما خلقك هذه المرة بهذا النظام وهذا قوله (ثم من نطفة ثم سوّك رجلا لکنا) أى لكن أنا خلقتك هذه المرة بنقل حركتها الى ما قبلها وحصل الادغام * وقرئ - لكن أنا - على الأصل (هو الله ربى) الضمير للشأن (ولا أشرك برى أحدا * ولولا) هلا (إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) أى الأمر ما شاء الله مبتدأ وخبر أو ما شاء الله كان على أنها شرطية (لاقوة إلا بالله) اقرارا بأن عمارتها لم تكن بقوتك بل بقوة الله (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) ولذلك تكبرت على (فعسى ربى أن يؤتین خیرا من جنتک) فى الدنيا والآخرة (ويرسل علیها) على جنتک (حسابنا) جمع حسابانة أى صاعقة (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض فهو مصدرا وصف به (فلن تستطيع له طلبا) أى للماء الغائر . فليخص المحاورات ﴿ ثلاث ﴾ الافتخار بالمال والأعوان والأمل الطويل ببقائها وانكار الساعة . هذه هي المقالات التي قالها الكافر والاجابات ثلاث على نظام عكسى إذ قال صاحبه - أكفرت بالذى خلقك - الخ ردّا على الثالث وقوله - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله - ردّا على الثاني وهو - قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا - وقوله - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا - ردّا على قوله - أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا يقول له هذا لا يدوم وزخرف الحياة ذاهب لبقاء له وكل هذا تطبيق على القاعدة التي فى أول السورة . ثم تمّ مقال له صاحبه إذ هلك عمره قال تعالى (وأحيط بخرقه) أى أهلكت أمواله أى أحاطت الهلاك بخر جنّيته فوقعت عليها نار من السماء وغار الماء (فأصبح يقلب كفيه) أى يصفق بكف على كف أو يقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) أى فأصبح يندم على ما أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) أى ان عروشها سقطت على الأرض وسقطت الكروم عليها وهو يقلب كفيه (ويقول ياليتنى لم أشرك برى أحدا) هناك تذكّر موعظة أخيه (ولم تكن له فتى) جماعة (ينصرونه من دون الله) ينصرون على نصرته فيدفعون عنه الهلاك (وما كان منتصرا) أى تمتنعا بقوته عن انتقام الله (هنالك) فى ذلك المقام (الولاية لله الحق) الولاية بالفتح النصره والتولى وبالكسر السلطان والملك فهناك النصر بيد الله فلا فتنة ناصرة أو السلطان والملك له فهو الغالب فغلبه النصر له السلطان وحده (هو خير ثوابا) أى أفضل جزاء (وخير عقبا) أى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره . وهذا نهاية الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس ﴾

قال تعالى (واضرب لهم) أى بين لهم (مثل الحياة الدنيا) أى صفها الغربية أو بين ما تشبهه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرورها . مثلها كائن (كأنه أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض) فاختلف بعضه ببعض وتكاثر بسبب الماء (فأصبح هشيما) يابس متكسرا واحده هشيمة (تذروه الرياح) أى تنسفه وتطيره (وكان الله على كل شئ مقتدرا) فهو قادر على الافناء والانشاء . شبه الدنيا فى نصرتها وهيجتها ثم تصير الى الزوال بحال النبات اخضرّ والنفّ وأزهر ثم صار هشيما تذروه الرياح . ثم أخذ يبين المقصود من ضرب المثل فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لا تنفع فى القبر ولا يوم القيامة . وهنا أوضح المقصود من هذا الكلام فقال (والباقيات الصالحات) أعمال الخيرات التي تبقى ثمرتها للإنسان كالصالحات والصدقات والجهاد والحج وفعل البرّ ومساعدة المساكين جميعا . ومن الباقيات الصالحات ﴿ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ وغيرها وكل كلمة طيبة (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) جزاء (وخير أملا) ما يؤمله الإنسان . فانظر كيف يقول فى أول السورة - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ويدم هنا المال والولد لأنهما من تلك الزينة فالكلام مرتبط بعضه ببعض أيما ارتباط . ثم أخذ سبحانه يزيد المقام إيضاحا فقال (و) اذكر (يوم نسير الجبال) نذهب بها فنجعلها هباء منثورا (وترى الأرض بارزة) ليس عليها ما يستريحها مما كان عليها من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أى الموقى (فل تغادر منهم أحدا) أى فلم نترك أحدا

يقال غادره فتركه (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين لا يحجب أحد أحدا خلفهم أشبهت حال الجند الذين يعرضون على السلطان وقد قلنا لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) عراة حفاة لا شيء معكم من المال والوالد (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يقول ذلك يوم القيامة لمسكرى البعث . فهنا سيرت الجبال وبرزت الأرض وحشر الناس عراة بعد ما استبان أن الدنيا لاقيمة لها وذلك على الترتيب الطبيعي ولم يبق إلا عرض الأعمال ولذلك قال (ووضع الكتاب) صحائف الأعمال في إيمان قوم وشكائ آخرين (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا) يا هلاكنا كما هو شأن من وقع في الهلاك (ما لهذا الكتاب) يتعجبون من شأنه (لا يفاد صغيرة ولا كبيرة) أى أى هنة صغيرة أو كبيرة من ذنوبنا (إلا أحصاها) إلا عدّها وأحاط بها لأننا قدّمنا أن النفس أشبه بالزجاجة التى يضعها المصور في صندوق الآلة المصورة فشكل صورة تقع عليها تحفظها . فهكذا نفوسنا نلتقط كل شئ تحصل عليه من ضار ونافع فاذا كشف الغطاء أبصرنا كل ما عملنا ورأينا صورنا بحالها فتظهر لنا جميع الحسن وجيع الرذائل فتفعل في عقولنا فعلها بلا كلام ولا كتابة وكل امرئ يقرأ هذه الكتابة والناس فيها سواء (ووجدوا ما عملوا حاضرا) كيف لا وهو مرسوم واضح (ولا يظلم ربك أحدا) ومن أين يأتي الظلم اذا كانت المسألة صورا مرسومة في قوالب حافظه لها فليس يمكن الانسان دفعها ولا ظلم في ذلك كما لا تعدّ التخمّة بعد الأكل الكثير طعاما ولا المرض بعد الشرب من ماء آسن مملوء أدرانا ظلمنا بل نرى ذلك أسبابا ومسببات . وهنا انتهى مبحث الانسان في دنياه وآخرته ولما كان ذلك نابعاً لعالم أظف من عالمنا وكان للشياطين مدخل في كل ما تقدم أعقبه بذكر ابليس وعصيانته الذى هو قسوة هؤلاء فقال (و) اذكر (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) لأنه (كان من الجن فسقى عن أمر ربّه) يفرج عن أمر ربّه بترك السجود ولو كان من الملائكة لسجد وقد شرحنا هذا الكلام مرارا في سورة البقرة وفي غيرها فالرجع إليها ان شئت . واذا كانت هذه حاله وقد عصى أن يسجد لأبيكم آدم كما رأيت الآساد والنور والحيوانات المحدنة للطاعون خلقت لا يذائكم . فجبّا لكم كيف تتخذونه وذريته أولياء تولونهم وهذا قوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) أى اتغفلون وتجاهلون فتبدلونهم بى (وهم لكم عدوّ) أى أعداء والجلّة حالية (بئس للظالمين بدلا) أى بئس ما استبدلوا ولاية الله بولاية الشيطان . ولا جرم أن عالم الأرواح فيه الأخيار والأشرار والأشرار يلحقون بعالم الجن والأخيار بعالم الملائكة وسترى بعضه قريبا كما تقدّم غير مرة فالأرواح الطيبة كالأنبياء والحكماء والملائكة يطلعهم الله على بعض أسرار خلقه والأرواح الشريرة من الناس الذين هم أحياء والذين ماتوا ومن نخا تحوهم من أرواح الشياطين يحجبون عن تلك العوالم وهذا المقام أوضحناه في سورة البقرة أى مقام الملائكة والشياطين ونحوها وهذا قوله (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) فهم لاعلم عندهم والذى لاعلم عنده بالحقائق كيف تبعونه وتعاملون بما يوسوس به اليكم والمتبوع يجب أن يكون ذا بصيرة ولا بصيرة هؤلاء كما نرى ذلك عيانا في الدنيا . فالشياطين المحسمة تراهم لا يعرفون شيئا من هذا الوجود إلا طعامهم وشرابهم هكذا ابليس وجنوده فليس لهم تلم إلا بالامور التى تحوم حول الاضلال والزخارف (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى أعوانا وأنصارا وهم الشياطين فكيف اتبعوهم أو عبدوا الأصنام على مقتضى وسوستهم (و) اذكر (يوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم شركائى (فدعوهم) فاستعانوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يغشوهم (وجعلنا بينهم موبقا) أى جعلنا بينهم وبين آلهتهم مهلكا مهلكا فيه وهو النار (ورأى المجرمون النار فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) داخوها وواقفون فيها (ولم يجدوا فيها مصرا) أى معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب . وههنا وصل القول الى آخر الأحوال الانسانية . غرور بالحياة وزوال وموت وزوال الجبال وبرزت الأرض وحشر وعرض وهم حفاة عراة وكتاب يقرؤنه وحرق المجرم وحضور جميع الأعمال ووسوسة

الشياطين وتوبيخ على اتباعهم وجهلهم وتجربتهم من العلم ودخول النار والهلاك فيها . وهنا قد تم كل ما يتعلق بالإنسان وأصل هذا كله - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وهنا أخذ يصف القرآن وآثاره لأن هذه الفصول المتتابعة حوت عاما جاسا نبشك بعضه فيما يأتى فكأن جديرا أن يوصف القرآن بقوله تعالى (ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أى بيّنا فيه من كل وجه من وجوه العبر والعلم والمثل هو وصف فيه غرابة (وكان الإنسان أكثر شئ جدلا) خصومة بالباطل وجدلا تمييز (ومانع الناس أن يؤمنوا) أى من الايمان (إذ جاءهم الهدى) وهو الرسول والقرآن (ويستغفروا ربهم) من الكفر والذنوب (إلا) طلب أوتانتظار (أن تأتيهم سنة الأولين) أى سنتنا فى إهلاك الأولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال وابتدئهم (أو تأتيهم العذاب قبلا) أى عيانا أوجع قبيل أى أنواعا . ولما كانت الهداية بالقرآن والرسول هو الذى أنزله الله عليه قال بعد أن وصف القرآن (وإن ترسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات كأن يسألوا عن أصحاب الكهف ونحوهم تعنتا مع ان الأنبياء لم يرسلوا لهذا أى لم يرسلوا للبحث عن غرائب التاريخ ولا غيرها ولكنهم جاؤا ليدرّبوا الناس على العلم من طريقه وطرقه فى النظر فى الذى فوق هذه الأرض من عجائب فيليرسوها ولا يتخذوها للشهوات فحسب ثم ليتزوّدوا من الدنيا ليسافروا الى الآخرة . هذا هو المقصود وقد تقدّم ذلك . فهؤلاء الكافرون يجادلون بالباطل (ليدحضوا به) أى ليزيلوا بالجدال (الحق) واتخذوا آياتي وما أنذروا) أى وإنذارهم (هزوا) أى استهزاء (ومن أظلم من ذكر آيات ربّه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكرها (ونسى ما قدمت يداها) من الكفر والمعاصى ولم يفكر فى عاقبة ذلك أى لا أحد أظلم منه ثم بين سبب ذلك فقال (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أعطية (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) أى قلا وصمما (وإن تدعهم) يا محمد (الى الهدى) فى الدين (فلن يهتدوا إذن أبدا) وذلك فيمن علم الله انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذوالرجة) الموصوف بها (لو يؤخذهم بما كسبوا لجلّ لهم العذاب) كما فعل مع قريش إذ أمهلهم مع كفرهم (بل لهم موعد) هو يوم القيامة (إن يجعدوا من دونه موثلا) ملجأ (وتلك القرى) أى قرى قوم نوح وعاد وثمود الخ (أهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى أجلا لاهلاكهم . انتهى التفسير اللفظى للتقسيم الأوّل مع بعض تحقيق وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى ملخص هذا القسم وبعض مباحثه ﴾

لقد علمت أن هذا القسم من السورة أصل وخسة فصول . أما الأصل فهو - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب - الى قوله - أسفا - . وأما الفصول الخمسة فقد بينا انها (١) قصة أهل الكهف (٢) وحساب السنين (٣) وبيان القلوب الفاضلة وغيرها (٤) ومثل الرجلين المتحاورين (٥) ومثل الحياة الدنيا وقد تقدّم ذلك فلنبدا الكلام على الأصل الذى بنيت عليه تلك الفصول فأقول

ليكن الكلام عليه من وجوه

- (١) وجه اتصال السورة بما قبلها فوق ما تقدّم فى أول السورة
- (٢) وبيان الحمد فيها والسور التى فى أولها الحمد وما قصد من ذلك
- (٣) وبيان أن ماعلى الأرض زينة لها

﴿ الوجه الأوّل اتصال السورة بما قبلها ﴾

(١) لقد تبين فيما تقدّم أن سورة الاسراء بدئت بخلاص أكبر نفس بشرية من علائق المادّة حال كونها فى عالمنا وارقت طبعا عن طبق تدريجا حتى جاوزت الأفلاك والسميع الطبايق وذلك راجع لصفاء النفس وخلوصها

من كشفها سواء أكان الجسم يسرى ليلا مع الروح أم لا فالأمر واضح إن المقام مقام تجرد النفوس عن العلائق المادية وقد جاء فيها الكلام على الروح وأنها من أمر ربى فهي من عالم الأمر لامن عالم الخلق الذى له طول وعرض وعمق وفيها - قل كونوا أحديدا الخ - وملخص ذلك أن السورة فى أولها وفى آخرها تهمد وتبرهن على البعث وانتقال الأرواح من هذا العالم الى عالم غيره نعم أو جحيم

(٢) وهذا القسم من هذه السورة مباحثه كلها فى مسألة البعث وانتقال الروح الى ذلك العالم فإن قصة أصحاب الكهف ماقتضت فى القرآن ولجاءت فى الكتب السابقة عند الأمم الخالية إلا للبرهنة على بقاء أرواحنا وبعثها ولقد علمت كيف كانت الفصول الخمسة متلاحقة لاثبات ذلك

(٣) وأيضا جاء فى سورة الاسراء السابقة انهم قالوا - لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا - الخ وهكذا هنا طلبوا قصص أهل الكهف تعنتا فأراهم فى كتابنا الخالين أن هذا غير المطلوب والمهم العلم بالنظام والجهاب فيه

(٤) الوجه الثانى والثالث قوله - الحمد لله - وما بعده . ابتدأ الله هذه السورة بالحمد لله وهذا الفاتحة وسورة الأنعام . يقول فى الفاتحة الله يستحق الحمد لأنه رعى العالم كله من نبات وحيوان وإنسان وقد شرحناه هناك ومعناه لتكونوا دارسين للتربية التى نظمها فى هذه الكائنات حتى يكون الحمد على نعم عرفتموها وتكون قلوبكم مملوءة بحبه وحمده واعظامه لا بمجرد اللفظ . وقال فى سورة الأنعام ليسكن جنتكم على آنى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور فلتكونوا دارسين لنظامهما وجالها وآثارهما ونواميسهما حتى يكون الحمد على علم . وقال هنا لتحمدونى على القرآن وإزاله على محمد ﷺ وهذا الكتاب فيه الانذار والتبشير وفيه ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها . فاذا كان ماعلى الأرض زينة لها ثم يكون معدوما فهو ﴿ لغرين ﴾ * الثمرة الأولى ﴿ أن لا تحزن يا محمد فان كل شئ هالك وسيزل عنك هذا الألم بفارقة هذه الدنيا فلا تحزن على عدم إيمانهم ﴾ * والقرة الثانية ﴿ أن كل ذلك عجب فآل الأمر الى أن الحمد على أنزال القرآن يدخل فيه الحمد على عجائب هذه الدنيا وغرائبها العلمية فأصبحت الفاتحة والأنعام والكهف من حيث الحمد فى أوائلها ترجع الى أن المسلم بحمد الله على هذه الكائنات وترتيبها وأنوارها وظلماتها وعجائبها وعلى القرآن ومعانيه فآل الأمر الى أن القرآن يوجه الأهم الى درس هذه الدنيا وعجائبها . وههنا ﴿ فريدان ﴾ * الفريدة الأولى ﴿ فى قوله تعالى - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾ * قبا - ﴿ الفريدة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أبهم أحسن عملا ﴾ * وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جزا ﴾ أم حسبنا - الخ

﴿ الفريدة الأولى ﴾

وصف الله الكتاب بأنه لا عوج فيه فلا لفظه مختل ولا معانيه متنافية ولا دعوته منحرفة عن جناب الحق وفوق ذلك هو معتدل لا إفراط فيه ولا تفريط وقائم بمصالح العباد . فاذا كان كاملا بالوصف الأول فهو مكمل بالوصف الثانى . فهنا أقول اللهم إن هذا وصف كتابك فكتابك لا نقص فيه فهو كامل وهو مكمل وهو معتدل . ولقد حرت فى أمرى حينما نظرت فى هذه الدنيا . ولما دخلت الجامع الأزهر وأخذت عن شيخى الفضلاء عجبت يارب من نظام هذه الدنيا ورأيت نظام التعليم فى الأمم الاسلامية عموما لا يوافق كتابك ولا نظام حقوقك وجزائعك التى أنعمت بها على الناس جميعا فقد كنت حينما أذهب الى بلاد الريف والقرى أفكر بنفسى فى هذه الدنيا وأبحث عن خالقها ومدبرها ذلك المتكبر المتعال القهار الذى لا يربنا ذاته وقد احتجب عنا فكنت لا أدر زهرا ولا ثمرا ولا فاكهة ولا أبا ولا ولونا نبات ولا رائحة لأمثال الورد إلا فكرت فى أمرها ودرستها دراسة نظرية بالمرشد والاعلم وكنت أقول من هذا فليدرس الانسان ومن هذا فليكن العلم

ونارة أنظر في السحاب المسخر بين السماء والأرض وما ينزل من المطر . وآونة أفكر في سير الشمس وكيف اختلفت الفصول باختلاف قربها وبعدها عنا . وكيف كان هذا الزرع والنمر يتبع ضوء الشمس وهكذا عما كتبه في كتابي ﴿ التاج المصعق ﴾ ثم نظرت في أحوال الأمم الاسلامية كما ذكرته كثيرا في هذا التفسير فوجدتهم مختلفين اختلافًا بينا فما تركت صوفيا يمرّ ببلادنا إلا جلست أمامه طالبا اليقين ولاعلما دينيا إلا سألته عن الحقائق وهكذا كانت هذه حالي مدة الشباب فقد رأيت اختلافًا بينا فأما أكثر الصوفية فهم يذمون العاوم الشرعية ويقولون العلم حجاب ويظهرون بهيمة الوقار والخشوع ويقولون ان عندهم أسرارا وهكذا رجال الدين أكثرهم يقولون ان أكثر هؤلاء جهال . ثم أتى بعد هذه الحيرة قرأت العاوم التي تدرس في الأمم المحيطة بنا وذلك في (دار العاوم) وهذا دأبى الى الآن . وقد كتبت في سورة (آل عمران) ما فتحت به على عند آية - ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب - إذ بينت بمباشرة به صدرى أن علماء الدين وعلماء الصوفية والعباد والأغنياء جميعا مقصرون قتلا عن الامام الغزالي رحمه الله تعالى لأن الأمة انقسمت وصارت فرقا وشيعا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم أجد سبيلا لا تقاذ الأمة من هذا التفرق إلا بأمر واحد وهو الذى كنت عليه أيام الشباب أى البحث في نظام العالم الذى نعيش فيه . فالصوفي والفقير والعاوم والغنى بالمال كل هؤلاء لامندوحة لهم عن دراسة العاوم التي تدرس في المدارس الثانوية في الأمم المحيطة بنا وهذه هى الطريقة المثلى التي بها تعدل العقول الاسلامية في العالم الذى نعيش فيه ويشاركون غيرهم . فكتاب الله لا سجع فيه وهو مكمل لأتباعه قائم بمصالحهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة . ومن أراد المزيد فليقرأ هذا المقام هناك ثم أتى أقول الآن . لقد نظرت نظرا عاما في أمر الأمم الاسلامية بعد ما تقدم فيكنت أقول باليت شعري لماذا أرى رسول الله ﷺ وأصحابه في القرون الثلاثة لا نسمع عنهم ما نقرؤه عن المتأخرين من الصوفية بعد الصدر الأول . أرى رسول الله ﷺ يأكل ويشرب ويتزوج وهكذا أصحابه والتابعون فلماذا أرى المسلمين بعد الصدر الأول قد اخطوا خطه أخرى ففهم من يأمر تلاميذه بالجوع تدريجا حتى يأكل كل أر بعين يوما مرة واحدة ويترك بعضهم المال فلا يكتفيه . وبعضهم يصير عائلة على الناس وهكذا مما هو ظاهر معاوم بل بعضهم يرقصون رقصا دينيا وهم الملوية وقد رصدت لهم الأوقاف في مصر حتى ان ناظر الأوقاف أخبرنى بأن لهم (٧٠) جنبا كل شهر من الأوقاف . ثم فسكرت في هذا الأمر فوجدت المسيحيين سبقونا بأمر يشبه هذا وذلك هو الذى ستره في سورة الحديد من معجزات القرآن الكريم إذ يقول تعالى - وربانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم - والرهانية من الرهبة والخوف إذ كان رجال الدين المسيحي يخافون من الملوك الوثنيين فكانوا يزهدون ويتركون التزوج ويعتكفون في الجبال وينون هناك الصوامع فهؤلاء الرهبان لم يتعاملوا ذلك من المسيح وإنما ابتدعوه ابتداءا اضطرأ اليه اضطرارا والله يقول - ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله - وهذا هو الذى جاء به الكشف حديثا فانك ستري ما أسأله هناك من كتاب ﴿ الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة ﴾ الذى ألف في عصرنا الحاضر من أن عالما دينيا مصريا في القرن الثالث المسيحي هو الذى خاف من جهرة أن يقول للحكومة المصرية إذ ذاك انه من أتباع المسيح فترهد وترك النساء وعبد الله في الجبال فنجأ . ثم ان هذه البسدة صارت من قواعد الدين . ويقول المسيحيون القبط بمصر انهم لم يعرفوا هذه الحقيقة إلا في أيامنا هذه ونحن نقول ان هذه من أكبر المعجزات في الاسلام فان هذا الابتداء لم يعرفه الناس إلا في هذه الأيام مصداقا للقرآن . والمهم في هذا المقام أن أقول فعلل ابتداء تقليل الأكل واعتزال الناس وترك المال بعد القرون الثلاثة الأولى في الاسلام كان أشبه بما ابتدعته النصارى من الرهبة فأولئك ابتدعوا الرهبة لغرار من ظلم الملوك فصارت من الدين وهؤلاء ابتدعوا تقليل الطعام والاعتزال عن الناس والبحث عن الأسرار إذ وجدوا الشهوات قد اغتالت الأمم الاسلامية . وإذا قال الله تعالى في الرهبان

- فما رعوها حقّ رعايتها - فهل المسلمون راعوا التصوّف حقّ رعايته . المسلمون ابتدعوا طرائق حديثة في التصوّف غير طرائق أكابرهم الذين ذكرهم القشيري في القرن الرابع في رسالته . فهل هذه الطرائق التي ابتدعوها راعوها حقّ رعايتها . ألم تنحرف انحرفا قليلا أو كثيرا بعد القرون الأولى بل ألم يكن أكثر العاطلين وأجاهلين وعباد المال والمناصب والمرشدين للفريجة أن يحتلوا البلاد منهم . نعم هذا هو الذي حصل في أمم الاسلام حقا وصدقا . إن كثيرا من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغندق الناس عليهم المال من كل جانب وجيت اليهم الثروات . وهوت اليهم القناب . لما ركز في النفوس من قربهم الى الله . فلما راوا الفريجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القتياد ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي حصل في أيماننا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل المهجوم على مراكش وقرآنه نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق وأن الشرفاء القاطنين بالملك في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة فعلى رجال السياسة أن يصدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في البلاد . وقالوا هكذا بصريح العبارة ﴿ إن هؤلاء جميعا متمتعون بالعيش الهنيئ ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم حتى أكرمناهم وأعزنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركونا في جرّ المغنم وبصرح العبارة يكونون أشبه بالفرسان والنسور والعقبات التي تأكل ما فضل من فرائس الأساد والنور ﴾ ولقد مرّ بعض هذا في سورة البقرة ولكن الكلام هنا أوضح لاسيما ما ستره في نفس هذه السورة عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضامين عضدا - فسترى هناك مسألة حسن بن الصباح وتعاليمه ومنعه الناس من قراءة العلوم وأن طريقتة لاتزال متبعة الى الآن في الهند . أقول هذا هو الذي كتبوه في جرائدهم وقرآنه في زمن الشباب ولقد نفذه الفرنسيون بالذقة وملكوا البلاد وتعاونت أمم الفريجة على ابتلاع تلك الممالك . حجة الله لاتزال قائمة على عبادته فهل تحبب أيها النكي أن أسمعهك بعض ما طلعت عليه بعد ذلك . لقد ذكرت في سورة الاسراء عند قوله تعالى - إقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبي - أن صاحب كتاب (الابريز) الفاضل الشيخ أحمد بن المبارك تلقى عن شيخه الأبي علوما وذكرت بعضها هناك . فلعلمك تسر إذا رأيت ما ذكرناه هنا بطريق الاستنتاج قد صرّح به ذلك الصالح الأبي . الله تعالى هو الذي أرسل نور الشمس والمطر والهواء فالنور دائم والهواء محيط بنا . إن النعم تحيط بالناس ومن اطلع على هذا التفسير أيقن أن الله لم يذر نخلا ولا حشرات ولا حيوانا ذريا لاتراه العيون إلا دبر أمره تديبرا خاصا . فاذا كان الله عز وجل حاضرا عند كل حيوان صغير فهو لاجرم يراعى أمة الاسلام في كل زمان ومكان . علم الله أن الجهل فشا في الاسلام وقل العلماء بعد ذهاب الدولة العباسية وأخذ الناس العلوم عن جهال المجاذيب ومشايخ الطرق فألقوا اليهم الأكاذيب والأساطير والخرافات باسم الدين . فاذا فعل الله تعالى لقاء هذا . ألمه رجالا لاعلم عنده بالدين أن يعلم أكبر كبار علماء الاسلام في ذلك الوقت وأفاض عليه العلم حتى يأخذ المسلمون عنه العلم وذلك في القرن الثاني عشر الهجري وذلك ليس أمرا بدعا فان علم الأرواح أثبت اتصال الناس بالأرواح . وقد اشتهر في أمريكا وأوروبا هذا العلم فاقراء في كتاب (الأرواح) تأليف فينك نرى غلاما صيرفيا جاهلا أكل رواية مات مؤلفها قبل تمامها في جلسات روحية بحيث يسك القلم وروح المؤلف الذي مات قد سلطت عليها وكتبت فوق ألف صفحة وانتشرت تلك الرواية وذلك كثير مشهور . علم الله أن بلاد الاسلام خلت من الحكمة والتابعون من المسلمين كالعلامة أحمد بن المبارك جرا كمش قد درسوا كتب الفلسفة القديمة وتضلّعوا من العلوم الشرعية فأفهم الله ذلك الأبي الشيخ عبد العزيز الدباغ علوما تظهر بعض الحقائق والذي يهنا في هذا المقام أن نذكر ما جاء عنه في أمر الصوفية وتاريخهم . وما مثل هذا الشيخ في ظهور العلم على يديه بالعلم في الأمة الاسلامية إلا كمثل الدين الاسلامي في البيانات مع الفرق بينهما وانما هو تنظير لا غير فان الكشف الحديث قد أظهر أن أديان الأمم

مقتبسة بعضها من بعض وأن التثليث متوارث ينقله كابر عن كابر كما تقدم في آخر سورة (المائدة) وكما سيأتي في سورة (مريم) فإني في (المائدة) أن التثليث دين هندى والذى في سورة (مريم) أن التثليث دين بابلى آشورى وفي الوصفين إيضاح تام منقول من الآثار التي عرفت حديثاً فأقرأه تر الجهب الجهاب هنالك أرسل الله نبياً أمياً لم يقرأ تلك الديانات الثلاث تعلق بذنه فتمنع عنه قبول الوحي فصدع بالحق وقال أيها الناس الله واحد . فهكذا هذه الأمة الإسلامية علم الله أن كل عالم اسلامي لا يقرأ إلا الكتب أسلافه المصنفة في الاصول والفقه وبعض شذرات من الفلسفة القديمة المضادة للدين . هنالك أفاض بعض العالوم على قلب هذا الشيخ الذي لم يتعلم فأدهش علماء الاسلام . وسأنتقل في هذا الكتاب بعض مقاله مما لم يكن معروفاً إذ ذاك وظهر في الكشف الحديث ان شاء الله تعالى . وأنتقل هنا ما يناسب ما نحن فيه وهو ملجأ في صفحة ١٩٣ من الكتاب

سأل (الشيخ السباغ) بعض الفقهاء عما قاله الشيخ (زروق) أن الترية انقطعت بالاصطلاح ولم يبق إلا الترية بالهمة والحال فليعلم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان الخ . فأجابه بما ملخصه ان مقصود الترية تطهير الذات بإزالة الغلام منها وقطع علائق الباطل عنها ثم قسم الطرق لقطع علائق الباطل الى «ثلاثة أقسام» القسم الأول «طريق السلف الصالح فقد كانوا في القرون الثلاثة الأولى لا يصرفون وقتنا تطهير نفوس تلاميذهم قال وإنما ياتي الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره فيكلمه في أذنه الخ» القسم الثاني «ما كان بعد القرون الثلاثة الأولى إذ فسدت النيات وعمت الشهوات الخ فأمرهم بالخلاوة والذكر وبقليل الأكل لينقطع بالخلاوة عن البطالين الذين هم في عداد الموتي والذكر يزول الكلام الباطل واللهو والتلغو وبقلية الأكل تقل الشهوة فيرجع العقل الى التعاق بالله ورسوله الخ» القسم الثالث «قال لما اختلط الحق بالباطل صار أهل الباطل يربون من يأتيهم بإدخال الخلاوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق . وقد يضيفون الى ذلك عزائم واستخدامات تقضي الى مكرانه واستدراجاته . ثم قال إن الشيخ (زروق) لما رأى هذا نصح بالرجوع الى الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقص . قال وهذا خرج مخرج الاحتياط والافتقار بالبركة باقية الى يوم القيامة الخ . انتهى باختصار جامع لما فيه من المعاني

﴿سؤال آخر من هذا الفقيه﴾

وجاء في صفحة (١٩٦) أن هذا الفقيه سأله أيضاً قائلاً «أيهما أفضل أ طريق الشكر أم طريق المجاهدة الأولى طريقة الشاذلي إذ يأمر بالشكر والفرح والثانية طريق أبي حامد محمد الغزالي وهذه الطريقة تحت على الرياضة والتعب والمشقة والسر والجوع» فأجابه بأن كلا من هاتين الطريقتين لها فضل ولكنها فضل طريقة الشكر على طريقة المجاهدة . وجعل ان المجاهد بالسر والجوع وقلة الطعام يعاني ما يعاني ليصفي نفسه قاصداً أن يفتح الله عليه فيقطع على ما لا يعرف غيره . أما طريقة الشكر فهي التسليم لله وذكره في كل لحظة فلا يحول عنه كل حين . وهذه الطريقة لا يقصد سالكها إلا حب الله لا شيء سواه فلا هو طالب الاطلاع على أسرار كالمجاهد ولا هو متوان في ملاحظة جناب الحق . وماعمل المجاهد لإلابة من أبواب الحفظ النفسية إذ كشف الحجاب لئلا يصرف المريد أوقاته لنيلها . فأما الشاكر فإن كشف له الحجاب فإنه لم يعمل لأجله بل عبد الله حبا فيه لا طلباً لشيء سواه . ومعنى كشف الحجاب عن نفس المجاهد ربما انقلب على عقبيه وفرح بما نال من الفتح واغترب بما يشاهد من العوالم ويفرح بما نال من ذلك ويرى أن ذلك هو الغاية وهذا من - الأخصرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا - . ثم قال ومنهم من تبدّل نيته بعد الفتح فيرجعه الله ويأخذ بيده وهذه الحالة التي حصلت لهذا بعد الفتح هي التي كانت البداية في طريق الشكر . ثم قال فيما بعد ما بين الطريقتين وتباين ما بين المطلبين . فطريق الشكر سير القلوب وطريق المجاهدة سير الأبدان

وأعرب بعد ذلك عن أن هذا القول لم يقصد به إلا التعليم العام . وأما الامام الغزالي فهو إمام حق وصدق . ثم قال وطريق الشكر لا ينال الفتح فيه إلا المؤمن العارف الحبيب القريب بخلاف الفتح في طريق المجاهدة فإنه يكون للرهبان وأجبار اليهود فإن لهم رياضات يتوصلون بها إلى شيء من الاستدراجات . ومن قوله أيضا ﴿ إن النية في طريق الرياضة مشوبة وفي طريق الشكر خالصة والفتح في الأولى إنما ينال بحيلة وسبب والفتح في الثانية يكون هجوميا . قال وما هذه الطريقة إلا تعليق القلب بالله عز وجل والسوام على ذلك وإن كان في الظاهر غير متلبس بكبير عبادة وإنما كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتي بأسر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان . وقال مرة أخرى والمهجرة في طريقة رياضة الأبدان قصد بها الفتح ونيل المراتب ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الأولى فينقطع قلبه مع الأمور التي يشاهدها في العوالم ويقرب بما يرى من الكشف الخ ما تقدم . انتهى

وهذا عجب عجب . ثم انظر كيف أعلن الوهاية في زماننا أنهم يمتقون طرق الصوفية بلا استثناء ويرون أنها حادثة عن الصواب كما شرحه العلامة ابن تيمية واعترض على الامام الغزالي وعلى ابن الفارض

﴿ فتاوى الشيخ الخواص للشيخ الشعرائي ﴾

ألا تعجب معي أيها الذكي كيف تكون هذه الآراء في أمة الاسلام وتبقى مدفونة في الكتب يقرؤها الناس ولكنهم لا يدعون إلى ما فيها من الآراء وتجد رجال الصوفية يجوبون البلاد ويهيمون على العقول ويستون المسالك أمام المسامعين وينعونهم من العلم الصحيح إلا قليلا منهم والله عليهم بالفسدين . فانظر كيف كانت فتاوى ذلك الشيخ الذي لم يتعلم علما ثم وازن هذا القول بما حكاه الشيخ الشعرائي قبل تاريخ الشيخ السباغ عن شيخه الخواص الذي لم يقرأ ولم يكتب

جاء في كتاب الشيخ الشعرائي المسمى ﴿ درر الخواص ﴾ على فتاوى سيدى على الخواص ﴿ ما يأتي سأل عن قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذ قال ﴿ رأيت ربي عز وجل قتل له بم تقرب اليك المتقربون قال يا أحمد بكلامي قتل يارب بفهم وبغير فهم فقال تعالى بفهم وبغير فهم ﴾ انتهى فأجابه ان الفهم خاص بعلامه الشريعة المطهرة وأما غير الفهم فذلك هو الكشف للعارفين وعلماء الحقيقة لأن العلم يفاض عليهم بالنوق وليس ذلك ككشف الصور إلى أن قال واعلم أن الله تعالى قد أخبرني كتابه عن أقوام فقال - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وأخبر عليه السلام عن أقوام من أمته يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فكيف تكون هذه الأقوام متقربين إليه وكيف يتقربون بعدم العلم الذي هو الجهل هذا عجيب والله أعلم انتهى

قال ثم سألته عن مقام المجاذيب في الجنة . فأجاب ان المجاذيب ليس لهم مقام على فليس لهم في الجنة الأعمال نصيب ولكن لهم نوع من التمتع يتميزون به . ثم قال بل أقول ان السوقة وأرباب الحرف والصنائع أعظم نفعاً من المجاذيب لقيامهم في الأسباب النافعة لغيرهم ولكثرة خوفهم من الله تعالى اذا وقعوا في ذنب ولا يرون لهم عملاً يكفر ذلك الذنب أبداً مع احتقارهم نفوسهم وعدم رؤيتهم لها على أحد من الخلق فضلاً وهذه الصفات عزة في أهل الجلال الخ

ثم قال وسألته عن قول بعضهم ان الفقير اذا عرف الله لا يؤثر فيه إلا كل من طعام الناس نقصا . فقال ان المدد يتاون بحسب القلب والقلب يتاون بحسب الطعمة وفسادها . ثم قال ان الله لينطق على لسان عبده بحسب مضغته فان كان ظاهر القلب من سائر الرذائل كان كلامه شبيها بالوحى وإن كان ملطخا بالقاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين ومنعه من أخذ الهدية إلا بمقابل لها ولو بالدعاء في أوقات الاجابة وسأله عن الأنبياء هل يتخذون واسطة . فأجابه قائلا لا تتجمل بينك وبين الله واسطة أبداً من نبي أو غيره

لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب في الدعوة إلى الله لا إلى نفسه فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الافاضة على العبد من جانب التشريع والانباع كما في حال المناجاة في السجود فنفس الرسول يغار أن يبقوا معه دون الله فإنه تعالى يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار له ﷺ بقوله ﴿ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ الحديث وانظر أيها الأخ إلى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لسيدنا محمد ﷺ - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - فأعلمنا الله بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله تعالى واسطة لنا في كل خير مع أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد يصرح بأنه هو أكثر ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وبقوله - إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله - ومع ذلك قال له - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب أو يعذبهم فإنهم ظالمون - الخ

ومما يناسب هذا ما ذكره الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب ﴿ الأبرار ﴾ المتقدم ذكره أنه سأله قائلا لم استغاث الناس بال صالحين دون الله ويحلفون بهم . فأجابهم بأن الناس انقطعوا باطنا عن ربهم وأظلمت قلوبهم وأطال في ذلك . ثم قال وبما يدل على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ذواتهم أنك ترى الواحد منهم يؤدّي الدراهم إلى صريح الأولياء ولا يعطي فقيرا من الفقراء الذين يقابلونه حاجة وهذا أقبح ما يكون وسبب ذلك أن الصدقة لم تخرج لله وإنما قصده أن يخص بها الولي ليقضى حاجته . ثم أفاد أسباب انقطاع هذه الأمة عن الله عز وجل وأبان الذنوب الشاغلة للناس حتى نسوا ربهم . انتهى

أقول وهأنذا أذكرك أيها الذكر بما تقتضي في سورة (المائدة) إذ ذكرت هناك محادثة المسيح عليه السلام مع الحوارين ومواقفه عليهم من ذلك النبي الذي سبقه وأنكر على الأعمى حبه له . فكما ألطف الأعمى في السؤال عنه وهو لا يعلم أنه هو أجابه بأن من تسأل عنه حجاب بينك وبين الله فارجع إليه هناك فإنه هو روح ما ذكره الشيخ الخواص . وأنا أقول ما كنت أظن قبل هذا اليوم أن أحدا من علماء الاسلام صرح بذلك قبل ابن تيمية والوهابية ومجبت كل العجب أن يكون من علماء الصوفية من يقول هذا القول . وأعلم أيها الذكر أن الله عز وجل قد جعل هذا التفسير في هذا الزمان الذي ظهرت فيه مفاصد ومصالح وعالم لم تكن فيها مضى . فالخواص والشعراني وابن المبارك والديباغ كل هؤلاء في القرون المتأخرة وهذه نعمة من الله على هذا التفسير فله الحد على التوفيق . وانظر كيف يفضل الشيخ الخواص الصانع على المجاذيب ويجعل أرباب الصنعة أفضل منهم وهذا هو عين ما جاء هذا التفسير لأجله . ولذا أحسن مصطفى باشا كمال صنعنا إذ أقفل التسكيا وأخرج من فيها لينفعوا أمتهم بأعمالهم

إن الله عز وجل ألهم هؤلاء الصالحين أن يلقوا هذه العلوم على أتباعهم وبقى ذلك في الكتب حتى اطلعنا عليه ولكن عمرة أفسكارهم ستظهر في زماننا هذا وستكون هذه النهضة الحقيقية بعد انتشار هذا التفسير إن شاء الله تعالى فهو الذي جمع زبدة آراء العلماء وأنعم على وشرح صدرى بنقلها لعامة عز وجل أن المسلمين لا يتقنعون غالباً إلا بأن يسمعون كلام الأكابر وهذا في العامة . أما الخاصة فلا يسمعون إلا آراء الفلاسفة لاسيما علماء أوروبا . وهذا الكتاب الواحد قد أعطى النعمتين ليرضى الفريقين وأن طريقة الشكر يقرب منها هذا التفسير والله عز وجل هو الملهم للخير وهو الجواد الكريم والحمد لله رب العالمين . انتهت هذه الفريدة يوم الخميس ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ فوائد الفريدة الأولى ﴾

﴿ المائدة الأولى ﴾ أن الطرق التي انتشرت في الاسلام بعد الصدر الأول جاءت لتصفية النفوس ولكن

هذا السواء انقلب داء فليرجع الناس الى نفس القرآن والسنة كالصدر الأول

﴿الفائدة الثانية﴾ ان الحلاوة والسهر وترك الطعام أصل القصد بها الاطلاع على ماوراء الحس وهذا مذموم بل يصرف القلب عن الله وطريق الشكر أفضل منها لأن القصد منها كمال النفس وحب الله لاجب الاطلاع على الغيب الذي هو شأن الكهان والعرفان وصغار النفوس . وأذكرك بما تقدم في سورة الأنفال عند قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فقد أوضحت هذا المقال هناك بما فتح الله به وهاهنا كلام الصالحين قد أيده تأييدا فاقرأه فسيشرح صدرك مما ترى من الموافقة التامة فالجدة لله الذي وفق وشرح الصدور هو الحكيم العليم وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

﴿الفائدة الثالثة﴾ ان قراءة القرآن بلا عقل مذمومة والرواية المروية عن أحمد بن حنبل إمام باطلة وإمام مؤلة
﴿الفائدة الرابعة﴾ ان الصنائع لهم مقام في الجنة أعلى من نصيب المجاذيب لأنهم ينفعون الناس بأعمالهم وهذا هو الذي حث عليه هذا التفسير كثيرا وبه ظهر بطلان الفكرة العامة في بلاد الاسلام وهي أن الانقطاع عن الناس أو الاعتكاف على العبادة هما المقصودان من الاسلام

﴿الفائدة الخامسة﴾ ان تعلق القلب بالناس في أمر الرزق صارف للقلب عن الله وعن العلم
﴿الفائدة السادسة﴾ ان المسلم يجب عليه بعد الايمان برسول الله ﷺ أن لا يجعل بينه وبين الله واسطة بل يكون القلب معلقا بربه لا يصرفه عنه صارف وهو أقرب اليه من جبل الوريد فيقول - إياك نعبد - ويقول ﴿اللهم لك سجدت﴾ وأيضا الذي لا يرضى من المسلم أن يجعله واسطة بينه وبين الله في العبادة لأنه دله على الله وهو يعبد رأسا والفضل في ذلك له ﷺ

هذه ﴿الفتاوى الست﴾ لم يكن يخطر ببال أكثر المتعلمين في ديار الاسلام أنها في دين الاسلام بل هذه قلب أفكار أهل العلم جميعا لأنها صادرة من يعتقدهم أكثر المسلمين . وأنا أعجب أن تكون هذه الصراحة عند رجال الصوفية والناس عنها غافلون . وليس يزيل الخرافات من بلاد الاسلام إلا الاطلاع على تاريخ العلوم ومنها التصوف

﴿علماء الألمان يعرفون حقائق التصوف وتاريخه والمسلمون نائمون﴾

من عجائب الحكم الالهية أن خمسة علماء أتوا ضيوفا في بلاد مصر وأنا أكتب هذا الموضوع . ثلاثة منهم يعاملون الفلسفة الشرقية في جامعات ألمانيا واثان من الانجليز يعاملون تلك الفلسفة . أحدهما في انكلترا . والثاني في (اسكوتلانده) فحادثتهم أحد مكاتب الصحف المصرية وهذا نص المحادثة

ظننت في أول الأمر أنهم قنعوا بمشاهدة بعض الطرق وقد عرفتهم الشيء الكثير عنها فاذا بهم يريدون أن يشهدوا جميعا وأن يعرفوا كل شيء عنها وقد تم لهم ذلك أوكاد . وقد أدعيتني منهم ما علمته أثناء الحديث من أنهم درسوا كل شيء عن التصوف والصوفية في الصدر الأول بل الأدهى من ذلك أن أحدهم يحفظ من كتاب ﴿إحياء علوم الدين﴾ للإمام الغزالي أضعاف ما يحفظ مدمنو قراءته منا وآخر منهم يعلم كل شيء عن آثار الحسن البصري والجنيد والامام جعفر الصادق . والبعض الآخر يعلم من أمر السيد أحمد الرفاعي والسيد عبيد القادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي وسيدى ابراهيم الدسوقي أكثر مما تعلم نحن المسلمين بل طرق التفهم مع الدقة في الاستقراء والاستقصاء . سألتني أحدهم هلا يعقد شيوخ الصوفية لتلاميذهم دروسا في التصوف ونشأته وتاريخ أطواره في الاسلام . فأجبتهم بأنهم يعلمونهم بقدر ما يعلمون . وقال آخر هل يدرس التصوف في الأزهر . قلت نعم ولكن مع عدم اعتباره علما أساسيا . قال وهل يدرس في الجامعة المصرية قلت نعم تدرس الفلسفة الاسلامية . قال وهلا يحاضر عن غير الامام الغزالي من فلاسفة الاسلام . قلت قد يكون ذلك بعد هذا العام بحيث يفرد بكل علم فيلسوف مسلم . قال وابن رشد . قلت وجعفر بن الطليل

قد يكون لها نصيب من عناية أستاذ الجامعة . وهنا قال . هل تستطيع أن تطلعني على مقدار ماوصل اليه درس الاستاذ في فلسفة الامام الغزالي . قلت لا أستطيع لأن دروسه لم تنته بعد . قال يؤخذ من مجمل إجابتيك أنكم لاتعتون بدرس الفلسفة الاسلامية مع انها رثة عظيمة من ثروات تعاليم الاسلام . قلت سئني ان شاء الله ولكن جامعتنا حديثة النشأة وستؤتي أكلها بعد حين وأسأل الله أن يكون شهايا حتى اذا وفدت استطعت أن تجد من يحدثك عن الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي ومبلغ علاقتهما بالفلسفة الحديثة . ثم اطلعني أحد العلماء الألمان على سبع كراسات مطبوعة احتوت مباحثه في فلسفة الغزالي فقلت في نفسي ليتها تعرب ليدرسها الطلبة والعلماء ماداموا قد أضربوا عن إحياء كتاب « إحياء علوم الدين » وغيره أما بقية فلاسفة الاسلام فعلى فلسفتهم في مصر العفاء مادام لا يعنى بها أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله ومن محب أن يحضر هؤلاء العلماء على دراسة تاريخ التصوف فان ذلك هو الذي يزيل الخرافات كما جاء في هذه الفريدة عن الشيخ (الباباغ) الذي أجمل تاريخ التصوف . انتهى

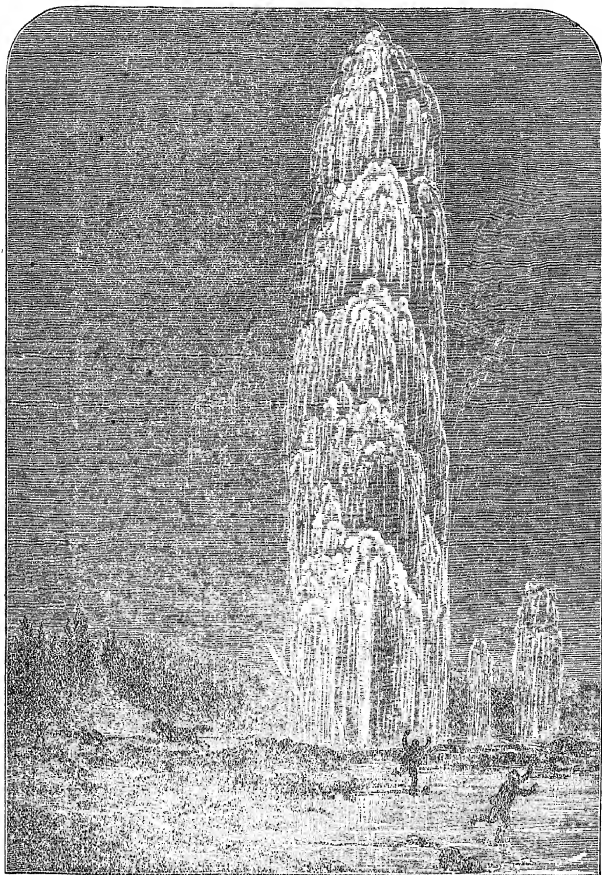
﴿ الفريدة الثانية في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنباوهم أيهم أحسن عملا * وانا لجاعلون ماعلها صعيدا جزا * أم حسبت - الخ مع قوله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وقوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم - ﴾

ولأجعل الكلام في هذه الفريدة في « ستة فصول * الفصل الأول ﴾ في بهجة الجبال في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - وبيان حكمة التأكيد بان اللام من جبال عالم الطبيعة السارة للناظرين (الفصل الثاني) في قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - (الفصل الثالث) في بيان قوله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده - الخ (الفصل الرابع) في قوله تعالى في هذه السورة - لنباوهم أيهم أحسن عملا - (الفصل الخامس) في قوله تعالى - وزيناها للناظرين - (الفصل السادس) في قوله تعالى بعدها - أم حسبت - الخ وبيان الصلة بين الآيتين

﴿ الفصل الأول في بهجة الجبال في قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - ﴾ إعلان ماعلى الأرض من عجائب لاحصره ولتقتصر في هذا المقام على « صنفين » من الجبال وعجائب المحاققات « أولهما » عجائب الجبال في الماء « ثانيهما » عجائب الجبال في الحيوان « الصنف الأول عجائب الجبال في الماء وغرائب »

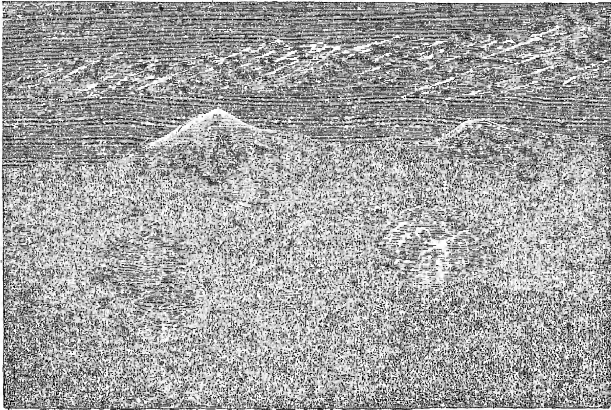
لقد تقدم في سورة الأنعام عند قوله تعالى - هو الذي أنزل من السماء ماء - عجائب الثلج القطبي وأن هناك جبلا من الثلج تعوم على سطح الماء وهناك في بلاد (لابونيا) و (المسكوف) و بلاد (الاسويجيين) الثلج المصقول السميك الصلب المسهل للسير وأن الثلج يكون عند القطبين على الأرض ثم يرتفع يسيرا يسيرا حتى يميز على ارتفاع (١٣) ألف متر عند قرب خط الاستواء وهكذا يأخذ ذلك الخط في الانحناء حتى يبلغ القطب الجنوبي وهناك ذكرت لك ألوان ماء البحر وانها تكون ذات ألوان بهجة فيما بين المدارين وهكذا ذكرت المياه المعدنية النابعة من الأرض واختلاف أوصافها . فهناك اليوم عجايبا لم يذكر هناك . أذكر لك اليوم من جمال الله عز وجل الذي اختاره وأنزله الى هذه الأرض واختصنا به وقال انظروا وفي هذه السورة يقول ﴿ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - . فاذا قلنا فيما تقدم في الأنعام ان الثلج يكون في الجو دائما فكم يدوم في القطبين على وجه الأرض يدوم في الارتفاعات المختلفة المذكورة هناك . نقول هنا ان الثلج المرتفع لاتؤثر فيه حرارة الشمس في خط الاستواء إلا قليلا كما ذكر العلامة (بريت) فهو الذي يحمله فتح في الباب على مصرعيه هنا ونقلت الصور منه . وقد قال لاشئ من الأعمال الجميلة الطبيعية تلفت النظر وندهش القلب وتحدث المسرة بالفكر الجليل أكثر من مظاهرتين فاخترتين وهما (١) ينابيع الماء الحار

(٢) والمقادير الهائلة من الجليد • فينايم الماء الحار تنبع في (١) الأقطار الثلجية بأبدع منظر وأبهج سناء وفي (٢) (زيلندا الجديدة) وفي أمريكا الشمالية كتل أرض الاجبار الصفراء فيها (شكل ١)



(شكل ١ رسم ينبوع العجيب الحار الفاخر في أرض الحجارة الصفراء في أمريكا الشمالية)

فأما المقادير الهائلة من أجواف الجليد فهي عبارة عن أنهار عظيمة مملوءة بالثلج بدل الماء وهذا الثلج يتحرك بالتدريج حوالى جوانب الجبل ثم يأخذ بالتدريج في التوبان بالحرارة التي تشغله أثناء سقوطه في الوادى كما يتجدد بالتدريج من تلك المملكة الثلجية في الجوّ على الجبل . وهذه الأنهار الثلجية تكون في (سويسرلند) أوفي (زوى) وهذا أصغر وأقلّ جدّاً من تلك المقادير الهائلة من الثلج التي تم داخل أرض (الجزيرة الخضراء) ومن التي كانت قديماً قد غطت أرض الجزائر البريطانية وعمت أرض قارة أوروبا جميعها وليس الجبال في ذلك والبهجة قاصرين على محاسن المناظر الحسية . كلا بل ان العقل ليقف أمام تلك المناظر مسحوراً . وكيف لا يسحر العقل وقد رأى حادثين غريبين ﴿أحدهما﴾ أن القطع الثلجية تنزلت من أعلى الجوّ وأضواء الشمس المحرقة تشغل تلك القطع الهائلة ولا تذيبها . فكيف صرّت تلك الجروف الباردة وسط الحرارة المحرقة في خط الاستواء التي دلتنا على ممالك واسعة النطاق ثلجية . وكيف اجتمع التقيض حار وبارد وما أئر الأول على الثاني . وسترى صورة تلك التلوج المتنزلة من أعلى الجبال في سورة النور عند قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴿ثانيهما﴾ تلك الينابيع الحارة التي ينبعث من بين التلوج المتراكمة على الأرض . فهناك صورة الينابيع الحارة في الأقطار الثلجية (شكل ٢)



(شكل ٢ - رسم الينابيع الحارة في الأقطار الثلجية)

فهذه هي الغرائب التي تسحر العقل وتهيج به . هذان نهران نهر حارّ ينبع وسط البارد وتلج بارد تنزل وسط الحرارة . إذن تلك الينابيع الحارة الهائلة لها مخزن عظيم تحت وجه الأرض لا يبرد . وهذه الينابيع لتقوّنها اختبرت الثلج كما يخترق العالم طبقات الجهل في أمته ويليقي بهم السلم فيدنى جبوهم البارد وذلك لأن البواطن أساس الظواهر فحق اقتدالباطن بالحكمة أثارت الظواهر فأدفاها قال تعالى - ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا - ويقول تعالى أيضا - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج

وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - فإذا كان الله لم يخلط البحر الملح بالخال وهما متجاوران فيها هو هنا لم يخلط البحر الحار في باطن الأرض الذي لم نعرفه إلا من تلك الينابيع الحارة التي شاهدها بالثلج الذي فوق سطح الأرض بل اخترق الحار البارد ولم يختلط به وطار إلى الجو حارا كما هو وهذا من العجب . إذن ذكر الملح والعذب في الآية تنبيه على التمييز وجعل كل واحد منهما مستقلا عن الآخر إذ جعل الله بينهما حجرا محجورا . وهذه الينابيع نابعة صاعدة في الجوّ براها الانسان كأنها الأناس البديع اللون الحسن الشكل لما تخلل الماء من المواد التي اذا قابلت الشمس عكست لونا بديما فلذلك ذكرنا هذه هنا إذ صارت حليّة للأرض وزينة لها وبهجة فأرضنا كمروس زينة لنا وقال يا عبادي انظروا هذه الحسناء الجيلة وانظروا أقرطها من اللباس قد تدلى وظهر بهاء وسناء وهذا القرط دائم لينظره العاشقون . والى هنا انتهى الكلام على الصنف الأول

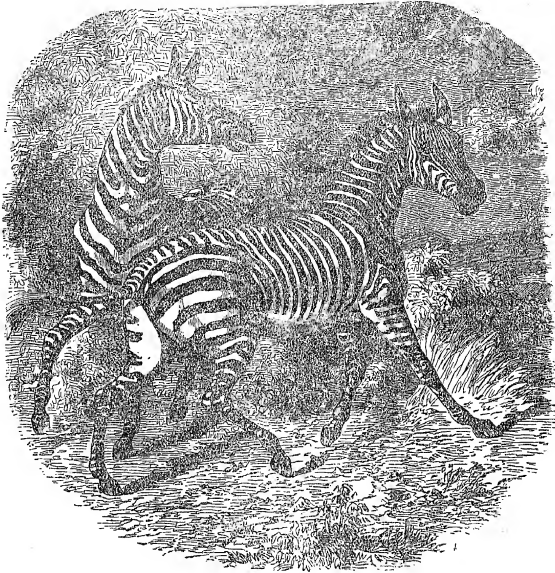
﴿ الصنف الثاني في عجائب الجبال في الحيوان ﴾

أذكر كأمها الذي بما تقدم في سورة الرعد إذ ذكرت هناك عند قوله تعالى - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله - الخ الصوت والحرارة والنور وماسبب تكون الحرارة وأن الضوء مكّن من سبعة ألوان أدناها الحرة وأعلاها البنفسجية . وهناك اضاح بعض الألوان وعدد اهتزازات الضوء فيها وهنا أر يد أن أشرح لك شرحا مستفيضا في جبال هذه الدنيا وكيف رأينا الله عز وجل جعل شمس أشبه بريشة المصور فكما يرسم المصور بريشته ويصنع بفكر وعقل ويخرج صور بديعة . هكذا رأينا - ولله المثل الأعلى - لله هذه الشمس التي يطعمها صباحا ويغيبها عنا مساء فتجدها قد أبدع الله بها التصوير والنقش الغريب والجبال والبهاء والحسن في الابداع . لقد ذكرت في هذا التفسير سابقا أن الله هو الذي أنزل القرآن وهو نفسه الذي أبدع العقول . فبينما نسجعه يقول في القرآن - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ نراه قد فسره هذه الآية في أوروبا أي انه ألهم قلوبا وقاوا بفدروسا بعض هذا النظام وجهاله . وقد اطلعت الآن في كلام (وليم اكرويد) تحت عنوان ﴿ مظاهر ماشيدته العاوم ﴾ على بهجة الجبال في نظام النبات والحيوان وأن الناس اليوم جميعا لا يزالون أطفالا في معرفة أسرار الجبال في الحيوان والنبات وأن ما عرفوه اليوم وإن كان قليلا سيبرك ان تقرأه وترى رسمه وتعرف بعض سرّ قوله تعالى هنا - إنا جعلنا - بالتأكيديان واللام والتعبير بضمير العظمة في موضعين من الجملة

لقد ابتدأ مقاله بالقاعدة المشهورة في الضوء وانه مركب من ﴿ سبعة ألوان ﴾ وهي الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنبلي والبنفسجي وأخذ يوضح أسرار ألوان كما هو معروف . ذلك أن الناس فرضوا أن سطوح الأجسام على الأرض تمتص ألوانا من هذه السبعة ومافضل عن امتصاصها تعكسه فتراه العيون . وضرب مثلا أنك بالآجر الذي تبني به البيوت فإن عيوننا ترى لون الحرة مع اللون البرتقالي قليلا فهذان اللونان هما اللذان نشاهدهما من الآجر الذي نبني به بيوتنا . ومعنى هذا أن ضوء الشمس قد ابتلع الآجر منه خمسة ألوان وهي الأصفر والأخضر والأزرق والنبلي والبنفسجي وعكس لونين اثنين الأحمر والبرتقالي فارتدّا إلى أعيننا فقلنا هذا آجر برتقالي . وفي الحقيقة لالون للأجسام وانما هي أضواء الشمس عكست عن الجسم . وأقول كأن هذه الظاهرة تفهمنا نظام هذا الوجود كانه فانك ستقرأ في سورة النور أن قطرة الماء مركبة من (٥٠٠) مليون مليون مليون مليون مليون جواهر فرد من الماء وأن هذه الجواهر كلها التي كوّن منها قطرة الماء اذا حلت رجعت الى ﴿ عنصرين ﴾ أحدهما ﴿ هو الاكسجين ﴾ وثانيهما ﴿ هو الاودروجين وكلاهما مركب من كهرباء مضئة بحيث ترى الكهرباء السالبة في كل منهما تجري حول الكهرباء الموجبة دورات تعدّ بمئات آلاف الآلاف في الثانية الواحدة . إذن أصبحت المادة

كلها سواء أكانت ماء أم هواء أم حجارة وحديدًا عبارة عن عناصر تبلغ نحو (٩٠) الآن . وهذه العناصر بتعليقها ترجع الى ضوء . إذن العالم كلها نور في الواقع ونحن نحجبو برون عنه وإنما ظهر لنا جوده وسبيله وكونه جسمًا غازيًا (كالخمر والماء والهواء) بتربكتنا ووضعنا في عوالم متأخرة . فما يقوله العلماء هنا من أن لون الأجسام لاحقة له وإنما هو ضوء الشمس لا غير . هكذا يقول نظيره هنا عطاء الفلاسفة ان المادّة لا وجود لها وإنما الموجود هو نور تنوّع فصار جواهر فردة وهذه بتنوّع تركيبها صارت عناصر مختلفة والعناصر المختلفة كوّنت منها هذه المخاوقات في الأرض والسما والطور ماهو بالأحرار في الأثير . إذن المادّة قوّة فرجعت العوالم الى قوّة وهي الحركة . وإذن قول القدماء ان المادّة لادليل على وجودها هو عين قول علماء العصر الحاضر انها قوّة . فإذا قال الناس بحسب الظاهر هنا مادّة وهنا قوّة فالحقيقة لاموجود إلا القوّة وهذه القوّة صارت حركة والحركة تنوّعت فصارت كهرباء ونورا والنور باجتماعه صار عناصر . ومن الأنوار ما نحن بصدده من الألوان في كلام العلامة (ولم) الذي هو أصل كلامنا في ترجمة مارآه في مجال هذا الوجود إذ قال ﴿ ليست دراسة الألوان في الحيوان سهلة بل لابد من أن نبتدئ في البساط قبل المركبات فإذا أسكننا البساط وفهمناها أدركنا سر المركبات فلندرس ألوان العناصر فإذا عرفناها أدركنا ألوان ماتركب منها من حيوان ونبات . قال وهك مثلاً . إن المعادن المتعددة مع الأكسوجين تحصل لها حال نسميها نحن (صدأ) فهذا الصدأ ماهو إلا أكسوجين الهواء اتحد مع معادن من المعادن كالرصاص والزئبق والزنك ويقال لذلك المتحد أكسيد الرصاص وأكسيد الزئبق ولم أكسيد الزنك . ثم ان ألوان ذلك المركب وهو الأكسيد تكون تابعة لدرجة الحرارة فنجد (أكسيد الزئبق) لونه على الدرجة المعتادة يرتقالي مع الصفرة . ثم كلما ازدادت الحرارة يزداد تغير اللون تبعاً لها فيصير أولاً برتقالياً ثم أحمر ثم أسمر ثم أسود بالتتابع والتدرج . ويصير ذلك قانوناً مسنوناً ونظاماً ثابتاً تغير في الحرارة يتبعه تغير في اللون . فهذا قانون لايتغير (الأسود . الأسمر . الأحمر . البرتقال . الأصفر) وهكذا الى الأبيض . فالأسود أكثر حرارة وما بعده أقل والأبيض نهاية القلة في الحرارة فلا يتشرب الألوان وبقية الألوان بين السواد والبياض على هذه القاعدة . نظر علماء الحيوان في أمره فقالوا هل ندرس الحيوان المنزلي . كلا ثم كلا . إن الحيوان المنزلي تحت سيطرتنا وتأثيرنا فلا نبحث إلا في الحيوان المتوحش فإنه تحت التأثير الطبيعي فدراسته تبين لنا القانون الحقيقي وقد انضم الى ذلك ما تحت سيطرتنا من الحيوان اذا لم يكن لنا عليه تأثير أو كان التأثير قليلاً . فانقارب ذوات الأربع اللاتي ترضع أولادها ولها على جلودها شعر . وقد وضعوا هذه القواعد بعد البحث والاستقراء أولاً ما انكشف للهواء من أجسام ذوات الأربع يكون أثرها لونا من ظهورها . ذلك لأن ظن الحيوان أشدّ تعرضاً للشمس من بطنه مثلاً . ولاجرم أن ذلك تبع القاعدة المتقدمة فلو السمرة والسواد ناجم من شدة الحرارة والبياض وما يقاربه من الصفرة والجرّة ناجم من ضعف الحرارة على تفاوت في ذلك فلذلك يكون لون الظاهر أقرب الى السواد الذي هو الغاية العظمى للحرارة . وضربوا لذلك مثلاً بحيوان (السنجاب) فظهره أسمر وبطنه وصدره أحمران والجرّة ابتعدت عن السواد درجة الى البياض الذي هو النهاية الصغرى للحرارة . ومثل هذا يشاهد في الحجر المعتاد الذي أجزاء ظهريه أشدّ سواداً من بقية ظاهر جسمه . قال العلامة (ولم) وهكذا يشاهد في بقرة المعتاد . قال ومن أراد أن يتحقق هذا القانون فلينز دار الآثار فإنه يجد هذه القاعدة تامة إلا قليلاً يشذ عنها . ثم أخذ الكاتب يذكر ما رآه يد القدرة وما أبدعته من الصور الهندسية في جلود الحيوان . قاعدة وضما التي في المعادن التي صدف أن يختلف لونها باختلاف الحرارة ومنها ذوات الأربع فيكون ما تعرض للشمس من ظهورها أقرب الى السواد مما بعد عنها كبطونها . هذا ظاهر ولكن هنا ظهرت بهجة الجباب إذ ظهرت نقط وخطوط هندسية متناسبة الأجزاء تناسباً تاماً منتظماً . فهذه خارجة عن القاعدة أبدعت على

شكل يهيج الناظرين • ولأنك يقول العلامة (وليم) إن هذا العلم لا يزال في طفوليته لم تنظم دراسته ولم تعرف حقائقه • فمن ذلك تلك الخطوط في رأس (غزال البنغال) في بلاد الهند انما تقترب اقترابا بينا من التودج الهندسي من حيث تناسب الأجزاء وأن الخطوط على أحد الجانبين جعلت لها نظائرها بهيئة جيلة من الجانب الآخر • ومثل هذا التناسب الجليل يشاهد في جدار الحبشة وفي حيوان آخر في الهند اسمه (تبر) وبعض الطير المنزلية • إن ذراعي ذوات الأربع المذكورة وربطها وذبولها معروضات للشمس لاسيما الذيل فهذه أكثر امتصاصا للضوء فتكون أقرب لاسوداد من بقية أجزاء الجسم والذيل أكثرها امتصاصا وسوادا (انظر شكل ٣)



(شكل ٣ صورة جدار الحبشة)

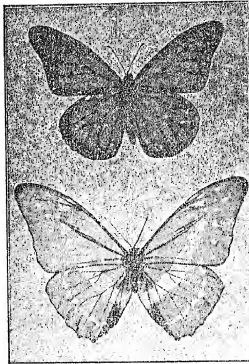
ألا ترى الى (السنجاب) المتقدم ذكره فانه اذا كان بطنه أحر وظهره أسمر فان ذيله أسود • إذن الذيل يمتاز عن بقية الأجزاء • وقد وجدوا بالاختبار أن (٩٤) في المائة من الخيل السمرة تكون ذبولها سوداء وهذا تثبيت لقاعدة الذيل المتقدمة • وقد وجدوا أيضا أن لون الذكر أوضح من ألوان الاناث والقاعدة التي ذكرناها في ذوات الأربع موضحة سارية أيضا في الطيور والزواحف وفي بعض أدنى الحيوان أي التي ليس لها ظفر عظمي • فهذه ترى فيها الأجزاء المتناسبة والخطوط المنتظمة من الجانبين التي تشبه النماذج الهندسية وذلك كالحشرات • خذ مثلا لذلك حشرة (أني دقيق الطاووسية) • قال الكاتب (وليم) يبحث

هذه الحشرة وانظر عجائب ألوانها فشكل جزء منها على بهجة الخلى والجمال البهيج من أحد الجانبين قد ازدان بنظيره الموازن له في الجانب الآخر . وهذه صورتها (شكل ٤)



(شكل ٤ صورة حشرة أبى دقيق الطاووسية)

ثم أخذ الكاتب (وليم) يصف الطيور قائلا إن ظهر الطيور يكون أشد سوادا من بقية أجسامها مثل ذوات الأربع ويظهر هذا ظهورا أتم في الطيور المائية المنسوجة أصابعها . انتهى فانظر كيف كان قانون الألوان ساريا في المعدن وذوات الأربع والطيور . فكل هذه ترى الأعضاء التي هي أكثر تعرضا للشمس كالظهر وكذلك تكون أشد اسمرارا وسوادا وبالعكس ما كانت أسفل البطن مثلا فهذه تكون أكثر ظهورا في ألوانها لبعدها عن السواد . ولكن الذى سقنا له هذا المقال هو تلك النقوش المبدعة التي رأيتها في جدار الحبشة وفي حشرة أبى دقيق الطاووسى . فانظر الى الدوائر البديعة المتوازنة في الجانبين على وزان المحل الهندسى الذى شرحناه سابقا في المجلد السابع في التفسير . فاذا كانت الحرة والسواد جارية على ناموس عرفته . فما هو الناموس الذى به أبدعت هذه النقوش وزين هذا الحيوان المزرق كما يزرق الطاووس . هذه هي الزينة التي أشار لها الله فقال - إنا جعلنا - فها هو ذا سبحانه يقول . ها أنتم أولاء يا أهل الأرض قد اعترفتم أن علم الألوان عندكم لا يزال في حال الطفولة بدليل أنكم لم تعرفوا من أين أتت هذه النقوش فانه لو كانت الألوان راجعة الى تأثير الشمس كما في ذوات الأربع والطيور فلماذا يكون التوزيع المختلف الأشكال البهيج في (غمرالبنغال) وفي هذه الحشرة . إني أنا الذى وضعت القاعدة العامة لضوء الشمس وأردت مخالفة القاعدة في هذه الحيوانات لتعلموا أنى أنا الذى صورت هذه الصور وحليتها بتلك الخلى لينذكر أولوا الألباب . واعلم انه انما اختير هذا النوع لأن جماله أظهر وأبهى من جمال غيره من أنواع (أبى دقيق) وفي كل جمال . ولنعدرسم حشرة (أبى دقيق) التي تقشمت في سورة النحل عند الكلام على اختلاف الألوان لتتظن عجائب ربك وتفهم حكمته وتجب عما ذكرهناك وذكرها فهناك قد ذكرت لك أن الحشرة الواحدة في جناحيها ألف ألف وخمسةائة ألف بيت وكل بيت منها مائة مائة مائة في فترات الغبار التي فوق أجنتها . ولما أن يكون ملأوا هواء وهذا الهواء متى وقعت الشمس عليه انعكس



(شكل هـ صورة أخرى لحشرة أبى دقيق)

الفراشة العليا سبب اللون فيها مادة ملونة في تلك الآلاف من البيوت . والفراشة السفلى في بيوتها هواء يعكس النور كما علمت . فانظر لأنواع الجبال والتفنن في الحشرة وكيف كانت أولاهن أجملهن فهي كالطاووس وكانت الثانية فيها مواد ملونة والثالثة ليس فيها إلا الهواء والنتيجة الجبال وهذا بعض تفسيرنا لكيد في الآية يقول الله أيها الناس . إني جعلت للنور ناموسا وهذا الناموس يقتضى أنه كلما كانت قوة الحيوان أضعف كان لونه أميل الى البياض وكلما كانت قوته أشد كان أميل الى السواد وهو هكذا بالترتيب (أبيض . أزرق أخضر . أصفر . برتقالى . أحمر . أسمر . أسود) . فالرجل أيام قوته شعره أسود ومتى شاب ابيض شعره والمقام لا يحتمل التفصيل وقد علمت بعض التفصيل فيما مرّ آنفا . فإذا يقول الحكماء في تزويق حمار الوحش وحشرات أبى دقيق للرسمات هنا وما هذا الإبداع في أجنحتها . الله أكبر . الأجنحة كما تقدم مكشوفة للشمس معرضة لها . وقد تقدم أن هذه تكون أميل الى السمرة والسواد فما هذه الجرة وما هذا البياض . أين القاعدة إذن . ما هذا التزويق . الله أكبر . هنا ظهر الاختراع والإبداع . القاعدة كانت تقتضى أن يكون الجناح لونا واحدا . ولكن الحكمة قضت أن تضع فيه مخازن وغلاؤه مواد ملونة أو هواء والنتيجة النظام الجليل . هذا هو السبب في التوكيد . يقولون في علم البلاغة

جاء شقيق عارضا رحمه * إن بنى عمك فيهم رماح

فشقيق لما ورد على بنى عمه ورد عليهم غير مكثرت بهم وجعل رحمه بهيمة من لا يكثر بنى عمه كأنه يعتهم لاسلاح معهم وكأنهم عزل من السلاح فهو يعلم أن عندهم سلاحا ولكنه لما لم يكثر بهم نزل منزلة من ينكر سلاحهم وقوتهم فذلك قالوا * إن بنى عمك فيهم رماح * هكذا هنا يقول الله للناس قاطبة سواء أكانوا من الجهلة أم من علماء الطبيعة . أيها الناس . ما لكم لا تتعجبون من صنع فأثم ﴿ قسما ﴾ إما معرضون لا يشكرون لجهلهم . وأما مفكرون ولستهم مقصرون . فالأولون هم العالمة والآخرون هم علماء الطبيعة الذين يقولون كما ذكرنا اننا أطفال في علم ألوان الحيوان فيقول الله لطف رفيع ما لكم

تعرضون عن هذا الجبال . إذن أنتم كالمسكرين فلذلك قال - إنا جعلنا - فأكد لازال الطائفتين منزلة المنكرين ففهم يشاهدون تنوع الألوان في مثل هذه الحشرة . ومن عجب أن يقول - جعلنا - ففيها معنى التحويل كأنه حوّل وصرف هذه النواميس فلم يجعلها جامدة بل لون وأبضع وزوّق عند الحاجة . ذلك أن الحمار العادي لم يلوّنه بألوان مزخرفة وكذلك كثير من الحيوان . ولكن هذه الحشرة لما لزم الأمر لتزويجها لم يجعل قاعدة اللون مطردة على وتيرة واحدة بل حوّّلها ونوعها وصرفها وزوّقها . هذا هو المعنى الذي يؤخذ من لفظ - إنا جعلنا - . ألسنا بهذا نفهم قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه - انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في قوله تعالى - وجعلناها رجوماً للشياطين - ﴾

الله عز وجل جعل الجبال في هذا العالم ليتذكر به أولو الألباب . فأما غيرهم فإن الجبال يكون لهم فتنة فإذا برهم الجبال في الأشكال الحيوانية والمعدنية والانسانية أخذوا يحرمون عليه ويكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويحرمون على المال وجعه غراماً به ويصدّون عن حكم هذه الدنيا ويفعلون عنها ولا يفقهون من جبال هذا العالم إلا امرأة يشتهونها أو صوراً يغفرون بها . فأما جبال هذا العالم من مساواته وأرضه فلا يعرفونه فأصبح الجبال لهؤلاء رجوماً يرجون به وكأنما هم يريدون الصعود فيرقعهم هذا الجبال فيقعدهم عن النهوض إلى العلا وهذا قوله ﷺ ﴿ إن الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تعملون ﴾ خلاوة الدنيا هذه هي التي تقعد بهم أكرث الناس عن العلوم والمعارف فهي رجوم للشياطين الانس والجن الذين لا يعقلون

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

لقد تبين في هذا المقام وفي غيره من هذا التفسير أن الضوء ينزل على الأرض فتكون منه نفس الألوان إذن لالون في الأرض إلا من الضوء . فالألوان السبعة هي الألوان التي نشاهدها في الأرض . إذن جبال الوجوه وبهجة الحدائق ومحاسن الناس والحيوان كلها أصباغ من لون الشمس وهذه الأصباغ يعكف عليها الجهال فهم لا يعرفون إلا الجبال الظاهري المثير للشهوة التي يشاركون فيها الحيوان في الأرض . أما جبال الحكمة وبهجة العلم ورقى العقل فهم محرومون منها فصاح إذن أن المشرقات من الكواكب تقذفهم من كل جانب بما يثير شهواتهم التي تصدّهم عن العقل . ولا فرق بين شهب تقتل قتلاً حقيقياً وبين صور تصدّ عن العلم فتميت القلب * قال الشاعر

ليس من مات فاستراح يميت * إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كشيء * كاسفاً باله قليل الرجاء

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - الخ ﴾

هذه الآية وردت لإباحة اتخاذ الزينة والجبال من كهرباء وحدائق وبساتين جميلة وحقول ظريفة ومسكن لطيفة . فكل هذا من المباح ولا حرج في المباح . ومن ذلك الحلى المختلفة الأشكال البديعة الأوصاف لازال الناس قديماً وحديثاً يقتنون الأحجار الكريمة . وقد شاهد الناس ما خلفه الأولون من تلك التحف الجميلة فقد كشف الناس في عصرنا حلى كثيرة لقدماء المصريين مثل ﴿ توت عنخ آمون ﴾ وهكذا ورد عند كتابة هذا الموضوع أنه قد كشفت آثار في العراق هذا وصفها يوم الأربعاء (٢١) مارس سنة ١٩٢٨ م إذ زار مندوب الأوقاف البغدادية المتحف العراقي وشاهد الآثار النفيسة التي أضيفت حديثاً إلى المتحف والتي اكتشفتها بعثة المستر (دولي) في هذه السنة فكتب عن تلك الآثار ما يلي

﴿ تقادم عهد الحضارة ﴾

كلما توالى الحفريات في العراق ظهرت لنا آثار جديدة تدل على حضارة السلف ومعظم الآثار عن حضارة

العراق القديمة لا يزال مدفوناً تحت أطباق الترى متوارياً عن الأنظار . وكل ما كان يحكى عن الاشوريين والكلدانيين والعيلايين لم يكن يخرج عن حدود ماورد في بعض فصول التوراة وما نقل عن سياحات (هيروdotus) و(اكسوفون واسترابون) ولم يكن اسم الشعب الشومرى معلوماً إلا قبل بضع سنوات لذلك لم يكن هناك من يحسر على القول بأن حضارة العراق تضارع حضارة مصر في قدمها . أما اليوم فلم يبق شك في أن حضارة العراق القديمة لم تكن متأخرة عن حضارة مصر في شئ إن لم تكن هي السابقة لها في القدم وأن الكنوز الأثرية لا تزال مطمورة في جميع أنحاء العراق لم تمسها آلة الحفارين والمنقبين بعد . وهنا نذكر كلمة للبروفسور (كلى) العالم الأثرى الأمريكى الذى كان قد قدم العراق وألقى على المعلمين محاضرة في المدرسة الثانوية في شتاء سنة ١٩٢٥ فقد قال ﴿ لوأنت عشرات البعثات الأثرية الى هذه البلاد واستمرت في العمل ٣٠٠ سنة لاتستطيع أن تكشف جميع الكنوز الأثرية التي في أرضها ﴾ فلا يعلم والحالة هذه المدى الذى يرجع اليه مبدأ الحضارة في العراق بعد أن اكتشفت في (أور) آثار حضارة زاهية وبقايا قصور مشيدة يرجع عهدها الى ٤٩٠٠ سنة قبل الميلاد أى قبل عصر (الاهرام) بقرون كثيرة

﴿ ١٧ قرناً قبل توت عنخ أمون ﴾

ليست الاكتشافات الحديثة التي عثر عليها المستر (وولي) في الشهر الماضى أقل قيمة من الوجهة العلمية والتاريخية من الاكتشافات التي عثر عليها المستر (هوارد آرثر) منذ أربع سنين في وادي الملوك . فإذا كانت آثار (توت عنخ أمون) تمثل الحضارة المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد فإن التحف التي ظهرت في قبر الملكة (شوباد) ملكة (شومر) على يد المستر (وولي) في الشهر الماضى تمثل حضارة (الشومريين) الى ما قبل القرن الثلاثين قبل الميلاد أى انها سابقة لعهد (توت عنخ أمون) بنحو سبعة عشر قرناً

﴿ العظمة الحربية الثالثة ﴾

يروى لنا التاريخ العربى أن أمير البصرة (معين بن زائدة الشيبانى) كان يصيغ فصول سهامه من الذهب وذلك ماجل شعراء عصره على التغنى بعظمته والاشادة بمدحه واطراء سلطانه . ولم يكن يحكم أحد بأن ملوك العراق وأسراؤه قبل خمسة آلاف سنة أو أكثر كانوا يلبسون الخوذة الذهبية و يمتطقون بالخنجر المصعق بالحجارة السكرية ولكن ذلك ما ثبته لنا الآثار التي أودعت في المتحف العراقى قبل بضعة أيام . ومن أهم الآثار التي وقعت في حصة المتحف العراقى وشاهدناها خوذة ذهبية كبيرة تلبس على الرأس وتغطيه حتى أسفل الأذنين وتنجلى دقة الصنعة في هندامها ونقشها واتقانها ولها عقدة كبيرة لطيفة تشبه عقدة العقال في مؤخرة الرأس وللاذنين فيها محل نائى مصنوع على قدر الأذن والقسم الواقع أمام الأذن وتحتة يكى لأن يستر الصدغين والوجه ويحان بالخواذة الأسلحة الذهبية الأخرى وهى عبارة عن خناجر وحارب ذهبية وضعت في المتحف وشكلها بدعى يدل على عناية الشعب الشومرى بأسلحته الحربية . وجميع ذلك قد ظهر في الحفريات الأخيرة التي نحن بصدد ذكرها

﴿ حسن النوق ﴾

لقد ألفنا في عصرنا هذا أدوات الزينة الدقيقة للرجال والنساء وشاهدنا أنواعها المختلفة ومع ذلك لا نملك من ابداء تعجبنا عند ما نرى قرطاً جيلاً أو خاتماً أو دبوس صدر يوضع على رباط الرقبة أو ماشاء كل ذلك ولكن الأعجب من جميع ذلك أن نجد من هذا القبيل ما كان مألوفاً في العراق قبل خمسة آلاف سنة . ففي المتحف العراقى اليوم دبوس فضى ملتوى الرأس وعلى قمته تمثال (قرد) ذهبي صغير لا يزيد ارتفاعه عن ثلث قيراطيه من دقة الصنعة وجمال المنظر ما يدعش الناظر . إن مثل هذا (الدبوس) كان يحلى عصابات النساء في ذلك العهد أكثر مما كان يحلى صدور الرجال . وعلى كل حال فهو دليل على حسن ذوق الأسلاف وتفنههم في أساليب

الزينة . وهناك دبوس آخر ينتهى رأسه بحجر كريم (لازوردى) ودبابيس أخرى مجرّدة

﴿ التماثيل ﴾

من أجل التماثيل التى ظهرت فى الحفريات الأخيرة والتى أودعت (المتحف العراقى) رأس أسد ورأس نور وكلاهما من (البرونز) إلا أن رأس الأسد يضرب الى اللون النحاسى الذى يدهش الناظران التماثيل عيناها الصناعيتان اللتان قد قلّدت الطبيعة فى صنعهما أجل تقليد وقد وجدنا كثيرا من التماثيل المصرية والافريقية والرومانية وشاهدنا صورها فلم نجد إلا عينا من مادة التمثال نفسه . وقاما شوهدت تماثيل لها أعين تحاكي العين الطبيعية وتقلدها . أما فى هذه التماثيل فالأعين تسكاد تجعل التمثال حيا يحرق فى وجهه الناظر اليه

﴿ الحلى والمصوغ ﴾

يظهر من القلائد الذهبية التى أودعت المتحف أن الشومريين كانوا يميلون جدّا الى تقليد الطبيعة فى معظم مصنوعاتهم وأدوات الزينة عندهم . فهذه القلائد الذهبية عوضا عن أن تكون على شكل عقود الخرز كما ظهرت بين آثار الأكديين والاشوريين وفى (بابل) نجد هذه القلائد منظمة من قطع ذهبية ومطرقة ومسنة على هيئة أوراق الأشجار وكانت هذه القلائد تحلى صدور الأوانس والسيدات قبل خمسة آلاف سنة انتهى . وانما ذكرت هذا لتعلم أن الله الذى أنزل القرآن وأبدع الجبال فى تلك الحيوانات وغيرها هو الذى أودع فى قلوب الناس حبّ الجبال . فطائفة فتنت به فهلكت وطائفة أبيع لها فاعدلت وماطفت وقد ظهر هنا أن الناس قديما وحديثا مغرمون بالتحلى بكل جيل وهذا التحلى مباح . انتهى

الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى قوله تعالى فى هذه السورة - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ﴾

اعلم أن الصناعات كلها فرض كفاية كما تقدّم فى أكثر هذا التفسير ومنها صناعة الحلى التى رأيتها فى مباحات اللابسين وواجبة وجوبا كفايا على الصانعين . ويبانه أن هذه الحلى وإن كان لبسها مباحا ومنعدوبا لم تخرج عن كونها إحدى الصناعات والصناعات اذا لم يقم بها طائفة من الأمة ولو كانت للزينة كهدية الحلى اضطر الأغنياء اذا أرادوا أن يستعملوا الحلى أن يجلبوها من البلاد الأخرى وهذا من أهم أسباب خراب الأمم كما هو الحاصل الآن فى بلاد الشرق كصر وغيرها ففرق ما بين اللابسين والصانعين بل الأمر فوق ذلك لو أن امرا وجدت فيه قابلية أكثر من غيره لمثل هذه الصناعة وجب على رجال الدولة أن يخصصوه بهذه الصناعة تعلما وتعلما فيكون فرض عين عليه وإن كان هو فى ذاته فرض كفاية والأمة كلها تذهب اذا تركته كلها والله هو الوليّ الحليد . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس فى قوله تعالى - وزيناها للناظرين - ﴾

اعلم أن الله عزّ وجلّ لم يخلق الخلق عبثا ومن أعجب خلقه الجبال والنقش والتصوير الذى رأيت فى نحو الصورتين السابقتين . أمّا العاتة وسائر الجلاء بل مثلهم أكثر المتلعبين فى ديار الاسلام لا يهتمون بهذا الجبال لأنهم غالبا محرومون من تذكرة المذكرين به وفاقد الشيء لا يعطيه . إذن هذا الجبال لطائفة خاصة من الناس وهم المفكرون . تعجب ثم تعجب من نظم القرآن لم يقل الله وزيناها للابسين ولا زيناها للعاملين بل جعل هذه الزينة خاصة بالناظرين وهؤلاء الناظرون الذين زين لهم السماء وهم المفكرون فى خلق السموات والأرض . فأما بقية الناس بالنسبة لهم فهم أشبه بالحتم والعبيد مسوقون للنظام العام ولأملاك هؤلاء إلا حكماءهم المفكرون فهم الذين زين الله لهم السماء

﴿ حكمة باهرة فى خرافة ظاهرة ﴾

لقد كنت فى زمن الصبا أسمع فى قرينتنا الناس اذا رأوا فى السماء سحابا متقطعا زمن الشتاء لامطر فيه

يقولون ان السماء ازينت بهذا اليوم مات فيه عالم فهم يظنون أن العالم اذا مات زين الله السماء له . أقول وهذه الخرافة من الحقائق لأن الله هنا يقول - وزيناها للناظرين - ولا ينظر إلا المفكر العالم . إذن زينة السماء لن تكون إلا لمن يفرح بالزينة ويعقلها . فانظر كيف كان هذا الجبال مصاب على صغار النفوس الذين هم كالشياطين وحلالا للباسين وعملوا واجبا على العالمين وزينة للمفكرين والجد لله رب العالمين

الفصل السادس في قوله تعالى بعدها - أم حسبت أن أصحاب الكهف - الخ ﴿

اعلم أن هذه الآية أشبه بآية يوسف عليه السلام إذ ذكر القصة بتمامها ثم أفهم القارئ أن هذه القصة من آيات الله وهي كثيرة . وإذا كانوا لا يعقلونها فكم تركوا آيات في السماء والأرض فلم يعقلوها فهذه عادتهم هكذا هنا يقول سبحانه . إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - وهذه الزينة إنما أبدعها لينظرها ويعقلها المفكرون . إذن ليست قصة الفتية في الكهف أمجب آياتنا . فكم لنا من آيات ومنها صور الحيوانات والنباتات البديعة البهية السارة للناظرين . ولكن هذه الجبال والجبال والزينة ليست مقصودة لذاتها بل أنا سأجعلها - صعيدا جزوا - وأزبلاها من الأرض . فإياكم أيها الناس أن تجعلوها قبلتكم وتؤمونها مقصدكم فما ذلك الجبال إلا صور من العوالم زوّقتها لتدرسوها . كتبها بيدي كما تكتبون في الألواح للصبيان فإذا قرأتموها محوت ما كتبت وجذدت غيره . وما هذه الصور للتلاحقة إلا دلالة على جبال أعلى فاتنوا الفرصة واخذوا هذه الصور الجلية في خيالكم وادرسوها في عقولكم حتى ترجعوا إلى وقد علمتم نموذج أفعالي وجبال حكمتي - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام . انتهى إلية الأحد الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ شمس عقد الزينة في بهجة الجبال ﴾

ألا يارعى الله العلوحيا أهله وأنارسبيل الهدى بنوره . الجاهل لا يعقل الجبال . ليس الجبال كل الجبال ما يفهمه ذكران الناس والأنعام والغنم والبقر والأساد والخنافيس من محاسن إنائها ولا ما يفهمه الاناث من قوة ذكورها وجاهلهم . هذا جبال حيواني شهوى تساوى فيه الانسان والحيوان قد أعد لغرض خاص وهو التناسل . ألا إنما الجبال كل الجبال ما خبأته يد الأقدار عن عيون الجاهلين وأبرزته لبصائر الحكماء والعلماء والفهماء . أول الجبال جبال البصر . وثانيها جبال البصيرة . أبصار الجاهل كأبصار الخفافيش لا ترى الصور والسبيل إلا حيث يكون الظلام . وبصائر الحكماء والعلماء أشبه بأبصار سائر الحيوان ترى بنور الشمس من الصور والجبال وأنواع المحاسن ما أظلم على أعين الخفافيش في وضوح النهار . أكثر أهل الأرض الجاهلون وأقلهم الحكماء والمستبصرون والله عز وجل لم يدع طريقا لفتح البصائر حتى يبلغ منه الجاهل إلى حظائر الجبال في العوالم والمعارف إلا أوضحه وجلاه ولا سبيلا من سبل الهداية لإسنائها وسهولها . ألا انعم الله على عقول الناس بالنسبة لجبال هذا الوجود كمثل الأرض ومثل العلم كمثل الماء والله تعالى يقول في الأولى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير - وهذا أمر مشاهد فالناس يرون الأرض وهي ساكنة خاشعة لا يمر على فيها ولا نبات ولا شجر ولا حيوان إذا طرأسابها فنراها أخذت تنفخ وتنفض عن صغير الحشائش والشجر وأنواع النبات فتزهر وتتم وتصور عروسا جلية شابة مقبلة بعد أن كانت عجوزا شوهاء مدبرة . الله أكبر هكذا العقول فانك اليوم ترى أكثر العقول في بلاد الشرق نائمة خاملة خاملة هاملة . ولكن انظر انظر . انظر إلى غيث العوالم وفنون الحكم والصناعات أفلس ترى سحائبها أخذت تخطر عليها صبا . فها هوذا يحياها ويخرجها من جهاتها وينيرها ويقضي على ظلمتها . أأنت ترى أن أهل الشرق الآن أخذوا يقرؤون العوالم ويجربونها ومنهم بل أكثرهم المسلمون ومن هذه النهضة الحديثة هذا التفسير الذي شرح الله قلبه له وزينه فيه وجعلني أكتب بشوق وحب عظيمين وسرتي في هذا المقام من الجبال والبهجة ما يشرح صدرك وصدور المؤمنين لحوز العوالم على اختلاف أنواعها

وفنونها والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . إن قياس العقول الانسانية على الأرض وقياس العلم على الماء جاء في نفس القرآن فليس هذا بدعا فآله يقول - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل - الخ فجعل الله القرآن والعلم أشبه بالماء والعقول أشبه بالأودية * وجاء في حديث البخاري انه عليه السلام قال ﴿ مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا الخ ﴾ فاذن هذا التشبيه معروف معقول وإنما أوضحته لأرتب عليه ما ترى من الجبال

﴿ حصر أهم الطرق التي بها تثار العقول لادراك الجبال وفهم زينة هذه العوالم ﴾

(١) خوارق العادات على أيدي الأنبياء (٢) ظهور غرائب من العلم على أسنة قوم لم يتعلموا وهم صلحاء في أمة الاسلام (٣) غرائب من العلم ينتجها الخيال الانساني فيثير في النفوس حب المعرفة فتدرك الجبال الجذ والنصب في معرفة العالم وذلك ﴿ بطريقتين ﴾ طريق الدراسة المعروفة . وطريق السير في الأرض لمشاهدة المجائب الطبيعية . فهذه خمس طرق (١) طريق الأنبياء (٢) طريق الأولياء (٣) طريق وضع القصص والأخبار لأجل الحكمة (٤) طريق التعليم في المدارس (٥) طريق السير في الأرض كالسفر الى القطبين مثلاً كما سيأتي بيانه ﴿ الطريق الأول ﴾ طريق الأنبياء ومجرباتهم . قلت لك إن أكثر العقول في هذا النوع الانساني خادمة جامدة خجود الأرض وجودها وقد ابتلاها الله جميعها بالسير في الأرض لطلب المعاش ومداغة الأعداء حتى سد عليها طرقها وعميت عليها مسالكها فأرسل أنبياء فجاءوا بمجربات فرأوا أو سمعوا أن العسا قلبت حية والميت قد حي وأن أقوالا نزلت على لسان انسان لم يتعلم غفر له المتعلمون من الأمم سجدا وخضعوا له . سمعت ذلك الأمم أورأته فقالوا أيام موسى كيف قلب العسا حية فقال قوم هذا يدل على أن هناك قوة فوق قوتنا وهذه القوة بها صار هذا نبيا فأخذوا يفسكرون في العالم وفي صانه وقال آخرون . كلا . هذا سحر فنحن لانصتقه . فاذن يكون الناس ﴿ فريقتين ﴾ مصدق ومكذب وهناك يكون جدال ونضال وأخذ ورد وهذا فتح لباب العلوم والمعارف ومعرفة الجبال في هذا الوجود . إن الله قد جعل هذا العالم كله قائما على الاعطاء بعد المنع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ على الشوق . فأما شوق أحد الصنفين للآخر فهو طبيعي والجبال فيه لا يعوزه كبير عناء . أما الشوق لمعرفة جمال هذه الدنيا وما على الأرض من الزينة فانه لا يحصل إلا بمقدمات تقدمته ومنها ثورة الفكر بحرب أوطهورني يتحدث حوله جدال . وبالجملة فكل ما يؤلم النفوس أو يهيجها يفتح لها بابا من أبواب المعرفة ويصقلها أنواع المراتبات من صفوف الليالي وثورة الأفكار كلها صاقلات للعقول منيرات لسبل العاوم وادراك الجبال . هنالك ينقسم المؤمنون ﴿ فريقتين ﴾ فريق لا يتبعون الايمان بالأنبياء وفريق يقولون اننا اذا رأينا أو سمعنا أن العسا قلبت حية أو أن ميتا رجع حيا على يد نبي أو أن نبيا قرأ للناس قرآنا فاتبعتهم أم وأم من دول شتى ولغات مختلفة وهولم يتعلم حرفا واحدا فعنى هذا أن هذا الوجود فيه عجائب مخبوءة عنا وجبال مستتر فلنذهب قداما في العلم ولنجد حتى نعرف قصة هذا الوجود الذي نعيش فيه وقصة العسا والحية تفتح لنا بابا لدروس علوم المجائب وهي الكيمياء والطبيعة وأمثالها من كل ما يعرفنا جمال هذه الدنيا وقصة الميت الذي حي على يد المسيح كذلك تشير لنا أن ندرس مناهج عجائب الحيوان والنبات كما سيأتي في سورة مريم . هذا اجبال الكلام على الطريق الأول وهو طريق مجربات الأنبياء الموقظات عقول الناس لادراك ما على الأرض من زينة وجمال

﴿ الطريق الثاني المجائب التي تظهر على أيدي الصلحاء ﴾

أماي الآن ﴿ كتابان ﴾ أحدهما ﴿ كتاب (الابريز) آله نجم العرفان الحافظ الشيخ أحمد بن المبارك وهذا الكتاب يشهد بأن هذا المؤلف قرأ علوم الأوائل الفلسفية وعلوم الدين الاسلامي وقد كان في القرن الثاني عشر الهجري . ولكن هذا العلامة النحوي يجلس أمام الشيخ عبد العزيز الدباغ الذي لم يتعلم علما

ولادينا فيجد الرجل حكماً في كل علم ديني أو فلسفي فصار الشيخ ابن المبارك تلميذه يتلقى عنه العلم وهذا محب أن يكون من لاعل عنده أعلم من علماء الاسلام جميعاً بعلومهم وغيرها . ومعنى هذا أن الله عز وجل يخلف في هذا العالم خوارق لعوائلهم تقزع أسماعهم وتوقفهم الى التعقل والتفهم . وإنما فعل ذلك الله في ذلك الزمن لأنه زمان جهالة والمسلمون قد أدبرت دولهم وذهبت ريجهم وكثرت خرافاتهم بجفاءهم بالعلوم من طريق ما يعتقدون وهم لما أدبرت دولهم وغابت شمس علومهم كانوا قد عكفوا على قبور الصالحين وتقرّبوا اليهم وطلبوا منهم المعونة فأرسل الله لهم في ذلك الزمن علوماً على ألسنة بعض الصالحين ليرشدوهم ويقولوا لهم أيها المسلمون أنتم في ضلال فارجعوا عنه وافهموا بقولكم ولا تشكوا إلا على ربكم والصالحون والأنبياء ما هم إلا عبيد امتازوا عنكم والله ربكم وربهم . هذه بعض الحكم في خلق هذه النفوس النادرة الوجود في أمة الاسلام . هذا أحد الكتائب . أما الكتاب الثاني فهو كتاب «درر القواص» على فتاوى سيدى على الخواص ومعه كتاب آخر وهو كتاب «الجواهر والدرر» مما استفاده الشيخ عبد الوهاب الشعراني من شيخه على الخواص وكلا الكتائب للشعراني وكان ذلك في القرن العاشر الهجرى أى قبل ابن المبارك بقرنين . إذن الملاحظات للأهم الاسلامية ترى عليهم من حيث لا يشعرون فيكون ظهور الحكمة على ألسنة بعض الصالحين في فترات لتوقفهم . ولكن يظهر أن هذا الزمان هو الذى سيكون فيه أبجى ظهور للعلم وأبرج السبل وبدائع العرفان . فانظر الى مجاهد في الكتاب الأول فقد سأل الشيخ ابن المبارك شيخه السباغ قائلاً مالم يخلصه أن الناس يستغيثون بالصالحين دون الله عز وجل ولا يحلفون إلا بهم ولا يخافون إلا منهم فأجابه بما يفيد أن هناك أسباباً أوجب انقطاع الناس عن الله عز وجل طرأت على هذه الأمة من غير أن تشعر بها . وهذه الأسباب هي التي أوجب ارتباط قلوبهم بالصالحين وانقطاعها عن الله عز وجل وذكر منها

- (١) الهدية للصالحين ليشفعوا لهم عند الله لوجه الله
- (٢) والتوسل للصالحين بالله عز وجل ليقتضوا حاجاتهم
- (٣) أن يترك المسلم فرض الصلوات ويזורر الصالحين
- (٤) أن يخاف الانسان من الظالمين على العمر والرزق مع أن المرء اذا قوى علمه بتصرف الله وحده في ذلك قرب منه بقدر ذلك العلم
- (٥) التقرب للظالم لينال منه رزقاً
- (٦) عدم النصيحة للمسلمين إذ يرى ما يضرهم ولا يأمرهم بالتحرز منه ويرى ما ينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له
- (٧) أن يعبد الانسان ربه ليرجيه وينفعه مع أن الأفضل أن يقصد وجهه مرة واحدة لاحظ الدنيا ولا الآخرة . انتهى

وجاء في كتاب الشعراني حكم مثل ان الشعراني رضى الله عنه سأل شيخه الخواص عن الأوراد التي يقرؤها المريدون التي لم ترد في الشرع مثل ما فعله البوني . فأجابه شيخه المذكور بما يفيد أن عباد الأوثان أسسن حالاً من هؤلاء لأن هؤلاء اتخذوا هذه الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق وانتقاد الخلق لهم وعباد الأوثان قالوا إنما نعبدكم ليقربونا الى الله زلفى . وقال له في موضع آخر من آخر الكتاب الثاني ان الشيخ يلقن ألف تلميذ أذكاراً وأوراداً فلا ينتج له مريد واحد . وعلى ذلك لا يعول على هؤلاء الأشياء في هذا الزمان ولا على أورادهم وأقول ان هذا مبالغه ولكن فيه حقائق

واعلم أيها الذي أن هذه الكتب وأمثالها قد قُرئت في أمة الاسلام في القرون المتأخرة وفيها حكم كثيرة جداً وعلوم جمة ومنها علوم لم تكن معروفة رظهر بعضها في الكشف الحديث ولكن فيها هناك أمور أخرى

غامضة وبعضها لا يوافق الحقائق . أندرى لم هذا . لأن الله يأتي بالمتناقضين في هذه كلها ليجوب علينا البحث والتدقيق ولا يحملنا متكئين على أحد لاعلى الأولياء ولا على غيرهم بل لانتكسر إلى الله والله هو الذى أعطانا العقول والأنبياء أيقظونا لاستعمالها . غرام أن نترك عقولنا وتشكل على أحد ولذلك جاء هذا التفسير وأمثاله من كتب المعاصرين لنا لتعجده في بحث العلوم والحكمة بأسرها لتعرف الجبال فالعلم جمال وما أفتح وصف الجبال

﴿ الطريق الثالث غرائب العلم التى ينتجها الخيال الانسانى فيثير في النفوس حب المعرفة فتدرك الجبال ﴾
ان العقول الانسانية التى ليست بأنبياء ولا أولياء هي نور مستمدة من نور الله عز وجل . فكل نور فهو مستمد من نوره . ولو خلا الانسان بنفسه وفكر فيها لدش من هذا العقل والخيال اللذين يسموان به الى الأفلاك ويقطعان فيافى ومواى ربحاهل تخترق السبع الطبايق وتهيم في تلك المخارق الفسيحة ولا تقف عند حد ثم هي تخرج في مجاهل بعد مجاهل فتعرف ماشاء الله من الكواكب الثابتة طباقا عن طبق ودائرة وراء دائرة إلى أن ينقطع الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو وبهاى إلا ذكرى للبشر - ثم نراها يرجعان الى الأرض أى الخيال والعقل فيخترقنها ويحوسن خلالها ويدرسن معادنها وفهمها ثم يغوصان على جواهر عاومها فيقولان ان هناك بحرا من نار في داخلها بحسب ما يتخيل المتخيلون . فهذا العقل وهذا الخيال الجبلان المرسلان من الله عز وجل لنا الذى أحاطنا بالأنوار الحسية والأنوار المعنوية هما اللذان بهما اخترعنا أنواع النقش والتصوير والنحت والشعر والموسيقى وأنواع صور الجبال والبهاء في هذه الدنيا . ومن ذلك الاختراع ما أنتجته العقول في علم البيان والبديع من الصور الجميلة الخيالية مثل تشبيه معركة حربية واختلاف السيوف فيها بهيمة ليلة انتشرت نجومها فهى مضية في وسط الظلام وتقول

كأن منار النقع فوق رؤسنا * وأسافنا ليل تهادى كواكب

ولا ريب أن الشعر وبدايته أمر مشهور ومعروف فلا نطيل به . وأبدع من ذلك ما رواه من ضروب الخيال والسمعر الحلال الذى يسميه الناس خرافات في أمثال كتاب ﴿ ألف ليلة و ليلة ﴾ وكتاب ﴿ كالملة و دمة ﴾ وفى الثانى محاورات بين أنواع الحيوان فيها ضروب الحكم والعلوم والسياسات . وفى الأول اختراع أقاصيص تصور الامور المستحيلة فذوق العقول للاعتراف من بحار العلم . فهذه أكاذيب جعلت وسيلة للصديق في العلوم لقوم يعقلون . وأذكر لك منها الآن ﴿ قصتين اثنتين ﴾ قصة مدينة النحاس وقصة أبى قير وأبى صير

﴿ الأولى قصة مدينة النحاس ﴾

ان المؤلف اخترع قصة خيالية ملخصها أن موسى بن ناسر المعروف في التاريخ أنه هو وطارق بن زياد فتحا الأندلس كان معه رجل يقال له الشيخ عبد الصمد وقد كان أمامهما جنى من الجن التى حبسها سليمان عليه السلام في عمود ولما خرج من العمود حكى لها عن تاريخ حبسه وعن كل ما جرى له من أيام سليمان الى أيام عبد الملك بن مروان وموسى بن نصير وبعد ذلك رأيا مدينة من النحاس التى طاف حولها رجال على خيولهم يومين كاملين وفى ثالث يوم رجعا الى اخوانهم فأدهشتهم المدينة لعظمتها وارتفاع أسوارها ثم اجتهدوا حتى غمروا على مفاتيحها ففتحوها ووجدوا فيها من الجواهر والذهب والفضة ما لا يحصر والقوم فيها صرعى جيعا والأسواق مفتحة والبضائع كثيرة وهى خلية إلا من جث الموتى وانهم عثروا على فتاة جميلة بعينين تنظران فسما فلم ترد فعرفوا أن هذه ميتة ولكن عينا تتحرك بالحكمة فالحركة صناعة . ولما قرب واحد منها تحرك سيفان واقفا حولها بتصور الحكمة فضرباه بالسيف فقتلاه وقد كانت عملة بأبدع الحلى التى لا نظير لها في المدينة فتركوها ثم وجدوا لوحا مكتوبا فيه ما ملخصه

﴿ ان ترمز بن بنت عمالة الملوكة قد حبس المطر عن مملكته سبع سنين ولم يبق شيء يأكلونه بعد كل

الدواب والجيف فأرسل بالمال من طاف الأقطار فلم يجد قوتا يشتريه فأغلقنا حصوننا ومتنا وهذه أموالنا لم تفدنا ﴿

ولما رجع الأمير موسى ومن معه إلى عبد الملك بن مروان أخبره بما حصل وأراه اثني عشر قمحا من القماقم التي زعموا أن فيها جنة وكذا فتح عبد الملك قمحا خرج له شيطان صارخ يقول التوبة لله يائي الله وما تعود لنالك أبدا . هذا ملخص القصة والقارى لها أحد رجلين إما جاهل يعتقد صحة هذه الخرافات التي لا توافق الحقائق ولا التاريخ ولكنه قد خرج بعلم وحكمة وأشعار كلها حكم ترشد في الدنيا وتصرفها في عينه وإما عالم أدرك أن هذا مجرد خيال وقد خرج بحكم شعروجال . ولا جرم أن أمثال هذا من الزينة التي زين الله بها أرضنا فقال - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لما نلبوهم أيهم أحسن عملا - فهذه زينة لم تكن زهر البساتين ولا نور النجوم وانما هي أنوار العقول برزت فبهرت قوما وهتتهم وأضلت آخرين فأغوتهم . انتهت القصة الأولى

﴿ القصة الثانية قصة أبي قير وأبي صير ﴾

وملخصها أن الاسكندرية كان فيها رجلان صباغ وحلاق . فأما الصباغ فانه كان رجلا كاذبا خادعا يبيع ما يعطى له ليصبغه . وأما الحلاق فكان رجلا صادقا تخلصا وقدمعضهما الفقر بنابه فخرجا معا في بلاد الله يطلبان الرزق فصار الحلاق يعول الصباغ أسابيع وأسابيع . ثم ان الحلاق أصابه مرض وأعشى عليه فسرق الصباغ السراهم من جيبه وأقبل عليه بالحجارة وسار في المدينة التي هما فيها يتجول فيها وقابل الصباغين فوجدهم لا يعرفون إلا قليلا من فن الصباغة فتوجه لملك وأخبره قائلا ﴿ أنا أصبح ألوانا كثيرة مثلا الأحمر منه الوردى والعنابي والأخضر منه الفسقي والزيتى وجناح الدرة والأسود منه الفحشى والكحلى والأصفر ألوان مختلفة منه النارنجى والليمونى وهكذا ﴾ فأمدته الملك بالمال وفتح له مصبغة صبغ بها جميع الألوان وأقبلت الدنيا عليه من كل حدب وصوب . ثم ان الحلاق بعد أن هرب الصباغ بقي ثلاثة أيام وهو في القسيو به وفي اليوم الرابع أفاق فعلم أن صاحبه هرب ومعه نقوده فصار يتعهده جيرانه . ولما صبح جسمه خرج في المدينة فوصل إلى المصبغة المذكورة فوجد صاحبه فيها فلما رآه أمر بضربه ضربا شديدا فخرج حزينا بائسا ثم خطر له أن يستحم في الحمام فلم يجد في البلاد حماما فتوجه إلى الملك فواساه بمال كثير جدا وصنع الحمام واستحم فيه الملك وحنوده ومن أراد من الناس ومنهم الصباغ فجاء إليه فعرف أن الحلاق هو الذى فتحه فأخبره بأنه لما ضربه لم يعرف انه هو وحلف له على ذلك فتصافيا وتصادقا ثانيا لأن الحلاق صدقه ثم ان الصباغ قال للحلاق صاحب الحمام ضع الزرنين على الجبر وأزل به شعر الملك حينما يدخل إلى الحمام ثم ذهب إلى الملك فقال له انه يريد قتلك بدواء قتال فلما دخل الملك الحمام دلكه الحلاق كمادته ولما أظهر الدواء الذى ينظف الشعر أمر بأن يسكوه ولما خرج من الحمام أعطاه لرجل ليريمه في البحر فأخذ الرجل وتوجه به إلى جزيرة وقال لا أقتلك بل أخذ شبكة واصطد سمكا فوقعت سمكة في الشبكة فرأى فيها خاتم الملك الذى سقط منه وهوى بأمر بأن يرى الحلاق في البحر فلبس الخاتم وصار كلما أشار على انسان بيده قتل وهو لا يشعر فدهش أشد الدهش وهذا الخاتم هو

ملا وفيها كثيرا لاحصر له فرجع الى الاسكندرية بحشمه وخدمه ورأى بعض خدمه أن هناك زكية بجوار الاسكندرية فأخرجوها فإذا هي جثة (الصباغ) فأمر الحلاق بدفنها وأوقف عليها أوقافا كثيرة وعمل لها مزارا وكتب على الضريح أبياتا منها

المراء يعرف في الأنام بفعله * وفعال الحر الكريم كأصله

الى أن قال

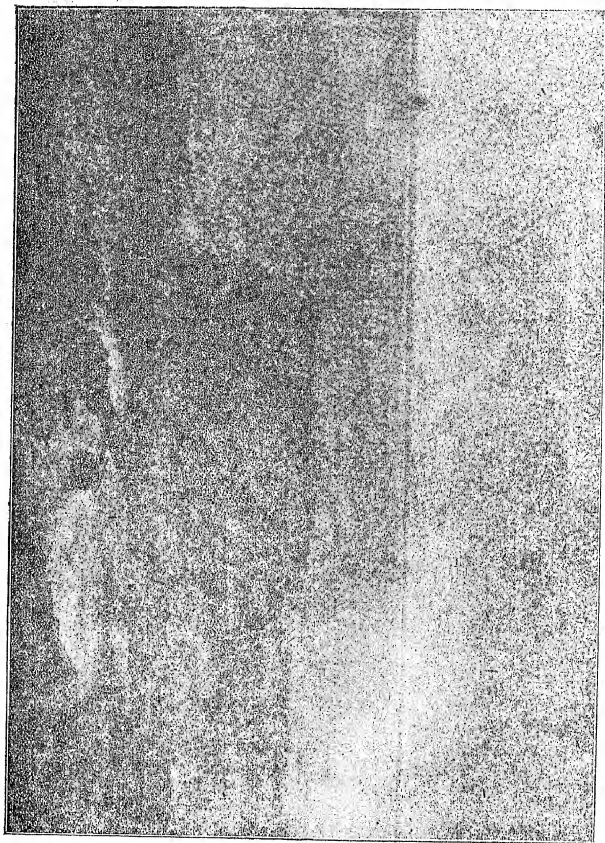
وتجنب الفحشاء لانطق بها * مادمت في هزل السلام وجته
ثم عاش الحلاق ماعاش في هناء وسرور . ولما توفى دفنوه بجانب قبر (الصباغ) فالصباغ اسمه أبوقير والحلاق اسمه أبوصير . فأبوقير هو العادر للمساكن الذى أحسن اليه أبوصير في حياته وبعد موته والمساكن الذى بقرب الاسكندرية كان يسمى باسم (أبى قير وأبى صير) وصار الآن يسمى (أباقير) لاغير . انتهى
فهذه الحكاية التى انتجها العقل الانسانى خوافة . ولكن الخرافة فيها . وعظة حسنة والموعظة هى أن فاعل الخير عاقبته السلامة والعادر الخائن عاقبته الندامة فأبوقير خائن فمات مقتولا وأبوصير صادق فعاث في نعمة وجبور . وللآثم الاوروية حكايات مثل هذه ألغوا لها الكتب ويقرؤها صغارهم وجهالم فيها صور من الخيال ينتفع بها الجهال والأطفال كما في حكاية البنت المستضعفة المتواضعة التى ذهبت الى البئر لئلا منها فقايلتها عجوز فطلبت منها الماء فسقتها فدعت الله لها أن يخرج من فيها كلما نطقت جواهر وورد فلما رجعت أدهشت امرأة أبيها بالورد والجواهر فأرسلت امرأة أبيها ابنتها الى البئر فأظهرت الكبر على السيدة الجبيلة التى قايلتها هناك فدعت عليها أن يخرج من فيها عند الكلام الحيات وأنواع الثعابين فلما رجعت الى أمها ورأت ذلك طردتها من البيت ثم خرجت فماتت . أما البنت الأولى فلما رآها ابن الملك تزوجها وهناك حكايات أخرى كثيرة تمثل الصدق والكذب والخيانة والأمانة وهكذا وفيما ذكرناه كفاية . انتهى الكلام على الطريق الثالث للعلوم الذى ينتجه الخيال

﴿ الطريق الرابع . طريق التلميم فى المدارس ﴾

وهذا معلوم مشهور وهذا يرجع الأشياء الى حقائقها كما رأيت من دراسة الألوان بارجاعها الى ألوان الشمس السبعة

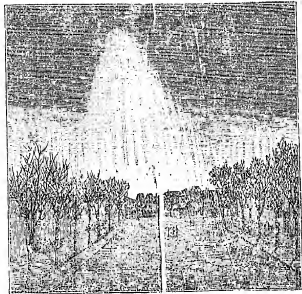
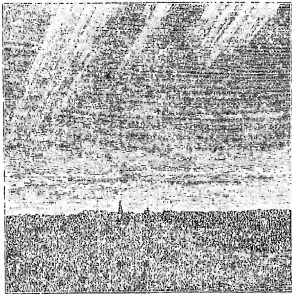
﴿ الطريق الخامس طريق السير فى الأرض ﴾

وهذا هو الذى نريد الاضافة فيه ولقد ذكرنا فيما سبق قريبا عجائب ألوان الحيوان من حيث كونها زينة وهكذا أنواع الماء الجبيلة التى تنبع من الأرض وهى حارة وسط الثلوج أو من مواضع حجرية وهذا يعرف بالسير فى الأرض ومشاهدة هذه العجائب فلا ذكر الآن عجائب مما على الأرض من الزينة التى تشتبك فيها غرائب الأرض وبدائع النور فى السموات . فلا ذكر مادبجه براع الكاتب القدير (جورج ويليم) تحت عنوان (الضوء الشمالى) . (انظر شكل ٦)



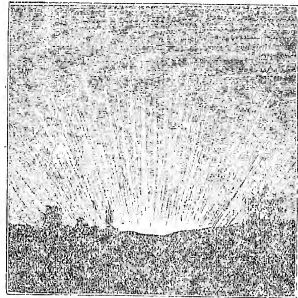
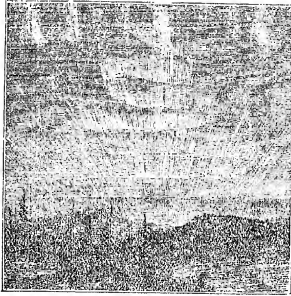
(شكل ٦ - صورة الضوء الشبالي من كتاب (عالم للجميع) مأونة بالجرة والخضرة والصفرة الخ في الأصل)
 هذا (الضوء الشبالي) كنت في شوق الى معرفته لما كنت أسمع دائماً ونحن نتعلم في مدرسة (دارالعلوم)
 من أستاذنا المرحوم اسماعيل بك رأفت إذ كان يقول لنا هناك أنوار عجيبة تسمى (الفجر الشبالي) فهأهي ذه
 الان احذثك عنها من قلم العلامة (ويليم) في كتاب (عالم للجميع) قال

إن بعض الناس في بلادنا (بلاد الانجليز) قد يرى (قبابا) جبلية مبهجة المنظر حسنة الشكل من النور تعترض ممسدة في الأفق بسرعة شديدة وتأخذ صورتها وألوانها تتغيران بما يعرض لها من الأشعة والأنوار التي تكون عمودية عليها . ومن أراد أن يحظى بمحاسن هذه المناظر في أبهى جلالها واسطع أنوارها وأنجب أشكالها فليتوجه الى خطوط العرض العليا مثل عرض (٨٢) درجة و (٢٧) دقيقة شمالا فقد شوهد ذلك للمنظر الجبل هناك سنة ١٨٧٥ وستة ١٨٧٦ م . وبعض هذه المناظر تكون ذات ألوان مبهجة قباب لماعة مشرقة متألثة ممسدة من أفق من أفاق السماء الى أفق آخر منها محلاة بلون أحر و بأخر أصفر مشرقين بهيجين . وهذه الأنوار تسمى (الضوء الشبالي) أو (الشفق الشبالي) وأما سميت بهذا الاسم لأن خطوط العرض الشمالية التي تظهر فيها هذه الأنوار يؤتمها الزائرون ويسافروها محبو الاطلاع أكثر من خطوط العرض الجنوبية العليا . إن مناظر هذه الأنوار ترى في الجهات الجنوبية في خطوط عرضها العليا كما ترى في خطوط الشمال ويسمى النور هناك (شفقا جنوبيا) . ثم قال ونحن قد اصفينا له اسم (النور الشبالي) وهذا الاسم مقبول عند الجمهور وإن كانت التسمية المستعملة له عادة (الشفق القطبي) . قال وإذا كان بعض قراء هذا المقال ربما لا تتاح لهم الفرص لارتداد النور الشمالي في الأقطار الشمالية أو النور القطبي الجنوبي في الأقطار الجنوبية . فلنفرض أننا في الفصول القصيرة من السنة أي الخريف والشتاء وقد ركبت سفينة وسارت بنا بسم الله مجراها ورساها الى الجهات الشمالية القطبية وليكن ذلك في أوائل فصل الخريف قبل أن يقترب من الليل الطويل القطبي . أقول وإيضاح هذا أن الليل يكون ستة أشهر في السنة في الجهات القطبية من أول فصل الخريف الى آخر فصل الشتاء فتكون الزايرة في أول الليل أي أول الخريف ليسكون ضوء الشفق هناك كافيا لرؤية الأجسام . ثم قال فهناك نلاحظ أن كل ما حولنا في برد شديد وهو عرضة للرياح الشديدة وإن هناك من الأنوار ما يكفي ل ترى في كل مكان تلك الصور السحرية الجميلة المناظر من جبال للجنة عائمة على الماء في الظلام وهناك نسع أصواتا هائلة بتصادم تلك الجبال الثلجية وتعارضها وارتطامها فلا يمكننا أن ندفع عن أنفسنا الطلع والفرع والخوف من أن تقع سفينتا بين جزيرتين من جزائر الجليد العائمة فيكون هلاكنا . إننا نشاهد المناظر حولنا أشبه بما يفعله السحرة والمشعوذون بقضبانهم وصوالجهم إذ تخيل لنا تلك المناظر أننا في قصور مزخرفة محلاة بأنواع الخلى والجواهر في « ألف ليلة وليلة » وهذه صورة (الشفق الشبالي) الذي شوهد في ٢٤ فبراير سنة ١٨٧٢ عند (أورلين) (شكل ٨٥٧)



(شكل ٨٥٧ - صورة الشفق الشمالي الذي شوهد عند (أورلين) في ٤ فبراير سنة ١٨٧٤ م)

إننا نرى هنا (قباباً) من النور المتلألئ البهيج ممتدة منسجمة في أكناف السماء من الشرق إلى الغرب وهي تارة تكون واقفة وآونة تسيرها حولنا نحو الشمال . ثم نرى ألواناً أخرى تأتي عمودية على تلك القباب المذكورة وإذا كانت القباب تحت فانا نرى تلك الأشعة وإن كانت متوازية غالباً تتجه إلى أن تكون على هيئة خطوط متجهات إلى نقطة سمت الرأس . وهذه الأشعة الضوئية في النادر جداً إنما تكون متجهة إلى جهة سمت الرأس في السماء وكثيراً ما تولي وجهها شطر الشرق بهيئة حركة الثعالب التواء وانعطافاً من طرف إلى طرف وقد يغطي هذا النور أكناف السماء . هذا نظراً في السماء فإذا حولنا وجهة نظرنا إلى مباهج المناظر فيما يحيط بنا من الجبال الثلجية وهي مظلمة معتمة ساكنة فانا لا نثق بثبات هذا المنظر فإن هذه الجبال الهائلة تعكس علينا في سفينةنا ضوءاً مكدّواً من ألف لون آتيا لها من الجوّ فوقها . فلو رأيت ثم رأيت ثم تلك الجبال الثلجية الهائلة قد حليت بأنواع من الألوان كأنما هي محلاة بأنواع من الجواهر المختلفة الألوان وباهر الأنوار الساطعة التي تسكد تذهب بالأبصار . هذه الأشعة تظهر في صور مختلفة متنوعة ونماذج من أبهج الجبال . وهذه الأشعة قد تستبين كأنها مدلاة من السماء مثنية كهيئة الرداء . (انظر شكل ٩ و ١٠)



(صورة الشفق الشمالي مشاهداً عند (الاسكا) (صورة الشفق الشمالي الذي شوهد عند (بريفلبوت)

في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٩٥ (شكل ٩) في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣١ (شكل ١٠)

هذا ما أردت شرحه في آية - إنا جعلنا ماء على الأرض زينة لها - ولما كتبت هذا القل سألني صاحبي الذي اعتاد أن يبحث معي في هذا التفسير . فقال هل هذه الآية يدخل فيها هذا الكلام؟ إن الزينة إذا صحّت في الجبال الثلجية وفي الينابيع النابعة من الأرض لما فيها من جلال المناظر وفي مناظر الحيوان لا يصح أن تكون في آراء الصوفية التي تتلها ولا في خرافات « ألف ليلة وليلة » و « كايلا ودمتم » وامثالها . فقلت إن الزينة لا تخص بما يرى بالعين وهي « ثلاثة أنواع » زينة تعرف بالبصر . وزينة تعرف بالبصرة والبصر وزينة تعرف بالسمع . فأما الأدريان فهما كل زينة رأيناها أو عرفناها كما تقدّم والأخيرة هي التي نسميها عن الأنبياء والصالحين أو بما تخيله أصحاب الروايات . فقال هذا الأخير لا يسمى زينة . فقلت قال الله تعالى - ولكن الله يحب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم - . إذن الزينة تكون مرئية بالبصر ومرئية بالبصرة . ولا جرم أن المجالس تزدان بزينة العرساء أو كان ديناً أم دنوباً . قال أما الآن فاني قد اكتفيت فقلت الحمد لله . انتهى صباح الخميس ١٤ شوال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ الكلام على الفصل الأول في قصة أصحاب الكهف وهو (وجهان * الوجه الأول) في

قوله تعالى - أم حسبت - الخ (الوجه الثاني) في مقصود القصة ﴾

﴿ الوجه الأول والثاني معا ﴾

اعلم أن قوله تعالى - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا - دال كما تقدم على أن آيات الله في السموات والأرض لانهائية لها وأن أمثال هذه القصة ليست كل شيء وهذا في الحقيقة غريب جدا وعجيب بل إن هذه الآراء وإن كانت حقة وقائلا للمفسرون بقيت مخبوءة عن العقول مبعدة عن ذكرها في المنقول . فليسمع المسلمون في أقاصي المعمورة كيف يقول علماؤنا رحمهم الله أن آيات الله في السموات والأرض أعجب من هذه القصة التي طلبوها تعنتا وأن الله يقول إذا كان ولا بد من البعث عن أمر البعث فليكن في علوم الطبيعة وآياتها البديعة فعملينا إذن أن نشرح ذلك في كلمات فنقول

(١) انظر . أليس الناس ينامون كل ليلة ويستيقظون وهذا نفسه وإن كان معلوما أشبه بأمر البعث ولعمري أى فرق بين نوم الآلاف المؤلفة من الناس ليلة وبين نوم سبعة أنفس مئات من السنين إلا أن الغرابة هناك هي التي ذهبت بعقول الناس فقط والا فالبرهان واحد فتي ثبت نوم وابقاظ لحظات كان ذلك كالسنوات ولكن عادة الناس ألا يتخضعوا إلا للغرائب

﴿ عادة قدماء المصريين ﴾

كان الكهنة المصريون يستخدمون هذه الطريقة في عباداتهم الوثنية ويحاولون غربة العجل وكونه على هيئة مخصوصة نادرة جاذبة لعقول العامة فهم كانوا مطلعين على أسرار الكون وقد سجدوا للعامة عن تلك الأسرار بالغرائب والمجائب . ألا ترى أنهم إذا مات العجل أخذوا يبشون عن عجل غيره وهو المسمى (أبيس) ولا يزالون يبشون حتى يجوده فيفرح الكهنة بذلك وتخدمه سيدات خالصات أر بعين يوما ثم يضعونه في زورق ويذهبون به إلى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجاهر عظمة من طبقات الأمة ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلف الأنغام ثم يمتحنون الاحتفال بأنواع الرقص المدهش وهو رقص ديني . فما الذي أفرح المصريين القدماء بذلك . لا شيء إلا الغرابة . فالغرابة هي الباب الواحد لما يرد من الناس . ولكن لا تظن أني أجعل هؤلاء كأولئك ولكن القرآن وإن كان يذكر القصة على أنها وعظ ديني مرشدة للبعث فهو من جهة أخرى يقول كيف يقف الناس عند هذا الحد أى كيف يكون المسلم عاكفا على قراءة قصص الأولين . كلا . بل يقرأ ما خطه الله على لوح الوجود فإن أراد ما هو أعجب من نوم أهل الكهف فما كره

(٢) لقد ذكرنا نوم الناس وقتنا لافرق بينه وبين نوم أهل الكهف ولكن أيها الذكي إن هذا القول غير مؤلف وأنت وأكثر الناس لا يرى فيه وضوحا . فاسمع ما هو أعجب الخلل وكثير من الحشرات تنام طول الشتاء كأنها أموات فإذا جاء فصل الربيع دبث فيها الحياة وعاشت كما كانت

(٣) السمك إذا أثلج الماء الذي هو فيه أصبح كالثلج فلو كسرت الثلج أو قطعتة قطعا قطع السمك معه لأنه صار ثلجا ويبقى هكذا أمدا طويلا . فإذا أدبته من النار تحرك السمك وذاب الثلج

(٤) أذكرك بما مضى في هذا التفسير أن حبة القمح الذي أصابه مرض في سنبله وهو في الحقل قد وجد العلماء فيها عشرات الآلاف من الحيوانات الحية ومتى دبست الحبة وزالت الرطوبة ماتت تلك الحيوانات ولقد جرب العلماء في ذلك تجارب ففهم من أخذ تلك الحيوانات ووضعها في الشمس أياما ثم بلها في الماء فحيت كما كانت . ومنهم من وضعها في الشمس كذلك ثم فرغ أطواء حولها مدة طويلة ثم بلها بالماء ثانيا

فتحركت وعاشت كما كانت . ومنهم من أبقاها عنده فوق العشرين سنة وهي يابسة فلما أُنزل عليها الماء تحركت وعاشت . فالحجائب التي قال الله فيها أنها أكثر من آية أهل الكهف قد ظهرت لنا حقيقة واضحة وأصبحت حبة القمح الواحدة فيها آلاف مؤلفة تُموت وتُحيا فعلا بعد عشرات السنين ويقولون أنها لو كانت حية في حياتها العادية لم تستعمل كل هذا . فالله تعالى يسوقنا في القرآن الى أن نأخذ الأدلة في هذا وأمثاله من الطبيعة ولا يرد منا إلا التوغل والترقى فيها هذا هو الذي يطلبه القرآن

﴿ أصحاب الكهف ومقترحات أهل مكة ﴾

طلب أهل مكة أن يزعج جبالها وأن يجعلها جنات وطلبوا كما قبل نبا أهل الكهف فلم يجبههم في الأولى مع أخواتها وأجابه في الثانية مفضلا آيات الطبيعة عليها كأنه يقول تعالى وما مكنكم وما جبالها وإذا أزعجتها عن أمانها فماذا تفهمون . إني أبحت لكم عجائب الطبيعة فانظروها . ألا ترون أني أجعل البرّ بحرا والبحر برا في مثاب الآلاف من السنين . ألا ترون أن بحرا هناك (هو الذي ذكرته في قصة نوح) جهة بلاد الروس والترك خصل زلزلة عظيمة فذهب ماء البحر واتجه الى البحار الأخرى وأصبح الآن بلدا عامرة (انظروا في سورة هود في قصة نوح) . أنا لا أنقل الجبال إلا بالزلزل فيكون الهلاك . فانظروا في عجائب هذا الكون ففيه ما تقولون وأما التعتن فليس يفيدكم علما . فلاقصة أهل الكهف بمعنىة عن نظركم في الطبيعة والعالم ولا الإجابة على مقترحاتكم بمعنىة فتبلا إذا أجبناكم . فلينظر في ذلك المفكرون

﴿ الكلام في خوارق العادات وفي السكرامات والأولياء ﴾

خوارق العادات الجزئية توجد في الدنيا . أما الخوارق الكلية مثل ما في الطبيعة أي مثل الأحوال والانتقالات الطبيعية فلا وجود له إذ لم تقطع يد انسان ثم رجعت كرة أخرى ولم تقلع عين ورجعت على يد ولي مثلا أو سحر أو كاهن . ولكن هناك غرائب تظهر وقد أوضعتها في سورة البقرة في مقامين عند الكلام على عجائب الأرواح وعند الكلام على السحر فلا حاجة لإعادة فعل الأرواح قد انتشر في المعمورة وعلم السحر أصبح بعضه صنائع في أيدي الناس بعد أن كانت أمورا مكتومة مخبوءة فانظروا في سورة البقرة بقی أن ننظر في أمور الأولياء ومن هو الولي . هو فعيل بمعنى مفعول أو فعيل بمعنى فاعل أي تولاه الله أو هو تولى الله بالطاعة

﴿ صفته ﴾

لا صفة له إلا أن يكون في الظاهر متخلقا بالشرع وفي باطنه مستغرقا في الله وآياته وذكره

﴿ كراماته ﴾

ربما ظهرت خوارق على يديه وهذه الخوارق لا تعد وما يظهر على يد محضرى الأرواح فقد تصدر على أيديهم بعض لمحات مما في نفوس من حوهم ومنهم من شاهدتهم بنفسى وهم جهلاء ولكن عند الذكر ووجود شيخ أمامه له أتباع كثيرون ترى هذا التلبذ الجاهل قد أخذ يشرح مواضع علمية فلسفية تعاو على مدارك من حوله . ولقد دهشت إذ طلعت على هذا في بعض المجالس ورأيت من ذلك الذي ينشد في الذكر من العلم ما لا يقدر عليه أكبر العلماء والفلاسفة فإذا رجع الى حاله الأولى رأيته كما كان لا يدري شيئا مما كان يقوله وقد أقر مرارا بهذا

﴿ نظير هذا في أوروبا والهند ﴾

لقد ذكرت لك في سورة (الزحل) الغلام الصربي الجاهل الذي كان يتكلم في الفلسفة وهو منتم مع فصاحة ودلالة حتى إذا رجع الى حاله الأولى لم يدرك شيئا وكذلك ابنة الحاكم المسماة (الورا) كانت تنطق بلغات لا تعرف منها شيئا وتخطب الأموات الذين يطلبهم أصحاب ذاك الحاكم الأمريكي المسمى (ادمون) وقد نطقت بعشرات في مدة ساعة في الإسبانية والفرنسية واليونانية والإيطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية

والانجليزية وغيرها من اللغات التي كان يجعلها الحضور . وهكذا في بلاد الهند يحصل عجائب وغرائب على يد الشيوخ المنقطعين في الغابات من هذا وأمثاله كثيرا بل عند عباد الأوثان من الغرائب ما يجبر الألباب كما روى أن قوم منهم أوقسوا نارا على حجر أياما ثم قالوا للضابط الانجليزي مر معنا عليه على شريطة أن لا تنظر خلفك والا احترقت حالا ففعل فلم يحترق وأخبار ذلك كثيرة

﴿ آثار ذلك في الاسلام وما يجب أن يكون ﴾

المسامون نظروا في أمر الشيوخ فرأوا الصالحين منهم لهم بعض كرامات من هذا النوع وهنا بيت القصيد فإذا قول . نقول ان الأمر موقوف على صاحب هذه الكرامة فإن كان حقيقة مستقفا في جلال الله فهذه الكرامة يجب أن تزيد تواضعا ويجب على مرديه أن لا يظنوا أن هذا مقصود الاسلام بل مقصود الاسلام ارتقاء العقول والبحث والفكر فالوعكف الناس على تلك الخوارق لأضاعت أعمالهم وخسروا وضاع الاسلام إن الشيخ الذي منح هذه الكرامة اذا ظن أن الله اصطفاه بها وأنه سعيد وأنه مرموق من حضرة الحق وقد أصبح آمنا فانه يصح أبعد من الله وتكون الكرامات شرا وبلا ويكون مثله كمثل الذي له جنتان - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا - الخ فلافرق بين تلك الكرامة وبين المال فليس اكرم الله للصالح بعض الخوارق ولا تسهيل مصالح الانسان واعطاؤه الغنى وسعة الرزق من أيدي سائر الناس بدليل على أنه من المقر بين فقد يسلب العطية كما يسلب المال وإنما رضا الله على مقتضى الاخلاص وكم من رجل دخل الخلوة وصنى نفسه وأعطى بعض الخوارق ثم خرج منها وأخذ الناس يقبلون يديه وقد أصبح شيطانا رجيا لانه رجع لطلب الدنيا والشهرة والمال ومن أكرمه الله ببعض الخوارق من الصالحين أو بعض اليسار والغنى منهم ومن غيرهم ثم فرح بالكرامة وفرح بالمال . فليعلم ذلك الصالح وذلك الغنى انها قد استدرجهما الله والاستدراج استبعاد عن السكال واقترب من النقص . فالفرح بالكرامة والفرح بالمال يحببان النفس في الدنيا ومحبة الدنيا بعد عن الله فلاصلاح ينفع ولامال يشفع . وكلما اقترب العبد من الدنيا بجها ابتعد عن الله وهذا هو الطرد بعينه . وقد رأيت في كتاب ﴿ الروض المستطاب ﴾ لبعض تلاميذ الشيخ خالد رحمه الله تعالى ما يوضح هذا المقام ايضا تاما

﴿ فكم من ذاكر لله وقلبه معلق بالدنيا ولذلك ترى كثيرا من شيوخ الطارق في الاسلام صاروا أعظم نكبة على الأمة وهم جشعون فرحون بالمال مغرمون بالدنيا لاسيا أعقاب أولئك الأولياء الذين لم يسيروا على طرقهم فتصبح العبادة مصيدة للدنيا مبعدة عن الآخرة ﴾

﴿ الصوفية ودول أوروبا ﴾

وبما يناسب هذا ما عرفناه في زماننا أن فرنسا لما نظرت فوجدت أن المسامين تحت أمر الشيوخ أعلنت في جرائدها أنها ستستخدم كل طريق لفتح مراكز وذلك باعطاء شريف مراكز أموالا طائلة . وكذلك شيوخ الطارق وبعد ذلك نجحت فعلا وقد قالوا ان هؤلاء الشيوخ يخضع لهم الناس ومتى أغدقنا عليهم النعم والمال كان الناس تابعين لهم وهؤلاء الشيوخ متى نالوا النعيم والراحة أحبوا بقاء الحالة على ما هي عليه

﴿ قصة أهل الكهف ﴾

علم الله عز وجل أن المسامين سيقعون في هذه البلايا والنكبات وأنهم اذا عم الجهل ربوعهم سيكون الصلاح وما يتبعه من بعض الكرامات يستعملها قوم من الذين لاخلاق لهم في جلب المال ونصب المكائد للامة وأنهم سيكون فيهم كذابون مخترعون لتلك ليصيبوا به القلوب . وعلم أن أوروبا ستستخدم هؤلاء شبكات للصيد فأئزل الله هذه السورة ولم ينزل ما اقترحه أهل مكة في سورة الاسراء بل اصطفى هذه القصة وما بعدها وبدأها بقوله - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا - فجعل عجائب الملك أرقى

من هذه الجوانب وحث الناس على النظر في الكائنات لتصل عقولهم بالمواهب وأن أمثال هذا يكتفي به الأصاغر من الرجال

﴿ واجب المسلمين في المستقبل ﴾

لاجرم أن الأمم تبدأ بتعليمها بتوسيع الخيال من الهجائب القصصية فإذا ارتقى التلاميذ في التعليم أروه حقائق الأشياء في الرياضة والطبيعة . هذا هو الصراط المستقيم في أوروبا الآن . فهذه القصص يجب أن تعطى للتلاميذ في أول نشأتهم ولكن حرام أن تترك العقول فلا يدرس لها نظام الطبيعة والفلك وقولي حرام أي على من قدر بالمال والعقل وإنما كان حراما الترك لأن ذلك فرض كفاية ولا كفاية إلا بتعميم التعليم تقريبا في هذا الزمان إذ كيف يقول الله إن عجائب السموات والأرض أعجب من هذه القصة وكيف يقول في سورة يوسف عليه السلام بعد أن آتاهما - وكأين من آية في السموات والأرض يتركون عليها وهم عنها معرضون - ويجهلون على جهلهم ما حولهم وقال إذا لم تعتبروا بسورة يوسف ولم تؤمنوا فأنتم قوم جهلتم ما هو أعظم . عجب للقرآن يذكر السورة تمامها ويقول هناك ما هو أعظم بلانهاية وهنا يقول عجائبي أعظم اللهم إني كتبت في هذا المقام ما أعلم فلا تؤاخذني فيما لا أعلم . فليرشد العلماء أمتهم فانها أصبحت في حاجة الى المرشدين وليعلم الناس من قدر فهذا ماني طاقتي . ولقد حاولت هذا الموضوع مدة حياتي ولكن هذا منتهى جهدي وطاقتي والله وليّ جيد . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في حساب السنين وفي معنى (٣٠٩) في الآية ﴾

السنة العربية قد ذكرت في كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ ما يأتي في صفحة ٢٣٣
أنا الآن في يوم الأربعاء خامس يوم من شهر المحرم سنة ١٣١٩ هجيرة أي قبل الآن بأربع وعشرين سنة فوجب إذن أن أجعل التمثيل بهذه السنة فأقول

إذا أردت معرفة أول يوم من السنة العربية فاقسم عدد السنين الهجرية على (٢١٠) واقسم الباقي على (٣٠) وما بقي فاقصه واحدا ثم اضرب البسيط في (٤) والكيس في (٥) واضرب الخارج من قسمة الباقي في (٥) أيضا وأضف (٥) أخرى فهذه حواصل أربعة فاجمعها واقسمها على (٧) وما بقي فأجره على أيام الاسبوع من يوم الأحد فاليوم الذي يدل عليه العدد هو أول تلك السنة من زمن الهجرة
ففي مثالنا هذا باقى قسمة سنة ١٣١٩ على (٢١٠) هو (٥٩) وبقسمته على (٣٠) يكون خارج القسمة (١) والباقي (٢٩) وطرح واحد منه يكون (٢٨) والسنين الكيسية في كل سنة هي (١٠٧ و ١٠٥ و ١٣ و ١٨ و ٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٩) ويضرب الكيسية في مثالنا في (٥) يكون (٥٠) والبسيطة في (٤) يكون (٧٢) والباقي عندنا (١) نضربه في (٥) ونضيف (٥) وهذه الحواصل الأربعة (١٣٢) وبقسمتها على (٧) يكون الباقي (٦) فيكون أول السنة على هذا يوم الجمعة ولكن الهلال لم ير إلا ليلة السبت فأول السنة الشرعية يوم السبت وقد مكث الهلال نحو ٤٣ دقيقة بعد الغروب فدل على أن الاجتماع سبق بمدة طويلة . ولعرفة أول الشهر اضرب عدد الأشهر السابقة على الشهر المطلوب على حساب أن المحرم (٣٠) وصفر (٢٩) وهكذا شهر كامل وشهر ناقص فاضرب التام في (٢) ويضاف اليه عدد الناقصة ويضاف الى مجموعها العدد الدال على أول يوم من السنة ويقسم الكل على (٧) فعرفة أول شهر ربيع الأول من هذه السنة نأخذ واحدا للناقص ٢٢ للتام فهن (٣) ويجمعها على (٦) وهو الذي كان ابتداء السنة يحصل (٩) فنسقط (٧) فالباقي (٢) ويكون أول شهر ربيع الأول من هذه السنة يوم الاثنين ولكن على حسب القاعدة نفسها لاعلى حساب الهلال . فهذا ملخص ما ذكره سعادة مختار باشا الفلكي في كتابه ﴿ علم الهيئة ﴾ فتأمل كيف دارت الأفلاك دورات منتظمة . وكيف كانت الأدوار كل دور (٢١٠) وهذه فيها (٧) أدوار لعدد (٣٠) المشتمل على الكيسية والبسيطة بحيث يكون الكيس والبسط في كل (٣٠) منها مماثلا

تماماً للثلاثين بعدها ثم أن أوائل الشهور والسنين في كل دور من الأدوار الكبيرة وهي (٢١٠) هي بعينها تماماً أوائل السنين والشهور في الدور الآخر بحيث أن السنة الثانية من الدور الأول تكون أوائل شهورها مثل أوائل نظيرتها في الدور الثاني . هذه هي السنة الشمسية والقمرية التي ذكرتها الآية نقلاً ماخصاً من كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾

اعلم أن قسماً المصريين وأهل أوروبا نظروا في أحوال الأرض من حيث الحر والبرد فوجدوا ذلك نابعاً
 قرب الشمس وبعدها وانها تقطع في كل دورة بحسب الظاهر ٣٦٥٢٤٢٢١٧ يوماً شمسياً بمعنى انها تحدث
 قرباً منا وبعداً عنا ينتج عنهما الصيف والخريف والشتاء والربيع ومدة هذه الأربع تسمى سنة شمسية إذ
 النظر فيها إلى سير الشمس ٣٦٥٢٥ يوماً وهذه السنة تسمى الانقلابية أيضاً لأنها عبارة عن مدة تنقضي ما بين
 مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد كالاعتدال الربيعي • وأما السنة القمرية فلها تتركب من
 ١٢ شهراً ٣٥٤ يوماً ٥٨٩ يوماً أي ٢٩ يوماً وما ينوف عن نصف اليوم • وهذا الحساب مأخوذ من ملاحظة
 الثانية أو ٥٨٩ يوماً ٢٩ يوماً أي ٢٩ يوماً وما ينوف عن نصف اليوم • وهذا الحساب مأخوذ من ملاحظة
 المدة بين كل كسوفين متوالين فيحسبون عدد الدورات الاقترانية المسماة (الحركات الدائرية) أيضاً ويقسمون
 تلك المدة الكلية على عدد تلك الدورات وقد تم المطلوب • فإذا طرحنا السنة القمرية من السنة الشمسية
 كان الفرق بينهما ١٠٠٧٧٥٤٩ أيام وهذا العدد يكون في كل ٣٣ سنة ٣٥٥٧٩٩١ يوماً أي ٣٥٥ يوماً
 ونحو ٥٨ جزءاً من مائة من اليوم وهذا نحو سنة فتكون كل ٩٩ سنة شمسية زائدة ثلاث سنين إذا اعتبرت
 قربة وبالتقريب تزيد كل مائة سنة ثلاث سنين فثلاثمائة تكون (٣٠٩) فهذا هو الذي ذكره القرآن •
 فاعلم واعلم والحمد لله رب العالمين

هذا هو الذي ذكره الله بقوله - وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً - . ولعمري كم من الفرق بين هذا الحساب الدال على النظام الإلهي وعلى حكمة الله وعنايته وبين قصة أهل الكهف التي ليست على طراز علم كافل للمسلسلة العامة . وأما هو خوارق جرت على أيدي أقوام شرافة لئذ كبر الناس برهم حتى إذا انتبهوا رجعوا إلى رهبهم فقرأوا نقشه وصناعته . إن الله أفهمنا أن هذه الحجاب أشبه بلبن الأم رضعه الطفل صغيراً فإذا كبر فما أجدره أن يجد بنفسه لا يتكل عليها . فلنقرأ ذلك ولنقرأ بعده العلوم السكونية .

ولقد فتح الله الباب في مثل هذا التفسير فليجسه المسلمون . أقول وسيلجونه وسيكونون - خير أمة أخرجت للناس - . وستتم قول الله . وستعلم المسلمون وسيكون هذا التفسير من أسباب انتعاش العقول وذهاب الجهالة . ولتعلن نبأه بعد حين - . وكان أمر الله قدراً مقدوراً - . وسيقرأ هذا من بعدنا وسيرونه حقاً والحمد لله . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في قوله تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - الخ ﴾

لما ذكر الله عز وجل حساب السنة القمرية والسنة الشمسية وكان هذا حقا محجزة واضحة بينه ولكنّه جعل أخذ سبحانه بمبدأ للأمور الطبيعية الآتية بذكر القابول الغافلة والمستبصرة وأمر نبيه ﷺ أن يكون مع الذين قلوبهم مستبصرة ليجهد السبيل الى ذكر الجنين وهما من زينة الحياة الدنيا . فانظر كيف ذكر الزينة في أول السورة ثم قال هنا - ولأعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - وكأنّه بهذا يفهم الناس ما المقصود من زينة ما على الأرض فقال ليس المقصود زينة الحياة الدنيا بل ترين العقول بآثارها بعد استكمال الانتفاع بها انتهى . الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في مسألة الجنتين وأن أحد الأخوين اغتر بهما والآخر عرف الحقائق وقال له كل ذلك لا بقاء له ﴾
 إن هذه المحاوره التي بين الاخوين ضرب مثل للناس جميعا . انها حاصله في كل مجتمع فالتاس جميعا على هذه

الحال فكل من أوتى مالا أو جاهاً أو قوةً يفترح بما أعطاه بل من أوتى علماً يفترح على الجاهل بل أر باب السكرات من الأولياء بعضهم تكون هذه السكرات من أسباب تكبره فالثلث هنا شامل كامل وإن هذا الذى يفترح به العالم والفنى والصالح بما آتاه الله من المال أو الأقبال يكون وبالاعلم جميعاً ولا بقاء له . فكيف يفترح هؤلاء الدنيا دار انتقال ولكن الغفلة متى استحكمت على القلوب تركتها فارغة لا رأى لها . فكل واحد من هؤلاء يقول الله أعطانى المال أو العلم لاستحقاقى وكل من أوتى شيئاً باستحقاق فإنه لا يسلبه فأنا لأسلب هذا المال ولا أسلب هذا العلم الخ وهذا قوله تعالى - وما أظن أن تبدي هذه أبداً - وأيضاً يقولون فى أنفسهم إن الله أنعم على فى الدنيا وكل من أنعم عليه فى الدنيا لابد أن ينال النعيم فى الآخرة فعليه أنا عزيز منعم فى الدنيا والآخرة وهذا قوله تعالى - ولئن رددت إلى ربي لأجلدن خيراً منها منقلباً - . واهمى ماضى الناس إلا هذان البرهانهان اللذان هما من السفه والجهل وهما أشبه بأدلة إبليس إذ جعل كون آدم من تراب سبباً فى احتقاره ولذلك جاءت قصة إبليس وذريته بعدها وأنهم عذبوا فكيف نأتى بأدلة . يفتر الرجل فيقول هذا مالى وهذا ملكى ولن يفنى مع أنه يشاهد الأحوال المتغيرة أمامه ويقول إن الله ينعمنى فى الآخرة وما أدري أنه لا تلازم بين الحياتين بل التلازم للعمل لا للمال . وقد يظن الصالح أن صلاحه أوجب له ما أنعم به عليه من بعض الأحوال أو ما علم أنه لا دوام للأحوال وأنه ربما كان ذلك استدراجاً . ويظن العالم أن ما كسبه من العلم قربه من الله والعلم قد يكون وبالاً على صاحبه يقربه من الدنيا ويفرحه بها ويفره من الله . أو ما أدري من أوتى المال والحدائق أن هذه خلقت له ليعتبرها دروساً يدرسها ويفهم مغازيها ويقرأ علومها فتكون جنة حقاً تواصل لجنة مستقبله . إن فى لذات المعاني المفهومة من المروج الواسعات ما يربو على لذات المحسوسات والتمزجات - وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام)

يقول الله هذه الحدائق زينة الأرض فاحنروا أن تعجلوها خاصة بالذات الشهوية بل استخدموها فى اللذات العقلية وانفعوا بها البرية . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس فى قوله تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا - الخ ﴾

هنا كما تقدمت الكلام فى مسألة الزينة فى الحياة الدنيا ووصلنا إلى يوم المعاد فيحاسب كل امرئ على ما عمل . وقد قلنا أن هذه السورة متصلة بما قبلها من وجوه وأن المقصد من هذا كله مسألة البعث وكنت أريد أن أسمه كل تمام ببحث البعث والمحاورات التى دارت بيني وبين طالب روسى فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ كما وعدت فى سورة الاسراء وهذه المحاور قد امتزجت فيها الأدلة العقلية بالأدلة الشرعية مشاكلة لما فى هذه السورة من اجتماع النوعين من الأدلة . ولكن اكتفيت فى مثل هذا المقام بما تقدمت فى هذا التفسير فى مواطن كثيرة فمن أراد ذلك فليقرأ الكتاب المذكور . وهنا ﴿ ثلاث جواهر ﴾ الأولى ﴿ فى أمر الجنة والنار ﴾ الثانية ﴿ فى ضرب المثاليين ﴾ الثالثة ﴿ فى سجود الملائكة ﴾ قد فتح الله بها بعد ما تقدمت الجوهرة الأولى فى قوله تعالى - ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين ﴿ فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفعاً - ﴾

فى صباح هذا اليوم (١٧) مايو سنة ١٩٢٨ م خرجت للرياضة فى روضة المنيل فى ضاحية مصر فقابلنى أحد الفضلاء وكان من حديثه عني أن قال . ما الذى يطبع من التفسير الآن . قلت سورة الكهف . فقال عندى سؤال لازال يعادونى طول حياتي . فقلت وما هو . قال يقول الله تعالى - ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق - الخ . ويقول فى سورة الحجج - يتحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير - ويقول فى سورة أخرى - وأنهار من عسل مصفى - فى الجنة حرير ولؤلؤ وعسل . ولا جرم أن الحرير لذة حسنة الحسن فان لبس الخشونة والملامسة والنقل والخفة وهكذا الخ مما اطلمت عليه فى كتابك ﴿ بهجة العلوم ﴾

في الفلسفة العر بية وموازنتها بالعلوم العصرية وهذا الكتاب هو الذي جعلني أفكر فيما أقوله الآن وما المسئل لإلافة حاسة الذوق التي لها تسع صفات من صفات المادة مثل المرارة والحراقة والملوحة والحلاوة وهكذا وما اللؤلؤ إلا للذة الابصار وللأبصار من صفات المادة عشر من الألوان والأشكال والحركات الخ . كل ذلك قرأته في ذلك الكتاب وأرى الله خلق ذلك لنا في الأرض وأزل سورة النحل وقال تعالى - ونستخرجون منه حليّة تلبسوها - وهكذا وهذه الحواس ثلاث وحواصا خمس فأرجو إيضاح ذلك المقام . فقلت إن هذه المذكورات مفاتيح العلوم وروقي المسلمين في الدنيا والآخرة . فقال

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فقلت لا أنا مشرق ولا أنت مغرب . إن المقام مقام علم وحكمة . اعلم أن هذا النوع الانساني خلق في الأرض ليسر بها لاغير . والدليل على ذلك أنه جعل له طعامه من حشرة طائرة يجتاحها وهو النحل وألذ الملبوسات من دودة تمشي على بطنها فوق الأرض وهو الحرير . وأبهج الحلى من حيوان بحري لاحق بالصخور في البحر وهو اللؤلؤ . عسل وحرير وورد . قل وجودها وغلائنها وعسر تحصيلها وفترقت على عوالم الهواء والأرض والماء . ذلك درس جبل لهذا الانسان . أفلا ترى أن هذه مفاتيح العلوم الجوية والأرضية والبحرية وهل كرتنا الأرضية هي وما حولها غير ذلك . وقد قلت في كتابي ﴿ جوهرة الشعر والتعريب ﴾ ما يأتي من الآيات

ومن خمة سوداء جاؤا بجوهر * بهيج هو الألماس في صدر قتيبة
وخير لباس الناس من نسج دودة * وخير طعام الناس من فم نحلة
وأعجب آيات الجبال جواهر * من الصدف الخلاق في قاع لجة
فهذا على أرض وذلك في هوا * وآخر في لج البحار العميقة

أكثر هذا الانسان يشبهون الحيوان يعيشون ويمتعون ويقفون عند الحواس الخمس . ولكن هذا الانسان كما خدم وحشم لأولى الأبواب الذين يتفكرون في هذه الدنيا ويعرفون أن هذه إنما هي مفاتيح للعلم ويقفون لهذا الوجود . وما هذا كله إلا تفسير لقوله تعالى - ولدينا مزيد - . يقول العلماء إن أهل الجنة يتمتعون فيها ولكن أعلاهم الناظرون لوجه ربهم ولا ينال ذلك إلا أولو الأبواب الذين عشقوا العلوم في الدنيا . إذن الناس ﴿ قسما ﴾ قسم اكنى بالظواهر في هذه الأرض وهؤلاء اذا كانوا صالحين دخلوا الجنة الحسية واكتفوا بها . وقسم عرف الحقائق في الدنيا وأدهشه نظام هذا الوجود وكيف كان هذا الانسان قد قسمت عوالم الهواء والأرض والماء على حواصه فكان منها آلامه ومنها لذاته فهناك يبحث في البحث والتفكير وأمة هذا شأن عقلانها تال الزيادة في سعادة الحياة والزيادة في الجنة وهي النظر لربها والأهم الاسلامية اذا عقلت أمثال هذا تال أحيائها العز في الحياة وأمواتها في الآخرة النظر لوجه الله ولا نظر لوجه الله إلا بمبادئ تنكسب في هذه الحياة . تلك المبادئ هي معرفة العالم الذي نعيش فيه . ولولا ذلك لم يكن هناك داعية الى الاقلال من العسل والحرير والدر . وفي الامكان أن يكون الدر في كل مكان والعسل أنهارا والحرير كالقطن وفي ذكر أنهار السلس واللبن والحر في الجنة ما يشير الى هذا الامكان . انه لم يمنع ذلك إلا ارادة توجيه الأنظار للبحث فان ما غلا ثمنه وصعب الحصول عليه تنجبه اليه الجهلاء لتملكه والعلماء لتبشع . هذا بعض السر في نظام هذا الوجود . فقال وهل اللغة العربية تساعد على ذلك . فقلت وهل اللغة العربية غير ذلك . فقال وكيف ذلك . فقلت أسألك عن معنى ما قالته الخنساء في أخيها صخر

طويل النجاد رفيع العما د كثير الرماد اذا ما شتا

مامعنى كثير الرماد . قال ان كثرة الرماد تستلزم كثرة احراق الحطب وكثرة احراق الحطب تستلزم كثرة

الطبخ وكثرة الطبخ تستلزم كثرة الآكلين وكثرة الآكلين تستلزم كثرة الأضياف وكثرة الأضياف تستلزم الكرم . فاذن كثرة الرماذ تستلزم الكرم بهذه الوسائط وهذا يسمى كناية فهمي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي . فقلت إذن يكون أخوها صخر كان عنده رماذ كثير وعنده كرم وثانيهما لازم لأولهما . قال نعم وهذه هي الكناية المسماة رمزا والرمز إما أن يكون بكثرة الوسائط . وإما بخفاء القرينة مع قلة الوسائط . فقلت له هكذا هنا هي كناية فالعنى المفهوم من اللفظ للعلوم والكتابة المسماة رمزا للخصوص فالذين فهموا الرمز ودرسوا العلوم نفقوا أهمهم في الدنيا ورأوا ربه في الآخرة والذين اكتفوا بظواهر الحرير والعسل واللؤلؤ من بعض علماء الدين والعامة والصلحاء فلاجنة لهم إلا مفرحوا به كما تقدم في كلام الامام الغزالي في أول (سورة البقرة) . فقال وما القرينة هنا . قلت القرينة هنا قوله تعالى في آية أخرى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله **يَلْقَى** ﴿ في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴾ ولا جرم أن الحرير والعسل واللؤلؤ رآها العيون وسمعتها الأذان وخطرت على القلوب فقال ولم خص لون الخضرة . قلت هذا مفتاح رابع للعلوم فالخضرة تتم النبات وهو منتظم موزون جميل وهذا التفسير ملء به . فقال إن هذا البيان عجيب . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فقال هنا سؤال آخر وكيف تكون هذه رياضة . فقال هذه رياضة تكون مصاحبة للرياضة الجسمية . فقلت ماهو السؤال . فقال يقول الله تعالى - كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق - وقال هنا - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل - وإنما قلت هذا لأن الشئ يخطر بالبال عند ذكر ضده . فقلت له إن القول السابق يفسر اللاحق . فقال وكيف ذلك . فقلت أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وكلما استغيثوا أغاثوا بماء كالمهل كما هي الحال الآن تماما . إن أهل الأرض الذين لا يعرفون إلا الحواس الخمس كالبهايم إذا اقتصر وأعلى تمتع الحواس من المال والولد والصيت وأقبال الناس عليهم فإن كل لذة يحدث بعدها رد فعل فيحتاجون للذة أعلى وهكذا فكلما خرجوا من غم عادوا فيه وكلما طلبوا مالا أوجها ازدادوا لوعة وحسرة ولتنظر في أنفسنا . أليست هذه الحال عامة في أهل الأرض وأقرب مثل لذلك من يدمنون الخمر فكلما أراد أحدهم التوبة عاود الكرة فسكر فاذا نجا ندم وأراد الخروج من النعم فيعاد فيه فأمر الخمر في هذه الحياة جعله الله مثلا للناس ليعلموا أن هذه حال الحياة الدنيا وكل ذلك للوقوف على المحسوسات والاكتفاء بظواهر الحياة في الأعمال وظواهر الألفاظ في الكتب السماوية - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - . فلما سمع ذلك صاحي قال قد فهمت وشفيت صدرى والحمد لله رب العالمين . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين - الخ وفي قوله - واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء - الخ وقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - الخ مع قوله في أول السورة - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم - الخ ﴾ يجب القارئ لهذه السورة فانه يجد أنه في أولها ذكر أن ما على الأرض زينة لها وأن هذه الزينة تذهب فلا وجود لها ثم يجد هنا ضرب مثل الرجلين إذ اغترأ أحدهما زينة الدنيا فهلك ثمرة وضرب مثل الحياة الدنيا كلها فيجدها كالزراع يصير هشيما فتدروا الرياح . إذن هذان المثالان ومقابلتهما وما بعدهما كله ايضاح لما ذكر من زينة الغاية في أولها . لهذا ابتداء السورة بالجند على انزال الكتاب لأنه هو الذى أبان هذه الحقائق . ولما كتبت هذا حضر صديق العالم وأطلع عليه فقال . لقد جعلت في هذه السورة صوراً جميلة تمثل الزينة في هذه الأرض من حشرات طاووسية الى جبر منقوشة حبشية الى عيون ماء حارة بيضاء هبية الى أنوار بهجة في الأفقار الشمالية من قباب نورية بلورية وأشعة عمودية عليها ابرية وما يمثل الحيات الساعية

الموسوية من الأنوار القطبية . إن هذا جمال وأى جمال ثم يتبع هذا احتقار الحياة ونبذ هذه الزينة والنهرى منها . إن هذا بحير المقول . فيهما نرى جبالا على جبال اذا هذا كله فى وبال وذهاب وتباب فكيف نجتمع فى عقولنا بين الوجود والعدم والحياة والموت والجبال والوبال وكيف يجتمع الفرح والحزن . هذا هو الذى يحير الألباب . فقلت لقد أشرت لهذا فيما تقدم فى هذه السورة وغيرها ولكن الآن أقول . ان الله لما أنزل هذا الدين ساقه لقوم عقاوه بلغتهم ففهموا غير ما فهم نحن الآن وعقاوه بلا فلسفة ولا تعليم ولا مدارس ولا دروس ولا أريدك على مجابهة فى التاريخ من فتح المسلمين البلاد المصرية فهذا الذى أذكره ينقض هذا المقام . ذلك أن المسلمين فتحوا بلاد العرب والعراق وپارس والشام وفلسطين وغيرها فى مدة لا تتجاوز (١٨) سنة هنالك دهش (هرقل) الرومانى ملك القسطنطينية من هذا السيل الجارف وأوجس خيفة على مصر فأقام معاهدة بينه وبين عمر رضى الله عنه أن يدفع الرومان جزية سنوية للمسلمين فى مقابلة تركهم لفتح مصر ولكن هذه الجزية ما كان الروم ليدفعوها فى حينها بل كانوا يتقصونها عما اتفقوا عليه وكان إذ ذاك عمرو ابن العاص لا يفتأ يذكر الخليفة بفتح مصر وكان يقول انها أكثر الأرض أموالا وأمنجز عن القتال والحرب ولكن عمرو بن الخطاب لم يقدم على ما قاله عمرو بن العاص إلا بعد أن نقضت المعاهدة بين الطرفين وتوجه عمرو بن العاص الى مصر بأربعة آلاف

(١) فأولاً دخل (رفع) وهى الآن قرية تسمى (رفع) تبعد عشر ساعات عن العريش

(٢) ثم العريش

(٣) ثم توغل فى مصر وانضم اليهم قوم من البسوفى طريقهم

(٤) فقاتلوا فى (الفرما) عسكر الروم نحو شهر ففتحوها

(٥) ثم قاتلوا فى بليس نحو شهر ففتحوها

(٦) ثم ساروا الى (حصن بابليون) ويسمى عند قدمائنا مؤرخى العرب (باب اليون)

ويقولون انه حصن بناه الفرس لما ملكوا مصر وسموه باسم عاصمة بابل لأنها كانت فى ملكهم إذ ذاك ومكانه الآن مكان (قصر الشمع) وهو يبعد عن ضفة النيل الآن لأن النيل قد تغير مجراه بعد ذلك وهذا الحصن كان عظيماً على ضفة النيل الشرقية مقابل الأهرام وفى شرقه جبل المقطم وهناك أرض فضاء فيها بعض الكنائس وأمام الحصن النيل وفى وسط النيل جزيرة الروضة والماء يحيط بها طول السنة وكانت تسمى بجزيرة مصر وكان للمرء من هذا الحصن الى الجزيرة جسر من خشب وهكذا من هذه الجزيرة الى الجزيرة فى البر الغربى للنيل فنصبوا الخيام فيما بين الحصن وجبل المقطم وقد شجن هذا الحصن بالمقاتلة والجوش المصرية وكان فى الحصن المقوقس مع هؤلاء الجيوش وهو حاكم البلاد من قبل (هرقل) والمقوقس كان رجلاً يونانياً ولكنه أصبح وطنياً مصرياً فخار بهم عمر مدة وأمد الخليفة بأربعة آلاف أيضاً فشدوا فى الحصار ولكن المقوقس ومن معه عبروا الجسر الى الجزيرة ومنها توجهوا الى (منف) وهى العاصمة فى جهات البحيرة

وأما عمرو ومن معه فقد دخلوا الحصن وتوجهوا الى الجزيرة وهناك دارت مكاتبات بينهم وبين المقوقس فأرسل المقوقس لهم خطاباً يطلب فيه أن يرسلوا رجالاً من العرب ليكون الاتفاق على يدهم فأرسل عمرو خطاباً مع عشرة نفر رئيسهم عبادة بن الصامت وكان هائل المنظر أسود اللون طوله عشرة أشبار وهو المتكلم عنهم فركبوا السفن حتى أتوا المقوقس فقدمت عبادة فى صدر أصحابه فهابه المقوقس لسواده وعظم جيشه وقال نحواً عنى هذا الأسود وقتلوا غيره يكلنى فأجابوا أن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعاماً وهو سيدنا وخيرنا وإنما نرجع جميعاً الى قبله ورأيه وقد أمرنا الأمراء لا تخالف له أمراً . فقال المقوقس وكيف رضىتم أن يكون هذا الأسود مقاماً عليكم وهو أسود وأما يبنى أن يكون دونكم . فقاتلوا . كلا . وإن كان أسود فهو أفضلنا . فقال

المقوقس لعبادة بن الصامت تقدم بأسود وكبني برفق فأتى أهاب سوادك فتقدم عبادة اليه وقال قد سمعت مقاتلك وان فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشد سواد مني وأقطع منظرا وجيهم أشد هبة مني وأنا قد وليت وأدير شبابي واتى مع ذلك محمد الله ما أهاب مأه رجل وذلك إنما لرغبنا وهمتنا في الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا من حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلب الاستكثار منها إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا منه حلالا وما يبالي أحدنا ان كان له قطار ذهب أو كان لا يملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أسمة يأكلها يسد بها جوعه لليلة ونهاره وشمة يلمتحفها فان كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاء وان كان له قطار من ذهب أنفق في سبيل الله واقتصر على هذا الذي في يده ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا إنما النعيم والرضا في الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا نكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك به جوعه ويستعورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه . فلما سمع المقوقس منه هذا الكلام قال لمن حوله بلغتهم هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط . لقد هبت منظره وان قوله لأهيب . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض . ما أظن ملصكم إلا سيغلب من على الأرض كلها ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ﴿ أيها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك . ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت وما ظهروا على من ظهروا عليه إلا لحيم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه البنا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنسجة والشدّة ما يبالي أحدكم بمن أتى ولا من قاتل وأنا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلة ما بين أيديكم ونحن نطيب أنفسنا أن نصلحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينار بن دينار بن ولا مبرك مائة دينار وتخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا أقول لكم به ﴾

فقال عبادة ﴿ يا هذا لا تعرف نفسك ولا أصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا الذي تخوفنا به بالذي يكسرنا عما نحن به . وان كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان ذلك أمكن لنا في رضوانه وجنته وما شئ أقرّ لأعيننا ولا أحبّ لنا من ذلك واننا نملك حينئذ على إحدى الحسينين إما أن نعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفروا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفروا بنا وانها أحبّ الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وأن الله عز وجل قال لنا في كتابه - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين - وما منا رجل إلا ويدعوره صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده وليس لأحد منا همّ فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا رباه أهله وولده وانما همنا ما ملأنا وأما قولك اننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريده فينه فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولاتجيبك إليها إلا خصلة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك أمرني الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل إلينا . أما ان أجبت الى الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته . أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله فان قاتل ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم وان أبيت إلا الجزية فأدأوا إلينا الجزية وأنت نعاملكم على شئ نرضى به نحن وأنت في كل عام أبدا ما بقيت وبقيت وأن نقاتل عنكم من نأواكم وعرض لكم في شئ من أرضكم ودمائكم وأموالكم وتقوم بذلك عنكم ان كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد

علينا وإن أبيت فليس بيننا وبينكم إلا المحاكاة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما يريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فأنظروا لأنفسكم ﴿

فقال المقوقس . هذا ما لا يكون أبداً . ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا . فقال عبادة هوذا كما اخترت لنفسك ماشئت . فقال المقوقس فلأخبرني إلى غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه إلى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شئ مالك عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم فالتفت المقوقس إذ ذاك إلى أصحابه فقال قد فرغ القوم فما تريدون فقالوا أَرْضِ أَحَدَ هَذَا أَلَّا نَأْزِلَ أَمَّا مَا أَرَادُوا مِنْ دُخُولِنَا فِي دِينِهِمْ فَهَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا أَنْ تَتْرَكَ دِينَ الْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَتَدْخُلَ فِي دِينٍ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ عَرَفَهُ وَأَمَّا مَا أَرَادُوا أَنْ يَسُونَا وَيَجْعَلُونَا عِبِيدًا فَلَا تَرَى مِنْ ذَلِكَ فَاوْرِضُوا أَنْ نَضَاعِفَ لَهُمْ مَا أُعْطِينَاهُمْ مَرَارًا كَانُوا هَاهُنَا عَلَيْنَا . فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع أصحابك على أن نعطيكم في ممتلكاتكم هذه ما نتمتعون وتصرفون . فقال عبادة وأصحابه لا . فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه أطيعوني وأطيعوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم نجيبهم إليها طاعتين تجيبهم إليها ما هو أعظم كل حين . فقالوا وأى خصلة نجيبهم إليها . قال أما دخولكم في غير دينكم فلا يسلم أحدكم به وأما قتلهم فأنا أعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا أبداً . قال نعم تكونون عبيدا مسليطين في بلادكم آمنين على أنفسكم وأحوالكم وذرائعكم فأطيعوني من قبل أن تندموا فأذعن القوم للجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه . فقال المقوقس لعبادة . أعلم أميرك أني لا أنزل حرصا على اجابتنكم إلى خصلة من تلك الخصال التي أرسلت اليها فاعطني أن أجمع به أنا في نفر من أصحابي وهو في نفر من أصحابه فإن استقام الأمر بيننا ثم ذلك جميعا وإن لم يتم رجعتنا إلى ما كنا عليه فاجتمع عمرو بن العاص بالمقوقس وكتبوا شروط الصلح بأن يعطوا الأمان للمصريين وهم يدفعون الجزية . انتهى

فهذه المحاورات التي دارت بين عبادة بن الصامت والمقوقس تبين لنا ما كان يفهمه أبائنا حين نزل القرآن في قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - وقوله - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا - وقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - . ألا ترى إلى قوله ﴿ وما يبالي أحدنا إن كان له قطار ذهب أو كان لابلع إلا درهما ﴾ وقوله ﴿ إن كان له قطار من الذهب أنفقه في سبيل الله الخ ﴾ وقوله ﴿ إن نعيم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا ﴾ وهكذا قوله ﴿ وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ﴾ فهذا القول وأمثاله هو مقصود القرآن والذي يفهمه هم الذين نزل بلسانهم وإنما فتحوا مصر وغير مصر لأنهم كانوا يريدون الله والدار الآخرة - تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - فضاعت هيبتهم وصار فتوح البلدان مقصودا به الدنيا فظهر مصداق قوله عليه السلام ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يشق عليكم من زينة الدنيا وزخرفها الخ ﴾ فيبعد أن كان فتح البلدان قرينة من القربات صار خوفا وفتنة يفتن بها المسلمون . هذا هو التطبيق من التاريخ على هذه الآيات فهذه زينة الحياة الدنيا وهذا ضرب مثلها وهذا نتيجة العمل بها والمخاطفة لها . فلما سمع صاحب ذلك قال لقد اتضح هذا المقام وانشرح صدري لهذا البيان ولكن ماذا تقول في السامعين اليوم . هاهم أولاد أبناء العرب وغير أبناء العرب من المسلمين . هل ترى لهم قوة على فتح البلدان كالسابقين فقلت أذكرك بأنني قلت فيما مضى في هذا التفسير ما ملخصه

﴿ إن آخر سورة الفتح فيه (تشبيهان) يمثلان الأمة الإسلامية فهم في التوراة - أشداء على الكفار رجساء بينهم - وهم في الإنجيل - كزبرج أخرج شطاه - الخ ﴾ فمثل التوراة هو الذي ظهر أولا من فتح البلدان ولذلك ترى الإسلام الآن في الصين واليابان وأمريكا والهند وفي انكلترا وفرنسا وألمانيا وبلد الروسيا وبولونيا وبلاد أخرى . إذن نحن جئنا في زمان فيه وجدنا الإسلام

منتشرا في العالم لجهادنا الآن يختلف عن جهاد آبائنا . هم فتحوا البلدان . فهاتحن أولاد نفتح العقول
 الاسلامية وذلك بالتشويق للعلم . فاذا رأينا عبادة بن الصامت يقف أمام المقوقس ويقول له نحن اذا ملكنا
 أنفتقنا في سبيل الله واذا لم نملك لم نرد شيئا من الدنيا ولم نبال بها . فهكذا هنا فننقل لقرأ العالم حبا لها
 وغراما بها وشوقا الى ربها وفرحا بقاءه أقبلت الدنيا أم أدبرت وبهذا نرضى ربنا وهذا الفتح العلمي هو
 الذي يعطى الأمم الاسلامية اليوم قوة المال والجاه والثروة ويحفظهم في أى مكان كانوا على شرط أن يكون
 طلب العلم لذات العلم ولوجه الله تعالى ولحبه فاذا انتشرت هذه الفكرة فبشر المسلمين بالعز فليس الجهاد قاصرا
 على ضرب الأعداء فالجهاد يرجع الى كل عمل شريف فاضل في كل ضرب من ضروب الحياة وأفضله كله العلم
 فالعلم أسنى العمل . وأنا أرجو أن يكون هذا التفسير حامل لواء الرقي الاسلامي والفتح العلمي ونبوغ طوائف
 من أمم الاسلام فيرجعون مجدهم ويسبقون غيرهم ويكونون نورا للعالمين وهذا هو المثل الثاني وهومثلهم في
 الانجيل وانهم - كزعر أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يجب الزرع - فهذا الزمان هو
 الذي يوافق مثل المسلمين في الانجيل لأن الانجيل يرجع الى الرقي الأخلاقي والاخلاص والحكمة وبالعلم
 يقتنعون الأمم في دخول دين الاسلام فهناك لم يكن للعلم سلطان . أما الآن فالعلم هو الذي به تفتح العقول ودين
 الاسلام الآن ينتشر بالتعلل والفهم . واذا كان الذين يحملون الاسلام جهلاء فقولهم غير مسموع . أما اذا
 اتصفوا بالعلم فان الناس لقولهم يسمعون ولدينهم يتبعون . ولقد قال عالم من علماء الألمان ﴿ نحن عرفنا
 دين الاسلام ولكن أين المسلمون الذين يقتدى بهم ﴾ فليكن هذا زمان الرقي العلمي والجد لله رب العالمين
 ﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - واذا قلنا لللائكة اسجدوا لآدم - الى قوله

﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾

ان هذه القصة ذكرت في مواضع في القرآن في البقرة وفي الأعراف وفي الحجر فانظر ما كتب عليها هناك
 تجد انها فتحت بابا للعالم المهجورة في بلاد الاسلام لاسيما اذا قرأت ما كتبناه عليها في سورة الحجر وأن
 عصيان آدم وحواء بالأكل من الشجرة نفع ع عليه نقائص المدينة الحاضرة في طعامنا وشرابنا ونجم من تلك
 النقائص أمراض وتدهور في الأخلاق وذكرت في غيرها على هذه القصة أن الطمع والجشع قد نجما من
 الشهوة البهيمية في الانسان المعبر عنها بالأكل من الشجرة وأن العداوات والحروب والحقد والغيظ والحسد
 وأمثالها ترتبت على القوة الغضبية فيه التي يشير اليها كبرياء ابليس وقوله - خلقتني من نار وخلقته من طين -
 فهذه الكبرياء فتحت أبواب الشرور والعداوات على مصراعها فاحتدم وطيس الحروب والعداوات بين الناس
 أمما وأفرادا . ثم ان الوسواس الشيطانية أكثرت من الخرافات في الأرض فضلت الأمم فعبدوا الأصنام اتباعا
 للهوى . فانظر عبادة الأصنام في أول سورة البقرة عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفي سورة ابراهيم
 عند قوله تعالى - واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام - واما تحت عنوان ﴿ جوهرة في أدبائ القدماء ﴾
 من الكلام على ديانة البراهمة والتلث عندهم وأن برهم جوهر نقي وله ﴿ ثلاث صفات ﴾ وهي واحدة فهي
 ثلاثة من وجه واحدة من وجه وهكذا نظام هذه الدنيا مثل وموحد وكذا نظام هذا الانسان مثل وموحد
 وهكذا أخذوا يعبدون الأصنام بعد التلث ثم اخترعوا أقاصيص وأساطير الخ ما هناك فراجع

ولقد تقدم في سورة الاسراء عند مسألة الروح مانعه

وهنا سألتني بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيئا مما دخل من البدع
 في الأمم الاسلامية حتى ننشور ونخبر الفتى من السمين فقلت أنا الآن ليس أمامي كتب مهمة في هذا الموضوع
 ولكن سأذكر لك ﴿ ثلاث مسائل ﴾ من أفعال المضلين ﴿ المسألة الأولى ﴾ مذهب الباطنية الذي تغفل
 في بلاد الاسلام واتصل من العصور الأولى الى الآن ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكلام على نظام الملك الوزير وعمر

الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضيحا للمسألة الأولى (المسألة الثالثة) زهد أكثر الأمم الإسلامية اليوم في فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وأن هذا سبب عن المسألتين السابقتين

(المسألة الأولى من هم الباطنية)

اعلم أن دولة الفرس ودولة الروم هما اللتان كانتا سائدتين قبل ظهور الاسلام وكان لكل منهما الغلبة على العرب فيما يليها كما هو واضح في سورة التوبة فأقرأه هناك من كلام العلامة (سدي) الفرنسي فلما ظهر الاسلام انتزع الملك من الفرس ودخلوا في دين الاسلام . هناك غلت مراحل الحق في قلوب بعض الأمة الفارسية فأخذوا يكيّدون للاسلام كيّدا ليكسروا شوكة العرب فأخذوا يجتمعون سرا ويطنون غير ما يظهرون وكان ما كان من مسألة أبي مسلم الخراساني الذي حارب تحت إمرة بني العباس وانتزع الملك من بني أمية . ولما استقرّ القرار لبني العباس أراد أبو مسلم أن يقلب لهم ظهر الخنجر ويتخذ الرئاسة لنفسه فطن أبو جعفر المنصور وقتله غيلة وهكذا هارون الرشيد حفيده ذلك الذي علم ما انطوت عليه أفئدة الفرس والبرامكة يشدون أزهرهم لأن يحيى وجعفر ابنه كانا من نسل سندنه معد النار بفارس فكان هؤلاء يجتدون سرا في نزع الملك من بني العباس وجعله في بني عليّ كرم الله وجهه ليكون الأمر لهم ويدبرونه كما يشاؤون ففتك الرشيد بجعفر والبرامكة في ليلة واحدة فلما رأوا أن لا فائدة من ذلك عمدوا الى الخديعة والسكتان وأسسوا جمعية سرية سموها (الباطنية) . قال في شرح المواقف . ان (الغبارية) وهم طائفة من الجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود على قواعد أسلافهم وذلك انهم اجتمعوا وتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لاسبيل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك لكننا نحتمل بتأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلماتهم وريثهم في ذلك (جدران قرمط) وقيل (عبد الله بن ميمون القداح) أو لهم في الدعوة . ثم ذكر أن استدراج الطعام (سبع مراتب)

(١) (الزرق) تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة ويقولون بمنع إلقاء البذر في السبخة أى دعوة من ليس قابلا

(٢) (التأنيس) وهي أن يستميلوا كل واحد الى ما يهواه فالناسق بالخلاعة والعفيف بتحسين الصلاح والعفة

(٣) (التشكيك) في أركان الشريعة كأن يقال (أ) مامعنى الحروف في أوائل السور (ب) ولم تقضى الحائض اذا أفطرت أيام رمضان دون صلاحها (ج) ولم يكون الغسل من المني دون البول (د) ولم يكن عدد الركعات أربعة اواثنين وهكذا ولا يجيبونهم على ذلك ليربطوا قلوبهم

(٤) (الربط) وهو (أمران * الأول) أخذ الميثاق منه أن لا يشقى سرهم (الثاني) أن يحيله على الامام في حلّ ما أشكل عليه لأنه هو العليم به وحده

(٥) (التدليس والتأسيس) والأول دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم حتى يزيد ميله الى ما دعاهم اليه . والثاني تمهيد مقدمات يقبلها ويسامحها المدعو تدعوه الى ما يسمعه من الباطل

(٦) (الخلع) وهو الطمأنينة الى اسقاط الأعمال البدنية

(٧) (السلخ) وهو أن يسلمه من الاعتقادات الدينية وحينئذ يأخذون في الاباحة واستهجال اللذات

وتأويل الشرائع (أ) كأن يقال الوضوء معناه موالاة الامام (ب) والتبسم الأخذ من المأثور عند غيبة الامام

(ج) الصلاة عبارة عن الناطق وهو الرسول (د) والاحتلام هو افشاء سر من أسرارهم الى من ليس هو

بأهل بلا قصد منه (هـ) الغسل تجديد العهد (و) الزكاة تزكية النفس بعرفة ما هم عليه من الدين (ز)

الكعبة النبي والباب على الخ

بهذا تفهم أيها النكي ما تقدم في سورة إبراهيم من تلك الشكوى المرة التي شكها أتباع (أغاثمون) وقولهم انه يقول انه مسلم ولكن يقول القرآن ليس منزلا لكم وهذا المقام واضح هناك ولكن سره ظاهر هنا فهو مسلم ولكن الشريعة كلها حوت الى عبادة الامام والاخلاص له . وبهذا تفهم قولهم له ماذا فعلت للاسلام ونشره وأنت مسلم وتنكر اتباعنا للقرآن . فافهم ذلك وافرح بنعمة العلم والعرفان

وهذه الطائفة تسمى بأسماء مختلفة (١) الاسماعيلية لاتبائهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق وهو أكبر أبنائه (٢) الباطنية لقولهم بإطن الكتاب دون ظاهره والمتمسك بظاهره معذب بالتكاليف والمتمسك بباطنه تارك للعمل بالظاهر سعيد (٣) القرامطة لأن أولهم الذي دعا الى مذهبهم هو رجل يقال له (حمدان قرمط) وهي إحدى قرى واسط . ومن هؤلاء القرامطة طائفة هجمت على مصر أيام المعز لدين الله الفاطمي فأسدى وزيره العطايا الى عرب مصر الذين اتحدوا مع القرامطة بأن أعطاهم دنانير في أكياس وكان ظاهرها ذهباً خالصاً والباقي تحتها ذهب مزيف فلما التقى الجمع تفتقرت العرب المصريون ففتنت القرامطة إلا قليلاً ثم ان الانجليز لما دخلوا مصر في أيامنا هذه منذ (٤٥) سنة فعلاوا مع عرب مصر بجهة (رأس الوادي) وهم زاحفون على مصر بحاربة عراقى باشا وجيش المصر بين مافعله وزير المعز لدين الله سواء بسواء فأعطوا هؤلاء العرب ذهباً في أكياس ظاهرها ذهب خالص وباطنها مزيف مما دل على أن أوروبا متيقظة تمام التيقظ للتاريخ تنتفع به كما انتفعوا بمسألة جلد الثور في قصة حسن بن الصباح الآتي يانها (٤) الحرمة لقولهم بأباحت الحرمة والمحارم (٥) وبالسبعية لأنهم يقولون إن النطقاء سبعة سيأتي ذكرهم (٦) وبالحمرة لبسهم الحرمة وغلب عليهم اسم (القرامطة) و (الباطنية) و (المرذكية) بالعراق و (التعليمية) و (الملحدة) بخراسان في أيام (بابك) أولتسميهم المخالفين لهم من المسلمين جيرا . أما النطقاء السبع المتقدم ذكرهم فهم

(١) إمام يؤدى عن الله

(٢) حجة تؤدى عن الامام

(٣) وذومصة بمص العلم من الحجة

(٤) أكبر أى داع أكبر

(٥) داع مأذون بأخذ اليهود على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الامام

(٦) وكلب رفيع اليرجات في الدين لم يؤذن له في السعوة بل في الاحتجاج على الناس فهو ككلب الصائد فهذا يكسر مذهب أهل الظاهر متى شك سامعه أذاه الكلب الى الداعي ليفهمه المعاني التي جهلها ويأخذ عليه اليهود

(٧) ومؤمن يتبع الداعي وهو الذى أخذ عليه اليهود وآمن وأيقن باليهود ودخل في ذمة الامام وخربه ومنهم جماعة يلقبون (بالبابكية) إذ اتبع طائفة منهم (بابك الخزيمى) في الخروج بأثر يبيحان

﴿ غرام الاسماعيلية بالأعداد ﴾

لعلك أيها النكي آنت في هذا المقام التسبيح في ألقابهم وفي أسماء دعائهم الناطقين بمذهبهم ذلك انهم يقولون ان ذلك مطابق للسموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع وأيام الاسبوع السبع والكواكب السيارة السبعة وهي - للبربات أمرا - وقد برعوا في هذه المسائل العديدة التي يمكن أن تقابل مثلاً ودخلوا في آيات القرآن وعددها بالجل وهكذا الأسماء وذلك مسطور في كتب مطولة كشمس المعارف الكبرى وغيره ولقد صرف الناس عن القرآن العلم بهذه الامور فتفتقرت الأمم الاسلامية بشيوع أمثال هذه الآراء لاسيما أن حسن بن الصباح لما ظهر جدد السعوة على أنه الحجة الذى يؤدى عن الامام الذى لا يجوز خالو الزمان عنه والناس جميعا محتاجون الى العلم ومنع العوام عن الخوض في العارم والخواص من النظر في الكتب المتقدمة

لئلا يطلعوا على فضائهم كما اطلع أتباع (أنفا ممنون) في زماننا ووجهوا شكواهم للعالم في الجرائد كما تقدم في

سورة إبراهيم عليه السلام

وما يزيدني ويزيدك أيها الذكر مسرة مامنحنا الله من العلم وحبانا من الفضل ، ذلك انني أنا وأنت قد عرفنا سر ماضعه أوروبا في بلاد الشرق . ذلك انهم أجمعوا أن يحصروا الأفكار وينعوا حقائق العلم ليقب الناس تحت أمرهم . يفعل ذلك الانجليز والفرنسيون والأمة الهولندية والبلجيكية وغيرهم . أليس هذا بعينه هو مافعله حسن بن الصباح ومشائخ الصوفية أي أكثرهم فانهم موقنون أنهم لا يتبعهم إلا الجهاد . اللهم إنيك أنت الرب والشهيد على هذا الانسان خصوصا الأمم الاسلامية . ترعرع الدين وازدهى في القرون الأولى فقامت فرق الباطنية غرمت العلم وقفي على آثارهم أكثر شيوخ الصوفية وافترق أهل الجزائر وتونس ومراكش ومصر والعراق وغيرهم . افترقوا لأنهم ورثوا التفرق عن آبائهم وشيوخهم . أولئك الشيوخ الذين منعوا العلم . ولما أخذت أوروبا العلوم عن آبائنا أخذت تقلد الباطنية كحسن بن الصباح وشيوخ الصوفية وتعاونت معهم على اتحاد أنفاس المسلمين . فهنا مصيبتان حلتا بالمسلمين . مصيبة قديمة وأخرى حديثة فالقديمة هم بعض شيوخ الصوفية الذين يحرمون العلوم لإيمانظقوابه والحديثة هي الأمم الأوروبية الذين اتخذوا أولئك الشيوخ أدوات فعالة لاختضاع أهل الشرق فالشرق هو الذي علم أوروبا كيف تعمم الجهل وهو الذي أنبت الباطنية كحسن بن الصباح الذين منعوا العلم . فهنا اجتمع الأمران في أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم ومتى اشتد الكرب هان وبعد هذا التفسير ان شاء الله وأمثاله سيخرج المسلمون من هذين المحسين ويعم التعليم وتزول سلطة أولئك الشيوخ المضلين ويصبح الاسلام صافيا نقيًا كما بدأ ويتخرج فيه رجال لاسلطة لأوروبا وللشيوخ الباطنية أو الصوفية عليهم وهم كاملون

﴿ المسألة الثانية في الكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني ﴾

اعلم أن هؤلاء الثلاثة كانوا يحضرون دروس امام الحرمين في القرن الخامس الهجري . وقد قالوا وهم تلامذته إن أستاذنا ذو فضل عظيم وما تلقى عنه أحد إلا ارتقى ذروة المجد فهوا هو تتعاهد أن يكون الفائز بالعرش والسلطان والدولة آخذوا بيد أخويه في المستقبل فكان أول من نال العرش والقوة نظام الدولة إذ صار وزير الدولة فقدم اليه عمر الخيام وحسن بن الصباح وذكراه بالعهد فقال لهما اطلبا ما تريدان فطلب عمر الخيام أن يتوفر على الفلسفة وزهد في الوظائف فأجرى عليه رزقا معلوما كل شهر فقصى حياته في حوز الحكمة وله نظام رائع باللغة الفارسية يسمى ﴿ رباعيات الخيام ﴾ ظهر منذ نحو (٨٠) سنة في بلاد الانجيز وترجم الى اللغة الانجليزية ومنها الى العربية وعندي نسخة منه وقد اطلعت على الانجليزية وفيها تاريخ حياته وهذه الرباعيات ترجعها الى العربية وديع أفندي البستاني وهي في وصف أحوال هذا الوجود واحتمار الدنيا مع الوصف العجيب فهي أشبه بما في شعر أبي العلاء المهرسي وبما ذكره سيدنا سليمان عليه السلام في التوراة إذ ينم الحياة الدنيا ويقول كل ذلك باطل وقبض الرجب . ورباعيات الخيام قد اشتهرت في أمريكا في هذا العصر ولها هناك مساحر للتمثيل عبدها (١٢) . هذا هو الخيام

أما حسن بن الصباح فانه اختار أن يكون صاحب عمل في الحكومة فجعله في الديوان ولكنه لم يحفظ الجليل فأراد العاقل من أحسن اليه . وذلك انه قال للملك نريد أن نجعل للبلاد ميزانية تدير عليها الحكومة فطلب الملك من نظام الملك ذلك فقال لاسبيل الى ذلك فعهد بذلك الى حسن بن الصباح فشرط أن يجعل الديوان تحت امرته أر بعين يوما وفي أثناء ذلك احتال كاتب نظام الملك فتقرّب الى كاتب السر لابن الصباح وغمره بالهدايا والعطف والمودة حتى اذا كان يوم تسليم أوراق الميزانية قابله قبل الوقت المعين بزمان وجيز فقال له أرني هذا الورق فأخذ ينظر اليه وتعهد وقوعه على الأرض فاختم نظام وضع الصحائف فقد جعل ابن الصباح

لكل مدينة صحيفة مخصوصة ثمرة خاصة فلما أن اختلف الوضع عند جمع الصحاف الواقعة حضر ابن الصباح وتسلمه من كاتب سره ودخل فرأى الملك والوزير معا فطلب منه الملك ميزانية إحدى البلاد فلم يجدها في محلها فأخذ يبحث عنها فقال نظام الملك أين هي وكيف تدعى أنك تعرف ذلك وأين دعواك (منتزعا الفرصة قبل عبوره على تلك الصحيفة) فخرج مغضبا وتوجه الى مصر التي فيها السولة الفاطمية . ولأذكر نبذة من ذلك التاريخ لايضاح المقام فأقول إن الفاطميين بمصر قد كان أول عهدهم ببلاد المغرب لأن المهديوة لاتنبت إلا في قوم غير متعلمين وكان ابتداء ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري ولما انتهى الأمر إلى المعز لدين الله الفاطمي في القرن الرابع دخل البلاد المصرية بعد ذهاب دولة الأخشيديين ومن قبلها دولة الطولونيين فدخلها بالحرث وبنى القاهرة والجامع الأزهر في منتصف القرن الرابع الهجري بهمة وزيره جعفر بن فلاح والقاهرة تسمى (المعزية) نسبة للمعز لدين الله المذكور . وكان مقرهم المسمى (بالباطنية) الذي يسمى بهذا الاسم الآن جنوبي الجامع الأزهر وبقيت دولتهم إلى أواخر القرن السادس الهجري ثم حصل بمصر جمجمة لقلعة ماء النيل فأكل الناس القلظ والكلاب والضيوف والأطباء وأكل الأيوون ابنيهما وهكذا حتى بغلة الملك أكلوا والملك نفسه لم يجد له كل يوم إلا رغيفا وطبقا مماؤا لبنا . وفي ذلك الزمن كان نور الدين الشهيد بالشام وله دولة وقد أرسل إلى مصر (شركوه) ومعه (صلاح الدين الأيوبي) وكان هذا الأخير ليست له شوكة فاستوزره الخليفة الفاطمي فضبط البلاد وحافظ عليها حتى مات الخليفة فأولا جعل الخطبة لنور الدين الشهيد بدل الخليفة الفاطمي ثم جعلها لنفسه ثم أبقى أسرة الخليفة بأن جعلهم جميعا في بيوت خاصة وجعل النساء لا يختلطن بالرجال حتى لا يتوالدوا وكان ما كان من الحروب الصليبية في الشام وانتصاره عليهم . وقد كان الملوك الفاطميون لهم مقابر في غرب المشهد الحسيني فيما بينه وبين بيت القاضي في موضع خان الخليلي فهدمت وبنى الناس عليها وحفظ للشهد الحسيني اعظاما له ولآل البيت الكرام وكانت له دعوة منتشرة في الأقطار . ولما زالت دولتهم من مصر انتقلت إلى بلاد أخرى منها ما تقدم في سورة إبراهيم من شكوى الاسماعيلية عن (أغا نمون) الذي يدعى الالهوية ويأخذ منهم أموالهم . فاقرا ما هناك

إذا عرفت هذه المقدمة فانظر أمر حسن بن الصباح فانه لما غلب على أمره في جهات الفرس سار إلى مصر وبقى فيها نحو (١٨) سنة على ما أذكر ثم رجع إلى بلاد الفرس وقد كان من دعاة الفاطمية إذ تعلم أسرارهم وأتقنها . هنالك استظهر بالرجال والسلاح وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعة الموت في شهر شعبان سنة ٤٨٣ هـ وكانت لهم حيل منها شرب الخشيش الذي يجعل المرء أشبه بالثوم (بالفتح) الذي يفعل كل مايلق اليه ومنها انهم كانوا يختارون أقوى الرجال وأجملهم ويخترونهم بمواد ثم يضعونهم في بستان عظيم فيه الجوارى الحسنات الجيلات وهنالك يوقظونهم فيدهش الرجل منهم إذ يراه في جنات الخلد ويرى هناك ما لا يحلم به ثم يختار ثانيا ويوضع في مكان الضيافة فيستيقظ ويوقن بأنه كان في جنات النعم عيانا فيعتقد أن الامام هو صاحب التصريف فيصبح من (الفدائيين) اذا قال له اقتل نفسك بمثل حاله لأنه سيدخل الجنة والجور في انتظاره الآن . وقد كان استيلائه على قلعة الموت بحيلة وهي انه فعل ما اقتبس الانجليز بعد ذلك في الهند إذ اشترى من صاحب القلعة مقدار جلد الثور أو كان ذلك في مقابلة مداوته له من مرض لا أتذكر أيهما كان فلما أراد أن يستولى على ما اتفقا عليه جعل ابن الصباح جلد الثور سيورا مدها فأخذت أرضا واسعة جدا فأبى صاحب القلعة الا يحاربته فانصر عليه . هنالك كانت تلاميذه الذين يعاهدهم سرا قد تدخلوا في بيت الملك والوزير فذبحوا الملك ونظام الملك في ليلة واحدة بدهانه ومكره الخفي وماهم إلا خدم من تلاميذه السريين وابن الأثير يقول ماتا في زمانين متقاربين والله أعلم

فها أنت ذا أيها الذكي وقفت على خبر ابن الصباح الذي تقدم اسمه في سورة إبراهيم إذ يقول أتباع

(أعنا نمون) بالمهندله انكم من فرقة حسن بن الصباح فهذا هو قد ذكرته لك هنا لتفرح بنعمة الله والعلم وينشرح صدرك وتفتح أُمم الاسلام بحكمته فان هذا التفسير من الذم التي أنعم الله بها على المسلمين وسيدطلقون سراحا الى الحكمة ويردون موارد هذا صاؤون الى نهايات الحكمة والعلوم . انتهى الكلام على المسألة الثانية

﴿ المسألة الثالثة زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم في فهم القرآن ﴾

اعلم أن هذه الأمم الاسلامية بأمثال هذه الطوائف وبعض علماء الفقه والملوك الظالمين قد تركوا العلوم بتاتا ونسوا مواهبهم التي خلقها الله لهم وأصبحنا نرى أبناء العرب وغير العرب في ذهول مستمر بسبب الجهالة الشائعة في بلاد الاسلام . وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أن السلطان عبد العزيز سلطان مراکش وهو من آل البيت لعبت به الأمة الفرنسية لعبا مهلكا فأزالوا ملك هذه الأسرة من تلك البلاد . وأبين السبب لك فأقول

اعلم أن أُمم أوروبا قد استكملت عددها وقواتها والمسلمون ناثمون وقد بلغني ممن أثق به أن السلطان عبد العزيز كان رجلا صالحا . ولكن ماذا حصل . كنت أنا في عصفوان شباني بدمرس (دارالعلوم) وكنت أقرأ الجرائد السياسية وأتبع مسألة مراکش وهي بلاد اسلامية مستقلة وبلادنا كانت تحتة بالانجليز فأريت الكلام كثر على بلاد مراکش ورأيت اقتراحا في الجرائد هذا ملخصه

﴿ إن الأمم الاسلامية يخضعون لشيوعهم والشيوخ على ﴾ قسمين ﴿ شيوخ من آل البيت كالسلطان عبدالعزيز وشيوخهم شيوخ الطارق مثل ماء العينين ومثل الكتاني ومثل التيجاني . وهؤلاء اذا غرناهم بالعطايا وأنا لهم مرافقهم وأنعمنا عليهم وأسعدناهم فانهم لا يبالون بالشعب لأنهم يريدون المحافظة على مراكزهم وهم يعلمون حتى العلم أن في الثورة ضياعا لمراكزهم . فعلى قادة الأمة الفرنسية أن يفعلوا ذلك ﴾

فغضت بعد ذلك سنون فرأينا في الجرائد أنهم أخذوا نساء راقصات من مصر الى السلطان عبد العزيز ففر الناس من ذلك وشاع الخبر في أقطار المعمورة . ثم خلعوا عبد العزيز . ثم تولى عبد الحفيظ . ثم خلعوه واستولوا على البلاد . وحقيقة الأمر أن المسلمين لما تركوا العلوم وجهلوا التاريخ وعلم السياسة ولم يجاروا الأمم لعبت بهم الدول فأخذوا يشيعون هذه الاشاعات في مصر وغيرها يأخذون هؤلاء النساء بأجرة وهؤلاء له بها لأنه لا جرائد في بلاده ولا سفراء ذوي حرم يخبرونه بما يقال عنه بل هم ساهون لاهون يتوارثون هذا الجهل كبرا عن كبر . هذا ما كان من أمر ملوك آل البيت في مراکش . وأما الكتاني فقد بلغني أنه أودى كثيرا في أمر بلاده وابتاهه بنقص الأموال والأنفس والمخزات . ويقال ان ماء العينين قد أودى أيضا هذه أحوال أُمم الاسلام اليوم . ويظهر أن المسلمين الآن أخذوا يقلعون عن هذه الجهالة العمياء واستيقظوا وترى من آثار الجهل طوائف من الصوفية يحرّمون على تلاميذهم قراءة العلوم ليقب في قبضتهم وتحت اراحتهم وحكمهم يأمرونه فيأثم . كل ذلك من الضلال الفاشي والجهل الخيم في بلاد الاسلام والله يقول - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وهذا أوان زوال هذا الضلال من بلاد الاسلام . واعلم أن أكثر الصوفية الآن في بلاد الاسلام يدقون الطبول ويحمان البيارق يأخذون اليهود والمواثيق على تلاميذهم وهم لا يعلمون أن هذا الميراث الذي توارثوه إنما هو غالبا لاسراز الملك وقيام الدولة كما حصل أيام أبي مسلم الخراساني وقلب الدولة الأموية وكذلك الملك في الدولة الفاطمية والقرامطة . كل ذلك باليهود والبوذ ولكن شيوخ الصوفية اليوم اكتفوا بانغماس تلاميذهم في الجهالة حتى لا يعرفوا سواهم وحرقوا لهم علماء الدين وكل علم وحكمة لإلماخرج من أفواههم حتى صار التابع يحقر بعضهم بعضا لأن كل شيخ أفهم تابعيه أنه وحده على الحق حتى ترى أبناء العرب متفرقة قلوبهم . فلا المراكشي يتعارف مع المصري ولا كلاهما مع العراقي وهؤلاء لا يتأرورون مع الحضي ولا اليمنى لأنهم متقاطعون لجهالتهم بالتاريخ السياسي والعلمي والديني . كل ذلك سرّ قوله تعالى

— وما كنت متخذ المضامين عضداً — فأقرأ دواء هذا الماء في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى — ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب — الخ انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في إيضاح الكلام على حسن بن الصلاح واجبال تاريخ الامامية والزيدية والكيسانية ﴾
اعلم أن الشيعة أتباع سيدنا على كرم الله وجهه وبنه رضى الله عنهم أجمعين ومذهبهم أن الامامة ليست من المصالح العامة بل هي تكون بالتعيين وهي من أركان الاسلام والامام المعين يكون معصوماً من الكسائر والصقائر ومن هؤلاء امامية وزيدية . فالأولون يتبرؤون من الشيعيين أبى بكر ومهر والآخرين يجيزون امامة المفضول مع وجود الفاضل فلا يتبرؤون منها . فأما الامامية فانهم يقولون إن الامامة تنتقل في ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها بالنص واحداً بعد واحد . وأما الزيدية فانهم يقولون يكون الامام في ولد فاطمة رضى الله عنها ولكن ذلك باختيار الشيوخ والانتخاب لا بالتعيين وصاحب المذهب زيد بن علي بن الحسين رضى الله عنهم أجمعين . ولا بد من أن يخرج الامام بهذا شرط من شروط مذهبهم . ولما ناظر الامامية زيدا ورأوه يقول بامامة الشيعيين رفضوه فسموا (رافضة) ولم يجعلاه من الأئمة . وطائفة ساقوا الخلافة في محمد ابن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه . ومن هذا الاصول الثلاثة قرعت فروع يطول شرحها ولا محل لذكرها . ومن هؤلاء طوائف يسمون (الغلاة) قالوا بالوهية هؤلاء الأئمة فهم إما بشر اتصفوا بصفات الالهية ولما أن الاله نفسه قد حل في ذواتهم البشرية كما بقوله النصراني في عيسى عليه السلام وهذا هو القول بالحلول . ولقد حرق هذه الطائفة سيدنا علي بالنار وسخط محمد بن الحنفية على المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ولعنه وهكذا جعفر الصادق رضى الله عنه لما بلغه مثل ذلك بالنسبة له . ومنهم من يقول ان الامام اذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون كاله فيه على طريقة التناسخ كذهاب أهل الهند . ومن هؤلاء الغلاة من يقول بامام واحد ويحكمون بأن هذا الامام لم يمت بل هو حي ولكنه غائب عن الناس كسألة الحضرة عليه السلام وهم الواقفية . فترى منهم طائفة يقولون ان الامام على وحده رضى الله عنه وأنه في السحاب والعرصوته والبرق سوطه والامامية قالوا مثل هذا في بنيه لاسيما الاثني عشرية منهم أبى الذين يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري الملقب المهدي عندهم دخل سرداباً بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع أنه غاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه (المنتظر) لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فينتفون باسمه ويدعونه بالخروج حتى تشبك النجوم ثم ينفضون ويرجعون الى الليلة الآتية . إذن الاثنا عشرية يقولون في محمد بن الحسن العسكري ما بقوله الذين وقفوا على كرم الله وجهه من حيث البقاء في الحياة والتغيب عن الناس . ومن الواقفية من يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته كقصه أهل السكف . وهؤلاء الغلاة رد عليهم الفطاحل من علماء الشيعة أنفسهم وأباطلوا حججهم

﴿ الكلام على الكيسانية ﴾

ان الكيسانية ساقوا الامامة من محمد بن الحنفية الى ابنه أبى هاشم ويسهون (الهاشمية) وزعم طائفة أن أبى هاشم لما مات بأرض السراة منصرفاً من الشام أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام وأوصى ابراهيم الى أخيه عبيد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو الى أخيه عبد الله أبى جعفر المنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحداً بعد واحد وهذا المذهب الهاشمية القائمين بدولة بنى العباس وكان منهم أبو مسلم الخراساني ويستدلون بأن العباس عم النبي ﷺ وهو أولى بالوراثة

﴿ الزيدية ﴾

وأما الزيدية فقالوا بالامة على رضى الله عنه فالحسين فابنه علي بن المايد بن فابنه زيد بن علي

وهو صاحب هذا المذهب وقد خرج بالكوفة داعياً إلى الإمامة وقتل وصلب (بالكناسة) وبعده يحيى فظهر
بخراسان وقتل بالجوزجان وبعده محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين السبط ويقال له النفس الزكية وذلك
بوصية يحيى المذكور فخرج بالجزاز وقتله عساكر المنصور . وهناك طوائف كثيرة من الزيدية ونحس بالذكر
منهم من قالوا الإمامة من محمد بن عبد الله المذكور إلى أخيه ادريس النقي فرت إلى المغرب وقام بعده بالأمر
ابنه ادريس واختط مدينة (فاس) وأعقب ماوكا بالمغرب ثم انقرضوا . ومن الزيدية من كانت لهم دولة
(ببهرستان) وتوسل (الدين) من نسبهم إلى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد

﴿ الإمامية ﴾

إن الإمامية ساقوا الإمامة من علي كرم الله وجهه إلى ابنه حتى أوصاها إلى جعفر الصادق وهناك اختلفوا
﴿ فرقتين ﴾ فرقة ساقوها في ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالإمام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها إلى ابنه
موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وقولهم بغيته إلى آخر الزمان كاعلمت
فأما الاسماعيلية فيقولون بإمامة الامام بالنص من أبيه جعفر الصادق ومن اسماعيل انتقلت إلى ابنه محمد المكنوم
وهو أول الأئمة المستورين والمستور عندهم من لا شوك له فيستتر وتكون دعائه طاهر بن اقامة للحجة على
الخلق وإذا كانت له شوكه ظهر وأظهر دعوته وبعد محمد المكنوم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه محمد الحبيب وبعده
ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله التيمي في كتامة بالمغرب وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه
من معتقله (بسجلماسة) ومالك القيروان والمغرب ومالك بنوه من بعده مصر وهذا معروف مشهور في التاريخ
ويسمى هؤلاء (الاسماعيلية) نسبة إلى القول بإمامة اسماعيل ويسمون أيضاً (الباطنية) نسبة إلى قولهم بالإمام
الباطني أي المستور ويسمون (الملحدة) لما في مقالاتهم من الإلحاد هؤلاء لهم مقالات قديمة ومقالات حديثة
وهي التي دعا إليها الحسن بن محمد الصباح الذي تقدم كلامنا فيه وقد ملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته
فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ماوك الترك بمصر وماوك التتر بالعراق فانقرضت . واعلم أن الباطنية القديمة
خطوا كلامهم بكلام الفلاسفة وتكلموا على النفس والعقل وما أشبه ذلك وتكلموا على أسرار الحروف
والأعداد ويقولون مثلاً التسمية مركبة من سبع وأثنى عشر والنهليل مركب من أربع كلمات في إحدى الشهادات
وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الأولى وست في الثانية وأثنى عشر حرفاً في الأولى وأثنى عشر حرفاً
في الثانية وهكذا في كل آية استخرجوا أعداداً فأضاعوا زمانهم فيما لا فائدة فيه . وأذكر من ذلك أني قرأت
في بعض كتبهم في قوله تعالى - رفع الدرجات ذو العرش - أن جل - رفع - ٣٦٠ وهي عدد درجات
الدوائر الفلكية وغيرها لأن الدائرة ٣٦٠ درجة فكانت بقول الدرجات ٣٦٠ ويعتبرون أمثال هذا أسراراً
للقرآن ولن يعرفها أحد إلا الامام . وهكذا يقولون أن جل اسم (محمد) عليه الصلاة والسلام بحسب ما ينطق به
(١٣٢) وحروف الفاتحة بحسب النطق أيضاً (١٣٢) وهذه يجعلونها أسراراً عالية وتورث قلوب الذين يعرفونها
تصديقاً بالدين وبالسر الحمدي وبالامام القائم بجهنم . ومعلوم أن كل عدد من هذه الأعداد يقابل بضده
وبعكس الأمر على قائله ويدخل في هذا علم الأوقاف الذي فيه يظهر توافق الأعداد كما هو مشهور وهذا قد
أخذوه عن قدماء المصريين والهنود فهؤلاء عندهم هذه الأوقاف كما أوضحناه في غير هذا المكان أيضاً تماماً
في هذا ضياع وقت يصد الناس عن النظام الجليل في السموات والأرض فهناك التوافق الجيب والنظام البديع
الذي ظهر لك في أمثال هذا التفسير وهو الذي قامت به المدينة العصرية في العالم كله . فأما أصحاب الدعوة
الجديدة فقد تركوا هذا وأظهر حسن بن الصباح دعوته كما تقدمت وتحصن في قلعة الموت وبقى الأمر متوارثاً
إلى زماننا هذا وقد عرفت فيما تقدمت في هذا التفسير في المجلد السابع أن ﴿ أغا منون ﴾ بالهند في زماننا قد
شكك منه أتباعه لأنه على رأي حسن بن الصباح منذ ثمانمائة سنة

(حسن بن الصباح)

قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المولود بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ وكان وزير المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر المتوفى سنة ٥٤٨ هـ في كتابه (الملل والنحل) مملخصه
ان ابن الصباح هاجر الى امامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه فجعل كيفية الدعوة فصولا أربعة
(الفصل الأول) ان الانسان اذا اعتقد عقيدة فهذه اما أن تكون بالعقل واما أن تكون بالتعليم
والقائل بالنظر بالعقل اذا أنكر على التعلم عن غيره فعناه أن هذا المنكر عليه جاهل محتاج الى تعليم غيره
فهو إذن مقر بأن التعليم واجب واذن صار الأمران ضروريين معا العقل والمعلم الذي يعلمنا كيف نعقل
ونفهم (الفصل الثاني) انه ليس كل معلم يصلح لتعليمنا لأنه اذا ثبت في الفصل الأول أن المعلم لابد منه فهنا
نقول ليس كل معلم يصلح لذلك والا كانت الفوضى . فلا بد إذن من معلم صادق . فهنا أمران (أولا) لابد
من معلم (ثانيا) لابد من معلم صادق (الفصل الثالث) ان هذا المعلم الصادق لابد من معرفته والظفر به
ثم التعلم منه إذ لا يجوز التعلم من أي معلم كان (الفصل الرابع) ان في العالم حقا وباطلا وعلامة الحق هي
الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة وان الناس متى تعلموا من الامام المعصوم الذي يعرفه هوصاروا الى الوحدة
والجماعة واذا تعلموا من أي معلم كان صاروا الى الفرقة والآراء المختلفة . إذن جميع المذاهب والفرق والآراء
في الأمم الاسلامية عنده منبوذة لأنها متفرقة وهم وحدهم على الحق لاتحادهم ثم إن كلمة الشهادة وترتيبها
فيها نفى واثبات فالنفي للباطل وهي الفرق المختلفة والاثبات للحق وهي الفرقة التي هو قائم برأسها ويقول (لما
إله محمد ﷺ وقد تقدم أنه منع أصحابه من العلم وسد عليهم أبوابه وانما أطلت في هذا المقام لأشبع نك
المقول المتعطشة للعلم من الأمم الاسلامية التي في زماننا وبعدها ليعلموا لماذا تخاذل المسلمون وكسرت شوكتهم
وضاع مجدهم - والحق أحق أن يتبع -

إن هذه الآفة ليس لها إلا طريق واحد هو الذي ندعو اليه في هذا التفسير وهو ارتقاء جميع العالم في
بلاد الاسلام قاطبة والحمد لله ان هذا التفسير قد أوضحه ايضا تاما . فأنأ أجد الله وأشكره أن وفق له
وسيرج قلوبا وقلوبا وسبشرح الله به صدورنا وصدورا . فليعمم التعليم في بلاد الاسلام وليكن لكل ذكر
ولكل أنثى وليكن ابتدائيا وثانويا وعاليا . وهذه هي الطريقة المثلى التي بها تتجاوز تلك السبل الضالة
الجاهلة التي مزقت أمم الاسلام وليكن الكرام من آل البيت قدوة في العلم ورفعة الأمة وشرفها . هذا هو
الحق الصراح والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الخميس (١٥)
مارس سنة ١٩٢٨

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُمُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا
لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ
وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَجْمِئًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ
فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ
لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ ابْتِغَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ
ذِكْرًا * فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَتْهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُرقَّ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا نَأْخُذُ بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُزْهِقُنِي مِنْ أَمْرِ عُمْرًا * فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً
بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا *
قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ اللَّغْوِ عُدْرًا * فَأَنْطَلَقَا حَتَّى
إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمْ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ
فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ
مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ
أَعْيِبَهَا وَكَانَ رَءَاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنًا
نَخْشِنَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنْتُمْ عَنْ
أَمْرِ ذَلِكَ تَأْوِيلًا * مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا
عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا
* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا
الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ
يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ
لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ
لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا *
حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا
الْقُرْنَيْنِ إِنِ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ

يَدْنُنَا وَيَنْتَهُم سِدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا
قَالَ آتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا
رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعْنَا مُمٌ جَعْمًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
عَرَضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * الْخَسِيبَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا * قُلْ
هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آبَاءَهُمْ رُسُلًا هُزُوا
* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَمُوتُونَ عَنْهَا حَوْلًا * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْبَشَرِ إِلَهٌ وَاحِدٌ
فَنَنْكَرُ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا *

جاء في البخاري ومسلم ما ملخصه أن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسلم أي الناس
أعلم فقال أنا فعبث الله عليه إذ لم يرد العلم إليه تعالى فأوحى الله سبحانه إليه ﴿إِن لِّي عِندَ اللَّهِ بِمِثْلِ
هَؤُلَاءِ مَنك وَأَمْرُهُ أَن يَأْخُذْ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلُ خَيْثَافٍ فَقَدْ أَحْوَتْ فَهَوَّمَتْهُ فَقَعَلَ ذَلِكَ وَسَافَرَ مَعَ فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ
حَتَّىٰ إِذَا نَظَرُوا الصَّخْرَةَ فَنَامَا فَاضْطَرَبَ الْحَوْتَ وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ - فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا - وَصَارَ الْمَاءُ
كَالطَّائِفِ عَلَيْهِ وَهُوَ يَجْرِي فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مَوْسَىٰ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْرِجَهُ بِالْحَوْتَ وَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلِئِنَّمَا فَمَا
كَانَ الْغَدَ طَلَبَ مَوْسَىٰ الْغَدَاةَ وَوَجَدَ النَّصَبَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ النَّصَبَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فَقَالَ فَتَاهُ - إِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ - وَذَكَرْتُ مَا كَانَ مِن أَمْرِهِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ - فَارْتَدَّا عَلَىٰ أَنْوَاعِهَا قَصَصًا -
حَتَّىٰ اتَّيَبَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَوَجَدَا رَجُلًا مَسْجِيًّا بِثَوْبٍ أبيض ﴿وَكَانَ مِنْ أَمْرِهَا مَا سَرَى تَرَى مِنْ مَسْأَلَةِ السَّفِينَةِ
وَالْعَلَامِ وَالْجِدَارِ

﴿التفسير اللفظي﴾

قال تعالى (وإذ قال موسى) أي اذكر إذ قال الخ (لفتاه) يوشع بن نون من ذرية يوسف عليه السلام
وكان يخدمه (لا أبرح) لا أنزل أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملتحق ببحر فارس والروم من جهة المشرق
أو بحري العلم موسى في علم الشريعة والخبرة في علم الحقائق (أو أمضى حبيباً) أو أسير زماناً طويلاً (فلما
بلغا مجمع بينهما) وهو المكان الذي وعده الله بقاءه عنده أي مجمع وصلهما (نسباً حوتهما فاتخذ سبيله في

(البحر سربا) أى فأتخذ الحوت طريقه في البحر مسلما وصار الماء كالطابق عليه فساكن ذلك للحوت سربا ولموسى وقته عجبا (فلما جاوزا قال لفته) أى قال موسى (أتنا غدا هنا) ماتخذى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم ينصب حتى جاوز الموعد (قال أرايت إذ أوينا) أرايت ما دهاني إذ أوينا (إلى الصخرة) أى الصخرة التى رقد عندها موسى (فانى نسبت الحوت) نسبت أن أخبرك بما رأيت منه (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أى وما أنساني ذكره إلا الشيطان فأن أذكره بدل من الهاء (واتخذ سبيله في البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب (قال ذلك) أى أمر الحوت (ما كنا نفي) نطلب لأنه المطالب (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذى جا آفیه يقصان (قصصا) يتبعان آثارهما اتباعا حتى أتيا الصخرة (فوجدنا عبدا من عبادنا) وهو الخضر مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم ووصف العبد بقوله (أتيناها رجة من عندنا) هو الوحي والنوة (وعلمناه من لدنا علما) مما يخص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الثيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تمنّين) أى على شرط أن تعاضني وهو حال من الكاف (فما علمت رشدا) أى علما ذا رشد وهو إصابة الخير والرشد والرشد كقفل وسبب قراءات (قال إنك لن تستطيع معي صبرا) عن الإنكار (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) وكيف تصبر وأنت نبي على ما أنولني من أمور ظواهرها من أكبر وبواطنها مجهولة (قال ستجدني إن شاء الله صابرا) مماك غير منكسر عليك (ولا أعصى لك أمرا) عطف على - ستجدني - (قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء) فلا تتأخذي في شيء أنكركته على (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أتبدى بذكره فأبين لك شأنه قال تعالى (فانطلقا) يمسيان على الساحل يطلبان سفينة فوجداهم فحرفوا الخضر فغلامهم بغير نول أى عوض (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) وذلك حين توسطوا في لجة البحر إذ أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة (قال) موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إرا) عظيما منكرا فأخذ موسى ثوبه فحشا به الخرق (قال) الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) * (قال) موسى (لا تأخذني بما نسيت) بالذي نسيت (ولا تهقني من أمرى عسرا) ولا تقشن عسرا من أمرى بالمناظرة والمؤاخذه * قال النبي ﷺ في الصحيح (كانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة ففقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة) (فانطلقا) يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله وهذا قوله تعالى (حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) أى نفسا طاهرة من الذنوب بغير نفس أى لم تقتل نفسا لم يجب عليها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أى منكرا عظيما (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) وأتى هنا بلفظ - لك - ليواجهه بصريح العتاب (قال إن سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) أى فارقتي (قد بلغت من لدني عذرا) انضح لك العذرتي مفارقتي والمعنى أنه مدحه لاحتمال مرتين * قال النبي ﷺ رجة الله عنا وعلى موسى لولائه بحل لراى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة (١) فقال - إن سألتك عن شيء - الخ فلو صبر لراى العجب * قال تعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) قرية انطاكية (استظفعا أهلها) استضافاهم (فأبوا أن يضيفوهما) يقال ضافه إذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله (فوجدوا فيها جدارا يري أن يقنص) يدا أن يسهط (فأقامه) بهارته أو بعمود عمده به * وقيل نقضه وناه (قال لوليت لا تخذت عليه أجرا) أى جعلنا لنعشى به (قال هذا فراق بيني وبينك) أى هذا وقت فراق بيني وبينك (سأبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) * قيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبل أن تفارقتي فقال

الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) وهم ليجزهم عن دفع الملك أولادهم أولادهم مساكين * وقيل كانوا عشرة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر (فأردت أن أعيها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) قدامهم ملك (بأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة ولذلك عيها فإذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها (وأما النصارى فكان أبواهم مؤمنين نقيضنا) أي خفنا (أن يرهقها) أن يغشينا أو يكلفها (طفيئنا وكفرا) أي نقيضنا أن يحملها حبه على أن يتبعه على دينه (فأردنا أن يبدلها ربها خيرا منه زكاة) صلاحا وتقوى ردا على قوله - أقتلت نفسا زكية - فقال الخضر أردنا أن يرزقها الله خيرا من زكاة (وأقرب رجلا) أي رحمة وعطفا على والديه * قيل ولدت أمه جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم (وأما الجدار فكان لفلان يقيم في المدينة وكان تحته كنز لها) وكان هذا الكنز جامعا للمال والعلم إذ كان لوها من ذهب مكتوبا عليه ﴿عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح • عجبا لمن أيقن بالقرى كيف يغضب • عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتب • عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يسهل • عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها﴾ وقيل هو كنز من ذهب وقضة ولاتاني بينهما ثم قال تعالى (وكان أبوها صالحا) قيل هو جدتها السابع (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) أي لأجل الرحمة (من ربك وما فعلته) أي وما فعلت مارأت (عن أمرى) أي عن اجتهدا إنما فعلته بأمر الله (ذلك) أي الأجرة الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا)

اعلم أن هذه القصة كلها ترجع إلى طلب العلم وعدم الوقوف عند حد لأن المكتفي بما عنده مغتر - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - ففروا بما عندهم من العلم - * وروى في سبب هذه القصة أيضا أن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأنت عبادك أفضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأنت عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك أعلم مني فداني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة إلى آخر ما تقدم ثم جاء فيها أن علمي وعلمك الخ

﴿مغزى هذه القصة﴾

اعلم أن هذه القصة جاءت هنا لأتمام مقابها • ذلك أن الله في أول السورة أرانا أن آياته كلها عجيب وقال لنا إن قصة أهل الكهف وقصة يوسف بالنسبة لآيات الله شيء قليل فآيات الله لاتناهى فلانقتصروا على أنباء القرون الخالية والأمم الماضية وسيرا الصالحين فان الصالحين والأمم ما هم إلا بعض ماسكى والبعض المذكور قليل بالنسبة لهذه الأرض والسما المحيطة بها • فإياكم أن تضيّعوا حياتكم في ذلك بل اقرؤوها للإيمان ثم ادرسوا هذا الكون المحيط بكم دراسة علمية ولا تنفكوا عند الشهوات فان زينة الحياة الدنيا فانية إلى آخر ما تقدم

ولقد ظهر هذا المعنى في حديث الشيخين المتقدم إذ جاء فيه أن علم موسى وعلم الخضر في جانب علم الله كما أخذ الطائر من البحر • هذا تصريح من جانب الحضرة النبوية بما ذكرناه سابقا فان الخضر وموسى لم يخرجوا عن كونهما مخلوقين بنبين ولهما قصص وحكايات وأعاجيب فقال الخضر لموسى على الناس أن لا يلقوا عند حد ماسموا لأننا لانسهمم إلا على قدر الهداية العاتمة فنحن أشبه بالهادي الخريت الذي يهدي الناس إلى السبيل وعلى الناس أن يسيروا فليس الذى يهدى الطريق هو المقصود بل الأرض والسما وأوسع منه والمسافر يسافر لأغراض غير الدليل وإنما عليه أن يتبع الدليل فعلمى وعلمك قليل وعلم الله كثير إشارة إلى ما ذكره الله أول السورة - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا - فجعل آيات الله في السموات والأرض عجبا أبعد من قصص أهل الكهف كذلك علم موسى وعلم الخضر أقل من علم السموات والأرض وهو السمت من علم الله • فلم موسى وعلم الخضر يدلان على علم الله ونحن ندرس مخلوقات الله لتوصل

الى الحقائق . ان علم الأنبياء الذى يلقونه لنا اجالى وقراءة هذا الكون تفصيل وليس على الأنبياء أن يعلمونا غير ماهو أصل الدين وعلمنا نحن التفصيل بمقولنا والنار فى خافى ربنا . والأنبياء بما أرشدوا اليها صاروا هم المعلمين لها وان لم يكن مباشرة . فاذا قال الله - خالق السموات والأرض بالحق - فعلينا أن نبحث لنصل الى الحقائق ولاننا نصل الى ما أنبرت به بصائر الأنبياء ولكن نصل الى ما يحتمله عقولنا - وفوق كل ذى علم عليم -

﴿ اوضح هذا المقام أى أسرار هذه القصة ﴾

حدثني الحارث بن همام قال أخذتني سنة من النوم فرأيت فيما يرى النائم رجلين أحدهما فلاح بحقله والثاني شيخ عالم بالقرآن وتفسيره والبلاغة وآدابها فأخذنا يتحاوران وأنا مصغ هما . قال الفلاح للشيخ الأديب . أيها الشيخ . إن الله قد أنعم عليك بنعمة القرآن والعلم وأتاك حكمة - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - . إني حرت فى أمر هذه الدنيا . قال الشيخ وكيف ذلك . قال أنا واقف فى الحقل أرى طيوراً فوقى ظهير وحيوانات وبهايم على الأرض تسير وألفت الطيور قد اكتسبت جلايل الهناء وسرايل السعادة . لم تكبل فى الأرض بالخافر ولا بالغرف ولا بالظلف بل أرجلها خفيفة ويرى بها حريى وأمرها عجيب . تبيض البيض وتحضن أولادها وترى بين مترقة نائمة سعيدة فرحة مفرجة مغنية لأنسان تعيقها عن الطيران بنقلها ولا آذان لكل منها فان ذات البيض خلقت بلا آذان ظاهرة وذات الجمل والولادة آذانها ظاهرة . الأنعام حولى فأخفافها وأظلافها وغظ أجسامها وحماها من الأجنحة كل ذلك أقعدتها عن الطيران وأكسبها السير فى الغيطان خضعت لنا ودلناها فيها ركو بنا وأنا لها لا يكون ثم أرى طيور السماء وحيوانات الأرض والماء جميعا لها شؤون وشؤون ونظام مسنون . كل له نظام يخصه لا عوج فيه . قد أعطى كل ما يؤهله لحياته فالطير راض عن جوه وعن هواه وحيوان الأرض راض عن مثواه وكان هذا وذلك مشمولات بالعطاء منعمات بكل بإسبة وخضراء . اما الذى أذهلنى وآذانى وهيج بلالى ما أراه من التناقض والاختلاف . فبينما ترى صانع العالم رحما لطيفا اذا بك تراه قد انتقض على المرحوم فأذاه ومنع عنه الرحمة وأرداه . فلما سمع ذلك الشيخ امتعض وقال له لا تقل ذلك . فقال الفلاح أجبني عن سؤالى وأزل شبهتى . أما قولك لا تقل ذلك فلما صناعة العاجزين . قال الشيخ قل وأوضح ما أشبه عليك . فقال أيها الشيخ

- (١) ألم تعلم أن الله يميت الناس وهم فى متقلبهم يترددون . قال الشيخ بلى
- (٢) قال الفلاح . ألم تر أن الباز ينقض على الخطاف والخطاف على الصغور فيبتلع . قال الشيخ بلى
- (٣) قال الفلاح . ألم تر أنى الطاعون كيف ينقض على جماعة من الناس وجماعة من الحيوان أخرى فيزلبها من الوجود . قال الشيخ بلى
- (٤) قال الفلاح . ألا ترى أن رجلا فقيرا عنده بقرة حلوب وعنده عشرة أطفال فيها لبنهم وعليها حرمهم وسقيم فتموت ويصير الرجل وأبناؤه فقراء . قال الشيخ بلى
- (٥) قال الفلاح ويكون جاره غنيا لاصلاح عنده ولا كرم وله ٩٩ بقرة أو أكثر ومع ذلك لا يصيبها الموت . قال الشيخ بلى . قال الفلاح هذه هى شبهتى وهذه هى الحيرة فقل لى بالله أين العطف والاطاف والرحمة التى رأيناها للأجنة فى بطون الأمهات وفى القدر والروح وأين هذا الجلال الساطع فى هذا الوجود من هذا الفتك والقتل والإلام ولأكتف لك أيها الاستاذ بهذا والا فالأمر فى مثل هذا لا دمر لى فما أوسع الوجود فقال الشيخ - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - . فقال الفلاح أنا أسمع هذه الآية ولكن هل هذا هو العلم وهل هذه هى الحكمة . أين الجواب . يقول الله - وفوق كل ذى علم عليم - فأننا ذوالعلم وأنت العليم فأفدتى . قال الحارث بن همام فلما رأيت الشيخ قد ارتجى عليه تمت لى بفتح عليه بالجواب فأطرق

الشيخ رأسه قليلا وبنّا هو كذلك إذا انقضّ طائر أبيض من فوق الشجرة وأقبل اليهما وجلس بينهما ثم انقلب فجأة رجلا سويا فقلت في نفسي ياسبحان الله . أتى بقطة أنا أم في منام . إذا هودو هيئة جيلة وشكل بهيج يسر الناظرين ويشرح الصدور فقال قد سمعت قولكما وفهمت مدار بينكما ثم التفت الى الشيخ وقال هل قرأت قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة الكهف . قال نعم . قال هل تدري ما فيها من الحكم . قال نعم

يقول الله تعالى - حتى اذا ركبنا في السفينة - الى أن قال - فأردت أن أعيها - فنسب الخضر العيب الى نفسه . قال حسن . قال الشيخ وقال - فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة - ونسب هذا الخير الى الله وأيضا قال - فأردار بك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما - ففي هذا نسبة الخير الى الله والشر للعبد وهذا من الأدب الجليل في العبارة . فتبسم ذلك الطائف وقال هل هذا هو محاسن القرآن . هذه بتعلمها الصغار في المدارس ليحسنوا اللطيف والتعبير وليس القرآن منزلا لمثل هذه النكات السهلة التي تلقى الى المتدربين ولكن أريد منك أن تجهل جواب صاحبك من هذه القصة . حينئذ فكر الشيخ طويلا وقال أنا لم أر مناسبة بين سؤال صاحبي وبين قصة الخضر . إن ملخص ما فيها كما ذكره للمفسرون أن العلم ﴿ علمان ﴾ علم مكاشفة وحقيقة وعلم شريعة فمن أدرك الآخرة أنكر الأولى ومن أطلع الله على الحقيقة كالخضر يكون فرحا بعرفنها ولا يكون لديه أي اعتراض على ما يخالفها . قال ذلك الطائف ولكن لم تجب صاحبك الى الآن قال هذا ما علمت فهل عندك علم . قال فاستمع يا صاح . خذ لك عظة مما سيأتي

(١) قال الله لموسى إن الخضر أعلم منك بعد أن عتب عليه
(٢) ولما سأله عن مقره قال يجمع البحرين . فلم عبر بالبحرين . فكان المقام مقام تبخر في العاوم ولذلك أشار لها الخضر عند نقر الطائر في البحر

(٣) ذكر في الخبر أن عند الصخرة ماء عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء وعين الحياة رمز للعالم والعالم هو الحقيقي بعد الموت وفي الدنيا والناس جميعا أموات (٤) جاء في الخبر أن الخضر قال لموسى أنا على علم علمني الله لاتعامه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا ثم اتبعه موسى ليعلمه . كل ذلك ليقال لكم اذا كانت هذه أحوال أنبيائكم فبالأحرى أنتم لابد أن تردادوا من العلم ولا تقفوا عند حد

(٥) اذا علمت هذه المقدمات فاعلم أن هذه القصة تشير الى أمور كثيرة منها ما ذكره صاحبك الفلاح . ألا ترى أن قتل الغلام وهو صغير لاذنب له ترويه كل وقت في أرضكم هذه كما قال صاحبك الفلاح فان الطاعون واقتضاض الكواسر على الطير والوحوش والأساد على البهائم . كل ذلك من قبيل قتل الغلام فما ذنب البهائم يصطادها السباع والانسان وما ذنب الأمم يصطادها الطاعون فيهلكها . إن الأمر للعجب . هذا بعض المقصود من ذكر الغلام . وأما ذكر خرق السفينة التي هي لساكنين فإشارة الى ما ذكر صاحبك الفلاح من موت بقرة فلاح بجانبه رجل غني لم يصب . وأما ذكر الجدار واقامته فتشير الى كل من نرى أنه ليس أهلا للنعمة ظاهرا وقد أغدقت عليه وأهل (انطاكيا) ليسوا أهلا للاكرام فهكذا الغني ذوا المال الكثير البخيل كيف تغدق عليه النعم وتبعد عن هذا الفقير

فلما سمع ذلك الفلاح والشيخ قاما وقبلا رجلاه وقالوا لقد آناك الله علما فخذتنا رعاك الله كيف يكون الجواب . فقال ليس كل ما علم يقال وأخاف أنكما اذا استيفظتما تخبران الجاهل بالآراء فلا يفقهون . قال . كلا . فنحن للأسرار حافظون

(١) قال أما موت الناس بعد حياتهم فمن حكمه انهم لو بقوا على الأرض مائة عام جميعا ولم يت أحد

لضائق الأرض بما رحبت ولما اتوا جوعاً ولأكل الابن أباه وأمه ولأصبحت لأرض منتنة قشرة وطلك الناس أجهمون (٢) إن كواسر الطير تأكل صفارها ليخالو الجوّ والأرض من الحيوانات المزدجة ولولا ذلك لتعفت هذه مخلوقات وأضرّت بالحيوانات والناس أجعين فاقتناصها رحمة فهي لاتعفن هناك بل تصبح دماً ولما ونعمة على العالمين

(٣) وهكذا اقتناص الوحوش والسباع للغزلان والأرانب لنفس الحكمة وهكذا الحيات تقتص الحشرات والاضائق الأرض بما رحبت ومات الناس أجعين

(٤) وأما بقاء مال الغني عنده وزيادة الفقير فقرا فذلك لامور تخص أولئك الأشخاص لا يعلمها إلا الله منها أن الفقراء عند الموت يكونون خفافاً ويفرحون فرحاً لانهاية له . وأما الأغنياء اذا لم يهذبوا فان عقولهم وأرواحهم تكون مجذوبة الى هذا العالم فأصبح النعيم سجماً والجحيم نعمة بعد الموت مباشرة وهناك ما لا يعلمه أحد إلا رب العالمين . ويشير لذلك كله وانبيه عيب السفينة في البحر وقتل الغلام في البر واقامة الجدار فيه كأنه يقول هاأنتم أولاء تشاهدون هذه الأحوال في البحر لأن السمك الكبير يأكل الصغير في البحر . وأما أمر البر فهو معلوم مما تقدم . فقال الشيخ له سألتك بالله من أين جاءك هذا العلم . إنه ليقول جيل . قال له بالنظر الصحيح وقراءة كتب الحكمة . قال له نعم أنا فهم ذلك ولكن كيف خطر ببالك هذه المعاني في هذه القصة . قال له من سابق الكلام ولحقه فان سابق الكلام في عجائب الدنيا وانها أكثر جدّاً من عجائب القصص . وأما لاحقه فانه قال تعالى - قل لو كان البحر مدداً للكمات ر في لنفد البحر قبل أن تنفد كمات ر في ولو جئنا بمثله مدداً - فهذا القول دلنا على أن هذه القصة مسوقة للتبحر في هذه السكائن والنظر فيها وأن العلم لاحد له فأخذنا نبحت في نفس السكائن كما أشار لذلك الأنبياء . قال الشيخ إن نفس هذه الاجابة أيضاً سألت عنها كيف عبرت بها وانى قرأت التفسير فلم أجده هذه الطريقة فيما أعلم فقال له يقول الله - يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين - ويقول على لسان ابراهيم - ولكن ليطمئن قلبي - فهذا يكون الاطمئنان ويمثل ما ذكرته لك كما يكون الشفاء لما في الصدور . ألا ترى أن الخضر لما فعل ما فعل رجع فأبان الحكم والغايات التي أريد الفعل لها ثم قال - وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا - . يقول الخضر هذه الأعمال ليست من جنس أعمال الناس بل هي من أعمال الله تعالى وانما أنا كنت واسطة وهكذا الملائكة الأرضيون كلهم يفعلون نفس هذا العمل بما ألهمهم الله فهم يحافظون ويساعدون النور في الجوّ والأساد في البر والحياتان السكار في البحر واقتراسها والحيات في التراب وهذه المحافظة ليست مضرّة على الناس خيفة تعفن الجوّ والبر والماء إذ تلك هي الآلات لهذه الحيوانات لئلا تكثر فتموت فيكون الهلاك لكم . فأما هذه الامور الثلاثة فانما هي نموذج لفعل ربكم . هذا مقصود الآيات . فقال الشيخ ولكن خبرني حفظك الله كيف غابت هذه الآراء عن تعرفهم من العلماء وعنى . قال اعلم أنك أنت وصاحبك الفلاح رجلان تقاربان في طريقة الحياة . قاله معاً فاعنى هذا . قال معناه أن الأمة في تربيتها متلازمة وجوهرها العلمي يكون متناسباً . قال ما فهمنا . قال أوضح لك ذلك . أنت أيها الشيخ حفظت القرآن من صغيرك بلا تدبر على طريقة المسلمين في الأرض وأنت أيها الفلاح خرجت فوجدت نفسك في وسط هذه الحقول وقد تركت بالامرشدن فأما الشيخ فقرأ العلوم العربية ونهايتها البلاغة وهي نحو ١٢ علماً وأفهمه شيوخه أنك بهذه العلوم تعرف سرّ القرآن والدليل على ذلك اني حين سألتك أيها الشيخ أجبتني بإسناد الضمائر وذلك خاص بعلم المعاني . قال له نعم . قال هذا هو الذي أوقف عقول أمة الاسلام عاشت في القرون الأخيرة في جوّ من الأنفاظ فجبت عنها الأسرار وقال قوم عن جاهدوا أنفسهم انهم وصلوا الى معاني تصفية الباطن ولكنهم ما أبرزوها للناس لأن الناس لا يصدقونها

فرجع الأمر أن الأمة وقفت في مريضها وتقدم غيرها من الأمم فدرسوا هذه الكائنات والمسلمون في سبات قال الشيخ صدقت . قال وأنت أيها الشيخ ما أنت إلا واحد من آلاف حفظوا القرآن كما حفظت ولكنهم تعلموا في أدبالحب والنجاة فافهم اكتفوا منه بالتلاوة أو العبادة أو التبرك أو السماع أو التفتي به وكل ذلك نزر يسير ولم ينزل القرآن ليقصر على هذا . إنه نزل لإطلاق العقول . قال الشيخ صدقت . ثم قال أما أنت بأيها الفلاح فانك درجت في قرينك ولم تسمع إلا أن الحمام يؤكل والطيور تذبح والبق والجواموس للحراث وما أشبه ذلك فأنت وحافظ القرآن وأمثالكما تعيشون ماتعيشون ثم تتوون مزوذين بزاد قليل من الدنيا . فلا أنت فهمت الموجودات التي تعيش فيها ولا الشيخ درسوا القرآن الذي حفظوه وكلما خلت أمة أتبعها أخرى والعقول واقفة والنفس نائمة والفرجة حولكم فوحون مستبشرون

﴿ حديث عجيب ﴾

ألا أحدثكم حديثا سياسيا اقتصاديا . فقالا نحب ذلك . قال ان الملك (غليوم) ملك ألمانيا كان أرسل منذ عشرات السنين شابا قد أكمل الدراسة في بلادهم وتخرج من مدارسهم وأخذ الشهادات العالية في الفلسفة والعلوم وهودكي الفؤاد . أرسل هذا الشاب الى بلاد العراق فتعلم العلوم الاسلامية لاقتصاد الاسلام بل يقصد أن يعرف الى أي حد وصلت أمة الاسلام فتعلم كل شيء عند المسلمين وألف كتابا نشره بالألمانية فكان ملخصه ما يأتي ﴿ هذه الأمم تعلم لغوت فعلى ألمانيا أن تجتذ في طلب الحصول على مراكز اقتصادية وسياسية في البلاد قبل احتلال غيرها لها ﴾ ومضت سنون ثم جاءت الحرب الكبرى . فقال الشيخ والفلاح وأسقام . أهكذا وصلنا . قال نعم ولكن بأمثال هذه الآراء ستجوع ويفقر نظام التعليم في الاسلام وترقى أمة الشرق وقد آن أوله وظل أبانه . ان الشرق مهد العرفان ومقر الأنبياء . انك أيها الاخوان قد تركتم عادة الجول وبختمت وفهمت شيئا من الوجود . فأما أنت أيها الفلاح فانك فكرت في أمور لايفكر فيها الفلاحون وأنت أيها الشيخ عرفت علم اللغة وكفك فضلا إنك فهمت ما أقول . وأما غيرك فقد أقل عقله بأفكار من الجهالات فقال له زنا . فقال كفي فألحا عليه . فقال سأقول كلمة وإذا عاودتماني لم تراني . فقال قل على هذه الشريطة فقال ألم تنظر اسورة الكهف قد تناسب طرفاها . ابتدأها بأن العجائب لانتهاى وأن قصة أهل الكهف نزر يسير وختم السورة كما ابتدأها قائلا أن البحر ومثل البحر لو كان مدادا لم تنفذ بحجاب الله . أقول هذا وأستغفر الله ثم انتفض انتفاض العصفور وانقلب طائرا وغاب عن الأبصار . قال الخارث بن همام فاستيقظت إذ ذاك ووددت لو أراه مرة أخرى . انتهى الكلام على قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام الذي هو ميت لا حي قال تعالى . وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد .

﴿ بهجة العلم ونور الحكمة قد أشرق صباح يوم الخميس الثالث من شهر مايو سنة ١٩٢٨ في تفسير

قوله تعالى . فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . الى قوله

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بأوئل ما لم تسطع عليه صبرا . ﴾

أصبحت هذا اليوم ونفسي متشعبة ببعض ماني هذه الآيات من المعاني ولقد كانت ترد على قلبى وقتا فوقتا منذ أربعة أشهر حتى اذا كان هذا اليوم ألمت هذه الآراء بنفسي ولم تفارقها وقامت البراهين على ماخطر بالنفس فأيقنت أن هذه الخواطر واجب كتابتها على فاني لأجد محييا من اثباتها ولاطر بقالقاومتها فأذعنت للأمر الالهى وكتبت مااستمعته والله هو الولي الجيد

اعلم أن الله عز وجل علم قبيل أن ينزل هذا القرآن وقبل أن يخلق هذا العالم أن الأمم الاسلامية ستنام قرونا وقرونا وستأخذ أقوال الأئمة تقليدا في الفقه وترك عقولها وراءها لا قليلا . علم الله ذلك فأنزل هذه الآيات ليذكرنا بأصول هذا الدين . هذا الدين الاسلامي نزل الى الأرض وقد كانت مرتبكة قد أضناها النصب

والقتب وحلّ يقول أهلها الخبل . أفلاترى الى الأمم الأوروبية وقد خيم على عقولها الدين المسيحي فأحاط بعقولهم التسبيسون وأضرّوا بهم ضررا شديدا فلم يفكهم من عقابهم إلا بالإسلام (راجع ما كتبناه عن علمائهم في سورة إبراهيم وسورة التوبة وغيرهما) وبهذه الوسيلة انتشرت الحرية العقلية في العالم الانساني في أمريكا واليابان والصين حديثا وكذلك الهند . كل ذلك بانتشار الآراء الاسلامية . إن النهضة الحالية وانتشار الديمقراطية كل هذا سببه الاسلام ولكن المسلمون الذين كانوا سبب ذلك الارتقاء كبلوا في قيود من حديد وغشى على عقول كثير منهم . ولقد أصبح كثير منهم أشبه بقلماء المصريين إذ جاء لهم ملك الفرس المسمى (قيز) محاربا وقد أدرك انهم يسمدون المرأة فأوقف الهرز بين الصفيين فلم يتجاسر العساكر المصريون على ضرب الآلهة فتبكت الفرس من هزم المصريين وذلك في الأسرة (٢٦) ومن ذلك الوقت ضاع استقلال مصر وذهب مجدها وطاح عزّها فأرباب الدين اذا حبست عقولهم كان ذلك الحبس من أقوى أسباب انحطاطهم وظلم وشقاؤهم أجمعين

﴿ الاسلام مبناه العقل فتأثّل وتعجب ﴾

ألمست ترى أن الأنبياء انما يصتقون بالمعجزات ولا معنى للمعجزة إلا أنها أمر خارق للعادة يجريه الله على أيدي أناس ادّعوا النبوة . فهذا الأمر الخارق للعادة دليل على أن الله هو الذي اختارهم لذلك فالإيمان بالأنبياء متوقف إذن على أن نسقل أن للعالم إلها موجودا علما مريدا قادرا فأولوا علمه وأرادته وقدرته ما ظهرت تلك المعجزات على أيدي الأنبياء فهو علمهم وأراد تأييدهم وقدر على ذلك . إذن النبوة لاتعرف إلا بالعقل . وهذه النبوة اذا جاءت بأمور تخالف العقل فنحن بين أمرين إما نقول العقل لاقية له ونسلم للدين مايقول بلابحث وهذا معناه أن العقل قد يكذب وإذا كذب العقل فهذا يرجع على الدين بالنقض لأن التصديق به بناء على العقل والعقل قد سقط فاذن سقط الدين بسقوط أساسه . فاذن نلتجئ الى الأمر الثاني وهو أن نقول اننا نقول الشرع ليطابق العقل وحينئذ نكون وفقنا بين العقل والشرع . هذا كلام حكماء الاسلام في مثل هذا المقام أى مقام العقل والدين فلننظر في علوم الفقه الاسلامي أى شئ هي . إن علوم الفقه الاسلامي كلها ظنية لأن الفقه ماهو إلا الأحكام الشرعية الظنية المكتسبة من أدلتها التفصيلية قالوا والمسائل التي ليست ظنية فهي ليست من الفقه . وهنا نقول اذا حدث في الأمم الاسلامية حوادث أظهرت أن بعض الأحكام الشرعية التي يقول بها مذهب من مذاهب أهل السنة أو الشيعة أو الزيدية قد أضرّت بالشعب الاسلامي ضررا محققا وتحقق ذلك الضرر عند مجلس الشيوخ في الأمة ومجلس النواب . فإذا يكون الحكم اذا رأينا أقوالا اجتهادية أو أحاديث صحيحة وكانت نتيجة العمل بها ضررا محققا أى ان المضار فيها كثيرة جدا تفوق المنافع أضعافا مضاعفة . فإذا فعل . نقول اذا حصل هنا يقين بأن حكما من الأحكام ضرره بين فانه لامحالة لا يكون هذا شرعا . وبيانه أن الضرر المحقق عند نواب الأمة يعارض الحكم المظنون بالحكم مظنون شرعا ولكن الضرر محقق عقلا وقد حكمنا أولا أن العقل لايلتجئ لحكمه اذا كان محققا . إذن يراجع هذا الحكم ويجب أن يعتقد أنه ليس مشروعاً لأنه ظنّ واليقين مقسّم على الظنّ قال الله تعالى - إن الظنّ لا يغني من الحقّ شيئا - فهذا ظنّ وهذا حقّ والحق يغلب الظنّ وبلغه لذلك أنزل الله هذه الآيات لتذكّرنا بالحقائق الدينية وترجع المسلمين الى العقل والتفكير . انظر الى السفينة وقد خرّقتها وخرق السفينة حرام ولكن لما تحقق الخطر وجب عمل المصلحة وقتل النفس حرام ولكن قد تحقق أنه لامصلحة في بقاء هذا الغلام بل فيه مفسدة هنالك أقدم على القتل . وليس معنى هذا أن نأخذ هذا القول بلفظه بل نقول متى ثبت لرجال الأمة وعقلائها ضرر أمي وجب تلافيه بحسب المصلحة فالشرع لم يكن لاجراحي المتدينين

﴿ انظر الى مسألة الربا ﴾

الربا حرام وإنما حرم لشرّ ظهري هذا الزمان وذلك السرّ عرفه علماء الاسلام قديما ولكن لم ينفذ فعلا إلا على يد (البولشفيك) فافقوا ذلك في آية الربا في سورة البقرة فقد اتفقت أدلتهم مع أدلة علماء الاسلام . على أن المرابي لم ينفع الانسانية بعمل ما . هذا سرّه . لكن انظر الى المسلمين في مصر بلادى مثلا . نحن الآن نعيش مع الأوروبيين الذين يبيعون الربا ولكن المسلمون يحرّمونه . فإذا جرى . حبس الأغنياء نحو (٨٠) ألف ألف جنيهه في مصارف الفرنجة والربا الذي يستخرج من هذه في السنة يبلغ فوق ثلاثة آلاف ألف جنيه وهذا المبلغ يأخذه الفرنسي فيجعله ذخيرة وسلاحا ومدافع ويحارب المسلمين به وهنا ننظر ونقول الربا حرام ولكن هذا الحرام جعل سببا في تخريب بلاد الاسلام ولوأن هذا الربا أخذ لسولتنا وسدت به ديون دولتنا لا للأفرنجية الذين يحيطون بنا لكان ذلك واجبا لاجزا فقط ولوأن الربا أخذ منهم وأعطى للفقراء والمساكين ولذين لا يجدون صناعة يعيشون بها فيشعرون به آلات للزراعة مثلا لكان ذلك من باب الاضطرار في المسائل . فهذا اضطرار يبيع هذا المحظور مؤقتا . أنا لست أبيع الربا . الربا خطر على الانسانية وسيف قاطع ولم يفهمه حتى فهمه إلا الباشية في روسيا . هؤلاء هم الذين حققوا معجزة كبرى للتي ^{عليها} ولست أقول إنا نأخذ الربا لفقرائنا ولكن أقول اذا اجتمع ﴿ علتنا ﴾ علة أخذ الفرنجة لربا أموالنا وضربنا بالمدافع المشتراة به . وعلة أخذ فقرائنا له . أقول اذا لم يكن في الأمة من يبنون هذا المال بزراعة أو تجارة أو صناعة ووضع في مصارف الفرنجة الذين يعتدون على بلاد الاسلام بالسلاح . فن الجاهل الأكبر ومن مصاب الأمم الاسلامية أن يؤخذ الربح لهم بل يجب أن يكون لفقرائنا وكان على العلماء أن يفتوا بذلك من باب الاضطرار والحكم الاضطراري ليس أمرا دائما

﴿ نظرة عامة في أم الاسلام ونظام القضاء فيها وأحكامها الشرعية ﴾

اعلم أن الأمم الاسلامية قد نامت قرونا كثيرة منذ قهرها (جنكيزخان) وخلفاؤه وتولى الحكم فيها أم تركية وغير تركية فجمت التراحم وعظمت الخطوب وقد كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر أسمع شكوى الناس من القضاء الاسلامي ومن ذلك أن المرأة اذا غاب زوجها ولم يعرف خبره يقضى عليها أن تبقى بالزواج حتى سنّ الستين وهذا عجيب . وقد بحثت بعد ذلك فوجدت أن القضاء في مصر لاصح إلا اذا أقرّه الخليفة في بلاد الترك من آل عثمان والحكم في مصر على مذهب الامام أبي حنيفة النعمان الذي هو مذهب الخليفة فقالت المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر منذ أمد فقال لي إن مذهب المالكية سهل جدّا في هذه المسألة ولكن الحكومة الانجليزية التي احتلت البلاد لما رأت أنه لا بد من الاستئذان من الخليفة في العمل بمذهب غير الحنفى للتسهيل أبت خيفة أن ترجع العالقي بيننا وبينهم . فقلت له إنه من المؤلم أن يكون دين الاسلام الذي هو أسهل الأديان بسببه تكون المرأة عرضة للفاحشة بل الفاحشة محققة في كثير من هؤلاء المسكينات . فقال وما العمل . وبعد ذلك تغيرت الأحوال وانتهى ملك بني عثمان فقام القضاء بمصر في هذه الأيام وعلى رأسهم صديقنا الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضى القضاء بمصر ورئيس المحكمة الشرعية العليا فشرع عن ساعد الجدة وبحث في المذاهب كلها واستخرج منها زبدة صالحة للعمل بقدر الإمكان وقدم للحكومة (مذكرات مشروع قانون الزواج) وسهل الأمر جدّا في أحكام النفقة والزواج الغائب بحيث اتقى الحرج وسأقل منها ما يناسب موضوعنا . إن علماء الدين الاسلامي في القرون المتأخرة مع الملوك استبدتوا بالأمة الاسلامية استبدادا أدى الى ضعفها . ومن ذلك ما كان في القرن التاسع عشر المسيحي أى القرن الماضي فان أحد الباشوات بمصر قال للشيخ المهدي العباسي المصري (وهو المفتي بمذهب أبي حنيفة مع القاضى التركى

من قبل السلطان التركي) استخرجنا من المذاهب الأربعة وغيرها قانونا به تحكم البلاد فان علماء الدين يناقض بعضهم بعضا بل بعضهم يفتي تبع الهرم قلة وكثرة وهذا يوجب ارتباك الأحوال فرضى قاضى الترك . أما المهدي العباسي فقد قال للقاضي أنت مولى من قبل الخليفة على مذهب أبى حنيفة فمالك وللمذاهب الأخرى فلما يئس حاكم مصر من علماء الدين استجلب القانون الفرنسى وحكمت به البلاد الى الآن . وهكذا فى هذه الآونة لما قامت الحرب الكبرى وانتصر مصطفى كمال باشا على أوروبا جعل الدولة بلادين محتجا بأن علماء الدين جعلوا الشريعة تحت أقدام الخلفاء فهم الذين أفتوا بمحاربة الجيش التركى الذى كان يقاوم أوروبا وهى زاحفة على البلاد . كل ذلك لارضاء الخليفة لتبقى له سلطته الظاهرية وان احتل البلاد أجنبي عنها فعلماء الدين ومالوك الاسلام يرضون بأقل عيشة ومذلة تحت حكم الأجنبي ولا يبالون بالأمة . هذه حال المسلمين فى وقتنا الحاضر ولكن الله يقول لنا . كلا . ثم كلاً أتم غافلون أيها المسلمون اذا كنتم ناعمين فاستيقظوا فقد نهتكم الحوادث . ألم تروا الى قصة أهل السكف ناموا ثم أيقظتهم . هكذا أنتم بوظفكم ﴿ أمران ﴾ حوادث الدهر ومصائب الأيام ﴿ أولا ﴾ قصة الغلام والسفينة والجدار ﴿ ثانيا ﴾ ان حوادث الدهر قد أحاطت بالمسلمين اليوم فالعلم ينفعهم وعلى ذلك أثرت محاورات موسى والحضر التى نحن بصدد الكلام عليها ومنها يعلم الناس كما تقدم انه اذا ثبت لأولى الأمر فى الأمة أصابها ضرر من أى حكم من الأحكام الشرعية فان هذا يثاني الاسلام لأن الدين شرع لمنفعة الناس لا لمضرتهم فاذا تحقق الضرر فليزل هذا الحكم حتما لأن الحكم الشرعى مظنون والضرر محقق والتحقيق مقدم على المظنون وهذا القول لا يتأخر فيه انسان فى الاسلام . إن علم الفقه هو الأحكام الشرعية الظنية فاذا تحقق الضرر فكيف نعمل بالمظنون . هذه هى القاعدة التى تؤخذ من الآيات التى نحن بصدها والتى أراد الله اظهار سرها فى العصر الحاضر بعد أن دل كثير من المسلمين فى ديارهم . هذه هى القاعدة التى ستكون نبراسا ونورا مينا للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وسيكون هناك رجال لانهم مظاهرم ولا حطام الدنيا عن النظرة العامة لأمم الاسلام أولئك هم المفلحون . ولعلك تقول ماذا قال علماء الاسلام فى أمثال هذا أقول لك سأخلص لك فضلا من فصول ﴿ مذكرات مشروع قانون الزواج والطلاق ﴾ الذى أرسله الى صديقى الفاضل الشيخ محمد مصطفى الراعى رئيس القضاة بمصر كما وعدتك تحت عنوان

﴿ تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ﴾

(١) قال ابن القيم هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة أو تكليف ما لا يسبيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم والمصالح وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل وقد ضرب لذلك أمثلة

(٢) منها أنه شرع لهذه الأمة وجوب إنكار المنكر وتغييره ولكن اذا كان انكار المنكر يستدعى منكرا أشد منه فانه لا يسوغ الانكار فى هذه الحالة

(٣) ومنها أن النبى ﷺ نهى أن تقطع الأيدي فى الغزو وهذا حد نهى عنه خشية أن يترتب عليه مآهوا بغض من تعطيله أو تأخير

(٤) ومنها أن عمر بن الخطاب أسقط الحد بالقطع عن السارق عام الجماعة . قال السعدى حدثنا هرون ابن اسماعيل الخوار حدثنا على بن المبارك حدثنا يحيى بن أبى كثير عن حسان بن زاهر أن ابن حبيب حدثه عن عمر قال لا تقطع اليد فى عتق ولا عام سنة قال السعدى سألت أجد بن حنبل عن هذا الحديث فقال العتق

النخلة وعام سنة المجاعة فقلت لأجد تقول به قال أى لعمرى قلت ان سرق في عام المجاعة لا تقطعه فقال لا اذا حلتها الحاجة الى ذلك والناس في مجاعة وشدة وهذا على نحو قضية عمر في غلمان حاطب

(٥) ذلك انهم سرقوا ناقة لرجل من مزينة وأتى بهم الى عمر فاقرءوا على أنفسهم فأمر أن تقطع أيديهم ثم ردهم وقال لعبد الرحمن بن حاطب سيد الغلمان أما والله لولا أنى أعلم انكم تستعملونهم وتجيئونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وأيم الله اذا لم أفعل لأغرمتك غرامة توجعك ثم قال يا مرنى بكم أريدت منك ناقتك قال بأر بعائته قال عمر اذهب فأعطه ثمانمائة

(٦) العرف اذا خالف الدليل الشرعى في محرم كأن يتعارف الناس شرب الخمر وعوم ذلك فلا يعتبر ذلك العرف وان خالف العرف العام النص الشرعى من بعض الوجوه فقط فان العرف يصير مخصوصا لذلك النص (٧) اذا خالف العرف العام بين الناس حكما قياسيا فان العرف يترك به القياس . إذن العرف مخصوص للنص تارك للقياس

(٨) العرف الخاص يقول بعض العلماء انه يثبت به الحكم العام والأكثر على خلافه مثال ذلك أن مشايخ (بلغ) كانوا يجيزون لأهل بلدهم أن يدفع أحدهم الى حائط غزلا على أن ينسجه بالثك وانما أجازوها لتعامل أهل بلدهم به والتعامل كما تقتضيه حجة يترك به القياس ويخص به الأثر وقت ورد النص على خلاف ذلك في قبيل الطحان . فاذن يكون الحائط مثله . فاذن هذا تخصيص للنص لترك له أصلا

(٩) ان علماء الحنفية أجازوا بيع الوفاء مع انه بيع فاسد فرارا من الربا قالوا وما ضاق على الناس أمر إلا اتسع حكمه فهو جائز للضرورة

(١٠) ورد عن رسول الله ﷺ أن البرّ والشعير والتمر والملح مكيّلة وأن الذهب والفضة موزونات . إذن اذا وزن الناس البرّ لم يجز واذا عدوا السراهم عدّا ولم يراعوا وزنها لم يجز ذلك تماثلته للنص ولكن أبو يوسف اعتبر العرف في هذه الأشياء حتى جوّز الشارى بالكيل في الذهب والوزن في الخنطة اذا تعارف الناس ذلك فهذا اتج فيه العرف وترك النص . والحجة في ذلك أن النبي ﷺ انما نص على وزن هذا واكل هذا لأن العرف في زمانه كان كذلك ولو كان العرف خلاف ذلك لنصّ عليه فلو تعارف الناس بيع السراهم بالبراهم واستقراضها بالعدد كان جائزا إما بناء على العرف كما تقدم واما للضرورة

(١١) لمن المتأخرين الذين خالفوا النصوص في كتب المذهب في بعض الأحكام لم يخالفوه إلا لتغير الزمن وعلمهم أن صاحب المذهب لو كان في زمنهم لقال بما قالوه مما يستخرج به الحق من ظالم أو يدفع دعوى متعنت ونحوه بعدم سماع دعواه أو بحجسه أو بنحو ذلك ولكن لابد لكل من الحاكم والمفتى من نظر شديد فلامضى الآن أن يبقى على عرف أهل زمانه وان خالف زمان المتقدمين وكذا للحاكم العمل بالقرائن في أمثال ما ذكر قال وفي رسم المفتى والتحقيق أن المفتى لابد له من ضرب اجتهاد ومعرفة بأحوال الناس ومن جهل زمانه فهو جاهل ثم قال فهذا وأمثاله دلائل واضحة على أن المفتى ليس له الجود على المنقول في كتب ظاهر الرواية من غير مراعاة الزمان وأهله والاضيع حقا كثيرة ويكون ضرره أعظم من نفعه . ثم قال بعد كلام مانسه وينبئ أن يطال النظر الى هذه النصوص فهى تنطق بالروح العالى الذى كان بلا صدور الفقهاء وتدل على مقدار احترامهم لعرف الناس وعاداتهم وعلى مقدار فهمهم للقواعد الفقهية وانها ما وضعت إلا لمصلحة العباد وضبط التعامل بينهم وأنه يجب أن تخضع لعرفهم وأن تخضع للضرورات والخرج فلا يجوز أن تجحد الفقييات الاجتهادية أمام حوادث الزمن وأمام ما يجد فيه من عادات ومصطلحات وهى قابلة للتجدد وقابلة للتغير أمام العرف العام وأمام العرف الخاص عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسقط الحد عام المجاعة ولم يقطع أبدي غلمان حاطب لأن الضرورة قامت عنده دراً به الحد . وأحد رضى الله عنه وافق عمر في الفصليين والحنفية تركوا القياس وهو أحد الأدلة الشرعية

بالعرف العام وخصصوا النص بالعرف العام وإذا رجعت الى قواعدهم التي توجب في المختص أن يكون متصلاً قلت انهم نسخوا عموم النص بالعرف العام إذ العرف قد لا يطرأ إلا بعد قرون من ورود النص فيظل النص معمولاً به قروناً طويلة ثم يجد العرف فينقبض النص ويقتصر على ما وراء المتعارف وبأخذ المتعارف حكماً آخر خلاف حكم النص فيصير الشيء مباهاً بالعرف بعد أن كان حراماً بالنص وقد أهدر الحنفية دلالة النص وهي إحدى الدلالات اللغوية حيث جوزوا الاجارة على نسج الغزل بالثلث مع أن دلالة النص المستفادة من قفيز الطحان تحرم هذه الاجارة . وقد علل أبو يوسف النص في الرويات بالعرف وبنى على هذا أنه إذا تغير السكيل في البر والشعير وتغير الوزن في الذهب والفضة اعتبر العرف الطارئ لا عرف النص غير أن الفقهاء لم ينفوا عند هذا وأجازوا التعامل في السراهم بالعدد بدلاً واستقراضاً وإن تفاوت وزنها مراعاة للعرف ومراعاة للضرورة وفي هذا خروج على النص جلة لأنه إلغاء للعبارة بالسكيل أو الوزن . وجعل الحنفية العرف الخاص قاضياً على النصوص المذهبية في مسألة ثمن المبيع المتقدمة إذا كان من عادة السوق دفع شيء من الثمن كل جمعة لادفعه جلة واحدة والمذهب ليس كذلك . وأجازوا بيع الثمار واعتبار تركها مشروطاً وقد كان بيع الثمار باطلاً وكان شرط الترك فاسداً . ورأى بعضهم أن يعمل العرف الخاص ما يعمل العرف العام أي انه يلحق قياساً ويخصص نصاً ويهدر دلالة نص . وهاهم أولئك فتحوا الباب للفتن ليقفوا تبعاً لتغير العرف العام والخاص وتبعاً للضرورة والخروج . وأجازوا للعالم العمل بالقرائن . وأجازوا له النهي عن سماع دعوى المتعنت وما أشبه ذلك . ولا يغب عن الأذهان أن الأحكام المستفادة من النصوص قليلة جداً بالنسبة للأحكام الاجتهادية فالأحكام الاجتهادية قابلة للتغير بالعرف العام والخاص والأحكام المستفادة من النصوص قابلة للتخصيص بالعرف العام باتفاق وبالعرف الخاص على رأي بعض الحنفية . فهل توجد مرونة في القوانين تسع الناس أكثر مما في هذه الأحكام وهل يصح مع هذا أن يقول أحد أن قواعد الفقه جامدة لاتسع الناس في كل عصر ومكان والحق أن هذا ظم لهذه القواعد ولكنه ظم جزءاً تزلزلت عليه الفقهاء والمحدثين الذين لم يفهموا روح الدين ولا روح الفقهاء المتقدمين . انتهى ملخصاً

هذه هي خلاصة الفصل الذي نحتاج اليه من هذه الرسالة ومنه ينبثق أن علماء الدين في مذهب واحد من المذاهب الاسلامية خطوا خطوات واسعة في الاجتهاد للأمة وبناء على هذه الخطوات سهلت الامور في مصر في زماننا فوازن رعاك الله بين المفتي في القرن الماضي وبين قاضي القضاة في العصر الحاضر تعرف مقدار ارتقاء عقول المسلمين إذ لا يلحق للناس إلا ما استعدوا له . وعما عرفته من نفس قاضي القضاة المذكور ما قاله لي وأنا معه يحاولون أن هذا القانون لم نستخرجه من المذاهب الأربعة بحسب . كلا . بل نظرنا في مذاهب أخرى كالزيدية ومذهب داود الظاهري الذي له كتاب في المكتبة الخديوية اطاعت عليه وعليه ختم أحد الملوك المسلمين . فلما سمعت ذلك داخلني السرور والفرح إذ رأيت هؤلاء أفضل من كثير من المتأخرين الذين يرون بأعينهم ضرر الناس ولا يفكرون في آيات القرآن

﴿ فصل في مناسبة ما تقدم لقصة الخضر وموسى عليهما السلام ﴾

وأنا أقول إذا كان عقول علماء الاسلام في العصر الحاضر قد تحطت الحدود التي رسمها المتأخرون وصاروا يأخذون من المذاهب ما يوافق العصر الحاضر (١) فكيف تكون حالهم إذا علم السامعون في أقطار الاسلام أن الأحكام الشرعية مع كثرتها وكثرة مذاهبها ليس منها بالنص إلا قليل جداً كما تقدم في رسالة الزواج وهذا لا يعرفه إلا قليل من أهل العلم . ألا ترى أن الانسان إذا اتبع مذهبا من المذاهب وقف حياته كلها عليه ورأى عشرات الكتب في فروعه ولا يرى آية ولا حديثاً إلا قليلاً . ومن الأحاديث ما يكون ضعيفاً ولكن المقلد لاتباع علماء مذهبه مع إجماع علماء الاسلام كما في مقدمة (فتح الباري على البخاري) أن الأحاديث الصحيحة المسلم

بها عند المسلمين وهي التي في البخارى ومسلم وهي التي تلى القرآن في صحة ثقلها كلها ظنية إلا قليلا جدا . فاذا كانت هذه ظنية فما بالك بغيرها وما بالك بالأحكام المستنتجة منها فهي ظن مستخرج من ظن . ومعهم أن علم الفقه مبناه الثابت فليس قولى هذا من باب الشك بل هو من باب شرح الحال (٢) ثم كيف تكون حال المسلمين بعدنا اذا رفعوا أبصارهم قليلا الى أمثال ما نقول وفهموا قصة الخضر وموسى كما قدمناه ونظروا بعقولهم في الأحكام التي في الكتب فاذا رأوا حكما قد أضرت بالناس ضررا محققا فلا يزالونه لأنه ضرورة بل لأنه يقين نسخ الظن . واذا رأوا حكما نصت عليه آية ورأوا بعض فروعها ضارة في حال أوزمان خصوصه كما تقدم اقتداء بالنبي ﷺ في منعه قطع يد السارق في حال خاصة كما تقدم وكما تقدم عن عمر رضى الله عنه وأنا أكرر القول أن علماء الاسلام لا يتسنى لهم معرفة أمثال ما نقول سواء أكان في الأحكام الشرعية أم العلم العقلية والمشاهد الطبيعية إلا بأن يقرأوا من كل فن طرفا صالحا حتى تسنبر بصائرهم ويعرفوا هذه الحقائق في المقامين

ولقد ذكر العلامة الشاطبي هذا المقام ووافق على ما يسمى المصالح المرسلة وذكر منها ما يأتي

- (١) الضرب في التهم
- (٢) وما ذهب اليه مالك من السجن في التهم
- (٣) وما قرره ونقل مثله عن الغزالي وابن العربي من جواز وضع الامام العادل ضرائب للدافعة عن البلاد واكثر الجند عند الضرورة
- (٤) أجاز بعض العلماء في بعض الجنايات أخذ المال
- (٥) الزيادة على سدة الرمي اذا تواتت ضرورة الأكل من المحرم كملية في الجاعات أو عم الحرام بلدا فيؤخذ بالوجه الشرعى ولا يظن لأصل المال وعزاه الى ابن العربي والغزالي
- (٦) وقتل الجماعة بالواحد ومستنده المصلحة المرسلة لأنه لم يرد لها نص وقد نقل عن عمر وهو مذهب مالك والشافعي . وبالجملة أن حديث ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ اليه ترجع جميع مسائل المعاملات التي يرجع فيها الى الحكم في القضاء والسياسة والحرب

﴿ تنبيه ﴾

تقدم هنا ذكر مسألة ثمن المبيع اذا كان من عادة السوق دفع شئ من الثمن كل جمعة لادفعه جملة واحدة وايضاها ﴿ انه لو باع التاجر في السوق شيئا بثمن ولم يصرحا بمحاول ولا تأجيل وكان المتعارف فيما بينهم أن البائنه بأخذ كل جمعة قدرا معلوما انصرف اليه بلايين واعتبر فيه عرف ذلك السوق الخاص وان لم يتعارف في أكثر البلاد مع ان المنصوص عليه في كتب المذهب حاول الثمن مالم يشترط تأجيله وعلى هذا فالحكم الخاص يثبت بالعرف الخاص ﴾ انتهى من الرسالة المذكورة

﴿ فائدة ﴾

مما أجازوه علماء الاسلام وعملا به انهم يقولون إن الامام اذا أمر بمندوب وجب واذا رفع له قول ضعيف قواه . كل ذلك ليفتحو للأمة باب دره المفاسد وجلب المصالح وأنا أقول الحق والحق أحق أن يتبع قد تقدم في سورة النساء أن أولى الأمر وهم أهل الحل والعقد في البلاد هم الذين لهم هذه المسائل ترفع اليهم وما يقررونه يكون معمولاً به . هذا هو الحق الصراح والمسلمون اليوم لهم مجالس عامة . أما الأمراء وغيرهم فلا الحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ فاكهة ﴾

جاء في محادثة الشيخ الشعرائي مع شيخه الخواص مانسه بالحرف من كلام الخواص ﴿ يمكن الانسان

الاحاطة بعلم جميع ما كلفه الله به من الأحكام في نحو شهر فإن غالب اشتغال الفقهاء طول عمرهم إنما هو في فهم كلام بعضهم بعضا وهذا لم يكلف الله به أحدا بعلمه ولا العمل به لعدم صمته فإنه إلهان أجمع عليه انتهى المقصود منه . وأقول . هذا القول لا يصح إطلاقه على علته لأن الأمة لا بد لها من قضاة وحكام وعلمهم البحث والجد والاجتهاد . فهذا القول منه نظرفيه الى حال الصوفية ولكن الدين الاسلامي وسع نظام الشخص ونظام الأمة فلا بد من الاجتهاد حصل عليه اجماع أم لم يحصل . وأما قوله انه يكفي في معرفة الأحكام نحو شهر فهذا يقرب مما أتذكره من كلام الامام الشافعي رحمه الله في الرسالة إذ يقول ﴿ إن الواجب تعلمه وجوبا عينيا هو ما تلقاه العامة جيلا بعد جيل ﴾ انتهى بمعناه

أما ان علم الفقه واجب وجوبا عينيا فانما ذلك خاص بطائفة تخصصها الأمة بالقيام بنظام الدولة وحفظ أموالها وأعراضها . إن الأمم الاسلامية اليوم مستعدة للرجوع الى الكتاب والسنة الصحيحة ثم الرجوع الى العقل فيما يتقنون ضرره كما ان الخضر لم يبال بحرمة قتل النفس . ولا يحفظ سفينة النجاة . ولأن أهل القرية بخلافه فهم مع الحق أينما كان . أحسن لينأى بالبعلاء وعلم علما يقينا في مسائلين ضررا فقلب المحرم بالنص حللا باليقين . وأى إثم أكبر من التعدي على النفس والمال في الغلام والسفينة . ذكر الله هذين في القصة ليقول للمسلمين ارفعوا عيونكم . انظروا ببصائركم . أليس موسى نبيا فكيف حلل الحرام أمامه . وهل أنا قصصت ذلك عليكم أيها المسلمون لالحجة القصص ليفرح بسماعه العامة يوم الجمعة في مساجدكم . كلا . إلى أنزلت هذا لتنظروا فعل نبيكم ﷺ فإذا نقل اليكم أنه منع قطع اليد في حال خاصة لحكمة خاصة وإذا فعل غير مثله كذلك فهذا يذكركم بمعنى هذه الآية . الآية صريحة في القتل وهي من القرآن والقرآن ليس ظنيا كالحديث بل هو متواتر والمتواتر يقين . فهذه الآية التي جعلت كل هذه الشروط قد خصصت كما خصص الخضر قتل النفس واتلاف المال بحال خاصة ييقن عنده . وليس معنى قولى هذا اننا نقضى بالكشف والاطلاع على الغيب . كلا ثم كلا . وإنما هذا خاص بقليل من عباد الله وإنما المقام في فهم اليقين والظن . ومن عجب أن يصطلح الناس في مصر على سماع القرآن يوم الجمعة بالمسجد ولا يقرأ القارئ إلا الكهف فكأن الله يقول للمسلمين هذه السورة تقرأ في اجتماعكم يوم الجمعة أفليس منكم رجل رشيد شجاع يفكر في قصة الخضر وموسى ويخرج المسلمين من حصر الفكر الى الاجتهاد المطلق المقيّد بأصل الدين . هذا ما فتح الله به يوم الثلاثاء (٢٢) مايو سنة ١٩٢٨ م

(قصة ذى القرنين)

اعلم أن كثيرا من العلماء يقول انه اسكندر الرمي بن فيلبش وقصته الآن معروفة تدرس في مدارسنا المصرية ومدارس العالم أجمع وهو تلميذ (أورسطاطاليس) الفيلسوف ويسمى المعلم الأول وهو الذي انتشرت فلسفته في الأمة الاسلامية وقد كان هذا الملك قبل الميلاد بنحو ٣٥٠ سنة وقد تولى الملك بعد أبيه وهو من أهل (مقدونيا) وحارب الفرس وتولى على ملك (دارا) وتزوج ابنته وقتل الرجل الفارسي الذي قتل دارا وجاء ليأخذ الجائزة منه وأظهر كرمًا وشجاعة والناس اليوم يدرسون رسائل بينه وبين أستاذه في السياسة . ذلك انه لما دخل بلاد فارس رأى هناك رجالا ذوى وجهة وبهجة وجمال وأبهة من أبناء الملوك والأمراء فأراد قتلهم فاستشار أستاذه فأرسل اليه الافضل في قتلهم وان قتل الرؤساء تتأجج ناره في قلوب الأمة ولا تخمد وأمره أن ينعم عليهم ويعطى كلا منهم ملك أبيه ويوقد بينهم العداوة والبغضاء دائما ويكون هو الحكم بينهم فيكون محبوبا يفتنى على تلك السياسة . ولما مات قامت بعده ملوك الطوائف التي أسسها ثم انه سافر الى الهند وحارب هناك في (البنغال) وغيرها ثم انه بنى الاسكندرية لما حكم مصر لأن مصر كانت تحت حكم

الفرس فلما غلب الفرس حكم مصر وبني الاسكندرية المسماة باسمه للآن وعاش ثلاثا وثلاثين سنة ومات عند رجوعه من الهند قبل أن يصل بلاده . هذا رأى وهناك رأى آخر قاله أبو الريحان السمرقاني المنجم في كتابه المسمى ﴿ بالآثار الباقية عن القرون الخالية ﴾ انه من حير واسمه أبوكرب بن افر يقش (وافر يقش هذا قد رحل بجيوشه الى ساحل البحر الأبيض فنها الى تونس وغيرها فسميت القارة كلها باسمه (افر يقيا الجبيري) وهو الذي افتخر به أحد شعراء حير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغرب يتسنى * أسباب ملك من كريم مرشد

فرأى مآب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب ونأطة حرم

مآب الشمس ذهبا في عين ذي خلب أى حاة والنأطة أيضا الحاة والخرم الطين الأسود . هذا ملخص ما قاله العلماء مع ذكر الحقائق الأصلية في التاريخ بلا تخليط . وانما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس . ولعلك تقول أى القرنين أصح . أقول لك لا لهم القرآن أيهما فليست هذه من العقائد وانما هي فصائح تنلى للوعظة الحسنة فليكن اسكندر المقدوني أو فليكن رجلا حيريا في أزمان مضت وكان صالحا كافلا بعض العلماء فليس القرآن جادنا ليعلمنا تاريخ اليونان أو تاريخ الجبيريين . القرآن أكبر من التاريخ العام ومن جميع العلوم بل يكل التاريخ الى علوم الأدب وعلم الطبيعة والفلك للعقول البشرية ولكن لما سأوه عن ذلك عن ذي القرنين أجابهم بالقول الذي يجمع بين اجابة المطالب وبين الفائدة الدينية فيه الوعظ وفيه ذكر حجة مجملة من التاريخ . فلعمر بك ليس للقصص من فائدة إلا المواعظ . وقد تقدم أن الفوائد في عجائب هذا الملك وعجائب أمحباب الكهف وأمثالهم وكقصة الخضر مثلا وكقصص ذي القرنين أقل بما لا ينأى من عجائب هذه السمكات فلتتوفر النواحي عليه وليؤخذ من هذا القصص وعظه ولا نبحارى في حقائق هذه القصة إلا مرءا ظاهرا ولا نستفي فيها أحدا من المؤرخين فالقرآن لم يكن للتاريخ بل للغة والاعتبار

وإذا كانت الأم تعلم بحكايات لأشخاص خياليين كما أوجب ذلك في كتاب ﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾ فكيف اذا علم القرآن بما يطابق الواقع مراعى فيه الوعظ مسندا لأشخاص حقيقيين . ولعلك أيها الذكي تقول أنا أفضل أن يكون حيريا في القرون الأولى لأنه من العرب وأنت إما عربي مسلم وإما مسلم من غير العرب فتفضل أن يكون منهم وأيضا سيرة اسكندر المقدوني لا تنطبق على ما قصه الله في القرآن . أقول لك الحق في ذلك أن كون آبائنا كانوا أعظماء لا ينفعتنا فهذه الأمم الأوروبية كان أجدادهم منذ ألف وأربعمائة سنة يحاربون دولة الرومان وكانوا يسمون بربارة ومع ذلك غلبونا ونحن أبناء الأكاسرة والفراعة والأنبياء والفلاسفة وهؤلاء جهلاء ومجهولون فهذا الوجه ظاهر وأما انطباق التاريخ بالحرف فقد قدمت انه لا يعنينا ولو أردنا انه المقدوني قلنا ان خوى أعماله تقتضى ذلك من الوجهة العامة ولكن فيه تكلف عظيم فكونه اسكندر الجبيري أولى وسأجعل له مقالا خاصا قريبا مع يأجوج ومأجوج . ولنشرع في المتصود وهو التفسير قال تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) أى من ذي القرنين خبرا (إنا مكنا له في الأرض) أى مكنا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء (وآتيناه من كل شئ) أرادته وتوجه اليه (سببا) أى بلاغا ووصلة يوصله اليه من العلم والقدرة والآلة فأراد بلوغ المغرب (فاتبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حجة) ذات حاة يقال حجت البحر صارت ذات حاة * وفي قراءة أخرى - تغرب في عين حامية - أى حارة وذلك لأنه لما بلغ مغرب الشمس أى البلاد التي لا بلاد بعدها تغرب عليها الشمس حيث لم يكن عمران إلا ما عرّفوه وذلك عند بحر الفلعات المسمى بالمحيط الاطلا نطبق إذ وصل ذو القرنين الجبيري الى بلاد تونس ثم سار حتى وصل الى بلاد مراكنش ووصل الى ذلك

البحر فوجد الشمس تقرب في البحر رأى العين وكل بحر فيه ماء وطين أوماؤه حار لخالج الشمس عليه
(ووجد عندها قوما) أى عند تلك العين (قلنا إذا القرنين إما أن تعذب) بالقتل والأسر (وأما أن تتخذ
فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرائع وتعفو وتصفح (قال أما من ظلم) أى كفر (فسوف نعذب به) نقتله
(ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذب به عذابا نكرا) منكرنا يعنى النار فمضى أنكر من القتل (وأما من آمن
وعمل صالحا فلله جزاء حسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وستقول له من أمرنا يسرا) أى لنين له فى القول
ونعامه باليسر (ثم) لما أراد بالدار المشرق (أنبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى إذا بلغ مطلع الشمس)
أى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من المعمورة (وجدتها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا)
فلا لباس ولا بناء فهم عراة فى العراء أو فى سراديب فى الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه
من رفعة الشأن وبسطة الملك (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود وآلات الحرب (خبرا) علما تعلق نظاهره
وخفياته (ثم) لما أراد أن يتوسط بين المشرق والمغرب (أنبع سببا) سلك طريقا ثالثا بينهما (حتى إذا بلغ
بين السدين) الجبلين المبنى بينهما سد وهما جبال (أرمينية وأذر بيجان) أوجبلان آثران عاليان فى آخر
الشمال فى منقطع أرض الترك وسترى تحقيق هذا المقام بأجل تحقيق قريبا فانتظره (وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم (قالوا إذا القرنين) أى قال مترجوهم (إن بأجوج
ومأجوج) الآتى ذكرهما مع التحقيق (مفسدون فى الأرض) فى أرضنا بالقتل والتعريب واتلاف الزرع
(فهل نجعل لك خرجا) جعلنا نخرجه من أموالنا (على أن نجعل بيننا وبينهم سدا) يحجز دون خروجهم
علينا (قال ما مكنى فيه ربي خير) أى ما جعلنى مكنيا فيه من المال والملك خير مما تبدلون لى من الخراج
فإن السلوة القوية يجب عليها أن تحافظ على الضعيفة وليس يجوز لها أن تأخذ أموالها مادامت قادرة على
إغاثتها وإذا احتاجت إلى شئ فليكن على قدر الحاجة بخلاف ما عليه أوروبا الآن وأمم الاسلام فى القرون الأخيرة
فأنهم ماحكموا الأمم إلا لأخذ أموالهم والتنعم بما جعوا من الثروة وهذا هو الذى سيكون دأب الأمة الاسلامية
حين تقوم قائمتها ألا يأخذوا من مال الأمم إذا حكموها شأ وإذا أخذوا فليكن ذلك على قدر الحاجة ويوكل
ذلك الى رأى المجالس الشورية فى الممالك الاسلامية التى ستكون أرقى ويعلمون أن الله لا يولى على عباده
إلا أنفعهم ولا أنفع لهم من هذا (فأعينونى بقوة) أى ما أنقوى به من الآلات (أجعل ينسك وبينهم ردا)
حاجزا حصينا وهما أكبر من السد يقال توب مردم اذا كان فيه رفاع فوق رفاع (آتونى زبر الحديد) الزبرة
القطعة الكبيرة أى قطع الحديد فأتوه بها وبالخطب بفعل الخطب على الحديد والحديد على الخطب (حتى إذا
ساوى بين الصدين) جانبي الجبلين وانما سميا صدين لأنهما يتصادقان أى يتقابلان (قال انفضخوا) أى
قال للعملة انفضخوا فى الأكوار والحديد (حتى إذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاحياء (قال
آتونى أفرغ عليه قطرا) أى أصب عليه نحاسا مذابا فجعل النار تأكل الخطب وجعل النحاس يسيل مكانه
حتى لزم الحديد للنحاس (فما استطاعوا أن يظهروه) أى لعابوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) من أسفله
لشدته وصلابته (قال) ذوالقرنين (هذا) السد (رجة من ربي) أى نعمة من نعمه (فإذا جاء وعد ربي)
أى وقت خروجهم (جعله دكاء) أرضا مساء (وكان وعد ربي حقا) كائننا لالحالة (وتركنا بعضهم يومئذ
يموج فى بعض) أى وجعلنا بعض بأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد بعض الناس ييموج فى بعض
ويختلط العالم كله بحيث يدخل بأجوج ومأجوج فى الأمم كلها ويختلطون أجيالا وأجيالا كما ستره. م كل ذلك
قبل النفخ فى الصور زمن مجهول لا يعلم (ونفخ فى الصور) بعد ذلك لقيام الساعة (بجمعناهم جمعا) الضمير
للأحيين وهم جميع الناس ومنهم بأجوج ومأجوج (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأبرزنا لها وأظهرنا لها
ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم فى غطاء) غشاء وستر (عن ذكرى) أى عن الايمان والقرآن والهدى

والتصرفى الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سماعها) أى سمع قبول للإيمان (أخشب الذين كفروا) أغفل الذين كفروا غفصوا أى غفلوا والاستفهام للإنكار (أن يتخذوا عبادى من دوفى أولياء) أربابا كميسى والملائكة (إنا أعدتنا) أعدنا (جهنم للكافرين نزلا) مايقام للزيل وهذا تمك والافأين الضافة فى النار (قل هل ننشئكم بالأخسرين أعمالا) منصوب على التخييزهم (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) كلارهبان فافهم لاذنيتهم خلفوا ولادينا حفظوا لأن دينهم لم يأمرهم بذلك وإنما هم المبتدعون (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) لما عندهم من الحب واعتقادهم أنهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) المنصوبة فى الآفاق وبآياته المنزلة على النبي ﷺ (ولقائه) بالبعث (خبطت أعمالهم) بكفرهم فلايتأبون عليها (فلا تقم لهم يوم القيامة وزنا) ميزانا وكيف توزن أعمالهم وقد حبطت فلا قيمة لها الأمر (ذلك) ثم بينه فقال (جزأؤهم جهنم ؟) سبب (ما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) حال كونهم (خالدين فيها) والحال هنا مقترنة (لايغون عنها حولا) تحولا والفردوس الجنة الملتقة بالأشجار التى ثبتت ضروبا من النبات . يطلق النزول على مايبها للنازل أى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وأزمان الجنة مهما طالت يعقها خلوص الأرواح العالية الى مراتب سامية . عند ملك مقدر . وهو الذى يسمى رضوان الله ويسمى أيضا زيادة كما فى قوله تعالى . الحسنى وزيادة . كما تقدم فى هذا التفسير . ولما كانت الجنة فى الحقيقة ترجع الى العالم والمعارف لأنها هى السعادة القصوى فى الآخرة ومن لم يتصور ذلك ولم ير جنة إلا ما هو محسوس فانه يعلم أن العالمون تكون سببا لها أعقب ذكر الجنة بأن علم الله لانهاية له . ولاجرم أن هذه السورة مسوقة الى العلم وانه لانهاية له كما فى قصة الخضر وكما فى قصة أهل الكهف التى قيل انها بالنسبة لهجائب الله قليلة وهذا قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا) المداد ما يكتب به وهم اسماء يمد به الشئ كالخبر للذوات (لكلمات رضى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) جنس البحر فشكل جسم فانه مثناه (قبل أن تنفذ كلمات رضى) فانها غير متناهية (ولو جشا بمثله) بمثل البحر (مددا) زيادة ومعونة * يروى أن اليهود قالوا يا محمد نزعنا انا قداوتينا الحكمة وفى كتابك . ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . ثم نقول . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . فنزلت هذه الآية * وقيل انه لما نزل . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فأنزل الله تعالى . قل لو كان البحر مدادا لكلمات رضى . أى ما يستمدّه السالك ويكتب به * قال مجاهد (لو كان البحر مدادا للقفم والقفم يكتب والخلائق يكتبون لنفد البحر الخ) ثم قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) لا ادعى الاحاطة بعلم الله تعالى (يوشى الى أنما الحكم إله واحد) فهذا هو الذى يبنى عنكم (فمن كان يرجو لقاء ربه) يأمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى فى عمله فلا يد من (أمسين * أحدهما) أن يكون لله وحده (والثانى) أن يكون مبرا من الشرك * روى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال (من سمع سمع الله به ومن رآنى رآنى الله به) أى من عمل عملا مرااة للناس يشتهر بذلك شهره لله يوم القيامة * وروى مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه)

(لطيفتان فى ذى القرنين والسد وفى الكلام على بأجوج وأجوج)

(اللطيفة الأولى فى سد ذى القرنين)

اعلم أنه قد ورد فى بعض الكتب التى تنشر حديثا فى مصر وبلاد الاسلام ما بأنى ملخصا
إن كتابه علماء العرب المسلمين عن شرقى البحر الاسود دقيقة التحرى وقالوا أن سكانها من الصقالبة
(السلاف) وأن هناك مدينة باب الابواب وسدا منيعا وقدم الروس أن مدينة (در بت) بجبل قوقاف هى

تفسها مدينة (باب الأبواب) وكشفوا في القرن الماضي سورا مشيما تمتدا على مقربة منها كأنه خط انفصال قال وقد خلط كثير من الكتبة سد مدينة (باب الأبواب) بالسدة الشهيرة حتى ان أبا الفداء نفسه لم ينج من هذه العثرة لكن الأدرسي أبان موقع كل منهما بجلاء واتضح من مقابلة المصنفات العربية وجوب وجود السدة الشهير وراء (جيجون) في عمالة (بلخ) واسمه (سد باب الحديد) بمقربة من مدينة (ترمذ) وقد اجتازه (تيمورلنك) بحبشه ودعا مؤرخه شرف الدين اسم الحجل (خواجه) ورمزه أيضا (شاه روح) وكان في خدمته ومن بطائنه الألماني (سيلبرجر) وذكر السد في كتابه وذلك في أوائل القرن الخامس عشر وكذلك ذكره الاسباني (كلافيجو) في رحلته سنة ١٤٠٣ م وكان رسولا من ملك كستيل (قشتاله) بالأندلس الى (تيمورلنك) قال ان سد مدينة (باب الحديد) على الطريق الموصل بين سمرقند والهند . هذا ملخص من (المقتطف) سنة ١٨٨٨ م وبه تعلم أن السد موجود فعلا وأن هذا مجزء للقرآن حقا وهذا أمر عجيب . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في الكلام على يأجوج ومأجوج وذى القرنين ﴾

لقد كتب كاتب هندى سنة ١٨٩٨ م في مجلة (الهلل) يسأل علماء مصر والشام . أين يأجوج ومأجوج وهل هم موجودون وإذا كانوا موجودين فأين هم والناس قد اطلعوا على أحوال أكثر الشعوب في الأرض وهل قول الله تعالى يتغير وإذا كانت قول الله حقا وصدا فأين هؤلاء وقد كر هذا الموضوع في مجلة (الهلل) ثلاث مرات فلم يجب أحد . وقد كنت إذ ذاك في أول خدمتي في المدارس المصرية بصفة مدرس وكان لى إلمام بهذا الموضوع ولم أكن اطلعت على ما كتبه في اللطيفة الأولى كما ذكرته لك فكشفت ما أتى وأرسلته الى (مجلة الهلال) وهذا أول موضوع كتبه ونشر في الجرائد فأجد الله انى وفقت أن أسير في تفسير القرآن اليوم سنة ١٩٢٤ واتى أضم هذا الموضوع اليه بعد نشره في الجرائد بأمد طويل فيها كه (المقالة الثامنة الى كتبها في كتابي نظام العالم والأمم)

(يأجوج ومأجوج)

يأجوج ومأجوج اثنان ذكرنا في القرآن الشريف في سورة (الكهف) وسورة (الأنبياء) قال تعالى - قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض - وقال في سورة الأنبياء - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق - الآية . فلنجعل هاتين الآيتين موضوع بحثنا صار بين صفحا عن وجوه التفسير التى ليس لها مساس به ولنحصره في (خمس مباحث)

﴿ المبحث الأول ﴾ في معنى لفظ يأجوج ومأجوج وأصلهم وجغرافية بلادهم

﴿ المبحث الثانى ﴾ في افسادهم في الأرض ويستلزم ذكر تاريخهم

﴿ المبحث الثالث ﴾ في معنى - فتحت يأجوج ومأجوج - وذكر خروجهم وتعيين زمنه وما يشهد له من الأحاديث وأقوال العلماء ومكاتبات الملوك

﴿ المبحث الرابع ﴾ في ذكر معنى الحذب لفة ومقارنته بكلام المؤرخين

﴿ المبحث الخامس ﴾ اقتراب الوعد الحق

﴿ المبحث الأول ﴾

أصل يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح مأخوذان من أجيج النار وهو ضوءها وشرها تشيران لكثرة تم وشدهم . وذكر بعض المدققين في البحث عن تأصيلهم أن أصل المغول والتر من رجل واحد يقال له (ترك) وهو نفس الذى سماه أبو الفداء باسم مأجوج فيظهر من هذا أن المغول والتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالى من آسيا تمتد بلادهم من (التيبت والصين) الى المحيط

النجمد الشمالى وتنتهى غربا بما إلى بلاد (التركستان) كما في (فاككة الخلفاء) وابن مسكويه في (تهذيب الأخلاق) وفي (رسائل اخوان الصفا) فقد ذكروا أن هؤلاء هم بأجوج ومأجوج

(المبحث الثاني الكلام على افسادهم في الأرض)

وقد ذكر المؤرخون ومنهم الافرنجى أن هذه الأمم كانت تغير قديما في أزمئة مختلفة على الأمم المجاورة لها فكما افسدوا وقلبوا الأمم قلبا قبل زمن النبوة ودمروا العالم بدميرا وجعلوا عاليه أسفله فهم مفسدون في الأرض بنص القرآن وشهادة التاريخ فقد ذكروا أن منهم الأمم المتوحشة والسيول الجارفة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى أوروبا في قديم العهد فنهضت أمة السبت والسمرياق والمسيحية والهنون وكما أغاروا على بلاد الصين وعلى أمم آسيا الغربية التي كانت مقر الأندباء وكانوا يحذرون قومهم من هؤلاء الأمم قديما قبل نزول القرآن وكذلك ورد ذكرهم في القرآن كما تقدم وفي بعض الأحاديث أيضا ثم انهم لم يزالوا في حدود بلادهم لا يتجاوزونها بعد زمن النبوة الى أن ظهرت الماهية الدهياء والغارة الشعواء من تلك الأمم المتوحشة الرحالة إذ ظهر منهم رجل يسمى (توجين) لقب نفسه (جنكيزخان) وقال مؤرخو الافرنجى ان معناه بلغة المغول (ملك العالم) ولقد ملك من بعده مشارق الأرض ومغاربها إذ أعد نفسه فاتحا لكل العالم وكان خروجه هو وقومه من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التي في (آسيا الوسطى) في أوائل القرن السابع من الهجرة فانه بعد أن جمع أمة التتار تحت حكمه أخضع الصين الشمالية أولا ثم ذهب الى بلاد الاسلام فأخضع السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن أرسلان بن محمد من الملوك السلجوقية ملك خوارزم لأسباب سنذكرها . وكان يمتد ملكه على بلاد التركستان والخرس وقد دافع ابنه جلال الدين مدافعة الأبطال لردة هجماتهم فلم ير شيئا وسقطت الدولة بعد حرب مكثت عشرين سنين . ولقد فعلوا بهذه الدولة من المنكرات والفظائع ما لم يسمع مثله في تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولا صبى ولا صبية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش أنواعا . ولقد حسبوا القتل في مدينة خوارزم وحدها فلعق كل واحد من جموع (جنكيزخان) التي لا تحصى عدا أربعة وعشرون قتيلا وأحرقوا المدينة وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهارا فضلا عما فعلوه بمرقند وبخارى وغيرهما وقتلوا بأهل نساوار وأفزوه عن آخرهم حتى الأطفال والحيوانات كالقطط والكلاب وأحرقوا البلد وقد عدت القتلى في واقعة (مره) فكانوا مليوناً وثلاثمائة وثلاثين ألفاً . هذا ما أمكن ضبطه وهذه نبذة يسيرة بل قطرة من بحر فضائلهم (راجع دائرة المعارف وابن خلدون وفاككة الخلفاء) وقس على ما ذكرناه جميع البلاد التي سنذكرها فلقد أخضعوا بلاد الهند ومات (جنكيزخان) بعد قوله من غزوها . ولما ملك بعده ابنه (اقتاي) أغار ابن أخيه المدعو (باتو) على الروس سنة ٧٢٢ ودمروا (بولونيا) و (بلاد المجر) وأحرقوا وخرّبوا ومات (اقتاي) فقام مقامه (جالوك) خارب ملك الروم وأجأه الى دفع الجزية ثم مات (جالوك) وقام مقامه ابن أخيه منجوقف كاف أخويه (كيلاي) و (هولاكو) أن يستمرا في طريق الفتح فينتجه الأول الى بلاد الصين والثاني الى الممالك الاسلامية وقد فعل كل منهما ما أمر به فأخضع (كيلاي) بلاد الصين وزحف (هولاكو) على الممالك الاسلامية ومقر الخلافة العباسية وكان الخليفة إذ ذاك (المستعصم بالله) فأراد أن يدخل الى هؤلاء الباغين من طريق المداوالت فلم يفاج وأخذت بغداد عنوة في أواسط القرن السابع من الهجرة وأسامت للسلب والنهب سبعة أيام سالت فيها الدماء أنهارا وهو أمر معلوم مشهور وطرحوا كتب العلم في دجلة وجعلوا جسرا يمتدون عليه بنحوهم وهذا الخليفة بعد ما أحضر التسليم ماله من الكنوز التي لا تحصى وقد ورثها عن أجداده ذبح وعلفت جثته في ذنب حصان وساروا بها بين أسوار مدينة بغداد وبه انتهت الخلافة العباسية ببغداد . ولما استولت ذرية (جنكيزخان) على آسيا كلها وأورو بالشرقية اقتسموا بينهم الفتوحات وأنشأوا مناهرا بع ممالك

منفصلة فأخصت أسرة (كيلاي) البصين والمغول وملك جافناي أخواقطاي تركستان وملك تربة باطرخان البلاد التي على شواطئ نهر (فاجا) وصارت الروسية تدفع الجزية إليها زمانا طويلا وانضمت بلاد الفرس إلى (هولاكو) الذي دمر بغداد وقد استمرت فتوحات المغول إلى بلاد الشام

﴿ المبحث الثالث ﴾

قال تعالى - حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج - أي فتحت جهنم على أحد تفسيرين ولقد فتحت تلك الجهة في أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا في التاريخ وخروج (جنكيزخان) وجنوده وملكوا مشارق الأرض ومغاربها كما أوضحنا . وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشير إلى ذلك كقوله عليه السلام ﴿ اتركوا الترك ما تركوكم فإن أزل من يسلب أمتي ملكهم بنوقنطورا ﴾ أي الترك مع ملاحظة ما ذكرناه في التاريخ أنه لا يسلب الأمة الإسلامية ملكها إلا هؤلاء . وقد ورد أيضا حديث يأجوج ومأجوج أن مقدمتهم تكون في الشام وساقطهم بخراسان فهذه إشارة إلى سيرهم واتجاههم وطريق منتهى ملكهم إذ لم يتجاوزوا الشام إلى مصر ولا أفريقيا . وقد ورد أيضا أن يأجوج ومأجوج لا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس . ومن العجيب أن (جنكيزخان) وقومه وذريته طافوا الأرض شرقا وغربا ولم نعرف فيها طلعنا عليه أنهم دخلوا أحد الأماكن الثلاثة فما أجلاها من معجزة ظاهرة . ثم إن (جنكيزخان) هو المراد بحديث ﴿ يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محزونون مقصون عن أبواب السلطان بأنونه من كل فج عميق كأنهم فرع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ﴾ وقد حله بعض العلماء قديما على (جنكيزخان) المذكور وبسبب خروجه وحصد الأرواح أن سلطان خوارزم المتقدم ذكره في التاريخ قتل رسل (جنكيزخان) والتجار المرسلين من بلاده وسلب أموالهم وأغار على أطراف بلاده فاغتاز (جنكيزخان) وكتب إليه كتابا يهول فيه ويشنع على السلطان قال فيه ماضيه ﴿ كيف تجرائم على أعمالي ورجالي وأخذتم تجاري ومالي وهل ورد في دينكم أوجاز في اعتقادكم ويقينكم أن تريقوا دم الأبرياء أو تستحلوا أموال الأتقياء أو تعادوا من لا عاداكم وتكذبوا صفوة عيش من صادقكم وصافاكم . أن تكونون الفتنة النائمة وتنبهون الشرور السكينة أو أماءكم عن نبيكم سريكم وعليكم أن تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قوبيكم أو ما خبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونباكم محدثوكم اتركوا الترك ما تركوكم . وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ما ذقمتم طعم شهده أوصابه ولا يلوتم شدايد أوصافه وأوصابه ألا ان الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف قبل أن ينهض داعي الانتقام وتقوم سوق الذائن ويظهر من الشر ما يطن ويروج بحرب البلاء ويوجع وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وسنصر الله المظالم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولابد أن الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر سر ربوبيته وآثار عدله في بريته فإن به الحول والقوة ومنه النصره موهوبة فلتزود من جزاء أفعالكم المحبب وليسألن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حذب ﴾ انتهى المقصود من عبارات كتاب (جنكيزخان)

وانظر كيف كان صريحا بجميع ما يرد من هذه المقالة بأوفى بيان وهذا مصداق ما رواه البخاري بسنده عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول لإله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب ابنة جحش فقلت يارسول الله أنهلكم وفينا الصالحون فقال نعم إذا كثرت الخبيث . ولقد اتسع ذلك الفتح من ذلك التاريخ إلى القرن السابع من الهجرة حتى فتح عن آخره وخروج هؤلاء القوم كما أوضحنا ولقد عثر على آثاره كما قلنا . ولا ريب أن هؤلاء الأقوام كانوا غوغاء ولا رؤساء لهم ولما صار لهم زعيم خرجوا بعد فتح السد في المدة المذكورة المجهولة فيها البلاد التي لم تعلم إلا بافتتاح المسلمين ما جاورها من

بلاد خوارزم وهذه من أجل المهجرات . ثم انه كان بين بلاد (جنكيزخان) وملكه خوارزم مملكة تسمى (انذار) كانها حد فاصل بين الدولتين أوسدت بين الأمتين ففزاهم الملك السلجوقي واستعبد أجنادهم فارتفع الحارخ بين الأمتين فسرت السراير وانهجت القلوب بهذا الفتح وكان إذ ذاك في (نيسابور) عالمان فاضلان فاقاما العزاء على الاسلام وكبا حتى أرويا الأرض بدموعهما فسئلا عن موجب هذا البكاء والناس فرحون بنصر الله فقالا وأنتم تعتدون هذا التمر فتحا وتصورون هذا الفساد صلحا وإنما هو مبدأ الخروج وتسليط العلاج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين وما يتحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين - ولتعامن نبأه بعد حين - فهذا تصريح من هذين العالمين بما أوردناه ونص في خواء ولا ضرورة لخروج كلامهما عن ظاهره وانظركيف ظهر صدق كلامهما في حينه كما قدمناه وظهر التتر وأفتوا للمسلمين وماج الناس بعضهم في بعض فلقد اضطرب أهل آسيا وأخذوا يرتحلون من منازلهم فرارا وكذلك أهل أوروبا

﴿ المبحث الرابع ﴾

قال تعالى - من كل حطب ينسلون - الحطب ما ارتفع من الأرض وينسلون أى يسرعون في النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحالة منطبقة تماما على قوم (جنكيزخان) المتقدمين فانهم باجاء مؤرخي العرب والافرنج كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدهما كما ذكرنا

﴿ المبحث الخامس ﴾

قال تعالى - واقربب الوعد الحق - أى القيامة ويؤخذ منه ومن سورة الكهف قوله تعالى - ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا - في مساق قصة يأجوج ومأجوج أن خروجهم قرب الساعة ولكن هذا لا بد لنا على أنه لا فاصل بينه وبين الساعة . ألا ترى الى قوله تعالى - اقربت الساعة وأنشق القمر - وقوله عليه السلام ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين ﴾ وأشار بالسبابة والوسطى ومع ذلك فقدمه ضى نيف وثلاثة وألف سنة فهكذا قال في آية يأجوج ومأجوج - واقربب الوعد الحق - فسكلاهما اقتراب . ورب قائل يقول أين الاقتراب في الموضوعين قلنا معلوم أن ماضى من الزمان لا يتناوله الاحصاء وما بقى من عمر الأرض الطبيعي قدره يسير جدا بالنسبة لذلك ونحن لقصر حياتنا نعد ذلك بعدا وبعده الله الباقي الدائم قربا قال تعالى - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - فالآلاف السنين لاتنافى اقتراب مهما امتدت وطالت بنسبتها الى الزمن كله إذ من البديهي أن الآلاف لاتذكر في جانب الملايين ولذلك ورد في حديث أنى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ﴿ ليحجن البيت وليعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴾ وهذا دليل على أن الناس يستبدلون من بعد خوفهم أمنا ويعبدون الله عز وجل . وأما صفاتهم المشهورة في القصص وبعض الآثار فجميعها لا أصل لها هذا ما عرفت الى وهذا ما كنت أجبت به عن سؤال الأديب الهندي في حينه من أمد غير بعيد في ﴿ مجلة الهلال ﴾ في آخر القرن التاسع عشر . ثم وازنت بين حديث البخارى المار - وهو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ويل للعرب من شر قد اقتراب قد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الخ ﴾ فيما ذكرناه مع اضطرابه وخوفه الشديد وبين كلام علماء الجغرافيا في نحو القرن الثالث والرابع فزاد يقينى بما كتبت ورأيت هذه البلاد كانت معروفة عندهم باسم يأجوج ومأجوج وزاد استغرابى جدًا لمجزة ظاهرة واضحة قد خفى رسمها عنا وكيف تحقّق هذا القول في الخارج وجاء مصداقا للقرآن والحديث . فالحق والحق أقول أن هذا النقي والكتاب المنزل عليه لما يدهش العقول . وكيف رأينا تلك الجهة تسمى باسم يأجوج ومأجوج في كتاب ﴿ تهذيب الأخلاق ﴾ لابن مسكويه ولكنه اجبال لا يشفى غليلا ولا يؤخذ حجة لاجلها . ولقد فصل في رسائل قديمة ألفت في نحو القرن الثالث والرابع وذكر فيها أن أمة يأجوج ومأجوج هم سكان تلك الجهة المتقدمة

شمال الصين وحددت بلادهم بأنها من نحو سبع وعشرين درجة من العرض الشمالى الى نحو خمسين درجة منه وهذه البلاد الآن جزء عظيم من الصين وفيها (تيكين) عاصمتها الآن ولقد كانوا أغاروا على الأمم جميعا وكانوا كفاحيين للعالم كله فكانوا أشبه بأهل أوروبا الآن فسكانهم أخلفوهم في عملهم وفنوحاتهم وسيطرتهم على العالم ومن المقرر أن بينهم نسبا ورجما . فانظر كيف أصبحت دولتهم الآن في قبضة الصين بل هم الجزء العظيم وهما (منشوريا) تجاذها روسيا والصين وبلادهم تبلغ في العرض نحو ثلاث وعشرين درجة كما رأيت وتلك البلاد تسكن الاقليم الرابع والخامس والسادس والسابع من الأقاليم التى اعتبرها الأقدمون هى الحدود المعروفة لأقسام الأرض وهى مبنية على مقادير العرض الذى لا يتغير بتغير الأيام والأمة وتداول السنين مما اختطه المaulك الأقدمون والحكام الغابرون والأنبياء السابقون الذين طافوا الربع المسكون من الأرض وغابت عنهم أمريكا والافقيانوسية بعد المواصله وشقة السفر وحياولة الجبال والبحار وذلك مثل الاسكندر الرومى اليونانى وتبع الجيرى وافر يدون النبطى وأزدشبيرين بايكان الفارسى وسيدنا سلمان بن داود عليهما السلام الاسرائيلى وغيرهم . ولما عثرت على هذا علمت علما يقينا أننا معاشر المسلمين الآن والدولة الاسلاميه إما في حال الهرم وهى وقت نسيان كل معقول ومنقول واما أطفال ولدهم شيخ كبير فهم يبحثون على آثاره . فياحبذا كيف كانت هذه البلاد معروفة باسمها وصفتها ودرجاتها عرضا وطولاً ونحن لانعلم منها شيأ وكيف يخبرنا الصادق بهذا الأمر ويحصل في الوجود ونجهله نحن . ولعمري انها لمجهزة ظاهرة واضحة . ولقد كان الأقدمون يعملون علم الجغرافيا مما يجب النظر اليه في الكون مثل قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شي - بل لولم يكن للنبي مجزة سوى هذه التى ظهرت بالتاريخ والجغرافيا لوفت بالمراد . وفى انزعج من أن النبي ﷺ يقول «ويل للعرب من شرّ قد اقترب الخ» ثم ان هؤلاء أزالوا دولة العرب وانتهت الدولة العباسية بقتل (المستصم) آخر ملوكها وبقى خليفة رسمى في مصر وعند قرب الألف من السنين زال حكمهم مرة واحدة وفتقرت الاسلام شذمر من وماحظه إلا الدولة العثمانية بعد العرب . وأما أولئك التتار فهم كونوا أغلب المسلمين في الهند والصين وأغلب آسيا فكما ورثوا أرضهم ورثوا دينهم . وهذه المسألة وان كانت بسيطة فعلاقتها بعلم العمران أمر عظيم جداً . والحق أن علم الحديث أوضح كيف تخرب الدول وعبر عنها بأشراط الساعة وسماها العلماء الاشراط الصغرى إذ الكبرى بخراب الأرض كلها والصغرى بآبادة أمة أوأمم فاذا جاءت الطامة الكبرى زالت الأمم من الوجود . ولقد أوضح الرسول الصادق أموراً كثيرة لايسع المقام ذكرها الآن ولنعصر عنان القلم في ما ذكرناه عبرة وتذكرة

وجاء في كتاب «فاكهة الخلفاء» المتقدم أن المصريين هم الذين صدّوا غارة هؤلاء التتار عن بيت المقدس وفلسطين ومصر . ذلك أن الملك المظفر المسمى (قنّز) من دولة المماليك بمصر صدهم بماتى ألف من المصريين عند حلب . وكان من ضباط الجيش (الأمير بيبرس) المشهور ولما شتوا شمل التتار قتل (بيبرس) الملك (المظفر) غيلة وذلك أن الملك أنتم عليه تجارية تنارية من السبي فتقدم ليقبل يده بخانه وقتله وتولى الملك بدله وقد حزن المصريون حزناً شديداً على الملك (المظفر) لأنه هزم التتار . ولكن (بيبرس) أكثر الاحسان وقرب العلماء اليه ليزيل ذلك الأثر السيئ . ومن لطائف التاريخ أن الملك (المظفر) المذكور كان له صديق من المماليك في صغره وهما يتعلمان مع الأطفال في كتائب مصر وقد تعاهدا أن كل من وجد في ثوب أخيه ما يستقدر فليضربه بيده فاتفق أن صاحب الملك (المظفر) يوماً ضربه مراراً فقال له لماذا أكثر الضرب اليوم فقال لكثرة القدر في ثوبك ولأنى أحب الامارة فضحك وقال له أنجب أن تتولى على مائة فقال نعم فقال أنا أوليك ذلك فقال له وكيف ذلك فقال رأيت في المنام النبي ﷺ فقال لى إنك ستقهر

(ابصاح الخريطة)

اعلم أن السد المرسوم هنا الفاصل بين بلاد الصين قديماً وبين بلاد يأجوج ومأجوج ذكر صاحب اخوان الصفا أنه عند ٢٧ درجة شمالاً والمرسوم في الخريطة أبعد منه بنحو ١٠ درجات وهذا السد الجنوبي غير السد الآخر المذكور في القرآن المتقدم في هذا المقام . فاذن يأجوج ومأجوج كانوا محصورين بين سدين خيفة بطشهم بجيرانهم والآن أصبح هم وأهل الصين أمة واحدة فافهم واعلم أن بلاد (التركستان) أو (بلاد الترك) تنقسم الآن الى (قسمين) قسم تابع للروسيا وقسم تابع للصين فالروسية هنا هي التابعة للصين . وأما الروسية فهي الى الغرب من هذه وفيها بلاد فرغانة وجنوه وبخارى وطاشقند ونهرا سيحون وجيحون اللذان يصبان في بحيرة خوارزم . وفرغانة التي في الخريطة هنا اكتسبها عن رسم بقية تركستان الروسية التي هذه منها وتنتهي غرباً الى بحر (الخرز) أو بحر (قزوين) الذي هو غربي بحيرة (خوارزم) للمتقدمة

﴿ فائدة ﴾

ومن العجيب أن الأخبار التي ترد الآن من الشرق الأقصى تبين أن بلاد الصين منقسمة (قسمين) قسم الجنوب وقسم الشمال . فقسم الجنوب اشتهروا بأنهم يحافظون على البلاد وقسم الشمال مهمون في وطنيتهم وصدقها . وجاء في الأخبار الآن أن عسكر التتار يحاربون مع أحد الفريقين المتحاربين وأن فرقة من فرق جيوشهم تسمى (الجنكيزخانية) فلما قرأت هذا الاسم في أخبار البرق العامة عجبت كل العجب وأيقنت أن التتار الذين مزقوا العالم تحريقاً لا يزالون يحافظون على تاريخهم ومجدهم وذكر أسلافهم وعظماهم بدليل انهم سموا فرقة باسم (جنكيزخان) الذي شئت شمل المسلمين قديماً وشمل أكثر الأمم هو وذريته . وقد جاء في الأخبار اليوم أي (٧) يونه سنة ١٩٢٨ أن الوطنيين في الصين دخلوا (بكين) العاصمة . أفلا ترى أن العالم الذي نعيش فيه سينقلب انقلاباً تاماً . الصين ثلث العالم وهي أمة واحدة وقد ارتقت أفلاقيلاً انهم يعيدون الكرة مرة أخرى ويقبلون وجه الأرض . أفلا يكون هناك خروج لهم مرة أخرى ويحصل في الأرض اضطراب آخر وهلاك لا ندرى مصداقاً للآية . أليس ذلك هو الذي أخبر به (غليوم) ملك الألمان سابقاً إذ قال ﴿ ويل لأوروبا من الصين وسجاء الخطر الأصفر ﴾ . أفلا يكون مبدأ الخطر قد ابتدأ هذا اليوم إذ أصبحت الصين مملكة واحدة راقية . الله أعلم بالمستقبل . فإذا صح هذا كان هناك خروج آخر من موضع السد المتقدم ذكره . اذا صح هذا كان الخروج الأول خروجاً جزئياً لتأديب المسلمين على كسلهم ونومهم العميق وجهلهم لأن قطب أرسلان كان يجهل هو والعلماء قوة القوم وعظمتهم ولذلك قتل رسلم التي أرسلوها فلو كان يعلم قوتهم لأكرم رسلم ويكون قوله ﷺ ﴿ ويل للحرب من شر قد اقترب الخ ﴾ راجع للخروج الأول . أما خروجهم الثاني فهو الذي يقلب الأرض قلباً كيف لا والحرب اليوم بالغازات الخائفة والمعوية والمهلكة . فإذا خرجوا أهلكوا الحرث والنسل كما خرجوا قديماً قبل التاريخ وكونوا أمماً في أوروبا ثم خرجوا نانيا لآبادة ملك العرب والآن يخرجون لقلب وجه الأرض ويكون قوله ﷺ ﴿ إن الناس يخرجون ويعتصرون بعد خروجهم ﴾ راجع للخروج السابق . أما الثالث فلاندرى ما الله فاعسل بالناس والله يعلم وأنتم لا تعلمون

جدير بالأهم الاسلامية اليوم أن يفكروا في مستقبلهم فانهم اليوم بين أوروبا الظالمة والشرق الأقصى وقد بينت هذا المقام في كتاب ﴿ نهضة الأم وحياتها ﴾

﴿ قدوم عالم من علماء أمة بأجوج ومأجوج الى مصر وزيارته لمنزلى بشارع طولون منذ نحو عشرين سنة ﴾
 أعلم أيها الذكى انى أول ما ألفت كتابا من كتي كان انشره وترجمته أسرع فى بلاد (الروسيا) بناحية
 (قازان) وما والاها من غيرها فقد نشرت تلك الكتب هناك وترجم بعضها ووصلت الى الترجمة باللغة القازانية
 أما مقالة مأجوج ومأجوج فانى بعد أن نشرتها فى أواخر القرن التاسع عشر بمجلة الهلال تحقق لى صدقها
 بالاطلاع على كتب القدماء فسكتبتها فى (جريدة المؤيد) المنتشرة إذ ذاك فى أقطار الاسلام وذلك فى نحو
 العشرين الأولى من القرن العشرين وهذا مقدمة لما ستسمعه

بينما أنا بالمدرسة الخديوية أدرس للتلاميذ اللغة العربية إذ قابلنى تلميذ فقال قد قابلنى الاستاذ عبد الله
 بوى من مدينة (أوفا) ببلاد روسيا ويريد موعدا للمقابلة بالمنزل فعيقت له موعدا ليلا فلما حضر خاطبني
 باللغة العربية الفصحى وأول ما بادرني به أن قال عرفتك من مؤلفاتك وقرأت فى (المؤيد) انك تقول اننا
 من مأجوج ومأجوج وهذه المقالة ترجمتها بلغتنا ولم أطلع عليه الشيوخ الكبار لظنهم أن هذا كفر وقد جهلوا
 أصلنا واننا نحن المغول (بأجوج ومأجوج) والتفرقت من تلك الأمم . فانا والشبان جميعا فهمنا مقالك
 والمسامون لاسعادة لهم لإبشراء التاريخ والجغرافيا وجميع العلوم وأخذ يتكلم فى السياسة العامة وفى قصر
 الروس . ومعلوم أن ذلك قبل ذبح البلشفية لذلك التقيصر فوصفه بأنه جاهل واستدل على ذلك بأنه لم يستعمل
 تخدير أعصاب الشبان المسلمين كما خدّرت الانجليز أعصاب الشبان بمصر واستدل على ذلك بمحوادث جرت فى
 مصر وأنه رأى المتعلمين فى المدارس يحبون الانجليز ولغتهم ويكرهون اللغة العربية وماشا كلها . ومعلوم
 أن ذلك كان قبل النهضة الحالية التى غيرت أفكار المصريين جميعا . ثم قال لى الى أجد فى محمسا عنكم
 مثل (مصطفى كامل) وكل الشبان عندهنا مثل مصطفى كامل عنكم فنحن نريد أن نأخذ بلاد (الروسيا) كلها
 ونحكمها كما كنا حكمها قديما كما تشير اليه مقالاتكم فى مأجوج ومأجوج . أقول وشبان مصر عند كتابة
 هذا الموضوع محمسون كمصطفى كامل ونحوه فان الحال تغيرت كما قدمت ذلك قريبا . ثم أخذ يتحدثنى عن
 أخلاقهم فقال ان أبى وزوجتى تخرجان من منزلنا كل صباح لتعليم بنات الفقراء والأغنياء الكتابة والقراءة
 والأعمال المنزلية فهل عنكم مثل هذا . فقلت كلا . فقال حركة العلم عندهنا عظيمة وقوية ووطنية وعرفت
 من قوله أن عنده ثروة عظيمة وهو يستخدمها فى الكيد واستعمال الحيل فى اخراج مركز ذلك القيصر

﴿ حادثان . الأولى ﴾

إنه كان لا يترك مجتمعا إلا جلس فيه فجاءنى يوما وقال فى هذه الليلة رأيت عالما مغربيا مع العلماء وهو
 يعلمهم حديث المصاحفة وبقى يذكر أسماء الرواة من عصر النبوة الى الآن . قال وعجبت أن يضع المسامون
 حياتهم فى التعنت المذكورة . ورأيت أن يغير التعليم فى الأزهر وأن يدخل فيه الاصلاح

﴿ الحادثة الثانية ﴾

جلست معه فى المنسج الذى أمام (دار التثليل) فى مشرب القهوة الافرنجية فجاء لنا صاحب القهوة بالشاى
 فلما رآه قال هذا فيه مكسب للفرجة عظيم وأتم فى مصر تفرمون وهم يكسبون وهذا باب الاستبعاد أما نحن
 فان الشبان المسلمين هم الذين يتولون أمثال هذه الأعمال وهم الذين يقومون بأمر الطعام والشراب فى
 كل مكان وفى الطرقات بالطرق الخديوية وهم يأخذون أموال الروس بطريق التجارة . فقلت له إذن أتم
 نصاراهم وهم نصاران فضحك أى ان النصارى فى بلادنا هم الفوز فى التجارة فهم فى بلادهم أخذوا هذه
 الوظيفة منهم . وحدّثنى مرة يقول إنه ألف كتابا يث فيه المسلمين على الحقد والعمل وإن هذا الكتاب لما
 انتشر فى المسلمين هناك هبوا للعمل وارتقوا . ولأختم هذا الموضوع بحادثة . ذلك اننى فى صباح يوم ورد
 لى خبر أن والدى سقط تحت القطار بجهة (بردين) فأسرعت لسفر ولكن أحببت أن أقابل صديقى الياجوجى

المأجوج قبل السفر نخرجت من المدرسة بدرب الجاميز متوجها الى المحطة سریدا أن أسرّ عليه في مأواه الذي هو أقرب اليها في تلك اللحظة كان هو قد جاء الى يريد مقابلي بالمدرسة وهناك حصل لي أمر عجيب ذاك اني قبل أن أخرج من سراي درب الجاميز اضطرت أن أدخل لأحد أصحابي لمصلحة بغلست دقيقة واحدة معه فلما خرجت وجدت صاحب الياجوجي بالباب قبل خروجي من السراي فدهشت وعلمت اني لو لم تشغلني هذه المصلحة تلك الدقيقة خرجت ولم أقابله فأخبرته الخبر وعجبت من حسن المصادفة . فقال لي لا تعجب إن الله عز وجل مع كل مصلح ونحن لانعمل إلا ما هو مصلحة للمسلمين فكيف لا يكون الله معنا . ثم أخبرته خبر والدي ونوجهت اليه فوجدته قد أصيب بما يوجب الموت من جرح وكسر وهو لا يحسن النطق ولكن الله قبل (٢٤) ساعة حسن حاله وقال الطبيب ان هناك لطفا من الله به ولو كان هذا الحادث لشاب من الشبان لمات وذلك لقوة والدك ثم قال انه يحتاج لعلاج أر بعين يوما . فلما اضمأنت على والدي رجعت الى المدرسة وأخبرت صاحبي تفصيلا بتلك الألفاف والدي . فقال لي ألم أقل لك ان الله مع المخلصين للمسلمين ثم بعد ذلك شفى والدي تماما وسافر صاحبي الى بلاده وعين في مجلس (الدوما) بالروسيا وقد علمت أخيرا أن القيصر كان فناء لما علم بمناوئته لحكومته . ويقال انه توجه لبلاد الصين يعلم المسلمين هناك ولم أعلم بعد ذلك بما تم في أمره . أما المسلمون في تلك البلاد أيام البلشفية فقد بلغني انهم مرتقون في هذه العالوم والله أعلم وبهذا تعلم أن السد موجود فعلا وأن هذا معجزة للقرآن حقا وهذا أمر عجيب

﴿ اللطيفة الثانية تحقيق المقام في ذى القرنين وياجوج ومأجوج ﴾

اعلم أن الله عز وجل ما أنزل القرآن ولا الكتب السماوية قبله إلا لإلهاد الناس وارشادهم والارشاد انما يكون على مقتضى الحال ويوجه القول للأهم توجيها يرشدها ويعلمها . فن الارشاد أن يجمع بين اللين والشدّة بلجنة النار والنعم والحجيم والقرب والبعد . ولا جرم أن طبع أهل هذه الأرض مبني على هذا النظام . انظر . ماذا فصل الله في هذا الوجود . خلقنا وأراد ترقيتنا بهذا الخلق وليس هناك من سبيل لأخذ العلم أخذنا حقيقيا عن الله فاحتجنا الى وسائط ومن تلك الوسائط انه أباغنا وأعرانا وخلق العداوة والحسد وما أشبه ذلك مع اختلاف الأخلاق والأحوال والعادات ثم انه مهد الأرض للزرع والبحر للسفر وغيره وقال لنا هاهوذا ملكي وهاهوذا تفصكم وضعفكم فاما أن تعملوا مدة الحياة بنصب وتعبد والافلا أغذية لكم عندي ولراحة * وفي المثل ﴿ أسر حثوا في ارتقاء ﴾ فظاهر الأمر اننا نعيش بالعمل وباطنه ارادة رقينا علما وأخلاقا . أنا خلقتمكم في نصب وتعبد - لقد خلقنا الانسان في كبد - فاستخرجوا من الأرض أغذيتكم وملابس الخ وهذا هو مبدأ العلوم . بجميع العلوم في هذه الأرض ترجع الى استخراج محتاج اليه من أغذية وأدوية وأعمال أخرى ونتيجة هذا هور في عقولنا وأحوالنا وأخلاقا . لهذا خلقت الدنيا ولهذا خلق الله الناس فما أصابنا من خير أو شر فهو راجع لهذه القاعدة والافاللة قادر أن يخلق الانسان في راحة تامة بأن يجعله كالسود يأكل مما حوله بلا تعب وكالنبات في البر والبحر لا يحتاج الى شئ وكالرجل يتغذى مما يحيط به من المواد الجيرية في ماء البحر الملح ولكن الله يريد بهذا الخلق ارتقاء المخالقات الانسانية . اذا فهمت هذا فلتعلم أن القرآن نزل على هذا النمط فهو يدعو للعمل والفكر والبحث ولو أن آيات القرآن كانت واضحة كل الوضوح بحيث لا يعوزنا عمل في فهمها لكن نفس القرآن من أهم أسباب سقوط الأمم التي تعتقه إذ لاحاجة لهم الى بحث ولا تنقيب . فانظر الى قصة ذى القرنين والى قصة يا جوج ومأجوج . ذوالقرنين وصفه الله بأوصاف تنطبق على رجل عظيم مصلح

- (١) فقد خيره الله لما بلغ مغرب الشمس بين اللين والشدّة فاختار وضع كل منهما في مقامه
- (٢) وعرض عليه القوم مالا لأجل أن يجعل لهم سدا فأبى وقال مامعناه . كلا . الله أعطاني نعمة وسأصرفها

في منفعة عباده ولكن أعينوني بقوة

(٣) ثم قال إن هذا رحمة من ربى وذكر أن كل أعمال الخلق لا يثبت لها يوما من الزوال فهذه الأقوال والأعمال لا يتصف بها إلا المصلحون بل هي نموذج للمصلحين من الأمم الإسلامية وليس بهم في الدين ولا القرآن شيء فوق هذا فإن كل قصة في القرآن إنما يؤتى بها لنتائجها أصالة . فالنتائج في قصة الكهف انهم فرّوا من الظلم كما فرّ الصحابة حين كانوا بمكة فهاجروا بعضهم إلى الحبشة وهاجروا بعضهم إلى المدينة ثم نصرهم الله في آخر الأمر . ففتية الكهف فرّوا من ظلم وهم مؤمنون برهم . وهكذا الصحابة فرّوا بدنيهم وحافظوا عليه تأسيسا بقصص القرآن . وهكذا قصة موسى والخضر عليهما السلام وخرق السفينة وقتل الغلام لا يقصد من هذا كله إلا تعريف الناس أن هناك قضايا عجيبة في الوجود وأن الانسانية أشبه بجسم وهذا الجسم إذا أمكن بتأوه بقطع سلعة منه أو أصبح معتلة إذا بقيت أضرت بالجسم كله فإن الحكمة تقتضي بقاءه وإزالة ما به فساد . وهذه هي حال الناس أيام النبوة . فإذا قيل لماذا استعمل السيف أيام النبوة وحصل الحرب حتى دخل الناس في دين الله أفواجا . قلنا اقرأ قصة موسى والخضر فإن الشر القليل يحتمل للخير الكثير وقد تمّ هذا فعلا قتل صناديد قریش وغيرهم أثر ظهور أمة عظيمة ملأت الكرة الأرضية فذلك إلا كأمر الطب سواء بسواء . هذا من أحسن ما يؤخذ من هذه القصة . وهكذا إذا سمع الإنسان قوله عليه السلام ﴿الحرب خدعة﴾ فهو من هذا الباب . فهذا هو المقصود العملي الديني من هذه القصص في القرآن وأنا أجد الله عز وجل إذ وفق وعلم وشرح الصدر لكتابة هذا . هذا ما ينبغي أن يفهم في هذا الزمان وفي كل زمان ﴿فوائد هذه الأخبار في هذا الزمان﴾

أما فوائد هذه الأخبار في هذا الزمان فانها تزيد على ذلك بالعلوم والحكمة ومعرفه توارخ الأمم وتخطيط بلدانها . ولما وصلت إلى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يخاطبني في المسائل العويصة . فقال لقد أثبت بمقدمه تقول فيها ان نظام هذا العالم يرجع إلى الحث على طلب العلم فكما يقول في القرآن - وقل رب زدني علما - يخلق في الجسم ألم الجوع والعري وممرارة العداوة فيكون ذلك كله من أسباب ارتقاء الناس هذا مفهوم ولكن مسألة ذى القرنين ومسألة يأجوج ومأجوج توقع في القلوب شيئا وتقتضي عند بعضها كفرا فان الناس اذا قرؤوا التاريخ وعلم الجغرافية يرون أن ظهور رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وبنى سدا كما في القرآن لم يقم عليه دليل . فن أين ذوا القرنين هذا . ومن أي الممالك هو . أم هو إسكندر المقدوني . أم هو رجل آخر من اليمن . إن التاريخ الذي نقرؤه لا يهدينا إلى معرفة هذا الرجل ولنا لك تجد كثير من المتعلمين في البيانات يكونون ملحدون وذلك لأجل شكهم في البيانات فيقولون إن هذه القصص جاءت على مقتضى ذوق أهل عصورهم لا على مقتضى التاريخ وأنا أسألك الآن أكان الله يعلم أن الناس سيصبحون في شك وكفر بسبب هذه القصص . أم هو لا يعلم ذلك . فان كان لا يعلم فقد انهدم كل دين في الأرض وطاحت أصول الفلسفة . وان كان يعلم تلك النتيجة . فاذن هو أنزل القرآن لأجل الاضلال لا للهداية . فاذن المسألة دائرة بين جهل الصانع سبحانه وبين ارادته الضلال وكلامها نتيجة سيئة . فقلت أنا أختار انه عالم أن مثل هذه المسائل يكون بها الضلال وهو الذي أراد ذلك . قال يا عجب كيف هذا . فقلت قال الله تعالى - يضلّ به كثيرا ويهدي به كثيرا - وما يضلّ به إلا الفاسقين - وما نتيجة هذه الأخبار في بعض النفوس إلا كنتيجة شرب العسل لمن به حى فهو نافع للناس صار لبعضهم . هكذا هذه القصة أعطت نموذجا للمصلحين في الأمم ومن فعل به هم الأقوال والضرر القليل مغفر في جانب النفع الكثير . قال ولكن الأمم الإسلامية الآن قد أقبلت على زمان يكثر فيه علم التاريخ وعلم الجغرافيا وهذه القصص خارجة عن هذه العلوم . فاذا تعلم المسلمون جميعا رجالا ونساء كما تعلم أهل أوروبا وأمريكا واليابان فانهم يفعلون بالقرآن ما يفعل النصارى بقصص التوراة أى يجعلون

هذه قصصاً تقرأ بالافتكر ويضربون الذكر عنها صفحاً ويقولون العلم شيء والدين شيء وتبقى الطبقة المتسورة غير مكترفة بالكتب السماوية . فما تقول في هذا . فقلت ان نزول هذه الأخبار في القرآن كما تقدم سيكون في هذا الزمان سبباً لارتقاء الطبقة المتعاسة في علومها . قال وكيف ذلك . أقول هذا لأجل انك في تفسير القرآن . قلت . كلا . إنما أنا أقول هذا عن علم . ألم تر أن قصة ذي القرنين قد جاء كلام المفسرين فيها غير متفق فهذه استدعوا أن نبحث في هذا المقام أي الأسماء أقرب الى ذي القرنين أأسماء ملوك اليونان أم أسماء ملوك اليمن . إذن وجب علينا أن نعرض أسماء ملوك الأتمين بوجه واضح ونبين ما جاء في التاريخ الحديث من أسمائهم ثم نبين الى أيهما هو أقرب . ولماذا أبهم هذا الاسم . ومافائدة هذا الإبهام لأتم الاسلام المقيلة والحالصة كما ذكرنا سابقاً الحقيقة الناصفة وهي أن أمة يأجوج ومأجوج أمة موجودة قديماً وحديثاً وبينا تخطيط بلدانها وجغرافيتهم ونقلنا من الكتب المؤلفة منذ ألف سنة أيام السولة العباسية أن اسم تلك البلاد كان معروفاً في الخرائط الجغرافية باسم (يأجوج ومأجوج) وحددنا تلك البلاد وأهلها وكيف خرجوا وكيف أهلكتها أتم الاسلام وشئتوا الدولة العربية وأذاقوها سوء السكال . وكيف كانت هذه القصة نزلت في القرآن وقد علم الله أن هؤلاء هم الذين سيكونون شراً على أمة العرب التي نفعت الأمم والآيين أن فائدتها في هذه القرون أن يرجع أبناء الاسلام لدراسة التاريخ والجغرافيا ويدرسوا ماحاق بآبائهم من ضعف ومأصائبهم من ضرر ويعرفوا مواطن الأمم وأن دراسة ذلك كله من أسباب بقاء أمتنا الحاضرة وجهله يضعها فتكون في خبركان لأن الأمم لا حياة لها إلا بدراسة تاريخها ونحوه والاطاحت وهوت في أسفل سافلين . فهذا هو الذي سندكره الآن (١) ملوك اليونان (٢) ملوك اليمن (٣) بلاد يأجوج ومأجوج (٤) صلتهم بالأمّة العربية في قوله ﷺ « ويل للعرب من شرّ قد اقترب لقد فتح فنتح الليلة من سد يأجوج ومأجوج الخ » وكيف كان ذلك سرا للنبوّة ظهر أثره بعد ستائة سنة . فهذه المسائل التي نبضها هنا أما كون هذه العلوم من أسباب رقي الأمم وأن تركها مضيق للأتم فقرأه فيما تقدم في سورة النحل عند قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر - فقد نقلت لك هناك أن قراءة أصول العلوم لا بد منها لبقاء الأمّة والاطاحت وتشتت ناقلاً ذلك عن الاستاذ (سننانه الطلياني) فلنبداً أولاً بذكر ملوك اليونان

﴿ المقام الأوّل في ذكر أسماء من اشتهروا في أمة اليونان ﴾

فهل نجد فيهم من جاء في اسمه لفظة (ذو) التي هي من الأسماء الخمسة في اللغة العربية ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجرّ بالياء أومافيد معناها فلننظر نجد أن تاريخ (أثينيه) القديم يتبدى بالمدّة الماوية من نحو . ١٣٠ سنة الى ١٠٥٠ (ق م) وآخر ملك من ملوكهم يسمى (١) (كودروس) وكل ما يروى عن اليونان في القرن الحادى عشر (ق م) غير موثوق به (٢) وفي سنة ٨٥٠ (ق م) نبذ القوم حكم الملوك المستبدّين وساعدهم (ليكورغس) فسّنه لهم قانوناً ليكون شرعاً لهم وكان من أعضاء الأسرة الحاكمة وهذه القوانين سنّها (الاسبرطه) ببلاد اليونان تعلم الشجاعة والصبر والقوّة الجندية ويكون للأمة ملكان ومجلس أعيان مؤلف من ٣٠ عضواً كل واحد سنه ٦٥ سنة والملسان منهم بالانتخاب والمجلس يسمى مجلس الشيوخ والأعيان والانتخاب لمدة الحياة وهناك مجلس الأمّة يقدّم لهم الأعمال ليبحثوها والمولد ضعيفاً أو مشوّه الخلقة يقتل على جبل (طابيتوس) ويربى الولد بعد سبع سنين بتمرينات رياضية وبالصيد وتحمل الأخطار وبالضرب مع ثباته وعدم جرحه ولومات وهكذا يتحمل الجوع والعطش والحرّ والبرد ليتعلم الصبر ويتعلم الموسيقى بأشعار كلها نحت على الشجاعة ثم يعلّمون قلة الكلام لتقوى بصائرهم (٣) وعن اشتهروا فيهم (هوميروس) الشاعر وأصحّ التواريخ عنه انه كان نحو سنة ٨٥٠ (ق م) وشعره وحد أمة اليونان فهم كانوا يقرؤنه في خالوتهم ومجتمعاتهم الخاصة والعامة وعسى أن يوحد القرآن الأتم الاسلامية بعد ظهور حقائق القرآن في زماننا الحاضر

(٤) ومن ملوكهم (فيدون) سنة ٨٧٠ ق.م) والحكومة هناك جمهورية و بعد موته استمرت (اسبرطه) على تعاليم (ليكورغس) (٥) الملك (رافيطوس) سنة ٧٧٦ ق.م على الأصح هو الذى أحيا الألعاب الاولمبية وصارت بعد ذلك تقام كل أربع سنين مرة والمسافة بين كل دورين تسمى (المبياد) وبقيت الى سنة ٣٩٤ ق.م إذ حول مجراها الأمبراطور (طيدوسوس) (٦) ومن ملوكهم (اريسطوقراطيس) ملك (ارخومينوس) وهذا الملك خان بلاده في موقعة حربية فرجوه لافشائه السر للأعداء (٧) ومن عظمائهم (اريسطومينس) سنة ٦٥٨ ق.م الذى أسره أعداء بلاده ووضعوه في جب ونجا بعد ذلك (٨) ومن عظمائهم (سولون) الذى لما رأى الطغيان عم البلاد في نحو سنة ٦٠٠ ق.م سن قوانين لهم وهو معدود من الحكماء السبعة وهو من أهل (أثينة) وجعل الأمة في القانون أربع طبقات وجعل الانتخاب عاما وغاب عن بلاده عشر سنين من سنة ٥٧٠ الى سنة ٥٦٠ ق.م (٩) ومنهم (بيزيسطراطوس) ابن عم (سولون) مات سنة ٥٢٧ ق.م (١٠) ابنه (هيبياس) وابنه الآخر (هيبارخوس) (١١) (كليومنس) من ملوك (اسبرطه) (١٢) (ملتياد) نصر اليونان على الفرس بسياسة وبالجنوش (١٣) (أريستيبس) (١٤) (تمستقل) من (أثينة) بسياسة وجهشه هزم الفرس (١٥) ومنهم (سيمون) بأثينة قائد حزب الأشراف (١٦) وأخيرا كان (فيليب الثاني) ابن (أمنطاس الثاني) وأخو (بردكياس) وتولى الحكم وعمره ١٣ سنة وجعل تساليا تحت حكمه سنة ٣٥٢ ق.م (١٧) وبعده ابنه (اسكندر الثالث) الملقب بالأكبر ولد سنة ٣٥٦ ق.م وكان عمره إذ تولى الملك بعد أبيه ٢٠ سنة وقد تعود في صغره على العوائد الاسبرطية من تحمل الآلام والاقدام والتجلد ثم علمه (أرسطوطاليس) علم الحكمة . فهذه الأسماء هي من أهم الأسماء المشهورة في أمة اليونان . وقد بحثنا فيها فلم نجد لفظ (ذى القرنين) وجودا . فيا ليت شعري كيف ساغ لبعض المفسرين بل لكثير منهم أن يجعلوا هذا الاسم عاما على (الاسكندر) وغاية ما قبلوه أنهم قالوا (اسكندر الأكبر) أما (ذو القرنين) فلم يرد لها ذكر في أسماء ملوكهم ولا شعرائهم ولا قوادهم . فبطل إذن أن يكون (ذو القرنين) من اليونان . إذن فلنبحث عن هذا الاسم في أمة العرب الذين كان لهم ملك وسلطان وعظمة وهم عرب اليمن

﴿ الكلام على بلاد اليمن وملوكها ﴾

اعلم أن أعظم المدن القديمة التي كانت في اليمن قبل الاسلام خربت الآن وسفت عليها السواقي وغطتها الرمال . وقد ذكر اليعقوبي أن تلك البلاد تنقسم أولا الى (مخاليف) جمع مخلاف وجعلها (٨٤) مخلافا والمخلاف تحت مدن ومخالف وقرى ومن الأشهر فيها مخلاف (مأرب) وذمار والهان وحراز وهوزن وحضور (الخ) ووصفه لها كان في القرن الثالث الهجرى . وقد حدد هذه المخاليف الهمداني في كتابه المسمى ﴿ صفة جزيرة العرب ﴾ بأوائل القرن الرابع الهجرى واعتمد العاماء على كتابه ووفقوا به

﴿ كيفية نظام بلاد اليمن في الأزمان القديمة ﴾

لاجرم أن النوع الانساني في الأعصر البائدة كان يعيش مع الحيوانات في الفلوات ويأكل الفخار ويعيش في الكهوف والمغارات ثم ارتقى شيئا فشيئا وكان العصر الحجري والعصر البرزى ثم العصر الحديدي فالمدنية الحاضرة . وما الانسانية العامة ولا بعضه إلا كما يولد الطفل صغيرا ثم يقوى شيئا فشيئا . هكذا ما نحن بصدده وهى بلاد اليمن فبنوا البيت ثم ارتقى البيت على طول الزمان فصار قصرا والقصر عندهم جعلوه حصنا أو قلعة وهذه القلعة حولها سور . ومعنى هذا أن الأسرة الواحدة تجتمع في مكان واحد وتتخذ لها رئيسا منها وتجلسه في قصره وتبنى بيوتا حوله وتجعل ذلك القصر منيعا خيفة مفاجأة الأعداء وكل عدة قبور تخضع الى رئيس واحد يحكم شيوخ هذه القصور وهذا المجموع يسمى (المخلاف) والجمع مخاليف فالخاليف كاللدريبات في القطر المصرى والقصور أشبه بالراكن في المدينة . ومعنى هذا أن القطر المصرى (١٤) قسما كل قسم مقسم الى

مراكز والمركز يشتمل على جملة بلاد . هكذا بلاد اليمن عبارة عن (٨٤) مخلافا كل مخلاف يشتمل على محافد وهي القصور المتقدمة والمخلاف يتولاه أمير يقال له (قيل) والجمع أقبال أو ملك صغير والمخلاف يقابل (الكورة) أو (الرساق) في اللغة العربية كالمديرية في الاصطلاح المصري حديثا ويقال لذلك (القضاء) أيضا وينسب المخلاف كله إلى أكبر محافده أو إلى المحفل الذي يقيم فيه (القيل) وهذه المحافد قد تنقسم مدينة وتسمى باسم جديد كما اتفق أن قصر أو محفل (ربدان) تحول إلى مدينة ظفار وقصر سلحين تحول إلى مأرب . وهناك قاعدة وهي أن صاحب المحفل (القصر) يلقب بلفظ (ذو) أي صاحب يضاف إلى اسم المحفل فيقال ذو غمدان أي صاحب غمدان وذو معين وتعرف هذه الطبقة باسم (الأذواء) أو (الذوين) وهذه الأقبال أشبه بالأقبال في بلادنا المصرية الآن مثل قوهم فلان بك وفلان باشا وهذه بعض الأسماء (ذو غمدان) . ذو نلقم . ذو ناعط . ذو صرواح . ذو سلحين . ذو ظفار . ذو شيبام . ذو يبدون . ذو ريلم . ذو براش . ذو روثان . ذو رباب . ذو عمران) فالأقبال ملوك صغار والأذواء أمراء والأذواء يقابلون في بلادنا المصرية (النواب) وهذه كلمة معناها الأغنياء للمازوني في بلادنا وهذا عجب أن يكون ذواتنا يقابلون أذواءهم وكلاهما راجع إلى (ذو ذات) والمعنى واحد . ونظير هذا عند الانجليز قوهم مثلا (اللورد أفيري) ومعنى اللورد (الرب) أو (السيد) ومعنى (أف) صاحب وبعد هذا اسم البلاد التي جعل هذا صاحبها إذ هذا كأمير اليمن سواء بسواء والمعنى واحد . أفليس من العجب أن يكون (ذو) الوارد في القرآن كان موجودا في اليمن وله نظير في أوروبا ولكن هذا لانتظيره في اليونان إذن لم يكن (ذو القرنين) في اليونان ويغلب أن يكون في اليمن فإن الأذواء في تلك البلاد هم الذين يحكمونها ومن بين هؤلاء الحكام يكون الأقبال والتابعة كما تقدم وقد عجز المؤرخون جميعا عن معرفة تاريخ الإمارات الصغرى وعن تاريخ الممالك الكبرى هناك ولكن المهم في هذا المقام وهم الأذواء قد حفظت أسماءهم ليكونوا دليلا لهذه القصة في القرآن والذي عرف الآن ﴿طبقتان﴾ طبقة تسمى الملوك الثامنة وهم ثمانية أذواء وهم الذين ناهضوا جياريهم دولتهم . والطبقة الثانية أذواء مستقون وهؤلاء هم الثامنة * قال الشاعر

أين الثامنة الملوك وملكهم * ذلوا لصرف الدهر بعد جاح
ذو لعلبان وذو خليل ثم ذو * شجر وذو جندن وذو صرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جوفز * ولقد محا ذا عسكران ماحي
وسائر الأذواء أكبرهم مرئد وهو جد الناظم قال فيه

أو ذو مرائد جدنا القيل ابن ذي * شجر أبو الأذواء رجب الساح
وبنوهم ذوفين ذو سفر وذو * عمران أهل مكارم وسماح
والقيل ذو ذبيان من أبنائه * راج الحام اليه بالرداح
أم أين ذو الرحين أو ذو برحم * سقيا بكأس للنون ذباح
أم أين ذو بهر وذو وزن وذو * نوش وذو نوح وذو الأنواح
أم أين ذو نيقان أو ذو أصبح * لم ينسج بالامساء والاصباح
أم أين ذو الشعين أصبح صدعه * لم يلتئم لثقف الأقصاد
أو ذو حوال حيل دون مرماه * أو ذو مناح لم يسبح بمرح
أم أين ذو غمدان أو ذو فائش * أو ذو رعين لم يفز بفلاح

والقصيدة ١٩ بيتا بعد الثامنة اكتفينا بما ذكرناه الآن والأذواء في هذه القصيدة ٥٥ والذي علم قليل . إذن ثبت أن (ذا القرنين) يعني وإن كان في زمن متوغل في الجهالة والابهام ليكون نموذجاً للسكال

والشرف في الأمم الإسلامية في مستقبل الزمان . انتهى

إذا عرفت هذا فانظر الى دول الين فيها دولة (معين) وعاصمتهم (قرنا) ودولة (سبأ) وعاصمتهم مأرب والقتايون وعاصمتهم (شوة) والذي كشف (معين) هو (هاليني) إذ رآها في شرقي (صنعاء) ببلاد الجوف وقرأ اسمها عليها وبجانبها مدينة (براقش) فوجد هناك (٣٠٣) نقشا ٧٩ منها في (معين) و١٥٤ نقشا في (براقش) و ٧٠ في السودة وقد عثروا على بعض ملوك هذه الدولة وهم ٢٦ ملكا مثل أب يدع ومثل أب يدع يشيع أى المنقذ وهكذا . وقد عرف الناس أمة بهذا الاسم بالكشف الحديث سنة ٥٠٠ م قبل الميلاد مكتوبا على نصب عليه نقوش مسبارية ذكرت في أقدم آثار بابل وأن ملك بابل حمل على (معان) في جزيرة (سينا) وقهر ملكها وأنه اقتلع حجرا منها ونصبه تذكرا في بلاد (بابل) ويقدّر العلماء أن آثار دولة معين تبتدى من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن السابع أو الثامن قبله ويقولون ان أصلهم من بابل

﴿ دولة سبأ ﴾

هم من القحطانيين كانوا أولا أذواء فأقبالا فكانت لهم المحافد فالحاليف والذي نبغ منهم (سبأ) صاحب (قصر صراح) شرقي (صنعاء) فاستولى على الجميع ومبدأ ملكهم من سنة ٨٥٠ ق م الى سنة ١١٥ ق م والمعروف من ملوكهم ٢٧ ملكا ١٥ يسمى مكروبا و١٢ منهم يسمى ملكا مثال الأول (يغمر) و (ذمر على) فكل منهما اسمه (مكرب) ومثال الثاني (ذرج) و (يريم ابن) فهذان ملكان

﴿ الدولة الجيرية من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٥٢٥ م ﴾

وحجربن سبأ وهم ﴿ طبقتان ﴾ الأولى ﴿ ملوك سبأ وريدان من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٢٧٥ م ومن ملوكهم (علهان نهفان) و (وتار) وهكذا ﴿ والطبقة الثانية ﴾ ملوك سبأ وريدان وحضرموت وغيرها من سنة ٢٧٥ م الى سنة ٥٢٥ م أولهم (شمير عرش) تانبهم (ذوالقرنين) أو (افريقس الصعب) ثالثهم (عرو) زوج بلقيس وهكذا الى ١٤ ملكا آخرهم زوجين وقيل دنواس وهذه الطبقة هم التابعة ومن قبلهم ملوك فقط . والتبع (بتشديد التاء والباء) هو من ملك حضرموت والشحرمع ملكتهم . فأكثر ملوك الطبقة الثانية الجيرية تابعة أضافوا الى ملك اليمن ملك حضرموت والشحر وهذا ما قصدت ذكره في هذا المقام في أمر ملوك اليمن

﴿ تحقيق هذا المقام ﴾

لقد اطلعت أيها الذكي على أسماء ملوك اليونان وأسماء ملوك اليمن فظهر أن ذا القرنين لاصلة بينه وبين اليونان وأن الانصاف (بنو) لم نجد إلا في اليمن وأن الملوك والتابعة إنما ينبغون من هؤلاء الأذواء . إذن لاشك أن هذا اللقب لامناسبة بينه وبين اليونان وإنما صلته التامة ببلاد اليمن بل تقدم في أسماء الملوك قريبا اسم ذي القرنين فظهر الأمر واتضح ولكن هل هذا هو ذا القرنين المذكور في القرآن . نحن نقول كلا . لأن هذا المذكور في ملوك قريبي العهد مناجدا ولم ينقل ذلك عنهم اللهم إلا في روايات ذكرها القصاصون في التاريخ مثل ان (شمير عرش) وصل في حربه الى بلاد العراق وفارس وخراسان والصفد . وقال الهجم (شمركند) أي شمير عرش وبنى مدينة فسميت (سمرقند) أي شمير عرش وملك بلاد الروم ويقولون ان أسعد أبوكرب غزا (أذربيجان) وبعث حسانا ابنه الى (الصفد) وابنه يعفر الى الروم وابن أخيه الى الفرس وأن من الجيريين من بقوا في الصين لهذا العهد بعد غزو ذلك الملك لها . وكذب ابن خلدون وغيره هذه الأخبار ووسموها بأنها مبالغ فيها وتقصوها بأدلة جغرافية وأخرى تاريخية لاجل ذكرها هنا . إذن يكون ذا القرنين من أمة العرب ولكنه في تاريخ قديم قبل التاريخ المعروف . ألا ترى أن من الأمة العربية من غزوا مصر قبل الميلاد وبقوا فيها ٥٠٠ سنة ثم طردوا من مصر في الأسرة الثامنة عشرة . ولقد أخبرنا المرحوم

أجد بك كمال أن المصريين كثروا جدًا فخرجت منهم ﴿أمتان﴾ أحدهما إلى بلاد العرب والأخرى إلى شمال أفريقيا وقال الله لنا إن الذين خرجوا إلى بلاد العرب هم عاد وثمود ﴿حكمة نزل هذه الأخبار في القرآن﴾

علم الله قبل أن ينزل القرآن أن أمة العرب خصوصاً وأمة الاسلام عموماً سينسون التاريخ وتخطيط البلدان ويجهلون ماحلّ بالأمة العربية من أمة يأجوج ومأجوج ولا يعرفون أن فتح البلدان بالجهاد الاسلامي كان هو السبب الذي جعل أمة الاسلام مجاورة لأمة يأجوج ومأجوج وهذه المجاورة كانت سبباً في اقتضاص القوم على أمة الاسلام فزقت شملهم . علم الله انهم يجهلون ذلك في الأزمان المتأخرة وأن الحروب الصليبية وحروب يأجوج ومأجوج ستقتضي عليهم ويخرج أبناءهم أي أهل مصر وشمال أفريقيا والعراق والحجاز وسوريا والفرس وغيرها وهم يجهلون ماحلّ بأمتهم الأولين ولا يعلمون أن أمة يأجوج ومأجوج احتلت البلاد لما أنست من العرب ضعفاً وتحاذلاً ومن المسلمين فترقاً وتحللاً فكانوا منقسمين إلى الشيعة والسنية وكل منهم يكيد للآخر وكان الوزير العلقمي رجلاً شيعياً والملك المستعصم رجلاً سنياً وكان هذا الوزير هو السبب في دخول التتار واحتلالها وذبح ألف ألف منها إلى آخر ما تقدم

علم الله ذلك فأُنزل في القرآن قصة ذى القرنين ويأجوج ومأجوج وهما قستان متلازمان . قصة (ذى القرنين) تفيد أن رجلاً عرياً أقامه الله مصلحاً عظيماً . فإذا فعل . فعل ما فعله الخضر عليه السلام أقام الخضر جداراً يريد أن ينقض وأقام ذوالقرنين سدّاً بين أمة وأمة والخضر لم يطلب أجراً من أهل البلد وذوالقرنين لم يطلب أجراً من تلك الأمة . الله أكبر . هذا هو الشرف أن يصرف الإنسان نعمة الله فيها خلقت لأجله سواء أكان ذلك لمنفعة فردية أم منفعة عامة . فاقامة الجدار لمنفعة يتأذى واقامة السد لمنفعة الأمة الله أكبر . نزل القرآن لارتقاء الأمم . نزل القرآن للاقتصاد . ألم تر أن أول السورة يفيد أن قوماً هربوا من الظل فاختفوا وقد قدمت أن هذا تم في زمن النبوة بالهجرة وأن آخر السورة يفيد أن الإنسان يعمل للمصلحة العامة إما لأفراد وإما لأمم . هذه السورة أشبه بتاريخ الاسلام فأقرله ضعف والمسلمون في مكة وبعد الضعف القوة والقوة تنفع الأفراد وتنفع الأمم . هذا هو دين الاسلام والأمم الاسلامية التي ضلت هذه الطريقة فخذلها الله كأمم الاسلام أيام النولة العباسية أي في آخرها إذ جعل الناس الملك مغنياً والزكاة مغرماً وأصبح الملك قليل العمل كثير الأمل والشهوات واللذات والخلاعة

عاشت أمة الاسلام وهي تنقلب على نار الغضا ويكيد العلماء بعضهم لبعض فالخوارج والشيعة وأهل السنة بعضهم لبعض عدو حتى إن الشافعية والحنفية من أهل السنة لما دخل التتار أي يأجوج ومأجوج وجدهم أشبه بأهل دينين كل يكفر الآخر . علم الله أننا نحن في عصرنا الحاضر سنجهل كل ذلك . الله أكبر . إن الأمة الاسلامية لما فتحت البلاد لحفظها - فبظلم الله ولكن لما فتحت البلاد لذاتها انحطت مداركهم فاستخلص الله منهم بلادهم كما تقدم وجعل القوم عوام الجغرافيا جهلوا جيرانهم من الأمم فانتقصوا عليهم . أقول ومتى عرف المسلمون بعدنا السبب في تشتيت الأمم الاسلامية يرجعون مجدهم بجمع شملهم وذلك يستحيل إلا إذا قرروا جميع العالم وعلومها واجهله آبائهم في تلك القرون ومن أهمها علم الجغرافيا والتاريخ ثم بقية العلوم وحينئذ يعرف أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم من أمة الاسلام أن الذي أضاع مجدهم هو الجهل وأن المسلمين ظنوا أن القصد من الملك التمتع مع أهل ملك البلاد والتسلط عليها لا يقصد منه إلا رقيها وخدمتها واسعادها

أقول . علم الله ذلك وانا في هذا الزمان سنقرأ هذا ويقرؤه أبناءنا بعدنا ويعرفون خطأ الآباء ويقولون في (ذى القرنين) انه وإن لم يكن معروفاً بشخصه فهو المعروف قدره وأن الله أبهم علينا كما أبهم ليلة القدر

ويوم القيامة ولولأن الله عرفنا به فعلا لسكانت الفائدة ضئيلة . أما الفائدة العظيمة فهي كثرة البحث والتقصي
في السكتب فهنا نحن أولاء بحثنا عن ذى القرنين في أمة اليونان . ولما بحثنا عنه وجدنا هناك في القرن الثامن
قبل الميلاد قوانين مشترع عظيم تقدمت الإشارة إليها عرفتنا مجلس الشيوخ ومجلس الأمة التي نسج على
منوالها أهل أوروبا الآن وهكذا حوالى القرن السادس (ق م) ظهر (سولون) الحكيم وهؤلاء قوانين تذكرنا
بما يحاوله أهل الشرق الآن من الانتخاب وتشكيل المجالس النيابية . ولما جزم أن هذه الطريقة بالحال التي
هي عليها لم تكن معروفة عند أسلافنا فلم يكن لهم سبيل إلا الحرب والقتل . وإذا كانت أوروبا هي التي تعلمنا
تلك القوانين كما علمت اليابان وأمريكا فعلينا نحن أن نقرأ كل ما حصل من شرائع الأمم الانتخابية في اليونان
والرومان وفرنسا وما الذي فعله (روسو) الكاتب الشهير الذي أحدث ذلك في فرنسا وما الذي فعلته انكترا
قبل فرنسا بنحو مائة سنة وماذا فعلوا مع ماوكهم . كل ذلك تذكرناه في أثناء البحث عن اسم ذى القرنين
فاذا لم يكن في ذكر ذى القرنين نعمة سوى هذه السكتب وهذه المباحث وأجبة وجوبا كفاثا لأنها أولا لقهم
القرآن وثانيا لأنها علوم والعالم لابد فيها من قوم مختصين بها . وكم من فوائد غير ذلك في هذه المباحث .
إن الأمم الإسلامية التي بعدنا ستقرأ هذا وأمثاله وسيعلمون أن العالم التي تقاوها عن أوروبا والأعمال السياسية
لن يتم لهم الانتفاع بها إلا إذا درسوا أصولها فهؤلاء أهل مصر وأهل العراق والشام وغيرهم قد أخذوا يقلسون
الغرب في المجالس النيابية ولكن لا يتم مقصدهم إلا بدراسة تاريخ تلك المجالس أيام سولون وأيام ليكورغس
ليقفوا على تنوع تلك المجالس وينظموا بلادهم على أحسن طراز وسيعلمون حق العلم أن قوله ﷺ ﴿ إن
أخوف ما أخاف عليكم ما يفترع عليكم من زخرف الدنيا وزينتها ﴾ قد تم ذلك لأن فتوح البلدان قد انتهت
بتشتيت شمل الأمة العربية لأنهم لم يحفظوا النعمة في آخر أمرهم ولم يقوموا على أنهم خلفاء الله فحسب وأن
قوله ﴿ لقد فتح الليلة من سدأ بجوج وأجوج الخ ﴾ فيه تلميح إلى فتح البلدان كما تقدم وسيعلمون أنهم
لا نجاة لهم إلا بنظام أهمهم وبلادهم بأحسن الطرق وهكذا أن يدرسوا كل علم ويحفظوه . وسيعلم أبناء اليمن
خاصة وأبناء العرب عامة أن الله ماذكى ذا القرنين في القرآن إلا ليعث فيهم النشاط والهمة والقوة فهو يقول
يا أبناء العرب ما ذا أفعل لكم خلقت رجلا مصلحا في زمان مجهول لكم بلغ مغرب الشمس ومطلعها ولم
أشأ أن أبين لكم البلاد التي دخلها لأن كل مكان في الأرض يصلح لطاوع الشمس وغروبها وإنما بينت
السد لأجل أن تبحثوا عن التاريخ الذي حصل لأبائكم فيينا أنتم تبحثون عن السد إذا بكم اهتديتم إلى
سبب اقراض دول آبائكم فترجعون إلى أنفسكم وتقولون كيف يكون منا من بلغ مشارق الأرض ومغاربها
وأصلح الأمم ونسكون نحن بعد نزول القرآن أضعف من آبائنا قبل نزوله وسيخجل أبناء اليوم حينما يدرون
أن آبائهم كانوا أرقى منهم علما وصناعة وسيقولون كيف يكون ذوالقرنين منا وكيف ينزل الله في آبائنا سورة
(سبا) ويذكر سيل العرم ونصح نحن أضعف من آبائنا . إننا لمقصرون . فلنقرأ كل علم ولندرس كل فن
وانا إن شاء الله لموفقون انتهى

﴿ جوهرة في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الخ ﴾

ان المطلع على ما تقدم من التفسير يجد نعم الله لأحد لها في كل عالم من العوالم الأرضية والسموية ولكن
الآن أذكر لإيضاح هذه الآية آخر الآراء التي وصل إليها العلماء في عصرنا الحاضر ولم أجد أجمل ولا أجمع ولا
أحدث من الخطبة التي خطبها الأستاذ (جيزس) الانجليزي العالم الفلكي الذي كان مدرسا لهم الرياضيات
التطبيقية في جامعة (بسنلانيا) التي هي أشهر جامعات أمريكا وقد عاد أخيرا إلى انكترا وصار سكرتيرا لجمعية
العالم والفنون الماسكية والخطبة المشار إليها هي التي ألقاها يوم ٧ مارس سنة ١٩٣٨ أي قبل كتابة هذه الأسطر
بشهر واحد وهي كما قلنا أحدث الآراء في منشأ الكائنات والكلام على النهاية وعلى عدم النهاية في الزمان

والمسكان وهل يمكن حصر الأجرام العالوية ومقادير أعمارها ، وهذه الخطبة ألقاها في تلك الجمعية في التاريخ المتقدم وملخصها ما يأتي

(١) الاهتمام بعلم الكائنات ونشوتها قريب العهد جداً وهذا العلم لا يزال طفلاً
(٢) يقول علماء (الجيولوجيا) ان الانسان لم يعيش على الأرض إلا منذ ثلثائة ألف سنة فقط . إذن الأرض عاش عليها عشرة آلاف جيل كلهم يرون الأرض مركز العالم والعالم خالق لأجلها لإجلها واحدا عرف أن الأرض ليست شياً مذكوراً في العوالم

(٣) عمر الأرض نحو ألفي مليون سنة
(٤) الشمس ستظل بعد ألف ألف مليون سنة كما هي الآن تقررباً وتدور الأرض حولها كالوقت الحاضر
(٥) الانسان في المستقبل يكون أحكم من الانسان الحاضر ثلاثة ملايين مرة على الأقل فينظم المعيشة على مقتضى حال الكرة الأرضية في المستقبل

(٦) يؤخذ مما تقدم أن الانسان حديث العهد بالولادة على الأرض فهو طفل وهكذا هو طفل في علومه ومعارفه وكل هذا الطفل كان موجهاً الى غذائه ومسكنه وهو يجهل العوالم ولكنه الآن عرف أن هناك عوالم لاحد لها وعرف انه يجهلها وكأنه في حلم ومعرفته نافهة جداً بالعوالم حوله ويعيش بعد الآن ألفي مليون سنة على الأرض أى انها مدة تعادل عمر الأرض الماضي

(٧) الأجرام التي حولنا لها نهاية . أما الفضاء الذي بعدهها فلانهاية له أى ان الشمس والكواكب والمجرات ليست بلانهاية واسكن وراءها فضاء لانهاية له

(٨) الأجرام العالوية التي نراها والتي لا نراها شكها كروى أى انها كلها كرة واحدة كقطرة الماء وككرة الأرض والشمس الخ والكرة تعرف كلها متى عرفنا نصف قطرها ونصف القطر يعرف متى عرفنا درجة تقوس محيط الشكل الكروى بين أية نقطتين مفروقتين على محيط الشكل

(٩) الاستاذ (هوبل) يقول على سبيل التقريب أن الفضاء المشغول بالأجرام الفلكية لا يمتد على الأرجح الى أكثر من ألف ضعف المسافة التي تفصل بيننا وبين أبعد السدم التي يمكن رؤيتها بأكبر (التلسكوبات) اننا ان وصلنا تلك السدم فرضاً وجاوزناها فانا نعود الى النقطة التي بدأنا منها لأن ذلك الفضاء كما قلنا كروى الشكل

(١٠) الاشارات اللاسلكية التي ننبثق من جهاز لاسلكي شديد الاحساس تدور حول الكرة الأرضية في أقل من سبع ثانية وتعود الى النقطة التي بدأت منها فهكذا نحن لو اخترقنا هذه العوالم رجعنا الى مبدأ سفرنا
(١١) لو اننا صنعنا (تلسكوبا) قويا جداً ورأينا جميع الكرات السجوية لرأينا النجوم مهيئتاً بالاصلية حينما أرسلت النور اليها قبل الملايين من السنين وأن النجوم ليست أعدادها بغيرنهاية ولو كانت في فضاء لا نهاية له للزم أن تكون هناك نجوم لا يصل لنا نورها الى أبد الدهر ويقول إن هذا بعيد ويرجع فيقول ان الانسان اليوم طفل لا يدري في العوالم شياً فرجاءه المستقبل بما لا يتخيله الآن

(١٢) النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل ومثله في ذلك الكهر بائية اللاسلكية لأنهما في جوهرهما شئ واحد ويرجع أن النور يسير حول الفضاء الكروى مائة ألف مليون سنة أى ان النور يدور في هذا العالم المملوء بالأجرام العالوية الذي مجموعه كرة واحدة مدة مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يدور حول الأرض في سبع ثانية واحدة فأين النسبة بين سبع ثانية وبين مائة ألف مليون سنة . ويقول ان الأرقام لا تقدر أن تحصى المسافة المحصورة بين نقطتين أى أياً كانتا على محيط الفضاء الكروى

(١٣) الشمس أكبر من الأرض سحماً مليون وثلثائة ألف مرة وماهى إلا حبة رمل على شاطئ هذا

الفضاء الكروى وهى فرد من أسرة من أسرار الكائنات وفى الفضاء الكروى المذكور ألف الملايين من تلك الأسر والجماعات . وقد قتر العلامة (سيرز) عددها (ثلاثين ألف مليون مجموعة) وتكون شمسا وتوابها حبة رمل فى مجموعة واحدة من هذه الثلاثين ألف مليون مجموعة

(١٤) هناك سدسم (اوليه) خارج المجرة وهى مجموعة من النجوم تم نشؤها أولاتزال فى دور التكوين وفى بعض تلك السدم من المادّة ما يكفى خلق ألف مليون شمس كشمسنا مع العلم بأن مادّتها فى غاية اللطف حتى ان جزءا من اثني عشر مليون جزء من الرطل يعادل فى حجمه جبل (ماترهورن) الذى هو من أكبر جبال أوروبا فإذا كان السدسم الواحد الذى هذه حال خفته فى حجمه يشتمل على ما يكون ألف مليون شمس فكيف يكون حجمه (وبعبارة أخرى) اذا وضعت ألف مليون شمس فى كفة ميزان (مع العلم بأن الشمس أكبر من مليون شمس حجم الأرض وثلاثة ألف مرة) وفى الكفة الأخرى جزء من مليون جزء من الأوقية كانت النسبة بينهما كنسبة أحد تلك السدم الى جبل (ماترهورن) المشار اليه وذلك كله حجم سدسم واحد فما بالك بمئات الملايين منها وهى ساحة فى الفضاء الكروى

(١٥) يقول (هوبل) المتقدم ذكره ان مرقب (تلسكوب) هونت و يلسون بأمرىكا يريك نحو مليونين من تلك السدم واذا تمكن الانسان من صنع مرقب أكبر فانه يرى بلاشك ملايين كثيرة أخرى منها فى كل منها من المادّة ما يكفى خلق الملايين من الشمس والأجرام الفلكية . ويقول ان العلماء يقولون ان الفضاء الذى تشغله المادّة يجب أن يكون ألف مليون ضعف الفضاء الذى يستطيع أن يرصده (تلسكوب) هونت و يلسون المشار اليه الذى هو أعظم تلسكوب فى العالم كله . ويقول اذا أردت أن تعرف عدد النجوم التى تسبح فى الفضاء تقرىبا فانها عدد (٢) وعلى يمينه (٢٤) صفرا وهو عدد النجوم السابحة فى الفضاء وعددها من الرمل يغطى سطح الجزائر البريطانية الى عمق مئات من الأمطار . ومعلوم أن عالمنا الأرضى ليس لإلحابة من حبات ذلك الرمل

(١٦) أضعف النجوم المعروفة نجمة (وولف) نورها جزء من عشرين من نور الشمس ونور النجم (دورادوس) يوازي ثلاثة ألف ضعف النور المنبثق من الشمس وأصغر النجوم هونجيم (فان مانن) وحجمه كحجم الأرض وأكبر النجوم هى الجوزاء وهى أكبر من الشمس خسا وعشرين مليون مرة ونسبة نورها الى نور الشمس كنسبة نور المساييح الكهر بائية الى نور حشرة الجحاحب

(١٧) ان الشمس تخرج شعاعا يعادل قوة خمسين حصانا من كل بوصة مربعة و بعض النجوم التى هى أعظم من الشمس تشع نورا من البوصة المربعة يعادل قوة ثلاثين ألف حصان اشكال بوصة مربعة

(١٨) الشمس تفقد كل يوم من المادّة بسبب خروج الأشعة منها ٢٥٠ مليون طن فى الدقيقة ففى كل يوم تفقد ٣٦٠ ألف مليون طن

(١٩) ان أعمار الأجرام الفلكية تختلف من خمسة آلاف ألف مليون سنة الى عشرة آلاف ألف مليون سنة

٢٠ يظن أن عمر الشمس الآن عشرة آلاف ألف مليون سنة ويمكن أن تعيش ملايين الملايين من السنين فلا تنطفئ . انتهى

هذه هى الآراء التى يستنتجها العلماء اليوم بحسابهم تارة و بتخيلهم تارة أخرى . ذلك كله يفهمنا قوله تعالى - قل لو كان البحر ممدادا - الخ فهذه هى الكمالات الالهية التى حيرت العقول وشغلت الأفكار وأضاعت الأعمار ولم يصل الناس لأقل جزء من العلم والله يعلم وأنتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتبت هذه

المقالة يوم الجمعة ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨

﴿ جوهره في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم يرسي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - ﴾

اعلم أن هذا الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه بأنه واحد قد أظهره في كتابه المذكورة قبل هذا في قوله - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - فالآية الثانية كالتممة للأولى وإيضاح هذا المقام أن الآية الأولى أفادت كثرة المحاولات ولكن الكثرة كيف تكون عن الوحدة فالمثمرة ظهرت في الأولى والوحدة في الثانية . هناك حارت الأمم قديما وحديثا . رأوا كثرة لانتهاهى وهذه الكثرة العظيمة لا تتم إلا بالوحدة والا فكيف يضبط هذا الكثير . فانظر ماذا حصل . جاء قديما الفلاسفة ونظروا في هذا الوجود فأروه جواهر وأعراضا أى المادّة والصفات القائمة بها فدرسوا أولا العلوم الجزئية من الريا ضيات والطبيعات وبعد ذلك درسوا علما عاما يعلمهم الوحدة فقالوا ان كل موجود يمكن أن يطلق عليه اسم الواحد سواء أكان كثيرا أم قليلا فاننا نقول زيد واحد وعمره واحد والانسان جميعه واحد فالأولان بشخصهما والثالث بنوعه ونقول الانسان والحيوان والنبات والجناد واحد أى من حيث اشتراكهما في الجسمية إذن الكثرة تلازمها الوحدة فليست الوحدة خاصة بالشخص . كلا . بل هذا العالم كله نسمة واحدا . هذا ما كان يقوله القدماء فقرأه في كتاب ﴿ الشفا ﴾ لابن سينا . وتارة يقولون ان الواحد أصل العدد فليس هو بعدد والعدد يشعر بالتعدد والواحد بتكراره مرة فأكثر أحدث الأعداد كلها ألؤفا وألؤف ألؤف والواحد اذا حذف من الوجود لم يكن عدد والعدد اذا ذهب من الوجود لم يذهب الواحد . إذن العالم كله واحد . وهذا كلام عاماء (الارتماطيقي) أى علم خواص الأعداد . فعلماء الفلسفة القدماء يرون نفس العالم واحدا وعلماء الرياضة يوحّدون العدد فانظر الى علماء العصر الحاضر . ماذا فعلوا . نظروا بطريق العلوم الطبيعية فإذا قالوا . قالوا ان العالم كله واحد من حيث ان السكواكب كلها مركبات من عناصر كمناصر الأرض وقد تقدّم شرح هذا في هذا التفسير فلا تفاوت في هذه المادّة . العناصر التي تبلغ نحو ثمانين الآن ركبّت الأرض منها ومن غيرها والنسب مثلها وكذلك سائر السكواكب والذي عرفنا ذلك هو الضوء فباختلاف الخطوط السود المقاطعة للألوان السبعة تختلف العناصر في الجيع وأيضا يقولون كما تقدّم أيضا ان السيارات تدور حول الشمس والعالم كله سيارات تدور حول شمس وهذه المسألة عينها هي الحاصلة في الخبز والشجر والمسر والجبل . فهذه كلها مركبات من عناصر والعناصر من جواهر فردة والجواهر الفردة تحل الى كهارب وتلك الكهارب ماهي إلا نقط ضوئية يدور بعضها على بعض فنقطة من نوع الكهر باء السالبة وأخرى من نوع الموجبة والدوران سريع جدا بحيث يكون ملايين في الثانية الواحدة والمسافات بين الذرات التي يتركب منها الجسم كالمسافات بين الشمس والسيارات وباطن المادّة خلاه يتخلله ذرات كهذا العالم الذي نراه وهذا المقام قد مرّ قريبا في هذا المجلد وفي غيره . ويقولون أيضا ان قطرة الماء تحوى ذرات عددها (٥) يتبعها عشرون صفرا كما نقلناه سابقا عن علماء أميركا في عصرنا وانظر الى عدد نجوم السماء فيما تقدّم آنفا وانها عدد ٢ على عينية ٢٤ صفرا انتهى

﴿ خلاصة ما تقدم ﴾

- (١) وحدة في آراء قدماء الفلاسفة من حيث ان العالم كله نتيجة الوحدة كثيرا أو قليلا كسايلا أو جزئيا
- (٢) وحدة عند علماء خواص الأعداد إذ يقولون ان الأعداد كلها ترجع للواحد بل هي واحد مكرر
- (٣) وحدة عند علماء العصر الحاضر مثل ان النجوم والشموس مركبات من عناصر كما نرى في أرضنا فهنا اتحاد في التركيب وفي العناصر اجالا
- (٤) اتحاد السكواكب المحيطة بنا في الحركات مع الجواهر الفردة . فالسيارات تدور حول الشمس والجواهر

والجواهر الكبرياء تدور بعضها على بعض في الجواهر الفردة والاتحاد هنا في الحركات
 (٥) الكواكب كلها مشرفات وجميع النرات مكثرات من كهرباء أى نقطة ضوئية . إذن العوالم اتحدت
 في الأنوار سواء أكانت مظلمة أم مضيئة أى ان نحو الحديد والنحاس والأشجار عند البحث في ذراتها تجدوها
 مركبات من أنوار لا غير كأنوار الكواكب وهذا تقدم شرحه كثيرا في هذا التفسير
 (٦) الأضواء التي في هذه الجواهر الفردة التي يجري بعضها على بعض يتخللها خطوط سود سواء أكان
 ذلك في أضواء النجوم أو أضواء العناصر الأرضية

(٧) بين كل ذرة وأخرى خلاء في سعته بالنسبة للذرتين كالسبعة بين شمسنا مثلا وأرضنا بالنسبة لجمعهما
 (٨) القدر الصغير من المادة التي أماننا كالقطرة المائية أعداد ذراته تفوق أعداد نجوم السماء بحسب
 ما نظرن في الكشف الحديث . وهناك وحدة لم تذكر هنا وهي

(٩) الوحدة في الأخلاق . ذلك أن هذا العالم كله فيه الحرّ والبرد والموت والحياة والعزّ والنل ونجد
 الشرع السماوي يقول لنا جاهدوا وتقاتلوا وسموا أنفسكم للوثة ولكل ما يعوتكم في الحياة وأنتمراضون
 إذن الشريعة تقول بوحدة الأخلاق مع حوادث هذا العالم فتكون مع هذا الوجود متحدين في أعمالنا
 تقدم أنفسنا للموت في الفضيلة ونرضى بكل حوادثه بل ان ذلك قد جرى عليه الحكماء قبل دين الاسلام فهناك
 دين (أودين) كان في أوروبا قديما جدا وهذا الدين يأمر أتباعه بأن لا يموتوا إلا مقتولين ويحرم على المرء
 أن يموت على فراشه . وقد ذكر هذا الدين (كارليل) الانجليزى في كتابه «البطولة والابطال» وأيضا
 نذكر ما ذكره آتفا مذهب الفيلسوف (ليكورغس) في نحو القرن الثامن قبل الميلاد فانه علم اليونان بأسبرطه
 وغيرها أن رقى الناس لا يتم إلا بأن يعتادوا حرارة العالم ويدوقوا كل ألم من حرّ وبرد وضرب موجع ولا
 يتذمروا من ذلك كله ولا يتم رقيهم إلا بذلك ودرجوا على هذا النظام حينما من الدهر وهذا عجب أن تكون
 الوحدة سارية في العالم وفي أفعال الناس

(١٠) ووحدة في العدل فأنظرها في سورة النحل عند قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والاحسان -
 فهناك تجد نظام الجسم الانساني ونظام أخلاق الانسان ونظام الأمة كلها جاريات على قانون واحد يشمل العالم
 كله . اللهم انا نحمدك أن علمتنا أن قولك لبينا ﷺ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى - أمّا إلهكم إله
 واحد - الخ هو القانون المتفق عليه في طبقة هذا الوجود . اللهم إنك أنت الذى علمتنا ما نعلم ونشكرك
 على الحكمة ونسألك المزيد وأن ترفع هذه الأمم الاسلامية الى مقام الحكمة والعلم إنك على ما تشاء قدير
 أنا لست أقول لك ان ذرات قطرة الماء ونجوم السماء هذا المذكور هو عددها وإنما أقول لك هذا هو
 اتجاه عقول هذا النوع الانساني في الزمان الأول جعوا هذا العالم واحدا من حيث أن كل موجود يطلق عليه
 اسم الواحد كثيرا كان أو قليلا حتى ان المقولات العشر التي ترجع الى الجواهر والمرض قد شملت أقسام الوجود
 الحادث كله في كتابي «الفلسفة العربية» فهى هناك واضحة كل الوضوح

وفي هذا الزمان وجدوا أن عدد ذرات قطرة الماء أشبه بعدد نجوم السماء من حيث الكثرة وأن العوالم
 ترجع الى كهرباء واحدة هي التي خطرت بعقول الفلاسفة قديما وحديثا فهذا العالم يدل على وحدة الصانع
 التي أنزلها الله في القرآن وأوحى بها الى نبينا محمد ﷺ فقال - قل إنما أنا بشر مثلكم - ولست أدعوكم
 الى الفلسفة القديمة ولا الحديثة الداليتين على وحدة هذا الوجود على حسب عقولكم الدالة على وحدة صانعه
 بل أنا يوحى الى بوحدة الخالق التي بها كانت وحدة العالم وأنتم ابحثوا عنها بعقولكم بالطرق التي توافق
 عقولكم فان الوحدة محبوبه في هذا العالم ومحبوه في عقولكم - فأسألو أهل الذكر إن كنتم لانتعابون -
 وأهل الذكر في هذا المقام هم الفلاسفة والحكماء في العالم قديما وحديثا . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿الوحدة في نظام الأمم﴾

وبينه أن الوحدة كلما كانت أعظم وأتم كان المتحدون بها أقوى وأكمل وهكذا . والدليل على ذلك أن الجبال تقوى على احتمال مالاتقوى عليه البلاد من حوادث الجوّ والرياح والصواعق والزلازل . وهكذا نرى الفيلة والآساد والانسان لقوة تركيبها واندماج عناصر كثيرة في أجسامها تقوى على مالاتقوى عليه الجراد وأنواع الحشرات . فهكذا الأمم فإننا نجدها كلما كانت أشد ارتباطا وأكثر عددا كانت أقوى من غيرها . ألا ترى أن الأمم الكبيرة القوية المتعانة اليوم تهجم على الجاهلة . أتدري لماذا ذلك . لأن الأمم العظيمة قد سرت فيها أسرار الوحدة والوحدة سر الوجود . فالأمم التي غلبت غيرها سر الوحدة فيها أتم إما لارتقاء صفاتها وإما لكثرة عددها وإما لها معا . أما الأمم التي تمزقت وحدتها لجهلها وقلة المفكرين فيها فإن الله يعاقبها على ذلك الجهل بأن يسلط عليها الأمم التي سرت فيها الوحدة لينلّوهم . لماذا هذا . لأنهم نسوا الله فنسبهم ومن صفات الله الوحدة وهؤلاء جهالوها عملا فذلوا لمن اتصفوا بها . واعلم أن الأمم الإسلامية بعد القرون الأولى كانت كل هم رؤسائهم منصرفة إلى أن يتولوا أحكام المسلمين ففترقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وتركوا أكثر الشورى والشورى في الأمم هي سر الوحدة ومتى انتخب الناس رؤساء منهم وهؤلاء تشاوروا في أمورهم كانت هناك الوحدة التي ظهرت آثارها في العالم الانساني في أمريكا واليابان وأوروبا تلك الشورى التي أمر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حضرته الوفاة فبالشورى تكون الوحدة وبالغلبة يكون التفريق . فالحكم يكون لأهل الحل والعقد ويكون للملك أو رئيس الجمهور عليه التنفيذ ولا يتولى هو الإمشورتهم ويقيد الملوك وميراث العرش بأمر ذلك المجلس . هذا هو الذى جهله المتأخرون في الاسلام فأضاع مجدهم . ألا فليغير هذا النظام الآن . ومن عجي أن يكون اليابان والاطليان والألمان والفرنسيون وهكذا أمم أخرى جميع هؤلاء اتحدت طوائفهم التي هي من جنس واحد . أما أبناء العرب الذين هم اخواننا في النسب فقد فترقوا قديما وحديثا وميلهم للعمل غالبا منصب على الشعر والأدب . فهل يكون اتحادهم بعد نشر أمثال هذا التفسير . وهل يعرف أبناء مصر وشمال أفريقيا وأهل الشام والعراق والحجاز ونجد واليمن منهم من حيث التجانس لافرق بين تجانسهم وتجانس الألمان والاطليان الخ وأن دينهم واحد ثم هم متجاورون في البلاد متحدون في اللغة . أفليس من الخزي الحزن انهم يتفرقون وحدهم دون سائر الأمم . يظهر لى أن هذا التفريق للجهل المطبق . تعلمت تلك الأمم فاتحدت . وجهل أبناء العرب ففترقوا . نعم نشروا الدين وانتشروا في الأرض وليس بجمعهم بعد هذا التشتت إلا دراسة جميع العلوم ﴿وبعبارة أخرى﴾ السيرة على ناموس هذا التفسير والعمل بما فيه فذلك يظهر فهم النابغون وينشر التاريخ ملخصا والوقائع والأحوال الماضية فتزول الجهالة وينشر النور ويعم . ومن الوحدة في نظام الأمة استخراج ماكن في الأفراد من القوى والممكات ومافى الأرض من الخيرات ومعادن وزراعة وغيرها . ومن ذلك حفظ أرباب الصناعات في البلاد بالمحافظة على ما يصنعون بحيث يروج في بلادهم . وهذه قاعدة مطردة في الأمم جميعها ولكن البلاد لم تستقل استقلالاً تاماً تكسر وشمال أفريقيا وأمناها . فكل هذه أبوابها مفتحات بلا حجاب فبضاعة الأجانب هي التي تروج عندهم فيضعف صناعاتهم وتجارهم فيقلل الوحدة يضعف الشعب وتذهب ريحهم . ولقد أخذ قواد الشعوب المهضومة يدعون الى ذلك كما تقدم في آخر (آل عمران) من النداء الذى نشره (غاندى) بالهند لقومه فلبوه وقللوا من شراء بضاعة الاجانب . كل ذلك تسهيل للوحدة ومن هذا القبيل ما كتبه في هذه الايام في مجلة ﴿ النهضة النسائية ﴾ بمصر وذاك لتقوية الوحدة في الأمة وهذا نصه في عدد مايو سنة ١٩٢٨

(خطاب مقتوح)

(الى جماعة نهضة السيدات)

أيها السيدات الفضليات . اطلعت اليوم على المجلة التي تصدر باسمكن بصر رمديرتها فأعجبت بهوايم الله أيتها المحب رواقى أسلوها وأدهشنى المصطفيات من حكمها وغواى دررها وجواهرها فى حلالها وحلالها ونجبت كل العجب من رقى علمى ومبحث فى ومطلب جدى وحكمة بالغة وآية ساهرة ففركت تلك المناظر ما مكن فى النفس من حب الأوطان وما خاسرها من غرام بريقها وغرام ثابت فى الوجدان

وجزك وجدى بعد ما كان نائما * برأى الضحى مشفوفة بالترنم

فلو قبل مبكها بكيت صبا به * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبل فهيج لى البكا * بكها فقلت الفضل للتعلم

أيها السيدات الفضليات . إن الله خلق الانسان (صنفين) ذكر وأُنثى وليس يقوم شأن أحدهما إلا بمساعدة الآخر كما وضع أن الله خلق للانسان يدين تساعد احدهما الأخرى وهكذا العيان والأذنان هكذا أبرز هذين الصنفين فى نوع الانسان ليشتركا فى نظام الأسرار وحفظ الأبناء والبنات فلم لا يشتركان فى رقى البلاد وانهاضها

أيها السيدات الفضليات . لقد علمت نبا الحوادث العراية فانهضة المصطفوية الوطنية فالسعدية الوفدية فما بالككن لم تقاسمن الرجال فى حفظ البلاد . نحن لانطلب منككن واحدة تمثل (جان دارك) فى فرنسا فتتقدم صفوف الرجال للقتال وجهاد الأعداء فنحن لسنا فى حرب الميدان ولا نطلب منككن أن تفعلن ما فعلته السيدات الهنديات اللاتي قفون أثر الزعيم الهندي الكبير الاستاذ (غاندى) من مقاطعة المنسوجات الأجنبية إذ قال كما جاء فى مجلة (الجامعة الهندية) ما يأتى

﴿إن مقاطعة المنسوجات الأجنبية من الانتقام ولكنه لافتر منه لأنه لازم للوطنية لزوم النفس للحياة إذ بدونه لا يكون استقلال وإن جاء لا يؤمن عليه . إن أنواع المنسوجات الأجنبية بحلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا وهو العار على كثير من الأسرات ولاشئ يستطيع صد الوطنى عن القيام بوظيفته ولو كان قوة الحكومة﴾

هذا بعض كلامه الذى اتبعه الرجال والنساء فى الهند . وإنما لم أطلب ذلك منككن لأن مصر فيها حالات كثيرة لم تن بها صلاة حسنة بخلاف الهند ففيها واحدة . إنما أطلب منككن ما فعله فضليات النساء فى تركيا فقد جاء فى الاهرام بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٨ م مانعه

الاستانة فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ ﴿ تألفت جمعية من السيدات المسلمات من الأسر الوجيئة المقاومة للتبرج (التوايلات) بين النساء المسلمات لأن ذلك لا مبرر له وهو من بواعث الفقر فى الأمة ﴾

هذه هي الجمعية التى ألقت من الأسر الوجيئة . أيها السيدات المصريات أنن أحق بذلك من السيدات التركيات . إن تركيا مستقلة استقلال تاما ولكن الرجال هناك لما علموا أن انكباب النساء على المنسوجات الأجنبية يورث الفقر والفقر يتبعه ضياع البلاد . استعانوا بالنساء لحفظ المال والأخلاق وخص النساء بالبطقة الراقية لأن غيرهن يسخر الشعب منهق اذا وعظن بالاقصاد وعدم الاسراف فيسب ذلك لفقرهن وقلة ذات يدهن . فها كن الله أيها السيدات الفضليات المصريات . فاذا كانت تركيا التام استقلالها قد أعوزها مساعدة السيدات فها بالمكن بمصر الأسيفة الباكية التى لانصيرها ولا معين . فليات شرى من من عريقات الحمد ونيالات الشرف منككن تلجى هذا النداء . أقسم الجوهري قسما حقا لاحاتنا فيه ولا أنما أنى التقدّم

سيدات مصر في هذا لا يرازيها كثير من الرجال ولا يكون اشراق شمسها ومجد عملها وحسن صديها قاصرا على مصر بل يتعداها الى كثير من بلدان الشرق ويقترن اسمها بأعظم الأسماء بعد الأنبياء وينالها من الثواب في الآخرة ما جاء في حديث رسول الله ﷺ « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة »

نأخذ تكتل الله أيها السيدات إلا ما سركتن وجدان النفوس وأثرين نائرة الشعور وقصدين سيدة ترفع رأس المصريين فالإلام أيها السيدات النكوص وحتام الجلوس . أفترضين أن تكون مصر معطلة أحد الشقين أو فاقدة إحدى العينين فيقل العدد وتضع البلد ويذهب المال والولد . فيألت شعري من هذه السيدة التي ستطلع بدرا في سماء مصر فتحفظ أموالنا وتصون أعراضنا وتحمل مشاكل الزواج عندنا ويكثر باتباعنا نسلنا ويكون اسمها عطر المجالس وهي قدوة الأوانس ومن أشياعها تصطفى العرائس ومن خالفها منهن حقرها الأهل والجيران ونبذها الشبان وأصبحت في خبر كان . إن هذه السيدة عين الله ترعاها وهي شمس مصر والبلاد ضحاها . وقل أعمالوا فسيروا الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - انتهى

هذا ما كتبت ونشر في التاريخ المذكور . وما هذا وأسأله إلا للسعي في وحدة الأمة ونشرها في هذا التفسير أتم ليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن وحدة الشعب في تجارته وجميع أعماله مما يرقيه ويجهله أهلا للاستقلال والا فلماذا يقول الله عز وجل في آية أخرى - وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكروا الألأب - نحن كلنا نعلم أن الله إله واحد . إذن ماهو التذكر الذي يتذكره أولو الألأب . ومعلوم أن أولى الألأب هم أرباب العقول الصافية الراقية لأنهم أشبه بالآب وغيرهم كالقشر . فها هي الذكري . الذكري أشبه بما قلناه هنا . إن أبناء العرب نشروا الاسلام ولكن هم الآن لم يتذكروا به علم الوحدة في النظام الذي ذكرهم الله به وذلك لقلة المفكرين في أبناء العرب وقلة المفكرين لعدم انتشار التعليم . ومتى انتشر التعليم أدركوا أن كل أمة من الأمم كاصين واليابان والفرنسيين قد اتخذوا لهم وحدة جمعهم . أما أمة العرب وأمة الترك فلم يجتمعوا اجتماعا تاما . فالترك في الأناضول لم يتحدوا مع الترك في الصين ولا مع الترك في روسيا فهذا معنى قوله - وليذكروا أولو الألأب - المذكورة في سورة إبراهيم فانه قال تعالى - ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكروا أولو الألأب - فهذا من ذكرى أولى الألأب . ألا فليذكر المسلمون ولينشروا التعليم في الرجال والنساء والحد لله رب العالمين . انتهى

﴿ تذكرة ﴾

إن الانسان ينفس في اليوم واليلة أنفاسا لا تقل عن ٣٤ ألف نفس وأن الله مع كل نفس من أنفاس العبد شأن فيه ومن أهم الشؤون الالهية في العبد الخواطر الواردة عليه . ولقد كنت ألفت هذا التفسير في مدة لا تزيد على سنتين وبعد ذلك كانت ترد على قلبي خواطر في بعض الآيات كآية الاسراء وكآية - تسبح له السموات السبع والأرض - الخ وهذه الخواطر كنت أكتبها بهيئة مقالات وألحقها بتفسير الآية وربما كان بين المقالة والأخرى سنتان فلما أردت طبع الكتاب وجدت المقالات المختلفة في الموضوع الواحد تتفق في بعض المعنى وتختلف في البعض الآخر فلم أقدر أن أستغني عن واحدة منها لفوائدها وعسى أن أوفق لحذف المعاني المكررة في الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى

﴿ تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء التاسع من كتاب (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

وبليه الجزء العاشر وأوله تفسير سورة مريم ﴾

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية • وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صفحة	سطر	صواب	خطأ	صفحة	سطر
البهائم	البهائم	١٣	٦٦	الثانية	الثالثة	٥	٦
الصوفية حق	الصوفية	٥	٦٨	وهي أعماله	٣٣	٧	٧
فانهم	فان	٣٥	٦٩	وعالوما	وعالوم	٣٥	١٥
من أن يتحكم	من أن	٥	٨٠	فتبلغ	فتبلغ	٨	١٦
لو	إذا	٧	٨١	فالأول وللأول	فالأول وللأول	٣١	١٩
وأدرتموها	وأدرستموها	١٠	٨١	والآخر	الآخر	٣١	٢٠
كرر	وكرر	٣٢	٨٢	تحسس	لم تحس	١٠	٢٣
كواكب	كوكب	١٩	٨٦	وافشاء	وانشاء	٨	٢٦
الحيز	لخيز	٢	٨٧	نواتها	جوستان	١١	٢٦
الجوامد	الجومد	١٠	٨٧	جوستاف	أما كون التفاوت	٢٤	٣٢
وضعها	وحفظها	٢٨	٨٨	أما كون التفاوت	التباطية	٢٣	٣٦
للشاعر	الشاعر	١٦	١٠٣	التبئية	متى	٢٤	٣٦
جزرة	جزرة	١٣	١١٣	نراها	درجات ثلاث	٢٢	٣٨
جعلوا	فعلوا	١٨	١١٤	ثلاث درجات	والثناء	٣٣	٣٨
قطرة	قطعة	٢٢	١١٦	والثناء	والشخص	١٢	٥٠
معاشهم	احضارها	٣٣	١١٦	واشخص	ان الأمة	١٧	٥١
المخبرين	لا المخبرين	٢	١١٧	ان الأمة الضالة	ربهم	٣٢	٥٣
العاصي	العاصي	٦	١١٧	ربهم • انتهى من	وإنما عتة	١٢	٥٥
الوزير	والوزير	١٥	١١٧	رحلة الأندلس	والنسيح	٢٦	٥٥
وثناهم	وثناؤهم	٣٢	١١٧	وانحاط عتة	عرقنا	٩	٥٦
تأليخا	شمليخا	٣٠	١٢٣	والشبح	عن ما	١٩	٥٦
فسأله	فسألاه	١٤	١٢٤	عرقنا به	كالشعيق	٢٠	٥٩
معاداة	مفارقة	٣٥	١٢٤	عما	والتسميح والتحميد	٢٣	٥٩
صهره	جهره	٢٩	١٣٤	كالشعيق	المشمعين عليهما	١٧	٦٢
مليون مليون	مليون مليون	٣٢	١٤٣	والتسميح والتحميد	مغروسين	٣١	٦٤
مليون مليون	مليون مليون	٤	١٤٤	المشمعين عليهما	لنشر	٢٢	٦٥
هناك	هنا	٤	١٤٤	أولا	مغروسات	٣١	٦٤
هم	وهم	٣١	١٥٠	نشر	لنشر	٢٢	٦٥

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
غيرها	صغارها	٢	١٨٦	تهادى	تهادى	١٨	١٥٤
نمرفهم	تعرفهم	٢٨	١٨٦	هو	هو	٢٠	١٦٤
أحدا	به أحدا	٢	١٩٤	والملاسة	والملاسة	٣٥	١٦٥
	لا	١٤	١٩٤	لاحق	لاحق	١٠	١٦٦
	الجبرى	٤	١٩٥	فذاك الماس	هو الماس	١٥	١٦٦
	وكقصة ذى	١٧	١٩٥	واننى عشر حرفا	واننا عشر حرفا	٢٢	١٧٨
	للقرنين			الأولى واننى عشر	فى الأولى واننا عشر		
حوالى سنة ١٨٩٩	سنة ١٨٩٨	١٢	١٩٨	قال أبو الفتح محمد	قال أبو محمد الى	٢	١٧٩
السبت	السبت	٧	١٩٩	ابن عبد الكريم	قوله أبى عامر		
فى	تسكن	٦	٢٠٢	الشهر ستانى			
راجعاً	راجع	٢٩	٢٠٤				

﴿ تم ﴾

فهرست الجزء التاسع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

٢ تقسم سورة بني اسرائيل الى قسمين * القسم الأول * فيه الاسراء وتاريخ بني اسرائيل ارتقاء وانحطاطا وحكم تتبع ذلك الخ * والقسم الثاني * من قوله - قل كونوا حجارة أو وحيدا - الى آخر السورة ذكر آيات القرآن في القسم الأول مشكلة الى قوله - خلقا جديدا -

٤ التفسير اللفظي لهذا القسم

٦ ذكر مافي هذا القسم من العلم وهو ستة أنواع ومن العمل وهو ٢٥ و بيان فصول القسم العلمي الستة

٨ كشف حضارة غابرة في أمريكا مناسبة قوله تعالى - وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح - الخ

٩ الكلام على القسم العلمي وتفصيل الحسة والعشرين نوعا منه

١٢ ذكر اثنتي عشرة لطيفة اجمالا . ثم بعد ذلك تفصيل هذه اللطائف * اللطيفة الأولى * في قوله تعالى - سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا -

١٣ حديث الاسراء وعروجه ﷺ الى السماء ومقابلة الأنبياء في السموات المختلفة وياضاح هذا المقام

١٤ وصف سدرة المنتهى وامتحن أهل مكة له ﷺ في نعت المسجد الأقصى ووصفه لهم كأنه حاضر أمامه

ووصفه غيرهم الخ وهل الاسراء في المنام أم في اليقظة . ايضاح هذا المقام و بيان أن للإنسان جسما أثيرا وسطا بين الروح والجسم حتى ان الميت يظن انه حي لأن جسمه كأجسام الأحياء وبهذا يجمع بين من قال الاسراء بالروح ومن قال بالجسم

١٥ ما القصد من ذكر الاسراء لنا وانها ذكرت لتجدد في التصفية لفرق . و بيان ما اطلع عليه ﷺ من رجل تلغ رأسه فيهورى ورجل يشرشر شذقه الى قفاه وقوم عراة في تنور ورجل ساج في بحر أحر كاللحم يلحم بحمرا وهكذا وأن هذه الصور البرزخية للعصاة لم يقدر على الاتيان بمثلها الفيلسوف (قابس اليوناني) مع سعة علمه فهذا الحديث من دلائل النبوة

١٧ اللطيفة الثانية * في قوله تعالى - وآتينا موسى الكتاب - الخ وفيه بيان أن الاسراء يشير الى الارتقاء

في عالم الانسانية والى أن الامة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم في علومها وانها تؤمها كلها بعد أن تستوعب فضائلها . واذا كان النبي ﷺ إماما للأنبياء فعنه أن من بعدنا سيكونون - خیرأمة أخرجت للناس -

التي مرت على الأنبياء في السماء نبيا بعد نبي . ومعنى هذا اننا نحن نستحوذ على علوم الأمم أى من بعدنا لأننا نحن من نفعل شيئا من ذلك . فاذا مرت على عيسى وموسى وادريس الخ فعنى هذا أن ندرس نحن

علوم النصارى واليهود وقديما المصريين . بهجة الاسراء في حديث فرض الله على أمتى خمسين صلاة الخ لم فرضت ٥٠ صلاة . ثم لماذا جعلت خمسا . وبيان أن مدة اليقظة نحو ١٧ ساعة و ٥٠ صلاة تستغرقها

وأجر الحسن لا يستغرق الحسن إلا اذا كان المصلى عاملا بصلاته الخ . ملخص الصلاة راجع (لأمرين) * عظمة الله والالتجاء اليه . فالأول كأول الفاتحة والتكبير والثاني كطلب الهداية والسلام على النبي ﷺ الخ

والتكبير يشرحه قول المصلى - وجهت وجهي - الخ وهذا التوجه كتوجه الخليل . ومعنى هذا العلم بالعوالم حولنا وبهذا تكون الصلوات الحسن كالحسين . فقول المصلى - وجهت وجهي - الخ معناه

معرفة العوالم وبهذا يكون دائما على صلاته فتوجه المسلم بعلم مافي السموات والأرض . إذن التكبير والتسليم يشملان علوم أهل الأرض حولنا وهي العلوم الرياضية والطبيعية والالهية والسياسية بأقسامها فهل

يعلم المسلمون ذلك الآن . وهل يعلمون ان أول الفاتحة علوم عامية كالتكبير وآخرها علوم عليية كالتسليم

- والسلام على النبي ﷺ والصالحين الخ . إذن الصلاة رمز لتعميم التعليم ولتعميم السلام في الأرض .
- إذن الاسلام الى الآن لم يأخذ حظه في الأرض
- ٢٠ المعراج والعلوم . غسل صدره ﷺ بماء زمزم فلنعالج نحن قلوبنا بالعمل لنظهرها . وليقرأ المسلمون علوم قسما المصريين وبقية الأمم وإيضاح ماتقدم . الاسراء والمعراج والحسن والجمال في الخلق وهو إيضاح لما قبله وتأكيده لمعناه بعبارة أوضح
- ٢٢ ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام القرطبة منقولاً عن كتابين منها . هل يعلم المسلمون أن الصلاة لم تفرض إلا عند ظهور منتهى الجبال في السماء . إذن الصلاة لتوجيه النفوس لتلك الجبال الاسراء والمعراج والسياحات والقوى العاقلة
- ٢٤ اذا كان نبينا ﷺ أم الأنبياء فعناه أن أم أولئك الأنبياء يحترهم الاسلام من الأوهام وهذا قد حصل فعلاً في الأرض . السياحات على قسمين) جسمية وعقلية فسياحته ﷺ في الأرض والسماء الجسمية معها سياحة عقلية كما في حديث الاسراء . هكذا فلتكن سياحاتنا وحياتنا في هذه الأرض . المعراج بعد الصلاة بيت المقدس كابتداء سورة النجم بعد آخر الطور . وبيان أن أكثر الأمم الاسلامية لم تفقه . لم ذكر الاسراء لنا فغفلوا عن عجائب الأرض والسماء وفهم دروسهما مع ان الاسراء والمعراج يقصد منهما أن ندرس هذا العالم كله
- ٢٦ كيف يسرى المؤمنون ويعرجون ليصالوا الى اليقين ورأى (جوستاف لوبون) من أن العوالم الصلبة كالسحارة أسرع حركة من العوالم السائلة مثلاً . وبيان الخطوط السوداء في طيف الشمس وغيرها وأن ذلك عرفنا أن تركيب الكواكب وتركيب العوالم الأرضية وأن الثورات في جريها حول بعضها كالسيارات في جريها حول شمسها . ذلك نوع عروجنا نحن بعد اسرائنا
- ٢٧ الطليقة الثالثة) - وقضينا الى بني اسرائيل - وذكر أن بني اسرائيل بعد موسى استمروا ٤٠٠ سنة في حكم شيوخهم . ثم كان ملك داود وسليمان وما بعدهما ٦٠٠ سنة . ثم نقلهم بختنصر الى أصفهان ثم ردهم ملوك الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة ثم تغلب اليونان على الفرس واليهود
- ٢٨ الطليقة الرابعة) - إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - وذكر أن اليهود استمرت مذمتهم الى زمن عيسى ١٤٠٠ سنة وموازنتهم بالمسلمين عزاً وذللاً وممته وانهم أسسوا دولة الباشيعة بفلسفتهم في زماننا وقد مضى لديهم نحو ٣٤٠٠ سنة من أيام موسى فهل يقوم من أمة الاسلام علماء يبعثون الناس في أمان وسعادة . اليهود ذلوا بعد ١٤٠٠ سنة من نزول دينهم والمسلمون كذلك ولكن للمسلمين دول كثيرة بعد ذلك بخلاف اليهود . كل ذلك يفهم من قصة الاسراء
- ٢٩ الطليقة الخامسة) - ويدع الانسان بالشرّ دعاءه بالخير - الخ هو يتأدى في الشهوات على زعم انها خيرات والتي يهذبها هي العلوم والقرآن يهدي للتي هي أقوم وذلك بقراءة كتاب السموات والأرض وهو الكتاب المفتوح وذلك علوم الطبيعة كلها والفلك كله
- ٣٠ الطليقة السادسة) - وجعلنا الليل والنهار آيتين - الى قوله - وكل شيء فصلناه تفصيلاً - أدوار السنين القمرية وحسابها اجيالاً ونظام جسم الانسان مجللاً
- ٣١ الطليقة السابعة) - وكل انسان أزمانه طائره في عتقه - وبيان أن ذكر علم النفس بعد العوالم العالوية لأن في كل منهما نظاماً يشبه نظام الآخر كسألة خطوط الابهام في الحسومات الأرضية الآن . فالأعضاء مفصلة تفصيلاً تفصيل حساب السنين والشهور

- ٣٢ ذكر أن الانسان يحسّ بألم على الجهل . جوهره في قوله تعالى - إقرأ كتابك - الخ وبيان اختلاف الحركات بطوارس سرعة من السلفحة الى الرياح الى البرق والنور . وهكذا بيان الكثافة واللطف فالهواء أظف من الهواء خمس مرات والبخار أظف من الماء ١٧٢٨ وذكر ما جاء في كلام اللورد (أوليفرلوج) في كتاب الاثير والحقيقة من أن النور لابد من حامله وهو يوافق (اخوان الصفاء) وبينهما ١١٠ سنة وهكذا موافقته لابن سينا في ذلك . وبيان ما ذكره ابن سينا وأنه يقول بارتقاء العوالم من الكثيف الى اللطيف وأن صور العالم في العقول أديم من صور الكتابة في الأحجار وعقولنا إنما هي أثر من آثار العقل الفعال . ففعلنا بالنسبة له كالعين بالنسبة لضوء الشمس كلاهما لا يدرك إلا بأمداد ماهومن جنسه له ٣٥ الزرجدة الثانية في ذكر ما قاله الصلابة (أوليفرلوج) الموافق لأراء ابن سينا يقول هكذا (١) مادة (٢) حى (٣) عاقل (٤) أثير (٥) العلاقة بين الأثير وغيره (٦) تأثير العقل في المادة وبيان السبب في اختلاف طريق التفكير للقدماء والمحدثين باختلاف النظرسير العلوم مع اتحاد الغاية ٣٦ تأثير الملائكة من العقل والحياة فمنازه من المادة . الأثير يحمل أخبارنا بالبرق وجسمنا الأثيرى الباقي بعد الموت يحمل علونا وجميع أخلاقنا ٣٧ الزرجدة الثالثة في مساق هذه الآية ومناسبتها للعلم الحديث وأن هذه من عجائب القرآن . ذكر النور في أسر الشمس وهو توج في الأثير وأنبه بما هو أظف وهو كتاب أعما لنا الذى هو أقرب الى عالم الأثير فى اللطاف . تلخيص آراء ابن سينا المتقدمة وآراء (أوليفرلوج) ليفهمها العموم بسهولة تامة والموازنة بين الروح والأثير وأن للروح رحمة وحسدا وعقلا وجارا بغضا وللاثير حرارة ومغناطيسا وكهرباء ونورا ولكل آثار ٣٨ ذكر أن علماء الاسلام لما رأوا المسلمين كرهوا الفلسفة أدخلوها باسم التصوف مثل ابن عربى والغزالى اللذين نقلتا عبارة ابن سينا في أمر أن عذاب النفوس فى الآخرة أشبه بالأمراض فى الدنيا . وبيان أن الأدلة التى كتبتهنا اقناعية لا يقينية كما صرح به سقراط فى مثل هذا المقام . بيان براهين سقراط على بقاء النفس . وكيف كان مبدء تفكير المؤلف وكيف استدل ابن مسكويه عليها وهيئة المفكرين فى هذا العصر ٤٠ الضد يتولد من الضد فالحياة بعد الموت والموت بعد الحياة وهكذا وأيضا العلم يذكر ما نبهنا . إذن حياتنا هذه مسبوقة بحياة عند سقراط لانبرى ماهى . النفس غير مركبة ولا يتحقق بالعلم الأعلى عند (سقراط) إلا من ترك الدنيا وهو على غاية التقاوة والصفاء ٤١ كيف كان مبدء تفكير المؤلف فى أمر الروح . كنت واقفا فى الحقل فاعتراى دوار لضعف بصحتى فلما أفقت قلت اذا كان الدوار أزال إدراكى فكيف بالموت . إذن لاحياة بعدالموت وكيف أراى فى المنام انسان هيئة الروح فى الجوّ وكيف اتى فى يوم تلك الليلة عثرت على براهين ابن مسكويه ولم أكن أعلم شيئا قبل ذلك فى مثل هذا . مشاهدات لعلماء الأرواح مثل (عممانوئيل) وقوله ان الحواس بعدالموت أقوى من حواسنا الآن بما لا حد له وأنه رأى أرواما أنسكت الرشوة فى القضاء فأحضرت من نفس ذاكرتهم لاغير فهمى كتاب حسابهم كالأية تماما وهكذا التمام والنهى حرم آثاره من الارث . وكيف حضرت الكتب والأوراق وكل شئ فصل تفصيلا وهذا مجزئة للقرآن فى زماننا فهو عين قوله - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فالقرآن الآن صار كاللشاهد ٤٤ بيان تسلط الشيطان على القلب بالسواس ومعنى الوسوسة من كلام الغزالى . وأثر وسوسة الشيطان

المذكورة في الاحياء هي التي جاءت بعينها في علم الأرواح في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ وهذا من أعجب معجزات القرآن . موازنة بين كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ وآراء الشيخ الدياغ في أن كلا منهما يقول إن أهل جهنم يندفعون الى العذاب اندفاعا مثل اندفاعهم للشهوات في الدنيا . إذن أهل النار يعيشون كما يعيش الناس على القاذورات وإن أهل النار في كهوف ومغارات الخ . فهذان الرأيان اتفاقا في أمر العذاب وأمر الكهوف والمغارات وأحدهما لا يعرف الآخر وكلاهما يقول إنه شاهد ذلك وهذا مسيحي وهذا مسلم ويظهر من هذا أن الناس في البرزخ بعد الموت في طبقات في الجوار الذي بين الشمس والأرض والسيارات الآن فأما القيامة ففي عوالم أخرى . وبيان أن المادة لا تشغل من الفراغ إلا جزأ ضئيلا جدا وعالمنا كله أشبه بالخلاء

٤٧ ذكر مجاه في مخاطبة الأرواح للأحياء في أمريكا وأن الروح تقول نحن في عمل دائما وهناك قليل من الموسيقى وتنكر الروح غفران المسيحيين وأن الانسان هو هو الذي يلزم بأن يطهر نفسه لا المسيح . وبيان أن هذا هو نفس التعذيب وأن الكسالى من المسلمين سيكونون كذلك

٤٨ وصف الروح لله . تأكيد روح (خريستي) للحاضرين أن تعليم المسيحيين بالغفران بسبب الإيمان أكذوبة . اتفق عثمانوئل في مشاهدته لعالم الأرواح والشيخ الدياغ في مشاهداته أيضا أن علوم أهل النار هي علوم السحر . وبيان أن الخواصم محمولة لسائر الناس فلا يفترون أحد بعمل (أودين) فأننا لاندرى ماذا يكون لنا عند الموت . وذكروا موازن ما تقدم من كلام علماء الاسلام

٥٠ ﴿ اللطيفة الثامنة ﴾ - ولا تزر وزرة أخرى - الى قوله - بصيرا - وبيان أن الذنوب خاصة وعامة فالخاصة أشارها بقوله - ولا تزر وزرة - الخ والعامة هي التي تنتقل بالعدوى فذلك الأم كما حصل في دول الاسلام بالأندلس وبالشرق فقد استعان العباسيون بالفرس والأمويون في الأندلس استعانوا بمالكيين من الصقلية فزال النخوة منهم فذلوا لهم

٥٢ حجارة ملاوك الطوائف بالأندلس بعضهم بعضا . دفعهم الجزية الى (الاذيفونش) . استغاث ابن عباد يوسف بن تاشفين بحرب (الاذيفونش) في واقعة الزلاقة . رجوع ابن تاشفين للأندلس لتأديب الأمراء على ظلمهم للرعايا . استغاث الأمراء بالافرنج من أن ابن تاشفين حبسهم وأسرهم

٥٣ تخاذل أمراء الأندلس واستغاثوا بكل واحد منهم بملوك الأسبان ثم ذهب دولهم سنة ١٤٩٢ من بلاد الأندلس . كل ذلك سرّ قوله تعالى - وإذا أردنا أن نهلك قرية - الخ الكلام على قوله تعالى - من كان يريد العاجلة - الخ

٥٤ ﴿ اللطيفة العاشرة ﴾ - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - وأحاديث في الحفص على برّ الوالدين ﴿ اللطيفة الثانية عشرة ﴾ - وإن من شئ إلا يسبح بحمده -

كتاب ﴿ الاسفار ﴾ للشيرازي أبان أن العالم كله حي

٥٥ كيف يتجلى لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهن . ذلك أن تخالو وتظفر لئلا وتجيب من هذا الوجود جوهره لتذكره - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيته - وبيان أن ألوان الحيوان المتقدمة في سورة هود ناطقات معنويا بالتسبيح فهي تسبيح وتحميد فدفعت الضرر للأول والمنفعة للثاني . موازنة بين تسبيح اللسان وحده وبين تسبيح الخلق

٥٦ معنى قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - . تسبيح المسلف في الصلاة وغيرها وحده وشرح ذلك

٥٨ التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأولين في الكتب السماوية أشبه بأشجار ثمارها الحكمة

الجسم الانساني يحتاج اطعام وشرب ونفس داخل وخارج لاصلاح الدم وله وظيفة أخرى هي الكلام وكلام الناس معبر عن صور الوجود التي في الذهن فصور الوجود المصورة في العقول لاتتكد تحصر عددا تبع المتصورين المتكلمين وكل ذلك تعبير عن صورة واحدة وهي هذا الوجود

٥٩ للتسبيح آثار في النفوس تحصل بسبب الصوت الذي يصحب التنفس . إن الشهيق الجلب النافع والزفير لاجراخ الضار والأول كالتهجد والثاني كالتهبيح واليه الاشارة بالحديث ﴿ يلهمون التسبيح الخ ﴾ فاذا كان لون الحية لونها وحياتها فهو تسبيح وتهجد معا كالتنفس زفيرا وشهيقا وآثار التسبيح للجهلاء كآثار الضوء لهم به يهتدون ولكن لا يعرف سر التسبيح وسر الضوء إلا العلماء ومثل التسبيح قصص القرآن فالعامة يفرحون بظواهرها والخواص بعالمها

٦٠ يقول الله للشئ كن فيكون في الخارج فعلا ونطق نحن باسم الشئ فيكون ذهنا لاخارجا جوهرية في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض - الخ وضرب مثل للدليانيات بكتاب ﴿ كليلية ودمنة ﴾ ظاهره لعامة وباطنه للخاصة وكلام الله كفعله فهو كشجر له ظل يقوم وعمر لاخرين . هكذا لايتيم التسبيح والتهجد إلا بقراءة جميع العالم فيعرف الناس لم اختلفت الألوان فيا سياتي في سورة - قدأفلح المؤمنون - ويدرسون ما تقدم في سورة الرعد من أمر نعمات الأشجار . التسبيح والتهجد في القرآن لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن الجيوس تخصصوا باعتقاد إلهين وعلماء اليونان رأوا أن الشر لا يرتقاء النفس الانسانية كما في لغز قابس المعاصر لسقراط

٦٣ المسيحيون الحامدون في الاسلام وهم جهال أشبه بحال ذلك الذباب الذي دخل في الزهرة لبستقي فألقحها فهو مسخر كتسخير ذلك الجاهل المسيح ليسمعه قوم أعلم من هؤلاء فيقولون ان الله مخاطبنا بلغة العواطف من جوع وعطش واحساس بحر وبرد وأوجب الأغذية والملابس . فهذه اللغة للرحمة وان كانت في ظواهرها ألما فهذا الألم تنزه الله فيه عن قصد الايذاء فهو مسيح وهو محمود اذا فهمنا هذه العواطف . إذن الانسان كله اليوم جهول لأنهم جميعا جهلوا لغة العواطف فتعجروا بها وهم جاهلون فاذن يجب على الناس دراسة هذه الآلام والعواطف عامة وخاصة حتى يرتقي الانسان وهذا كله معنى التسبيح والتهجد فالأجل التسبيح ندرس العواطف ولأجل التهجد ندرس هذا الوجود والناس على الأرض جميعا أشقياء اجمالا لجهلهم بهذا المقام وهذا هو سر حديث ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ هذا هو الفقه المقصود في الحديث

٦٥ بهجة العالمين في قوله تعالى - تسبح له السموات السبع - من كلام الصوفية وبيان أن الأمم الاسلامية اليوم أكثرهم أتباع شيوخ الصوفية وأكثرهم ينهون عن العلم فأئزل العلم لهم على لسان الشيخ الخواص وهو يقول للشيخ الشعراوى ان الجهادى كالحيوان ولم يزد الحيوان على الجهاد إلا الشهوة . أما العقل فهو للعموم وقال كلاما لا تقبله عقولنا مثل ان البهائم عارفة بربها أشد المعرفة وكلاما تقبله عقولنا ونظهر في الكشف الحديث وهو تعايش الأشجار للالتحاق ومثله في ذلك الشيخ الدباغ الذى يقول ان الجداد عاقل وانه سمع الأشجار تسبح . وهنا نذكر ما جاء في العلم الحديث أن كل جاد ثبت أنه متحجر وأن بعض العلماء من أوروبا يقولون هذه الحركة تدل على الحياة . فكأن العلم كشف ثائى كلام هؤلاء الشيوخ وإيضاح هذا المقام أيضا بنظرية العالم (هشوو) الذى جعل نقطة الماء ونحوها ترجع لمرات من الضوء متحركات وهنا مقام التعجب أن يظهر بعض العلم الحديث على ألسنة شيوخ غير دارسين

٦٨ فائدة ظهور أمثال هذا على ألسنة الصالحين في زمن جهل المسلمين نثيت العقائد أولا وإقامة الحجة ثانيا

على الصوفية في زماننا اذا هم قصرُوا في معرفة هذه العلوم . وايضا هي فروض كذابات . وايضا أن الفتوح
التي يناله بعض الصوفية نادر ولا حكم للنادر وبيان أنهم يحفظون في كشفهم كأخبار الشيخ الخواص بقيام
الساعة سابقا ولم يتم

٦٩ بيان مجاء في الحديث أن النيل والفرات من الجنة وأن جميع الأنهار من المطر والمطر يكون بسبب حرارة
الشمس المثيرة للبخار فهذا سبب علوى سبوى . ثم بيان أن كثرة الملائكة الذين رأيهم النبي ﷺ
لها نظير عندنا من المخلوقات التي لانهاية لها في الأرض والهواء

٧٠ القسم الثاني ﴿ من قوله تعالى - قل كونوا حجارة أو حديدًا - الى آخر السورة مشكلا
التفسير اللفظي لهذا القسم . تفسير قوله تعالى - وما منعنا أن نرسل بالآيات - الخ والشجرة المعونة
في القرآن

٧٥ تفسير - وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - الى قوله - وإذ نأخذك خليلا -

٧٧ تفسير - ولولا أن قبضناك لقد كدت - الى قوله - قل كل يعمل على شاكته -

٧٩ تفسير - ويسألونك عن الروح - الى قوله - فأبى الظالمون إلا كفورا -

٨١ تفسير - قل لو أنتم تعلمون - الى قوله - خشوعا -

٨٣ تفسير - قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن - الى آخر السورة

٨٤ الخطاب المفتوح من الله للمسلمين وأن الله يقول للمسلمين أنا لا أنام فاذا نمت وكسنت فلا يبركم انكم تابعون
أشرف الأديان . لا نسب بيني وبينكم . الكلام على عمق البحار الملحة ومساحتها وأن عمق البحر
قد يصل ٤٦٠٠ قامة . نظرت في السماء ليلة الجمعة ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٧ وتأملت جمالها وحسنها
فجبت اننا لم نعرف هذه الكواكب التي هي شمس عظيمة لإعلى قدر ما نعرف في أرضنا فنسميها جلا
ونورا وسنبلة . كل ذلك على مقدار عقولنا وهكذا رسمت في عيوننا صورة صغيرة لأن الله متكبر ومتعال
ولا يعطينا من العلم إلا على مقدار عقولنا وطاقتنا إذ نسبة ادراكنا لهذه الكواكب الى حقايقها كنسبة
علمنا الى أصل الحقائق في كل شيء . هذا معنى ... وما أوتيت من العلم إلا قليلا - فهذه هي القلة قد
ظهرت ظهورا واضحا

٨٦ - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - أيضا . اعلم أننا كلما زدنا علما زدنا وثوقا بقلة علمنا فهذه المادة إما
جوامد وإما سوائل وإما غازات وهذه أمرها سهل يمكن فهمها للأطفال ولكن عند البحث نرى للمادة
ثمان صفات عامة كالامتداد وعدم التدخل وكالتجزئ . وهكذا هناك صفات خاصة مثل الصلابة والرونة
والقساوة وقوة الجنب وقوة الثقل وهكذا مثل الضوء ونواميسه . والحرارة والظواهر الجوية وأشكال
الماء والكهربائية والمغناطيسية . فهذه مداخل العلوم التي تدرس في الشرق والغرب وأصل ذلك كله
كلمة واحدة وهي المادة ثم تفرعت والفروع تفرعت ولانهاية للفروع فعمل الضوء نفسه أو علم الكهرباء
وغيرهما ببحور لا سواحل لها وكما زدنا بها علما زدنا قلة بفهمنا والتي ذكرته لا يأخذ بلبك فانظر لمسام
الجسم ان التسع في داخل الحديد والنحاس أشبه بالانساع بين السماء والأرض فل يمكن كأعين الغراب
ولا كالبعيد بين بلدين بل للمادة فيها فضاء عظيم وإن كنا نراها مصمتة ولأن حيوانا خلق بين ذرة من
ذرات الحديد وأخرى لاحتاج الى منظر معظم حتى يتمكن أن يرى الذرة الأخرى ومن هذا المقام أن آلاف
آلاف من الحيوان تعيش في قطرة ماء

٩٠ لغة طيارات الانجيز التي مررت فوق رأسي وأنا أفسر هذه السورة وكيف فهمت منها ما يقصدون من انذار

بلادنا واني واثق برقي للمسلمين بعد انتشار الأفكار النافعة قريبا . معنى - إن قرآن الفجر كان مشهودا - وآية - قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين - وآية - اقرأ كتابك - الخ
 ﴿فصل﴾ في طرق استحضار الأرواح . ﴿الطريقة الأولى﴾ طريقة المائدة ذات الأرجل الثلاثة ويكون الخطاب بالاصطلاح على عدد الضربات الخ . ﴿الطريقة الثانية﴾ طريقة الفنجال توضع الأيدي عليه ويحرك إلى الحروف على محيط البائرة . ﴿الطريقة الثالثة﴾ قطعة من الخشب مثمنة الزوايا لها ثلاث قوائم صغيرة يربط بها قلم رصاص وهي تكتب رسائل مطلولة في العالوم . ﴿الطريقة الرابعة﴾ الكتابة باليد بعد تخديرها بحيث لا يعرف الكاتب ما تخططه . ﴿الطريقة الخامسة﴾ أن يوضع القلم في علبة محتومة . ﴿الطريقة السادسة﴾ أن تظهر الروح للحاضرين

حادثة (ديكنس) التي مات سنة ١٨٧٠ وقام بتمام روايته الغلام الجاهل (جيمس) وهو لا علم له والانشاء والخط لم يتغير . حادثة أخرى للدكتور (سرياكس) الألماني فقد كتبت يده بعد ١٩ جلسته . والحادثة الثالثة (ويليام كروكسي) يقول ان الوسيطة (فوكس) تكتب بيدها مقالة روحية وبيدها الأخرى مقالة أخرى وهي تكتب الحضور لسانها

٩٤ الأرواح تكتب بلا أقلام . وضع البارون (جيلد نستويد) ورقا أبيض وقلم رصاص في علبة أفلها فبعد مدة رأى حروفا سرية بل بعد ذلك رأى الحروف تكتب أمامه بلا كاتب . وأيضا كان غلام صيرفي يجادل الفلاسفة في كل علم وهو في جاله المعتادة لا يعرف شيئا . ﴿المثال السادس﴾ ابنة الحاكم (لاورا) تكتب بلغات أجنبية لا تعرف هي منها شيئا وهكذا

٩٥ روح تسمى (كاثي) تجلت بحلة بيضاء وتكلمت عن رحيلها القريب وقصت قطعها شتى من رداها وتجارها ثم بوضع يدها على الحروق التأتمت بقوة روحية . المؤلف يقول إنه رأى اللبن يزعمون انهم يخرجون العفاريات في مصر كذا بين . إن النقااض الأدبية هي أقوى جاذب للأرواح الشريرة فلدفع الانسان للصالح . مطابقات للشريعة الاسلامية

٩٧ فصل في آداب من يحضرون الأرواح مثل الصبر والهدوء والأيديز العمل عن ٩٥ دقيقة وهكذا

٩٨ درجات الأرواح ﴿ثلاث﴾ سفلية . علوية . نقية . فالسفلية نجسة أو طائشة أو متكبرة أو عقيمة . والعلوية نجبة الخبر وتبعد عن الرذائل وهي صالحة أو حكيمة أو رفيعة جمعت بين الحكمة والفضيلة والنقية هي فوق الجميع وفوائد عامة في ذلك

٩٩ تذكرة في مقارنة ما في هذا بالقرآن وكلام الامام الغزالي و (اخوان الصفاء)

١٠٠ لم يكره الحيوان الموت . وذكر أن النفوس السكاملة اذا ماتت تشتغل بتعليم النفوس الناقصة

١٠١ ما كان المؤلف يظن أن الحقائق تظهر جليلة في هذا العصر . وبيان اشارة النبوة الى مظهر في هذا العصر من أمر التليفون . جوهره في النفس وقواها . هل النفس والمادة ابنتان لأم واحدة أم إحداهما أصل والثانية فرع . لم كان لنا أم وسرور متطارت بالمادة واعتراض على المؤلف أن نمر العقل تبع نحر البدن والعكس بالعكس يجعل المادة أصلا والعقل فرعاً وجواب المؤلف أن هذا العالم لغز ويجمع جميع العالوم . وهنا يذكر الحواس الجس الظاهرة والحواس الباطنة وتفرق الحواس الظاهرة على خواص المادة ٣٦ من علم المقولات في الفلسفة وهذه الصور كلها تحفظ في النفس وتبقى ولكنها في المادة تغير . إذن النفس أصل والمادة نفاقها ضيق . وليس حبس الانسان في المادة إلا كحبس المسجون في السجن فليس بقاء المسجون في سجنه دليلا على توقف حياته عليه

هنا (ثلاثة براهين) على أن الفكر أصل وهما (١) رجوع الغذاء فينا الى فكر (٢) ولاعمل لنا إلا بعد الفكر (٣) الانسان يسقط عن الحافظ بالوهم . اللطائف تحكم الكائنات كالسكر بقاء والبهار فالروح ألطف وأقوى . في جسم العنكبوت مصنع وكل نفس تعطي من العلم على مقدار حاجتها . فاذن كل حي فيه غريزة صادقة تطلب ما يحتاجه . فهناك غريزة عامة لحب البقاء فهي إذن تدل على البقاء طبعاً بهذا البرهان . ذكر عالم سويسرى سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس ما حصل للناس مثلها وألقاها محاضرة . يقول انه لما سقط ظهرت له أعماله الماضية كلها أسرع من البرق (جون لامونت) غرق في البحر فظهرت له جميع الحوادث الماضية

١٠٦ طيبة جرحت فرأت جميع حوادثها ثم استيقظت . ياقوته في الحياة بعد الموت وفيها ستة وجوه وهي (١) الفطرة الانسانية شاهدة بالبقاء كما تقدم (٢) حب الناس الأخذ بيد الضعيف دال على أن العدل لا بد أن يأخذ مجراه (٣) لا يقنع الانسان بكمال في الدنيا . لذن الكمال في عالم آخر (٤) أين غاية اللذات وغاية الآلام (٥) أظهر الكشف الحديث أن جميع سكان الأرض يؤمنون باليوم الآخر (٦) النوم ثم اليقظة يشبهان الموت والحياة . الرواقيون يحرصون على الأخلاق اتباعاً (لسقراط) ويسمون الروح (الجزء الالهي) وعلماء الهند يحكمون النفس فتقوى أرواحهم

١١١ هنا (ثلاث حوادث * الحادثة الأولى) حادثة المقبر الألماني (ديبلر) لما قطع وريده بيده ليعوت ثم أحب الحياة فصمم بهيمته على إيقاف الدم ثم غاب عن الحس ثم رأى انه على حافة قبرصنع له ورأى أن فيه قوة خارقة للعادة وسمع أن الفتاة (تريزنيومان) البافارية تعثر بها أوقات تظهر على جسمها آثار الدم الذي تنهض منه انه ظهر على جسم المسيح بالتأثير الديني فأعلن انه يفعل ذلك بإرادته فنجح وبهذا ظهر أن الأمر كله يرجع لقوة النفس سواء أكان بآثار الدين أم بهمة النفس وقوتها . وبهذا تمت الحادثتان

١١٢ (الحادثة الثالثة) حوادث روحية بمصر على يد (طهرا بك) إذ ظهر على المسرح ووضعوه في صندوق مدة ثم أخرجه حياً ووضعوا مسامير قوية تحته وقد كسروا حجراً عظيماً فوق جسمه وهو لم يتأثر وكل ذلك بحضور العلماء والأطباء . ويقول ان هذه قوة الروح وكل امرئ يقدر أن يفعل ذلك الكلام على عجب الذنب وبقاؤه في الاسلام وقول علماء الهند انه محل العلم والتعجب من اتفاق الاسلام وعلوم الهند في هذه النقطة . ويان أن هذا المقام حل لمشكلة آثارها في نفس شاب مرا كشي رأى جماعة لاصلاح عندهم يصنعون العجائب فهذا ظهر السر وان هذا لا يدل على الكمال . فهذه القوى كائنة في النفس والأنبياء وجوهها للكمال والكهان أخذوا يبعثونها هنا وهناك . وذكر رأي ابن سينا في ذلك وكذلك ذكر البعاجين في ابن خلدون وبلحق بذلك التنويم المغناطيسي وأن النورم (بالفتح) يؤمر بالقتل فيقتل

١١٧ الحجاب (خسة أنواع) حجاب جسمي وحجاب خلق وحجاب عقلي وحجاب علمي وحجاب ديني ١١٩ سورة الكهف وهي (قسمان * الأول) في قصة أهل الكهف (الثاني) في قصة الخضر وموسى عليهما السلام (القسم الأول) من أول السورة الى قوله ... وجعلنا لملكهم موعداً - مشكلاً تفسير بعض الألفاظ وذكر قصة أهل الكهف ملخصة وأن الملك (دقيانوس) كان يفتك بالنصارى ففرّ الفتيّة الى الكهف وتاموا الخ وكتب رجلان قصة الفتيّة سرّاً في لوحين وجعلاهما في تابوت من نحاس ولما استيقظوا ذهب تلميذاً ليشتري الطعام فعرف الناس الأمر وصتقوا أمر البعث الخ

- ١٣٥ بقية تفسير الآيات من قوله تعالى - ففصر بنا على آذانهم - الى قوله - وكان أمره فرطاً -
 ١٣٩ تفسير الآيات من قوله - وقل الحق من ربكم - الى قوله - فلم نغادر منهم أحداً -
 ١٣١ تفسير الآيات من قوله - وعرضوا على ربك صفاً - الى قوله - وجعلنا لهم آياتهم موعداً - هذا القسم

خمس فصول ثم ذكر وجه اتصال السورة بما قبلها

١٣٣ ﴿الفريدة الأولى﴾ لقد كنت حائراً في أمرى أيام تعامى بالجامع الأزهر إذ رأيت نظام التعليم في الأمم الإسلامية غير منتظم وكنت أنظر جميع أنواع الزرع الخ وكنت أنظر في أمر المسلمين فلا أجدهم كما كانوا في العصور الأولى الثلاثة وقد ابتدعوا طرقاً كما ابتدع النصارى الرهبنة - فاراعوها حق رعايتها - كذلك هؤلاء لم يراعوها وأصبح كثير من رجال الطرق أتباع الملوك والمحتلين للبلاد . كثير منهم تنعموا . وقد ذكر الفرنسيون في جرائدهم قبل احتلال مراكش أن المدارس في الاحتلال على ارضاء آل البيت المالسين للبلاد ورجال الطرق و بعد ذلك تم هذا كله فصادروا من ناوأهم وأحبوا من واقعهم ولقد علم الله انحراف كثير من أولئك الشيوخ فألهم طائفة منهم أن يكلموا الناس بأن هناك خطأ كبيراً في طرقهم كما ظهر الدين الاسلامي على يد أمي ليظهر خطأ الديانات والنبي ظهر لنا أن الشيخ الديباج الذي لم يتعلم قال ان أهل العصور الثلاثة الأولى كانوا لا يصرفون وقتاً في تطهير نفوس التلاميذ ومن بعدهم صرفوا وقتاً في ذلك . وفي هذا الزمان صار تلقين الأسماء بقية فاسدة . وقد يضاف الى ذلك عزائم فلابد من الرجوع للكتاب والسنة . قال وهذا احتياط والا فالبركة باقية . ثم أبان أن طريق الشكر أفضل من طريق المجاهدة التي يراد بها الكشف الذي هو وسط النفس وأقنى الشيخ الخواص الذي لم يتعلم أيضاً أن العبارة المنقولة عن رؤيا أحد بن حنبل لله محرقة وكيف يقترب الناس لله بجهل كلامه . وأبان أن السوق أفضل من المجذوب وأنه ليس للعبد أن يتخذ واسطة بينه وبين ربه والأنباء واسطة في التشريع والعبد يخاطب ربه مباشرة . ويقول الشيخ الديباج ان الناس انقطعوا عن ربهم وذكروا الصالحين بدله لظلام قلوبهم وتصدقوا لهم لاله . وبيان أن هذه الآراء نعمة أنعم بها الله وأظهرها في هذا التفسير ليظهر الحق من الباطل الذي كثر في زماننا

- ١٣٨ فهذه فوائد ست لم يكن ليخطر ببال أكثر المتعلمين في الاسلام أنها دين الاسلام . وذكر أن علماء الألمان يعرفون طرق الصوفية وتاريخهم ويحبون كيف لا يدرس هذا العلم في الأزهر
 ١٤٠ ﴿الفريدة الثانية﴾ - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - وهنا ﴿ ستة فصول ﴾ عجائب الماء وغرائب وأن هناك ﴿ أمرين عبيين ﴾ من عجائب الماء ﴿ أحدهما ﴾ اليتابيع الحارة في أرض الحجاز الصفراء في أمريكا الشمالية

١٤١ وهذه صورتها بالتصوير الشمسي (شكل ١)

- ١٤٢ ﴿ وثانيتهما ﴾ أجواف الجليد المتحركات من أعلى الجبال الى الأودية وستأتي صورتها في سورة النور . ثم ان اليتابيع الحارة منها ما ينبع وسط الثلوج رسم (شكل ٢) بالتصوير الشمسي . فهذان عجبان بارد ينزل وسط الحرارة من أعلى وحار يفور وسط الثلج من الأرض

١٤٣ الصنف الثاني في عجائب الجبال في الحيوان . وبيان أن الناس لا يزالون أطفالاً في معرفة أسرار الجبال كما قاله (وليم اكرويد) الذي ابتدأ مقاله بذكر الأضواء السبعة للشمس . وأن الألوان ماهي إلا ضوء الشمس لاغير كما ان علماء الطبيعة يقولون إن المادة ماهي إلا نور متجمد . فالمادة نور واللون نور فرجع الأمر كله لقوة لاغير . ويقول ليست دراسة الألوان في الحيوان سهلة فلندرس البسائط فالتركبات

فاللون أسود فأمر فأجر فبرتنالى فأصفر وهكذا الى الأبيض فالأسود أكثر حرارة وتقل بالتسدرج الى الأبيض وظهر السنجاب أبيض وصدرة و بطنه أجران على القاعدة المذكورة من شدة التعرض للشمس وعدمه . ومما يدل على أن هذا العلم لا يزال في المهد طفلا أن (نور البنغال) بالهند متناسب الأجزاء من الجانبين تناسباً هندسياً ومثله جدارايشة (شكل ٣) فهذا الجبال لا يعرف سببه من حيث شدة التعرض للشمس وقلته إذ الألوان المختلفة معا في مكان واحد

٩٤ من الخليل السمركون ذبوا لها سوداء
١٤٦ الخنازير الهندسية الجبلية في حشرة أبي دقيق الطاووسية (شكل ٤) ثم ذكر أن ظهر الطيور و بطنها كالذي تقدم في ذوات الأربع و يظهر في الطيور المائية أتم . فكل هذا على قاعدة واحدة تبع الشمس قربا وبعدا . فأما الزينة المذكورة فهي على غير هذا القانون مجعولة وهذا معنى التأكد في قوله - إنا جعلنا - بأن وبالجملة الاسمية ومن يدعي الجبال الذي يدهش اللب في تفسير الآية وتأكد الجملة (شكل ٥) وفيه الفراشة السفلى في نقوشها هواء يعكس النور والفراشة العليا فيها مادة مائنة فالتأكد هنا في الجملة نظير ما في قول الشاعر * إن بني عمك فيهم رماح *

١٤٨ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - إن الجبال للنوى العقول ليتذكروا به . فأما غيرهم فهو لهم فتنة يستهم عن العلوم فأجبال عند الجهال داع للشهوات وعند العلماء داع للرقى العلمي والجهال كلما أرادوا الصعود أقسمهم الجبال الذي رفع الحكماء . ﴿ إن الدنيا خضرة حائلة ﴾ الحديث . بيان - قل من حرم زينة الله - وإن من تلك الزينة ما عثر عليه في مقابر قدماء المصريين مثل (توت عنخ أمون) ومثل ما عثر عليه في آثار الاشوريين والسكديانيين والعليلانيين قبل (توت عنخ أمون) بنحو ١٧ قرنا من القلائد الذهبية قبل خمسة آلاف سنة مسنة على هيئة أوراق الذهب ومن تماثيل كانت مباحة لهم كتمثال قرد ذهبي نحو تلك قيراط دقيق الصنع جدا
١٥٠ بيان أن هذه الخلى مباحات للابسين واجب صنعها على الصانعين متى كانت مباحة لفهم معنى قوله - لنأوهوهم أيهم أحسن عملا - وقول الله - وزيناها لناظرين - يدل على أن هذه الزينة في العالم لم تخلق إلا لهم لا للابسين الذين لا يعقلون إلا زينة أنفسهم الخاصة

١٥١ ﴿ الفصل السادس ﴾ - أم حسبت أن أصحاب السكف - الخ يدل على أن هذه الزينة ليست مقصودة لانتها فهي أشبه بما يكتبه الكتاتون في الألواح ليقرا ثم يزال . شمس عقد الزينة في بهجة الجبال ليس الجبال ما يفهمه ذكران الحيوان من الاناث وبالعكس . كلا . أبصار الجبال كأبصار الخفافيش ترى في الظلام وبأبصار الحكماء كأبصار سائر الحيوان نهارا . عقول الناس بالنسبة للجمال كالأرض والعلم كالماء فالعقل يحكي العقول فتعرف الجبال

١٥٢ حصر أهم الطرق التي بها تثار العقول لادراك الجبال وفهم الزينة (١) خوارق العادات (٢) ظهور الغرائب على ألسنة الصالحين (٣) الخيال (٤) الجد والنصب بالدراسة والسير في الأرض كتاب (البرزخ) ونصائح الشيخ الديباغ . وكتاب (درا الفواص) ونصائح الشيخ الخواص . فيه . في الأول أن حلف الناس بالصالحين والتوسل بهم بسبب الانقطاع عن الله بمخالفات كالتقرب للظالمين والخوف منهم وعدم النصيحة الخ . كل هذا أوجب بعد القلوب عن ربها . وفي الثاني أن عباد الأوثان أحسن حالاً ممن يقرؤون الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق وهكذا وأن الشيخ يلقي ألف تليد ذكر

فلانبتج له مرهيد واحد وهذه الكتب ظهرت ولم تؤثر في الأمم الاسلامية

﴿ الطريق الثالث ﴾ غرائب العلم من الخيال مثل الاستعارات التمثيلية وجميع الكنايات وما أنتجه علم
السيان وفوق ذلك أمثال كتاب ﴿ كناية ودمنة ﴾ و ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ والخرافات التي فيها . فن
الثاني قصة مدينة النحاس وهي خرافة زهد في الدنيا وذلك أن موسى بن نصير ومعه الشيخ عبدالصمد
قد ظهر لهما جنى أخبرهما أنه محبوس من أيام نبي الله سليمان الى أيام عبيد الملك بن مروان وانهما
دخلتا مدينة النحاس ورأيا حليا ومجانب ومغاييل وفناة كأنها حية وعليها حلل لانظير لها فقتل منها
رجل منهم فقتله سيفان مصنوعان بالحكمة يقتلان من يقترب منها وقد رأيا قصة على لوح (أن ترمز
من ذرية العمالة قد حبس المطر عن ملكته سبع سنين فأت القوم جميعا . كل ذلك خرافة يراد بها
الزهد في الدنيا

١٥٥ ﴿ القصة الثانية ﴾ قصة أبي قبر وأبي صبر وهما صباغ وحلاق والأول مخادع والثاني صادق وقد أحسن
الثاني الى الأول ولكن الأول ضربه وآذاه ثم وثى به عند الملك وظهر الحق بعد ذلك فقتل الصباغ
وأحسن للحلاق . وما يخص هذه الخرافة أن الأمين مقبول والخائن عاقبت الخسران

١٥٦ ﴿ الطريق الخامس ﴾ السير في الأرض وبذلك السير يرى الانسان الضوء الشبلي

١٥٧ (شكل ٦) وهو في حقيقته ملون بالجرة والخضرة والصفرة الخ

١٥٨ وهناك عجائب ترى عندعرض ٨٢ درجة شمالا وهناك ترى قباب لماعة مشرفة محلاة بلون الجرة والصفرة
المشرقيين وهناك شفق جنوبي أيضا . وترى في الشمال مناظر سحرية في جبال الثلج العائمة على الماء في
الظلام وهي مهلكة وساحرة كأنها قصور مزخرفة محلاة بأنواع الحلبي

(شكل ٧) و (شكل ٨) وهما صورة الشفق الذي شوهد عند (أورلين) سنة ١٨٧٤

١٥٩ صورتان (٩) و (١٠) للشفق الشبلي الذي شوهد عند (الاسكا) وعند (بريفليوت)

١٦٠ الكلام على الفصل الأول في قصة أصحاب الكهف وأن هذه جاءت في القرآن لغرابتها وإن كان النوم
معروفا . ولقد كان قديما المصريين عند ظهور مجمل لهم جديد يتخذونه إلهيا يضربون ألف آلة
موسيقية . ذلك لأن الغرابة عندالانسان مناط انقياده وقصة أهل الكهف نظيرها الحشرات والحيات
تنام شتاء وتستيقظ في الربيع ولكن الغرابة هنا لها الأثر الكافي الاقتناع

١٦١ أصحاب الكهف ومقترحات أهل مكة

الكلام في خوارق العادات وفي الكرامات والأولياء . وقد يظهر من الذاكرين أنباع الشيوخ علوم

صادقة عالية كما يظهر في التنويم المغناطيسي

١٦٢ آثار ذلك في الاسلام ومايجب أن يكون فإذا ظهرت كلمة على يد رجل مستغرق في الله فإنه يجب

عليه أن يزد تواضعا لأن هذا ليس مقصود الاسلام بل مقصوده ارتقاء العقول ولا فرق بين هذا الذي

ظن نفسه وليا وهو مغتر و بين صاحب الجنتين المذكورتين في سورة الكهف

الصوفية ودول أوروبا الذين اتخذوهم آله يحاربون بها المسلمين

١٦٣ واجب المسلمين في المستقبل أن يدرسوا العجائب الخيالية للصغار والعلوم الحقة للكبار

حساب السنين الكبيسة والبسيطة وأن كل مائة سنة شمسية تكون ٣٠٩ قرية وأن ذلك من عجيب

أسرار الآلة بل هو معجزة وفرق بين قصة أهل الكهف التي هي خوارق وبين الحساب المنظم الذي

قال الله فيه . عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا . فالأول لتعليم الناشئين والثاني لتعليم

الكبار وهذا عجب عجاب أن تكون الخوارق مبدأ والحساب والعلوم الأخرى نهاية وهذا هو النظام في جميع العالم الآن

﴿ الفصل الثالث ﴾ في قوله تعالى - ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا -

﴿ الفصل الرابع ﴾ في مسألة الجنيتين وأن أحد الأخوين اغتربهما . وأن الناس ماضرهم إلا ديلان يرجعان للسفسطة (١) اني أعطيت هذا المال أو العلم للاستحقاق (٢) واني اذا أنعم الله على في الدنيا فهكذا ينعم على في الدار الأخرى

١٦٥ ﴿ الفصل الخامس ﴾ - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا -

السلام على قوله تعالى - ويلبسون ثيابا خضرا - الخ و بيان أن ألد المطعوم وهو العسل من حشرة وأنعم اللبوس من دودة وأغلى الخلى ما كان جوهرها من الصدف وأن ذلك كله ورد أنه في الجنة و بيان أن ظاهره للآئمة . فأما الخاصة فانهم يقولون في الجنة ﴿ مالا عين رأت الخ ﴾ وهذه رآها الناس إذن يلجئون للكنية والرمز ويستشهدون بالحديث والآيات الأخرى ويقولون ان الخواص يتمتعون حسا ومعنى بالعلوم وادراك الحقائق وبهذا وحده سيرون ربهم وأيضا أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الخ فظفر ما نراه في الدنيا فان الناس كلما حصلوا لذّة ازداد طلبهم لغيرها وهذا كقوله تعالى في سورة الكهف - وان يستغيثوا يغاثوا بماء - الخ

١٦٧ جوهره في قوله تعالى - واضرب لهم مثلا رجلين - الخ وذكر مثل يوضح ذلك من التاريخ إذ فتح المسلمون فارس والروم وأثروا الى مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا على (بلبيس) ثم على حصن (بابليون) وهناك حصلت مكائبات بينهم وبين (المقوقس) بنف . وههنا يجدر الانعاط بكلام عبادة ابن الصامت أمام المقوقس وقوله نحن يكفينا أقل الطعام والشراب وما زاد نصره في سبيل الله والموت خير لنا لأننا نكون في الجنة وهذا هو مقصود الآية اذا ملكنا لا نتعلق بالملك ونكون عبادا لله مخلصين ويقول اننا استودع كل منا ربه أهله وولده وأن المسلمين المتأخرين جعلوا الفتح مقصودا لذاته فهلكوا مصداقا لحديث ﴿ ان أخوف ما أخاف عليكم ﴾ وفي آخر الفتح ﴿ تشبهان ﴾ تشبيه المساهين في التوراة وتشبيههم في الانجيل . فليكن الفتح الآن فتحا علميا

١٧١ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - وإذ قلنا للأئمة اسجدوا لآدم - الى قوله - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وذكر مذهب الباطنية ونظام الملك الوزير وعمر الخيام

١٧٢ من هم الباطنية والسلام عليهم نقلا عن المواقف . وأن (الغبارية) وهم طائفة من الفرس أرادوا كسر شوكة العرب فلم يجدوا إلا إدخال الشك في الدين ورئيسهم في ذلك حمدان قرمط وقيل عبد الله بن ميمون القنقاع . ولهم في الاستسراج ﴿ سبع مراتب ﴾ الرزق والتأنيس والتشكيك والربط والتدليس والتأسيس والخلع والسلخ . ويسمون الاسماعيلية والباطنية والقرامطة والحرمية والحمرية والمزدكية والتعليمية والملاحدة . والنطاء عندهم سبع وهم امام وحجة وذموصة وأكبر وداع ماثون وكاتب رفيع الدرجات ومؤمن يتبع الداعي . غرام الاسماعيلية بالأعداد

١٧٤ بيان أن أوروبا الآن تفعل مع المسلمين ما فعله ابن الصباح قديما كلاهما يحرم العلم على المسلمين فأكثر

الصوفية شاركوا أوروبا في تقليل العلم ومنعه عن المسلمين الذين هم السبب في رقي الانسانية

﴿ المسألة الثانية ﴾ في السلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام وحسن بن الصباح وانهم تعاهدوا أن من ارتقى بنفع أخوه فارتقى نظام الملك للوزارة ونفع الخيام فأعطاه ملايستعين به على العلم وأكرم ابن الصباح

الذي خان رفيقه بعد ذلك فاحتال نظام الملك فردّ كيده في نحره فذهب ابن الصباح الى مصر وصار من الداعين للباطنية . وبيان أمر الباطنية وأنه كان أولا ببلاد المغرب ثم أتوا الى مصر ثم اقرضوا منها أيلم صلاح الدين الأيوبي . وهذا يوضح طريقة «أنا ممنون» بالهند

١٧٦ «المسألة الثالثة» زهد أكثر الأمم الإسلامية اليوم في فهم القرآن . وبيان أن السلطان عبدالعزيز برا كش كان رجلا صالحا ولكن الفرنسيين أرسلوا فأخذوا راقصات من مصر ليوهمو المسلمين أنها للسلطان وهو لاعلم له به لأن المسلمين زهدوا في العلوم وفي السياسة وفي الصناعات للجهل الذي به شيوخواهم الجاهلون

١٧٧ جوهره في إيضاح الكلام على حسن بن الصباح وأجمال تاريخ الإمامية والزيدية والكيسانية وفهم معنى الشيعة وأن الإمامة ركن من أركان الدين عندهم والإمام المعين معصوم وهؤلاء إمامية وزيدية والأولون يترؤن من الشيخين والآخرين لا يترؤن والإمامية تنتقل الإمامة عندهم في ولد فاطمة بالنص والزيدية يقولون إنها في ولد فاطمة باختيار الشيوخ ولابد أن يخرج الإمام والإمامية ترؤن من زيد لأنه لم يترأ من الشيخين فرفضوه فسموا رافضة . وطائفة ساقطت الخلافة في محمد بن الحنفية ثم الى ولده فهذه هي الأحوال الثلاثة ولها فروع تطول ومنهم الغلاة الذين يقولون بألوهية الأئمة فهم بشر طهون أو آله نفسه حل فيهم كما تقول النصارى في عيسى ومنهم أيضا الواقفية يقولون على واحد منهم مثل محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب وهم ينتظرونه الآن

الكلام على الكيسانية . قد ساقوها من محمد بن الحنفية الى ابنه هاشم وهو أوصى لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبعده الى ابنه إبراهيم الإمام ثم الى أخيه عبد الله السفاح ثم الى أخيه أبي جعفر المنصور . وهذه دولة بني العباس . الزيدية أتباع زيد بن علي رضي الله عنهم وقد خرج بالكوفة وقتل وصلب . وظهر بعده (محيي) بخراسان . وبعده (النفيس الزكية) الذي خرج بالحجاز فقتل ومنهم من ساقوا الإمامة من محمد بن عبد الله الى أخيه ادريس الذي قرأ الى المغرب وقام بعده ابنه ادريس واختط مدينة فاس

١٧٨ الإمامية . هم الذين ساقوا الإمامة الى جعفر الصادق وبعده إما الى ابنه اسماعيل وإما الى ابنه موسى السكاظم وهم الاثنا عشرية والاسماعيلية نقلاها الى ابنه محمد المكنون ثم ابنه جعفر ثم ابنه محمد ثم ابنه عبد الله المهدي الذي ظهرت دعوته في كتامة بالمغرب وملك القيروان والمغرب ثم مصر وقد خلط هؤلاء كلامهم بكلام الفلاسفة وحسبوا بالجل وشغلوا الناس بالادواق ولكن حسن بن الصباح فتح طريقا آخر كما في كتاب الشهرستاني أي الفتح محمد إذ ذكر حجاج بن الصباح الأربع للاستدلال على أنه هو وإمامه على الحق والفرق الباقية في الإسلام على الباطل

١٧٩ - وإذا قال موسى لفتاه - ذكر هذه الآية مشكلة الى آخر السورة

١٨٢ تفسير الكامات

١٨٣ مغزى هذه القصة

١٨٤ إيضاح هذا المقام أي استمرار هذه القصة . وأن المؤلف تخيل فلاحا يسأل شيخا يقول له أنا حائر في أمر طير وبهايم ولكن خواص ليست للآخر وكل راض بنعمته والله بهار حرم ثم يهلم ما بناء ويميت هذه المحاولات . ثم اني أرى الخطاف يصطاد الصفور والطاعون يهلك الناس اهلا كما . فأرتج على الشيخ فلم يعرف كيف يجيب

١٩٣ ذكر ما وافق عليه الشاطبي من فتوى علماء الاسلام بالضرب في التهم والجس وفي تعزيم المال في بعض الجنائيات وهكذا . وبيان أن علماء الاسلام قد جعلوا لامام المسلمين أن يوجب المندوب وأن يتقوى القول الضعيف . وأن رأى المؤلف أن المجالس المنتخبة في الأمة انتخاباً صحيحاً هي الأولى بمثل هذه المسائل لأنهم أولوا الأمر

بيان ما يجب على الأمة من تخصيص جماعة لعلم الفقه فيكون ذلك واجبا عليهم عينا إذا كانوا أهلا لذلك . قصة (ذى القرنين) وبيان اسكندر المقدوني وتاريخه اجالا وكذلك أبوكرب بن (أفريقش) وأن أبا الريحان اختار انه هو ذوالقرنين

١٩٥ التفسير اللفظي لقوله تعالى - ويسألونك عن ذى القرنين - الى آخر السورة

١٩٧ «اللطيفة الأولى» في سد ذى القرنين وأن هناك سدين سد مدينة (باب الأبواب) التي هي نفس مدينة (در بت) بحبل قوقاف . وسد آخر وراء جيعون في عمالة بلخ واسمه (سد باب الحديد) بالقرب من مدينة (ترمذ) وقد اجتازه (جورلوك) و(شاه روح) و(سيلد برسر) الألماني وذكره في كتابه وهكذا (كافيجو) سنة ١٤٠٣ وهو بين سمرقند والهند وهذا هو المذكور في القرآن فعلا

١٩٨ الكلام على (يأجوج ومأجوج) و(ذى القرنين) . وبيان أن المؤلف كتب في «مجلة الهلال» هذه المقالة في أواخر القرن التاسع عشر . وتبين بعد ذلك أن ما استنتجه حق بما رآه في كتاب (اخوان الصفاء) فنشره في «الوئيد» ولم يخص المقالة «خمس مباحث»

(١) معنى يأجوج ومأجوج وجغرافية بلادهم (٢) وفسادهم في الأرض وذكر تاريخهم (٣) معنى - فتحت يأجوج ومأجوج - وذكر خروجهم (٤) معنى الحذب (٥) معنى اقتراب الوعد الحق

١٩٩ بيان افساد يأجوج ومأجوج في أوروبا قبل التاريخ وأن منهم أمة (السرياق) وغيرها وانهم خرجوا من الهضبات المرتفعة وانهم دمروا بلاد الاسلام و(بولونيا) وبلاد (المجر) وقسموا بلاد الله بينهم أربعة أقسام . وقد خص كل واحد من أتباع (جنكيزخان) ٢٤ قتيلا من المسلمين وذبح الخليفة وذكر الأحاديث التي هي من معجزات النبوة إذ تم كل ماوردت به مثل انهم لا يدخلون مكة الح ومثل أن البيت يحج بعدهم

٢٠٠ نص خطاب (جنكيزخان) لقطب أرسلان وقوله ولينسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حذب . وذكر حديث زينب بنت جحش . وبيان معنى - اقتراب الوعد الحق - وأنه كقوله تعالى - اقتربت الساعة - الخ . وبيان أن عالين اسلاميين بكيا على الاسلام قبيل هجوم التتار وأخبرا بما سيحصل وبيان أن تلك البلاد مسبة بأسم يأجوج ومأجوج في (اخوان الصفاء) وغيره بمحددة الدرجات . وأن هؤلاء القوم أسلموا وأن الملك المظفر ردهم عن مصر والشام

٢٠٣ خريطة بلاد يأجوج ومأجوج . رسم الشيخ محمد نغرددين . وإيضاح الخريطة . وذكر أن يأجوج ومأجوج الآن من مجلة بلاد الصين

٢٠٥ قدوم عالم من علماء يأجوج ومأجوج على المؤلف . نظرة في أمة الانجليز ومصر وفي القيصر ومسلى الروس وأن أمة وأخته يعلمان بنات القرية انتقاده المسلمين في مصر أن ملهم في جيوب الأجانب بخلاف مسلى الروس ومقابلتي له بالمصادفة المحيية قبل سفرى لوالدى إذ أصيب وأخبارى له بأطاف الله في والدى وقوله إن الله مع المصلحين

الكلام على (ذى القرنين) والتدقيق في أمره وأن فتية الكهف في أول السورة فرتوا وأصحاب النبي

فَرَّوْا مِنَ الظُّلُمِ مِنْهُمْ إِلَى الْجُبَّةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ وَأَنَّ الْجِدَارَ أَقَامَهُ الْخَضِرُ وَالسَّدَّ بَنَاهُ (ذَوُ الْقَرْنَيْنِ) وَالسَّفِينَةُ خَرَقَتْ وَالْقَلَمُ قُتِلَ فِي آخِرِ السُّورَةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ قَوَّتِهَا تَمُتُّ الضَّرَرُ قَبْلَ اسْتِفْحَالِهِ وَتَنْفَعُ الْأَفْرَادَ وَالْأُمَمَ . وَذَكَرَ جَوَابَ سُؤَالٍ ﴿ أَيْعَلِمُ اللَّهُ شَكَّ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ لَا يَعْلَمُ ﴾ وَالْجَوَابُ عَلَيْهِ

٢٠٨ ذَكَرَ أَصْنَافٌ مِنْ أَشْهُرِهِمَا مِنْ أُمَّةِ الْيُونَانِ بِأَتَيْنِهِ وَاسْبَارُطِهِ مِثْلَ (كُودُوس) وَ (لِيكُورُغُس) وَهَكَذَا إِلَى اسْكَنْدَرٍ . فَهَلْ فِيهِمْ مَنْ فِي اسْمِهِ (ذُو) أَوْ مَافِي مَعْنَاهُ . كَلَا

٢٠٩ بَيَانُ مَلُوكِ الْيُونَانِ وَالنَّابِغِينَ فِيهِمْ مِثْلَ (فِيدُون) وَ (لِيكُورُغُس) وَ (رَافِطُوس) وَ (سُولُون) وَ (فِيلِيبُ الثَّانِي) وَ (اسْكَنْدَرُ الثَّالِثُ) الْمَلِكُ بِالْأَكْبَرِ . فَهَؤُلَاءِ وَغَيْرُهُمْ لَيْسَ فِي أَصْنَافِهِمْ مَعْنَى (ذَوِ الْقَرْنَيْنِ) السَّكْلَامُ عَلَى بِلَادِ الْبَحْرِ وَمُلُوكُهَا . وَأَمَّا تَنْقَسِمُ إِلَى مَخَالِفٍ وَالتَّخَالِيفِ وَهِيَ (٨٠) تَحْتَهَا مَحَادِدُ وَالتَّخَالِيفُ يَتَوَلَّاهُ قَبْلَ وَالتَّخْدُ أَوْ الْقَصْرُ قَدْ يَتَحَدَّلُ إِلَى مَدِينَةٍ وَصَاحِبُ التَّخْدِ يَلْقَبُ بِلَفْظِ (ذُو) مِثْلَ (ذُوغَمْدَان) وَالجَمْعُ أَذْوَاءُ وَالْأَذْوَاءُ يَرْتَقُونَ إِلَى أَقْبَالٍ وَالْأَقْبَالُ يَرْتَقُونَ إِلَى مَلُوكٍ ثُمَّ إِلَى تَبَاعُثٍ جَمْعُ تَبَعَ . وَقد جَاءَ فِي قِصَّةِ لُشَاعِرِ جَبْرِئِيِّ نَحْوِ (٩٠) مِنْ الْأَذْوَاءِ مِنْهَا الثَّمَانَةُ أَوَّلًا وَالبَاقِي بَعْدَ ذَلِكَ مِثْلُ ذِي ثَعْلَبَانَ وَذِي خَلِيلٍ وَذِي نِيقَانَ الخ . لِذَنْ ثَبَتَ أَنَّ (ذَوِ الْقَرْنَيْنِ) أَقْرَبُ إِلَى أَهْلِ الْبَحْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ كَوْنِهِ مِنَ الْأَذْوَاءِ وَارْتَقَى بَلْ ذَكَرَ فِيهِمْ (ذَوُ الْقَرْنَيْنِ) أَوْ (أَفْرِيشُ) الصَّعْبُ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ وَإِنْ بَالِغٌ فِي أَمْرِهِ الْقَصَاصُونَ . وَبَيَانُ أَنَّ دَوْلَةَ (سَبَأَ) وَقَبْلَهَا دَوْلَةُ (مَعِين) وَ (الْقَتَابِيُونَ) وَبَعْدَ سَبَأِ الدَّوْلَةِ الْجَبْرِئِيَّةِ وَمِنْهَا التَّبَاعُثُ وَبَيَانُ مَلُوكِهِمْ

٢١٢ حِكْمَةُ نَزُولِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ فِي الْقُرْآنِ لِذِكْرِ الْمُسْلِمِينَ الْحَالِيِّينَ مَاحِلَ بَابِهِمْ مِنْ أُمَّةٍ بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ وَيَكُونُ الْمَصْلُوحُونَ فِيهِمْ نَافِعِينَ لِلْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ كَسَالَةِ أَقَامَةِ الْجِدَارِ وَبِنَاءِ السَّدِّ بَلَا أَجْرَ وَأَنَّ الْأُمَمَ الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ هَجَرُوا أَوْطَانَهُمْ لَضَعْفِهِمْ أَوَّلًا كَأَهْلِ الْكَهْفِ وَفِي آخِرِ الْأُمَمِ يَنْفَعُونَ الْأَفْرَادَ وَالْأُمَمَ كَمَا تَقْتَضِي

٢١٣ وَأَيْضًا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَنَا يَبْحَثُونَ فِي هَاتَيْنِ الْأُمَمَيْنِ فَيَتَبَيَّنُ لَهُمْ أَوْلَئِكَ الْمَصْلُوحُونَ الَّذِينَ سَنُوا لِلْأُمَمِ مَجَالِسَ النَّوَابِ وَالشُّيُوخِ الَّتِي أَخَذَتْ تَسْرِي الْآنَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى عِلْمَائِهِمْ دَرَسَةُ تَارِيخِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ لِيَكُونُوا عَلَى بَيِّنَةٍ

جَوْهَرَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى - قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِي فِي - . وَبَيَانُ خُطْبَةِ (جِبْرِئِيسَ) الْعَالَمِ الْإِنْجِيلِيَّ فِي جَامِعَةِ أَمْرِيكَ إِذْ شَرَحَ عَمَرَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْإِنْسَانَ الْحَالِيَّ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَبَيَانُ الْأَجْرَامِ الْفَلَكِيَّةِ وَأَنَّ لَهَا نَهَايَةً . أَمَّا الْقَضَاءُ فَلَا نَهَايَةَ لَهُ . وَالْأَجْرَامُ الْفَلَكِيَّةُ تَمْتَدُّ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ ضِعْفِ الْمَسَافَةِ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ السُّدَمِ وَأَنَّ الْكَهْرْبَاءَ تَنْطَلِقُ عَلَى الْأَرْضِ وَتَرْجِعُ إِلَى مَحَلِّهَا فَالنُّورُ يَجْرِي عَلَى مِحْطِ دَائِرَةِ وَالنُّورُ يَجْرِي حَوْلَ الْقَضَاءِ الْكَهْرَوِيِّ مِائَةً أَلْفَ مِيلُونَ سَنَةً . وَبَيَانُ حِجْمِ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَعَدَدِ الْمَجْمُوعَاتِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مِيلُونَ مَجْمُوعَةً وَشُمْسَانَا حَبَّةُ رَمَلٍ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنْهَا وَعَدَدُ النُّجُومِ (٢) عَلَى يَمِينِهَا (٢٤) صَفْرًا . وَذَكَرَ أَضْعَفَ النُّجُومِ نُورًا وَأَشَدَّهَا الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَلْفِ ضِعْفِ نُورِ الشَّمْسِ وَالْجُوزَاءُ أَكْبَرُ مِنَ الشَّمْسِ (٢٥) مِيلُونَ مَرَّةً وَقُوَّةُ شِعَاعِ الشَّمْسِ وَنُورِ الشَّمْسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نُورِهَا كَنُورِ الْحَبَابِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نُورِ الشَّمْسِ . وَقُوَّةُ الشَّعَاعِ فِي الْبُوصَةِ لِلرَّبْعَةِ مِنَ الشَّمْسِ تَعَادِلُ خَمْسِينَ حِصَانًا وَهِيَ فِي بَعْضِ النُّجُومِ تَسَارَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ حِصَانٍ . وَبَيَانُ أَعْمَارِ الْأَجْرَامِ الْفَلَكِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ إِلَى عَشْرَةِ آلَافٍ أَلْفَ مِيلُونَ سَنَةً . وَعَمَرُ الشَّمْسِ الْآنَ عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفَ مِيلُونَ سَنَةً وَرَبَّمَا

٢١٦ تعيش ملايين الملايين أيضا . هذا معنى - قل لو كان البحر مدادا - الخ
جوهرة في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم - الخ وهي إبيان أن الكثرة المتقدمة تشملها وحدة
وبيان الوحدة عند قدماء الفلاسفة وأنها ملازمة للوجود فكل موجود كثير أو قل يطلق عليه اسم
الواحد . ويقول علماء (الارتماطيقي) العالم كله واحد مكرر وعلماء العصر الحاضر وجدوا الوحدة في
التركيب . فكل شمس وكل كوكب وكل قمر مركبات من عناصر تماثل العناصر المعروفة وهي كلها
ذرات فكل ذرة لها دورات كدورات الكواكب حول الشمس . وقد وجدوا في قطرة الماء من
الذرات أعدادا عظيمة تقرب في كثرتها من عدد نجوم السماء

خلاصة ما تقدم مثل الوحدة في آراء الفلاسفة ووحدة الأعداد ووحدة علماء العصر الحاضر واتحاد الكواكب
ووحدة في الاشراق لأن العوالم كلها سواء أكانت مظلمة أم مضيئة كالشمس والحديد والنحاس ترجع
إلى ذرات ضوئية ركبت منها تلك العناصر . ووحدة في جزي أجزاء الذرات بعضها على بعض .
ووحدة في أن بين الذرات مسعات كالتي بين الأرض والشمس . ووحدة في أن الصغير بما نراه يحوي
عددا من الذرات يقرب من احتواء العالم على كواكب . ووحدة في الأحوال من حرّ وبرد وموت
وحياة . وفي الأخلاق كالجهاد الذي أمرت به جميع الديانات . ووحدة في العدل كما في قوله تعالى
- إن الله يأمر بالعدل - المشرّوح في سورة النحل . ووحدة في نظام الأمم . فكلما كانت الأمة
أقوى ترتيبا كانت أقدر على أن تغلب غيرها وتعدّ التي ليست فيها وحدة أنها مخافة لنظام ربها فلذلك
تعاقب بالخزي في الدنيا ك بعض الأمم الشرقية في القرون المتأخرة . وبالشورى التي أمر بها سيدنا عمر
رضي الله عنه تكوّن الوحدة . والحجّب أن يتحد الطالبان والألمان والممالك المتحدة وكثير من
المسلمين لم يتحدوا قبيل زمننا الحاضر . ومن الوحدة في الأمة الاحتفاظ بالصناعة وتقوية القائمين بها
ومساعدة الأيدي العاملة فيها . والأمة إذا فرطت في الصناعات تخرّقت وحدتها وأصبحت ذليلة مستعبدة
غيرها . كل هذا سرّ قوله تعالى في سورة إبراهيم - وليعالموا أنّما هو إله واحد وليذكروا الألباب -
فهذا من نوع التذكّر الذي ينبغي أولوا الألباب

٢١٩ خطاب مفتوح كتب في مجلة « النهضة النسائية » يقصد به الوحدة في الصناعة وأن المصريات لم يفعلن
ما فعلته (جان دارك) من احراق جسمها لأجل بلادها ولم يقطعن المنسوجات الأجنبية كأهل الهند .
فها قامت منهن طائفة تمنع التبرّج كما فعلت النساء التركيات . وملخص هذه المقالة أن ارتقاء الأمة
في الصناعة والاقتصاد يجب أن يشارك النساء فيه الرجال

(بشرى)

صحيح الامام البخاري في تسعة أجزاء

بخط جليّ واضح لم يسبق طبعه بهذا الشكل

مضبوط الكلمات • حائزا أعلى الصفات

الى الاصوليين والفقهاء والمحدثين أرف كتابا أصح الكتب بعد
كتاب الله سبحانه وتعالى ألا وهو كتاب ﴿صحيح الامام البخاري﴾
بعد التعطش لرياه • وقلة مرآه • حتى أصبح لا يرى لنسخه أثر •
ولا يوقف لها على خبر • والنفوس له مشتاقه • ولاجتلاء محياه
تواقه • ومع الاستعانة بالله سبحانه شرعنا في طبعه وعمما قريب
يظهر للوجود • بعد ان كان غير موجود • وانتقينا له من الورق
أعلاه وأغلاه • ومن الحروف أوضحها وأضبطها • ومن الاصول
أصحها وأتقنها • وحسبك صحة واتقانا النسخة التي انتقاها من بين
أصوله الصحاح أمير المؤمنين المغفور له (السلطان عبدالجيد) التي أجمع
على صحتها أكابر علماء الأزهر الشريف • رحم الله جميعهم • وبرّر
في الدارين صنيعهم آمين